

تَفْسِيرُ

كَنْزُ الدُّقَائِقِ فِي مَحَارِبِ الْغَرَائِبِ

الْطَّبِيعَةُ الْمُبْقِيَةُ

لِلْعَلَامَةِ الْمُفْتَخِرِ الْحَزَنِيِّ الْأَكْبَرِ
السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَيْهَقِيِّ
مِنْ أَعْلَامِ الْقُرُونِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةِ

بَحْثُ

مُحَمَّدِ بْنِ دُرَّكَاهِ

بَحْثُ

الْمَرْءُ الْفَارِسِيُّ

تَفْسِيرُ
كَتَرِ الدَّقَائِقِ وَبَحْرِ الْغَرَائِبِ

الطَّبَعَةُ الْمُبَيَّنَةُ

الجزء التاسع

لِلْعَلَامَةِ الْمُفْتَخِرِ الْحَاجِّ شَيْخِ الْأَرْبَابِ
الْشَيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْقَائِمِ الْهَيْهَاتَ
عَنْ أَعْلَامِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ

مُحَقَّقُونَ
مُحَسِّنُونَ دَرَكَاهِ



سرشناسه : قمی مشهدی، محمد بن محمد رضا، قرن ۱۲ ق.
 عنوان و پدیدآور : تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب/محمد بن محمد رضا/قمی مشهدی؛ تحقیق حسین درگاهی.
 مشخصات نشر : تهران: شمس الضحی، ۱۳۸۷.
 مشخصات ظاهری : ۱۴ ج.
 شابک : (ج ۹)؛ 5 - 15 - 8767 - 964 - 978 ISBN
 (دوره)؛ 3 - 06 - 8767 - 964 - 978 ISBN
 وضعیت فهرست نویسی : فیا.
 یادداشت : کتاب حاضر در سال های مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است.
 موضوع : تفاسیر ماثوره -- شیعه امامیه.
 موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۲ ق.
 شناسه افزوده : درگاهی، حسین، ۱۳۳۱ - ، مصحح.
 رده بندی کنگره : ۱۳۸۷ ک ۸ ق ۳ / ۹۷ BP
 رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۳۶
 شماره کتابخانه ملی: ۱۶۳۰۶۱۷

تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب، الجزء التاسع

تألیف: الشیخ محمد بن محمد رضا القمی المشهدی

تحقیق: حسین درگاهی

منشورات مؤسسة شمس الضحی

الطبعة الاولى: ۱۴۳۰ هـ ق - ۱۳۸۷ ش.هـ.

طبع في ۱۰۰۰ نسخة

المطبعة: نگارش

سعر الدّورة في: ۱۷ مجلدًا: ۱۱۰/۰۰۰ توماناً

شابک (ردمک): الجزء التاسع: ۵ - ۱۵ - ۸۷۶۷ - ۹۶۴ - ۹۷۸

شابک (ردمک) الدّورة في ۱۴ مجلدًا: ۳ - ۰۶ - ۸۷۶۷ - ۹۶۴ - ۹۷۸

صندوق البريد: تهران ۳۱۴۱ - ۱۹۳۹۵



مراكز التوزيع:

- (۱) قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ۶۵، هاتف و فکس: ۷۷۳۳۴۱۳ - ۷۷۴۴۹۸۸ (۹۸۲۵۱+)
 - (۱) قم، شارع صفائیه، مقابل زقاق رقم ۳۸، منشورات دلیل ما، هاتف ۷۷۳۷۰۱۱ - ۷۷۳۷۰۰۱
 - (۲) طهران، شارع انقلاب، شارع فخر رازی، رقم ۳۲، منشورات دلیل ما، هاتف ۶۶۴۶۴۱۴۱ - ۰۲۱
 - (۳) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقه النادري، زقاق خوراکيان،
- بنایه گنجینه کتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دلیل ما، هاتف ۵ - ۲۲۳۷۱۱۳ - ۰۵۱۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كلمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وآله الطيبين الطاهرين،
ولا سيما بقيّة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة على أعدائه وأعدائهم أجمعين.

النسخ التي استفدنا منها في تحقيق الربع الثالث، من سورة مريم إلى نهاية سورة فاطر،
من تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب:

١. نسخة في مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي العامّة، قم، رقم ٢٩٦٩،
مذكورة في فهرسها ١٥٠/٨. رمزها: ع.
٢. نسخة في مكتبة مدرسة الشهيد المطهري، رقم ٢٠٥٥، مذكورة في فهرسها
٤٥٠/٥، رمزها: س.

٣. نسخة في المكتبة المركزيّة لجامعة طهران، رقم ٧٣٤٥، مذكورة في فهرسها
٥١٧/١٦. رمزها: أ.

٤. نسخة في مكتبة العلامة المغفور له السيّد جلال الدين المحدث الأرموي، نزيل
طهران. رمزها: م.

٥. نسخة في مكتبة العلامة المغفور له الشيخ علي النمازي الشاهرودي، نزيل
مشهد، مكتوبة في حياة المؤلّف، سنة ١١١١ للهجرة، وعلى ظهرها كتاب الوقف لبنت
المؤلّف. رمزها: ن.

والحمد لله أولاً وآخراً

حسين درگاهي

سورة الحج

سورة الحج

قيل ^(١): مَكِّيَّة، إِلَّا سَتَّ آيَات من «هذان خصمان» إلى «صراط ^(٢) الحميد» ^(٣).
وقيل ^(٤): مدنيَّة. وهي ثمان وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال ^(٥) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة الحج في كل ثلاثة أيام، لم تخرج سنته حتَّى يخرج إلى بيت الله الحرام. وإن مات في سفره، دخل الجنَّة.

قلت: فإن كان مخالفاً؟ قال: يُخَفَّف عنه بعض ما هو فيه.

وفي مجمع البيان ^(٦): أبي بن كعب، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة الحج، أُعطي من الأجر كحجَّة حجَّها وعمره اعتمرها، بعدد من حجَّ واعتمر فيما مضى وفيما بقي ^(٧).

وفيه ^(٨): قال عمران بن الحصين وأبوسعيد الخدري: نزلت الآيتان من أوَّل السورة ليلاً، وفي غزاة بني المصطلق - وهم حيٌّ من خزاعة - والناس يسرون. فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله فحثُّوا المطيَّ، حتَّى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأها عليهم. فلم يُر أكثر باكياً من تلك الليلة.

١. أنوار التنزيل، ٨٤/٢.

٣. الآيات ١٩ إلى ٢٤.

٥. ثواب الأعمال: ١٣٥، ح ١.

٧. م، و: يأتي.

٢. ليس في ع.

٤. مجمع البيان، ٦٧/٤.

٦. المجمع، ٦٧/٤.

٨. نفس المصدر، ٧٠.

فلَمَّا أصبحوا، لم يحطوا السرج عن الدواب، ولم يضربوا الخيام، والناس بين باك أو^(١) جالس حزين متفكّر. فقال لهم رسول الله ﷺ: أتدرون أيّ يوم ذاك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذاك يوم يقول الله تعالى لأدم: ابعث بعث النار من ولدك. فيقول آدم: من كم وكم؟ فيقول [الله] ﷻ^(٢): من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة.

فكبر ذلك على المسلمين، وبكوا. فقالوا: فمن ينجو يا رسول الله ﷺ؟ فقال رسول الله ﷺ: أبشروا، فإنّ معكم خليقتين^(٣): يأجوج ومأجوج؛ ما كانتا في شيء إلّا كثرتا. ما أنتم في الناس إلّا كشجرة بيضاء في الثور الأسود، أو كرقم في ذراع البكر، أو كشامة في جنب البعير.

ثمّ قال: إنّي لأرجو أن تكونوا أربع أهل الجنة. فكبروا. ثمّ قال: إنّي لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبروا. ثمّ قال: إنّي لأرجو أن تكونوا^(٤) ثلثي أهل الجنة، وهم مائة وعشرون صفّاً، ثمانون منها أمّتي. ثمّ قال: ويدخل من أمّتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب.

وفي بعض الروايات أنّ عمر بن الخطّاب قال: يا رسول الله، سبعون ألفاً؟ قال: نعم، ومع كلّ واحد سبعون ألفاً. فقام عكاشة [بن محصن] فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: اللهمّ اجعله منهم. فقام رجل من الأنصار فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال ﷺ^(٥): سبقك بها عكاشة، فلذلك قال ابن عباس: كان الأنصاري منافقاً، لم يدع له.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾: قيل^(٦): تحريكها للأشياء على الإسناد المجازي. أو تحريك الأشياء فيها، فأضيفت إليها إضافة معنوية بتقدير «في» أو إضافة

١. المصدر: أي .

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: خليقتين .

٣. لا يوجد في ن .

٤. أنوار التنزيل، ٨٤/٢ .

٥. لا يوجد في أ .

المصدر إلى الظرف، على إجرائه مجرى المفعول به.

وقيل ^(١): هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها. وإضافتها إلى «الساعة» لأنها من أشراتها.

﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٢): هائل.

علل أمرهم بالتقوى بفضاعة الساعة، ليتصوروها بعقولهم، ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى، فيبقوا على أنفسهم، ويتقوها بملازمة التقوى.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٣) للطبرسي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل، وفيه: معاشر الناس، التقوى التقوى، احذروا الساعة كما قال الله تعالى: «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ».

﴿يَوْمَ تَرُؤْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾: تصوير لهولها. والضمير للزلزلة.

و«يوم» منتصب بـ«تذهل».

[وقرى ^(٣): «تذهل»] ^(٤) و«تذهل» ^(٥) مجهولاً ومعروفاً. أي تذهلها الزلزلة.

والذهول: الذهاب عن الأمر بدهشة. والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه، وذهلت عنه. و«ما» موصولة، أو مصدرية.

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾: جنينها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): قال: كل امرأة تموت حاملة عند زلزلة الساعة،

تضع ^(٧) حملها يوم القيامة.

وفي كتاب التوحيد ^(٨) بإسناده إلى عبد الله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله [عن

١. نفس المصدر والموضع.

٢. أنوار التنزيل، ٨٤/٢.

٣. ليس في ن.

٤. ليس في أ.

٥. تفسير القمي، ٧٨/٢.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: حتى تضع.

٧. التوحيد: ٢٩١، ح ١.

النبي ﷺ^(١) حديث طويل، وفيه يقول ﷺ: «يأمر الله ﷻ ناراً يقال لها «الفلق» أشد شيء في جهنم عذاباً. فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والأغلال، فيأمرها الله ﷻ أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة، [فتنفخ]^(٢). فمن شدة نفختها تنقطع السماء، وتنطمس النجوم، وتجمد البحار، وتزول الجبال، وتظلم الأبصار، وتضع الحوامل حملها، ويشيب الولدان من هولها يوم القيامة.

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾: كأنهم سكارى.

﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾: على الحقيقة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال: يعني ذاهبة^(٤) عقولهم من الحزن والفرح متحيرين.

﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٥): فأرهقهم هول، بحيث تطير عقولهم وأذهب

تميزهم.

وقرئ^(٥): «ثرى» بالبناء للمفعول [من: أريتك قائماً، أو رأيتك قائماً]^(٦) بنصب «الناس»^(٧) ورفع، على أنه ناب مناب الفاعل، وتأنيثه على تأويل الجماعة وإفراده بعد جمعه، لأن الزلزلة يراها الجميع، وأثر السكر إنما يراه كل أحد على غيره.

وقرئ^(٨): «سكرى» كعطشى، إجراءً للسكر مجرى العلل.

وفي طب الأئمة^(٩): بإسناده إلى سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: إنني لأعرف آيتين من كتاب الله المنزل، تكتبان للمرأة إذا عسر عليها [ولدها]^(١٠) تكتبان في رق طبي، وتعلقه عليها في حقوبها: بسم الله وبالله «إِنَّ مع العسر

١. ليس في ن.

٢. تفسير القمى ٧٨/٢.

٣. أنوار التنزيل، ٨٥/٢.

٤. يوجد في م بعدها: من أريتك قائماً أو رؤيت قائماً نفس القاضي.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. طب الأئمة ٣٥/.

٧. من المصدر.

يسراً^(١) سبع مرّات «يا أيّها الناس اتّقوا» إلى آخره، مرّة واحدة.
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: قيل^(٢): نزلت في النضر بن الحارث،
 وكان جدلاً يقول: الملائكة بنات الله. والقرآن أساطير الأولين. ولا بعث بعد الموت.
 وهي تعمّه وأضرابه.

﴿وَيَتَّبِعُ﴾: في المجادلة، أو في عمّة أحواله.
 ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾^(٣): متجرّد للفساد. وأصله: العربي.
 وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٤): قال: المرید الخبيث.
 ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: على الشيطان.
 ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾: تبعه. والضمير للشأن.
 ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾: خبر له «من». أو جواب له. والمعنى: كتب عليه إضلال من يتولّاه،
 لأنّه جُبِلَ عليه.

وقرئ^(٥) بالفتح، على تقدير: فشأنه أن يضلّه، لأعلى العطف، فإنّه يكون بعد تمام
 الكلام.

وقرئ^(٥) بالكسر في الموضعين، على حكاية المكتوب، أو على إضمار القول، أو
 تضمين الكتب معناه.

﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٦): بالحمل على ما يؤدّي إليه.
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾: من إمكانه وكونه مقدوراً.
 وقرئ^(٧): «من البعث» بالتحريك، كالجَلَبِ.
 ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾: أي فانظروا في بدء خلقكم، فإنّه يزيح ريبكم، فإنّا خلقناكم.
 ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾: بخلق آدم منه. أو: من الأغذية التي يتكوّن منها المنى.

٢. أنوار التنزيل، ٨٥/٢.

٤. أنوار التنزيل، ٨٥/٢.

٦. نفس المصدر والموضع.

١. الانشراح، ٦.

٣. تفسير القمي، ٧٨/٢.

٥. أنوار التنزيل، ٨٥/٢.

﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: أي مني. من النطف، وهو الصب.

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: قطعة من الدم جامدة.

﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾: قطعة من اللحم. وهو في الأصل قدر ما يمضغ.

وفي الكافي^(١) عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة، فتمكث في الرحم إذا صارت فيه أربعين يوماً، ثم تصير إلى علقه، وهي علقه كعلقة دم المحجمة الجامدة [في الرحم]^(٢) بعد تحويلها عن النطفة أربعين يوماً. ثم تصير مضغ، قال: وهي مضغة لحمه حمراء، وفيها عروق خضر مشتبكة. ثم تصير إلى عظم وشق له السمع والبصر، ورُتبت جوارحه.

﴿مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ﴾: مسواة لا نقص فيها ولا عيب، وغير مسواة. أو: تامة وساقطة. أو: مصورة وغير مصورة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال: المخلقة إذا صارت دماً، وغير مخلقة السقط. وفي الكافي^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد؛ وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن النعمان، عن سلام بن المستنير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ». قال: المخلقة هم الذر^(٥) الذين خلقهم الله في صلب آدم، وأخذ عليهم الميثاق. وأما قوله: «وغير مخلقة» فهم كل نسمة لم يخلقهم الله تعالى في صلب آدم حين خلق الذر، وأخذ عليهم الميثاق. وهم النطف من العزل والسقط، قبل أن يُنفخ فيه الروح والحياة والبقاء.

وفي قرب الأسناد^(٦) للحميري: عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سأله أن يدعو الله تعالى لامرأة^(٧) من أهلنا بها حمل. فقال: قال

١. في الكافي ١٢/٦-١٦ عدة أحاديث عن أبي جعفر عليه السلام بهذا المضمون بتفاوت، فراجع.

٢. ليس في م. ٣. تفسير القمي، ٧٨/٢.

٥. ليس في ن.

٤. الكافي ١٢/٦، ح ١.

٦. قرب الإسناد: ١٥٤-١٥٥.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: لامرأته.

أبو جعفر عليه السلام: الدعاء ما لم تمض أربعة أشهر. فقلت له: إنمائها أقل من هذا. فدعاها، ثم قال: إن النطفة تكون في الرحم ثلاثين يوماً. وتكون علقة ثلاثين يوماً. وتكون مضغة ثلاثين يوماً. وتكون مخلقة وغير مخلقة ثلاثين يوماً. فإذا تمت الأربعة أشهر، بعث الله تبارك وتعالى إليها ملكين خلّاقين، يصوّرانه، ويكتبان رزقه وأجله، وشقيّاً أو سعيداً.

﴿لُتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾: بهذا التدرّج قدرتنا وحكمتنا. وأن ما قبل التغيّر والفساد والتكوّن، قبلها مرّة أخرى. وأن من قدر على تغييره وتصويره أولاً، قدر على ذلك ثانياً. وحذف المفعول إيحاءً إلى أن أفعاله هذه يتبيّن بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(١): وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: لتبيّن ^(٢) لكم أنكم ^(٣) كنتم كذلك في الأرحام. ﴿وَنَقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾: فلا يخرج سقطاً. ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو وقت الوضع. وأدناه ستّة أشهر. وأقصاه تسعة أشهر. والعامة يقولون: أقصاه آخر أربع سنين.

وفي الكافي ^(٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لاتلد المرأة لأقل من ستّة أشهر. وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام ^(٥) سئل أن غاية الحمل بالولد في بطن أمّه كم هو؟ فإنّ الناس ^(٦) يقولون ربّما بقي في بطنها سنين. فقال: كذبوا! أقصى حدّ الحمل تسعة أشهر، لا يزيد لحظة. لو زاد ساعة، لقتل أمّه قبل أن يخرج. وعن أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن موسى عليهما السلام: إذا جاءت به لأكثر من سنة لم تُصدّق، ولو ساعة واحدة.

١. تفسير القمي، ٧٨/٢. ٢. المصدر: ولبيّن.

٣. ليس في المصدر. ٤. الكافي ٥٦٣/٥، ح ٣٢.

٥. نفس المصدر ٥٢/٦، ح ٣.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: «في الناس و» بدل «فإنّ الناس».

وقرئ^(١): «ونقر» بالنصب، وكذا قوله:

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾: عطفاً على «نبيين». كأن خلقهم مدرجاً لغرضين تبيين القدرة، وتقريرهم في الأرحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف. وقرأ^(٢) بالياء رفعاً ونصباً. و«يقر» بالياء^(٣)، و«نقر» من: قدرت الماء: إذا صببته^(٤). و«طفلاً» حال أجريت على تأويل كل واحد، أو للدلالة على الجنس، أو لأنه في الأصل مصدر.

﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾: كمالكم في العقل والقوة. جمع شدة؛ كأنهم ونعمة. كأنها شدة في الأمور.

وفي الكافي^(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام: انقطاع يتم اليتيم الاحتلام، وهو أشده^(٦).

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى﴾: عند بلوغ الأشد أو قبله.

وقرئ^(٧): «يتوفى» أي يتوفاه الله.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَوَّلِ الْعُمُرِ﴾: الهرم والخرف.

وقرئ^(٨) بسكون الميم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩): حدّثنا محمد بن جعفر قال: حدّثنا محمد بن

أحمد، عن أبي العباس^(١٠)، عن ابن أبي نجران، عن محمد بن أبي القاسم، عن علي بن

المغيرة، عن أبي عبد الله، عن أبيه صلوات الله عليهما قال: إذا بلغ العبد مائة سنة، فذلك

أرذل العمر.

وفي مجمع البيان^(١١) عن أمير المؤمنين عليه السلام «خمس وسبعون» كما سبق في سورة

النحل.

١. أنوار التنزيل، ٨٥/٢.

٢. أنوار التنزيل، ٨٥/٢.

٣. ليس في ن.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: حبسته.

٥. الكافي ٦٨٧، ح ٢.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: أشد.

٧. أنوار التنزيل، ٨٥/٢.

٨. تفسير القمي، ٧٨/٢ - ٧٩.

٩. المصدر: عن العياش.

١٠. المصدر: عن العياش.

١١. المجمع، ٣٧٢/٣.

ويمكن الجمع بين الاختلاف بحمله على الاختلاف بسبب الأمزجة والطبائع واختلاف البلدان ومحال القطن.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾: ليعود كهيئته في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم، فينسى ما^(١) عمله، وينكر ما^(٢) عرفه.

والآية استدلال ثان على إمكان البعث بما يعتري الإنسان في أسنانه، من الأمور المختلفة والأحوال المتضادة. فإن من قدر على ذلك، قدر على نظائره.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: مَيِّتة يابسة. من: همدت النار: إذا صارت رماداً.

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات.

﴿وَرَبَتْ﴾: وانتفخت.

وقرئ^(٣): «ريأت»^(٤) أي ارتفعت.

﴿وَاتَّبَعَتْ مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ﴾: من كل صنف.

﴿يَهْبِجُ﴾^(٥): حسن رائق.

وهذه دلالة ثالثة كثرها الله لظهورها وكونها مشاهدة.

﴿ذَلِكَ﴾: ما ذكر من خلق الإنسان في أطوار مختلفة، وتحويله على أحوال

متضادة^(٥)، وإحياء الأرض بعد موتها. وهو مبتدأ خبره:

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: بسبب أنه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الأشياء.

﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَى﴾: وأنه يقدر على إحيائها، وإلا لما أحيى النطفة والأرض

الميتة.

١. كذا في أنوار التنزيل، ٨٥/٢. وفي النسخ: من.

٢. كذا في أنوار التنزيل، ٨٥/٢. وفي النسخ: من.

٣. أنوار التنزيل، ٨٦/٢.

٤. كذا في المصدر. وفي ع: ورثت. وفي غيرها: رؤيت.

٥. ليس في س، أ، ن.

﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٦): لَأَنَّ قدرته لذاته نسبتبه إلى الكل على سواء. فلمَّا دَلَّتْ المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات، لزم اقتداره على إحياء كلها.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: فَإِنَّ التَّغْيِيرَ من مقدّمات الانصرام وطلّاعه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٧): بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف.

وفي قرب الإسناد^(١) للحميريّ بإسناده إلى صفوان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لجبرئيل: يا جبرئيل، أرني كيف يبعث الله تبارك وتعالى العباد يوم القيامة. قال: نعم. فخرج إلى مقبرة بني ساعدة. فأثنى قبراً، فقال له: اخرج بإذن الله. فخرج رجل^(٢) ينفض رأسه من التراب، وهو يقول: والهفاه! - واللهف هو الثبور -. ثم قال: ادخل. فدخل.

ثم قصد به إلى آخر، فقال: اخرج بإذن الله. فخرج شاب ينفض رأسه من التراب، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وأشهد «أن الساعة آتية لا ريب فيها. وأن الله يبعث من في القبور». ثم قال: هكذا يبعثون يوم القيامة يا محمد.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٣): حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق، أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً. فاجتمعت الأوصال، ونبتت اللحوم.

وفي أمالي الصدوق عليه السلام^(٤) مثله سواء.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: قيل^(٥): تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله:

﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾^(٨): على أنّه لا سند من استدلال، أو وحي. أو الأول في

٢. ليس في س، أن.

١. قرب الإسناد، ٢٧-٢٨.

٤. الأمالي ١٤٩، ح ٥.

٣. تفسير القمي، ٢٥٣/٢.

٥. أنوار التنزيل، ٨٦٢.

المقلّدين، وهذا في المقلّدين. والمراد بالعلم الفطري، ليصحّ عطف^(١) الهدى والكتاب عليه.

﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾: أي متكبراً. وثني العطف كناية عن التكبر، كلّّي الجيد. أو: معرضاً عن الحقّ، استخفافاً.

وقرئ^(٢) بالفتح. أي مانع تعطفه.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: علّة للجدال.

وقرئ^(٣) بفتح الياء، على أنّ إعراضه عن الهدى المتمكّن^(٤) منه بالإقبال على الجدال الباطل، خروج من الهدى إلى الضلال. وأتّه من حيث إنّهُ مؤداه كالغرض له.

﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: قيل^(٥): وهو ما أصابه يوم بدر.

﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٦): أي المحرق، وهو النار.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٧): قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل. «ثاني عطفه»

قال: تولّى عن الحقّ. «ليضلّ عن سبيل الله» قال: عن طريق الله ﷻ والإيمان.

وفي مصباح الشريعة^(٨): قال الصادق عليه السلام: ومن خاصم الخلق في غير ما يؤمر به،

فقد نازع الخالق والرّبوبيّة. قال الله تعالى: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا

هدى ولا كتاب منير». وليس أحد أشدّ عقاباً ممّن لبس قميص النسك بالدعوى بلا

حقيقة ولا معنى.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٩): جاء في [باطن]^(١٠) تفسير أهل البيت صلوات الله

عليهم عن حماد بن عيسى قال: حدّثني بعض أصحابنا حديثاً يرفعه إلى

١. ليس في س، أم.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: بالتمكّن.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. تفسير القمّي، ٧٩/٢.

٧. مصباح الشريعة، ٥٧.

٨. تأويل الآيات الباهرة ٣٣٣/١، ح ١.

٩. من المصدر.

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله» قال: هو الأول «ثاني عطفه» إلى ^(١) الثاني. وذلك لما أقام ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام [أمير المؤمنين عليه السلام] ^(٣) علماً للناس، قالوا: والله لا نفى ^(٤) له بهذا أبداً!

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾: على الالتفات أو إرادة القول. أي يقال له يوم القيامة: ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته ^(٥) من الكفر والمعاصي.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٦): وإنما هو مجاز لهم على أعمالهم.

قيل ^(٧): والمبالغة لكثرة العبيد.

وأقول: للإشعار بأنه لا يتصف بالظلم، لأنه نقص. ولو فرض كونه كاملاً وانصف به، يجب أن يتصف بما هو أكمل أفراداً، لأن كل ما هو كمال يجب أن يكون فيه على الكمال.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾: على طرف من الدين، لا ثبات له فيه.

كالذي يكون على طرف الجيش؛ فإن أحس بظفر قرّ، وإلا فرّ.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾: قيل ^(٨): روي أنها نزلت في أعراب قدموا إلى المدينة. فكان أحدهم إذا صحّ بدنه، ونتجت فرسه مهراً سرياً، وولدت امرأته غلاماً سويّاً، وكثر ماله وماشيته، قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً؛ واطمأن. وإن كان الأمر بخلافه، قال: ما أصبت إلا شراً، وانقلب.

وعن أبي سعيد ^(٩) أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب، فتشاءم بالإسلام. فأتى النبي صلى الله عليه وآله وقال: أقلني. فقال: إن الإسلام لا يقال. فنزلت.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: قام.

١. م، ن والمصدر: أي.

٣. من المصدر مع المعقوفتين.

٤. كذا في المصدر. وفي ع: لا تقي. وفي غيرها: لا نبقي.

٦. أنوار التنزيل، ٨٦/٢.

٥. ع، م، ن: قرفته.

٧. نفس المصدر، ٨٦-٨٧.

﴿خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد.

وقرئ^(١): «خاسراً» بالنصب على الحال. والرفع، على الفاعلية. ووضع الظاهر موضع الضمير، تنصيماً على خسارته. أو على أنه خبر محذوف.

﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٢): إذ لا خسران مثله.

وفي أصول الكافي^(٣): علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن بكير، عن ضريس، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «ومن الناس من يعبد الله على حرف» قال: إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون في أتباعه.

قلت: كل من نصب دونكم شيئاً، فهو ممن عبد^(٤) الله على حرف؟ فقال: نعم. وقد يكون محضاً.

علي بن إبراهيم^(٥)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن الفضيل وزرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «ومن الناس من يعبد الله على حرف» إلى قوله: «خسر الدنيا والآخرة». قال زرارة: سألت عنها أبا جعفر عليه السلام فقال: هؤلاء قوم عبدوا الله، وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله، وشكروا في محمد وما جاء به. فتكلموا بالإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقرؤا بالقرآن، وهم في ذلك شاكون في محمد وما جاء به، [وليسوا شكاكاً في الله. قال الله ﷻ: «ومن الناس من يعبد الله على حرف» يعني على شك في محمد وما جاء به]^(٦) [فإن أصابه خير» يعني عافية في نفسه وماله وولده، «اطمأن به» رضي به. «وإن أصابته فتنة» بلاء في جسده أو ماله، تطير وكره المقام على الإقرار بالنبي. فرجع^(٧) إلى الوقف والشك، فنصب العداوة لله ولرسوله والجحود بالنبي وما جاء به.

٢. الكافي ٣٩٧/٢-٣٩٨، ح ٤.

١. نفس المصدر، ٨٧.

٤. نفس المصدر ٤١٣، ح ١.

٣. المصدر: يعبد.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: فرج.

٥. ليس في س وأ.

محمّد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: «ومن الناس من يعبد الله على حرف؟» قال: هم قوم وخذوا الله، وخلعوا عبادة من يُعبد من دون الله. فخرجوا من الشرك، ولم يعرفوا أنّ محمداً ﷺ رسول الله. فهم يعبدون الله على شكّ في محمداً ﷺ وما جاء به. فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: ننظر^(٢) فإن كثرت أموالنا، وعوفينا في أنفسنا وأولادنا، علمنا أنّه صادق، وأنّه رسول الله. وإن كان غير ذلك، نظرنا^(٣).

قال الله ﷻ: «فإن أصابه خير اطمأنّ به» يعني عافية في الدنيا. «وإن أصابته فتنة» يعني بلاء في نفسه [وماله]^(٤) «انقلبت على وجهه» انقلب على شكّه إلى الشرك. «خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين».

وفي كتاب الاحتجاج^(٥) للطبرسي رحمه الله عن الرضا عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: فإنّ في الناس من خسر الدنيا والآخرة بترك الدنيا للدنيا، ويرى أنّ لذّة الرئاسة الباطلة أفضل من لذّة الأموال والنعم المباحة المحلّلة. فيترك ذلك أجمع، طلباً للرئاسة الباطلة.

﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُ وَمَا لَا يَضُرُّهُ﴾: يعبد جماداً لا يضرّ بنفسه ولا ينفع.

قال أبو جعفر عليه السلام في الحديث السابق المنقول عن الكافي^(٦): ينقلب مشركاً يدعو غير الله ويعبد غيره. فمنهم من يعرف فيدخل^(٧) الإيمان قلبه، فيؤمن ويصدق، ويزول عن منزله من الشكّ إلى الإيمان. ومنهم من يثبت على شكّه. ومنهم من ينقلب إلى الشرك.

١. نفس المصدر، ح ٢. وللحديث ذيل.

٢. ع، م، ن: انتظر.

٣. س وأ: تطيرنا.

٤. من المصدر مع المعقوفتين.

٥. لم نعثر عليه في المصدر. ولكن رواه نور الثقلين ٤٧٤/٣، ح ٢١. الاحتجاج ج ٢، ص ٣٢٠.

٦. الكافي، ٤١٤/٢.

٧. المصدر: ويدخل.

عليّ بن إبراهيم^(١)، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن رجل، عن زرارة، مثله.
﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾^(٢): عن المقصد.

مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالاً.
﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ﴾: بكونه معبوداً، لأنه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة.

﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾: الذي يتوقّع عبادته. وهو الشفاعة والتوسّل بها إلى الله.
واللام متعلّقة بـ «يدعو»^(٣) من حيث إنّه بمعنى يزعم، والزعم قول مع اعتقاد. أو
داخله على الجملة الواقعة مقولاً لإجراء له مجرى يقول. أي يقول الكافر ذلك بدعاء
وصراخ، حين يرى استضراره به. أو مستأنفة، على أنّ «يدعو» تكرير للأوّل، و«من»
مبتدأ خبره:

﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾: الناصر.

﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾^(٤): الصاحب.

وفي مصباح الشريعة^(٥) قال الصادق عليه السلام في كلام طويل: وأما السائر في مفاوز
الاعتداء، والخائض في مراتع الغي وترك الحياء، باستحباب السمعة والرياء والشهرة،
والتصنّع^(٦) إلى الخلق؛ المتزيّي بزيّ الصالحين، المظهر بكلامه عمارة باطنه، وهو في
الحقيقة خالٍ عنها، قد غمرتها وحشة^(٧) حبّ المحمّدة، وغشيتها ظلمة الطمع فيما
افتتنه لهواه^(٨)، وأضلّ الناس بمقالته، قال الله ﷻ: «لبس المولى ولبس العشير».

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ
يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٩): من إثابة الموحّد الصالح وعقاب المشرك. لا دافع له، ولا مانع.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. كذا في أنوار التنزيل، ٨٧/٢. وفي النسخ: واللام معلقة ليدعو.

٣. مصباح الشريعة، ١٦٠. ٤. المصدر: التصنّع.

٥. المصدر: وحشته. ٦. المصدر: «فما أفتنه بهواه» بدل «فيما افتتنه لهواه».

﴿مَنْ كَانَ يَنْظُرُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: قيل^(١): كلام فيه اختصار. والمعنى: إن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة. فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه.

قيل^(٢): المراد بالنصر الرزق، والضمير لـ «من». ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾^(٣): فليستقص في إزالة غيظه أو جزعه، بأن يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضباً، أو المبالغ جزعاً حتى يمدّ حبلاً إلى سماء بيته فيختنق. من قطع: إذا اختنق. فإن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه. أو: فليمدد حبلاً إلى سماء الدنيا. ثم ليقطع به المسافة، حتى يبلغ عنانه، فيجتهد في دفع نصره أو تحصيل رزقه.

وقرئ^(٤): «ليقطع» بكسر اللام.

﴿فَلْيَنْظُرْ﴾: فليصوره في نفسه.

﴿هَلْ يُذْهِبُ كَيْدَهُ﴾: فعله.

قيل^(٥): سماء على الأول كيداً؛ لأنه منتهى ما يقدر عليه.

﴿مَا يَغِيظُ﴾^(٦): غيظه، أو الذي يغيبه من نصر الله.

وقيل^(٧): نزلت في قوم من المسلمين استبطؤوا نصر الله، لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): إن الظن في كتاب الله ﷻ على وجهين: ظن يقين، وظن شك. فهذا ظن شك، قال: من شك أن الله ﷻ لن يثيبه^(٩) في الدنيا والآخرة، «فليمدد بسبب إلى السماء» أي يجعل بينه وبين الله دليلاً. والدليل على أن السبب هو

١. أنوار التنزيل ٨٧/٢.

٢. أنوار التنزيل، ٨٧/٢.

٣. ليس في أ. و.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. تفسير القمي، ٧٩/٢ - ٨٠.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يهيبه.

٧. المصدر: «فما أفتته بهواه» بدل «فيما أفتته لهواه».

الدليل، قول الله ^(١) ﷻ في سورة الكهف: «وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً» أي دليلاً.

وقال: «ثم ليقطع» أي يميز. والدليل على أن القطع هو التميز قوله ^(٢) تعالى: «وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً» أي ميزناهم. فقوله ﷻ: «ثم ليقطع» أي يميز. «فلينظر هل يذهب كيده ما يغيظ» أي حيلته. والدليل على أن الكيد هو الحيلة، قوله ^(٣) تعالى: «وكذلك كدنا ليوسف» أي احتلنا ^(٤) له حتى حبس أخاه. وقوله ^(٥) تعالى يحكي قول فرعون: «اجمعوا كيدكم» أي حيلتكم.

قال: فإذا وضع لنفسه سبباً ومميزاً له على الحق. فأما العامة، فإنهم رروا في ذلك أنه من لم يصدق بما قال الله ﷻ فليلق ^(٦) حبلاً إلى سقف البيت، ثم ليختنق.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٧): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا محمد بن همام، عن محمد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود النجار قال: قال الإمام موسى بن جعفر: حدثني أبي، عن أبيه أبي جعفر صلوات الله عليهم: أن النبي ﷺ قال: إن ربي وعدني نصرته، وأن يمدني بملائكته، وأنه ناصرني بهم وبعلي [أخي] ^(٨) خاصة من بين أهل بيتي. فاشتد ذلك على القوم أن خص علياً عليه السلام بالنصرة، وأغاظهم ذلك. فأنزل الله ﷻ: «من كان يظن أن لن ينصر ^(٩) الله محمداً بعلي في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهب كيده ما يغيظ». قال: ليضع حبلاً في عنقه إلى سماء بيته يمدّه حتى يختنق فيموت، فلينظر هل يذهب كيده غيظه ^(١٠).

﴿وَكَذَلِكَ﴾ : ومثل ذلك الإنزال.

١. الكهف / ٨٤-٨٥.

٢. الأعراف / ١٦٠.

٣. يوسف / ٧٦.

٤. المصدر: حيلنا.

٥. طه / ٦٤.

٦. المصدر: فليلق.

٧. تأويل الآيات الباهرة، ١/ ٣٣٤.

٨. من المصدر.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: ينصره.

١٠. س، أوم: ما يغيظ.

﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ : أنزلنا القرآن كله .

﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ : واضحات .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾ : قيل ^(١) : ولأن الله يهدي به ، أو يثبت على الهدى .

﴿مَنْ يُرِيدُ﴾ ^(٢) : هدايته ، أو ثباته . أنزله كذلك مبيّناً .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ

يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ : بالحكومة بينهم ، وإظهار المحقّ منهم عن المبطل . أو
الجزاء ، فيجازي كلّاً منهم ما يليق به ، ويدخله المحلّ المعدّ له .

وإنما أدخلت «إِنَّ» على كلّ واحد من طرفي الجملة ، لمزيد التأكيد .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ^(٣) : عالم به ، مراقب لأحواله .

وفي كتاب التوحيد ^(٤) بإسناده إلى الأصمغ بن نباتة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث

طويل ، وفيه قال : عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني .

فقام إليه الأشعث بن قيس ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف تؤخذ من المجوس

الجزية ، ولم ينزل إليهم كتاب ولم يُبعث إليهم نبي ؟

قال : بلى يا أشعث ، قد أنزل الله عليهم كتاباً ، وبعث إليهم رسولاً . حتّى كان لهم ملك

سكر ذات ليلة ، فدعا بابنته إلى فراشه ، فارتكبتها . فلما أصبح ، تسامع به قومه .

فاجتمعوا إلى بابه فقالوا : أيّها الملك ، دُنست علينا ديننا ، وأهلكته ! فاخرج ، نطهرك

ونقم ^(٥) عليك الحدّ . فقال لهم : اجتمعوا ^(٦) واسمعوا قولي ؛ فإن يكن لي مخرج ممّا ^(٧)

ارتكبت ، وآلا فشانكم .

فاجتمعوا . فقال لهم : هل علمتم أنّ الله لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبنينا آدم وأمنا

حواء ؟ قالوا : صدقت أيّها الملك . قال : أوليس قد زوج بنيه من بناته [وبناته] ^(٨) من

١ . أنوار التنزيل ، ٨٧/٢ .

٢ . التوحيد ٣٠٦ ، ح ١ .

٣ . كذا في المصدر . وفي ع وم : نقيم .

٤ . ليس في ع وم .

٥ . كذا في المصدر . وفي النسخ : فما .

٦ . ليس في أ .

بنيه ؟ قالوا: صدقت، هذا هو الدين. فتعاقدوا على ذلك. فمحا الله ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب. فهم الكفرة يدخلون النار بلا حساب. والمنافقون أشدّ حالاً منهم.

قال الأشعث: والله، ما سمعت بمثل هذا الجواب. والله، لا عدت إلى مثلها أبداً.
﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: يستسخر لقدرته، ولا يتأتى عن تدبيره. أو: يدلّ بذله على عظمة مدبره.

و«من» يجوز أن يعمّ أولي العقل وغيرهم، على التغليب. فيكون قوله:
﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾: إفراداً لها^(١) بالذكر لشهوتها واستبعاد ذلك منها.

وقرئ^(٢): «والدواب» بالتخفيف، كراهة التضعيف، أو الجمع بين الساكنين.
﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾: عطف عليها، إن جُوز إعمال اللفظ الواحد في كلّ واحد من مفهوميّه. وإسناده باعتبار أحدهما إلى أمر وباعتبار الآخر إلى آخر. فإنّ تخصيص الكثير يدلّ على خصوص المعنى المسند إليهم. أو مبتدأ خبره محذوف، دلّ عليه خبر قسيمه نحو: حقّ له الثواب، أو فاعل فعل مضمر. أي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة.

وفي روضة الكافي^(٣): عليّ بن إبراهيم وعدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، جميعاً عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبي الصباح الكنانيّ، عن الأصمغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ للشمس ثلاثمائة وستين برجاً، كلّ برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب، وتنزل كلّ يوم على برج منها. فإذا غابت، انتهت إلى حدّ بطنان العرش، فلم تزل ساجدة إلى الغد. ثمّ تردّ إلى موضع مطلعها، ومعها ملكان يهتفان معها. وإنّ وجهها لأهل السماء، وقفاها لأهل الأرض. ولو كان وجهها لأهل

١. كذا في أنوار التنزيل، ٨٨/٢. وفي ع: «أفرادها» بدل «إفراد لها». وفي غيرها: «إفراد لها».

٢. أنوار التنزيل، ٨٨/٢. ٣. الكافي ١٥٧/٨، ح ١٤٨.

الأرض، لاحتترقت الأرض ومن عليها، من شدة حرّها. ومعنى سجودها ما قال ﷺ: «ألم تر أنّ الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال [والشجر والدواب]»^(١) وكثير من الناس.

﴿وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾: بكفره وإبائه عن الطاعة.

ويجوز أن يجعل «وكثير» تكرير للأوّل مبالغة في تكثير المحقّقين بالعذاب، وأن يعطف به على الساجدين بالمعنى العامّ موصوفاً بما بعده.

وقرئ^(٢): «حَقٌّ» بالضمّ، و«حَقّاً» بإضمار فعله.

﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾: بالشقاوة.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾: يكرمه بالسعادة.

وقرئ^(٣) بالفتح بمعنى الإكرام.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(٤): من الإكرام والإهانة.

وفي كتاب التوحيد^(٥) بإسناده إلى عبدالله بن ميمون القدّاح، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: قيل لعليّ عليه السلام: إنّ رجلاً يتكلّم في المشيئة! فقال: ادعه لي. قال: فدعاه له.

فقال له: يا عبدالله، خلّقت الله لما شاء، أو لما شئت؟ قال: لما شاء.

قال: فيمرضك إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء.

قال: فيشفيك إذا شاء، أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء.

قال: فيدخلك حيث شاء^(٦)، أو حيث شئت؟ قال: حيث شاء.

قال: فقال له عليّ عليه السلام: لو قلت غير هذا، لضربت الذي فيه عينك.

١. من المصدر.

٢. أنوار التنزيل، ٨٨/٢.

٣. أنوار التنزيل، ٨٨/٢.

٤. التوحيد ٣٣، ح ٢.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: يشاء.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يشاء.

وبإسناده^(١) إلى سليمان بن جعفر الجعفري قال: قال الرضا عليه السلام: المشيئة [والإرادة]^(٢) من صفات الأفعال. فمن زعم أن الله لم يزل مريداً شائياً، فليس بموحد.

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ ﴾: أي فوجان مختصمان. ولذلك قال:

﴿ اخْتَصَمُوا ﴾: حملاً على المعنى. ولو عكس جاز. والمراد بهما المؤمنون والكافرون.

﴿ فِي رَبِّهِمْ ﴾: في دينه، أو في ذاته وصفاته.

وقيل^(٣): تخاصمت اليهود والمؤمنون. فقالت اليهود: نحن أحق بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمناً بمحمد ونبيكم، وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا^(٤)، ثم كفرتم به حسداً. فنزلت.

﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: فصل لخصومتهم. وهو المعنى بقوله^(٥): «إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

﴿ قُطِعَتْ لَهُمْ ﴾: قُدرت على مقادير جثثهم.

وقرئ^(٦) بالتخفيف.

﴿ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾: نيران تحيط بهم إحاطة الثياب.

وفي أصول الكافي^(٧): علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد البرقي، عن أبيه، عن محمد بن الفضيل، عن ابن^(٨) أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا» بولاية علي عليه السلام «قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ». وفي كتاب الخصال^(٩) عن النضر بن مالك قال: قلت للحسين ابن علي بن

١. نفس المصدر ٣٣٨، ح ٥.

٣. أنوار التنزيل، ٨٨/٢.

٥. الحج، ١٧.

٧. الكافي ٤٢٢/١، ح ٥١.

٩. الخصال ٤٣، ح ٣٥.

٢. من المصدر.

٤. ليس في ن.

٦. نفس المصدر والموضع.

٨. ليس في المصدر.

أبي طالب^(١) : يا أبا عبدالله، حدثني عن قوله تعالى: «هذان خصمان اختصموا في ربهم». فقال: نحن وبنو أمية اختصمنا في الله تعالى. قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله^(٢). فنحن [وإياهم]^(٣) الخصمان يوم القيامة.

وفي مجمع البيان^(٤): قيل: نزلت الآية «هذان خصمان اختصموا» في ستة نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر، وهم: حمزة بن عبدالمطلب، قتل عتبة بن ربيعة. وعلي بن أبي طالب، قتل الوليد بن عتبة. وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، قتل شيبه بن ربيعة. عن أبي ذر الغفاري وعطاء. وكان أبوذر يقسم بالله تعالى أنها نزلت فيهم. ورواه البخاري في الصحيح.

﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٥): حال من الضمير في «لهم». أو خبر ثان. والحميم: الماء [الحار]^(٥).

﴿يُضْهِرُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾^(٦): أي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم، فتذاب به أحشائهم، كما يذاب به جلودهم.

والجملة حال من «الحميم»، أو من ضمير «هم».

وقرئ^(٦) بالتشديد للتكثير.

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾^(٧): سياط منه يُجلدون بها. جمع مقمعة، وحقيقتها ما يُقمع به، أي يُكف بعنف.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): وقوله ﷻ: «هذان خصمان اختصموا في ربهم». قال: نحن وبنو أمية. نحن قلنا: صدق الله ورسوله. وقالت بنو أمية: كذب الله ورسوله. «فالذين كفروا» يعني بني أمية «قطعت لهم ثياب من نار» إلى قوله تعالى: «حديد». قال: [تشويه النار، فتسترخي شفته [السفلى]^(٨) حتى تبلغ سرته. وتقلص شفته العليا

٤. المجمع، ٧٧/٤.

٧. تفسير القمي، ٨٠/٢.

١-٣. من المصدر.

٥ و٦. من أنوار التنزيل، ٨٨/٢.

٨. من المصدر.

حديد». قال: [١] الأعمدة التي يُضربون بها.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: من النار.

﴿مِنْ غَمٍّ﴾: من غمومها. بدل من الهاء بإعادة الجار.

﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾: أي فخرجوا، أعيدوا. لأن الإعادة لا تكون إلا بعد الخروج.

وقيل: يضربهم لهيب النار، فيرفعهم إلى أعلاها. فيضربون بالمقامع، فيهرون فيها.

﴿وَذُوقُوا﴾: أي وقيل لهم: ذوقوا.

﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٣): النار البالغة في الإحراق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): قوله ﷺ: «كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا» (ضرباً بتلك الأعمدة) [٣] «وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ». فإنه حدّثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: يا ابن رسول الله، خَوْفَنِي. فَإِنْ قَلْبِي قَدْ قَسَا. فقال: يا أبا محمد، استعدّ للحياة الطويلة. فَإِنْ جَبْرِئِيلُ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَاطِبٌ. وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَجِيءُ مُتَبَسِّمًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا جَبْرِئِيلُ، جِئْتَنِي الْيَوْمَ قَاطِبًا! فقال: يا محمد، وضعت منافع النار. فقال: وما منافع النار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمد، إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ بِالنَّارِ، فَتُفْتَحُ عَلَيْهَا أَلْفُ عَامٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ. ثُمَّ تُفْتَحُ عَلَيْهَا أَلْفُ عَامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ. ثُمَّ تُفْتَحُ عَلَيْهَا أَلْفُ عَامٍ، حَتَّى اسْوَدَّتْ. فَهِيَ سُودَاءُ مُظْلَمَةٌ.

ولو أن قطرة من الضريع قطرت في شراب [أهل] الدنيا، لمات أهلها من ننتها. ولو أن حلقة واحدة ^(٤) من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وُضعت على الدنيا، لذابت الدنيا ^(٥) من حرّها. ولو أن سريالاً من سراييل أهل النار عُلّق بين السماء والأرض، لمات أهل الأرض من ريحه ووهجه.

١. لا يوجد في ع.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. ليس في المصدر.

٤. ليس في م.

٥. ليس في المصدر.

قال: فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبرئيل. فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: إِنَّ رَيْكُمَا يَفْرُتُكُمَا السَّلامُ وَيَقُول: قَدْ آمَنْتُكُمَا أَنْ تَذْنِبَا ذَنْباً أَعَذَّبَكُمَا عَلَيْهِ.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: فما رأى رسول الله ﷺ [جبرئيل] ^(١) متبسماً بعد ذلك. ثم قال: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَعْظُمُونَ النَّارَ. وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَعْظُمُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّعِيمَ. وَإِنَّ [أَهْلَ] ^(٢) جَهَنَّمَ إِذَا دَخَلُوهَا، هُوُوا فِيهَا مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَاماً. فَإِذَا [بَلَّغُوا أَعْلَاهَا] ^(٣) قُمِعُوا بِمَقَامِ الْحَدِيدِ، وَأُعِيدُوا فِي دَرَكِهَا. هَذِهِ حَالُهُمْ ^(٤). وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: «كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ». ثُمَّ تُبَدَّلُ جُلُودُهُمْ غَيْرَ الْجُلُودِ ^(٥) الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: حسبك يا أبا محمد؟ قلت: حسبي، حسبي.

وفي مجمع البيان ^(٦): وقد روي أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجُوعُهُمْ حَتَّى يَنْسُوا عَذَابَ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ ^(٧). فَيَصْرِفُونَ إِلَى مَالِكٍ، فَيَحْمِلُهُمْ إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ، وَفِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ. فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا فَتَغْلِي بَطُونُهُمْ كَغَلِي الْحَمِيمِ. فَيُسْقَوْنَ ^(٨) شُرْبَةً مِنَ الْمَاءِ الْحَارِّ الَّذِي بَلَغَ نَهَائَتَهُ فِي الْحَرَارَةِ. فَإِذَا قَرَّبُوهَا ^(٩) مِنْ وَجُوهِهُمْ، شَوَتْ وَجُوهُهُمْ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ ^(١٠) تَعَالَى: «يَشْوِي الْوُجُوهُ». فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَطُونِهِمْ، صَهَرَ مَا فِي بَطُونِهِمْ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: «يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودِ».

وقال رسول الله ﷺ ^(١١): مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ، لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً. فَإِنْ مَاتَ، وَفِي بَطْنِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ خَبَالٍ، وَهُوَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْ فُرُوجِ الزَّانَةِ. فَيَجْتَمِعُ ذَلِكَ فِي قُدُورِ جَهَنَّمَ، فَيَشْرِبُهُ أَهْلُ النَّارِ،

٣. ليس في أ.

١ و ٢. من المصدر.

٥. المصدر: جلوداً غير الجلود.

٤. ليس في ن.

٧. من ع.

٦. المجمع، ٤٤٦/٤.

٩. م: أقربوها.

٨. المصدر: فيستسقون.

١١. نفس المصدر، ٣٠٨/٣.

١٠. الكهف / ٢٩.

فيصهر به ما في بطونهم والجلود. رواه شعيب^(١) بن واقد^(٢) عن الحسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام عن النبي ﷺ.

وروى أبو سعيد الخدري^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ [في قوله: ^(٤)] «ولهم مقامع من حديد» لو وضع مقمع من حديد في الأرض، ثم اجتمع عليه الثقلان، ما أفلّوه من الأرض.

وعن علاء بن سيابة^(٥)، عن أبي عبد الله عليه السلام [قال: ^(٦)] قلت له: إن الناس يتعجبون^(٧) منا إذا قلنا: يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة. فيقولون لنا: فيكونون مع أولياء الله [في الجنة]؟! ^(٨) فقال: يا علاء، إن الله يقول^(٩): «ومن دونهما جنتان». لا والله؛ ما يكونون مع أولياء الله.

قلت: كانوا كافرين؟ قال: لا والله؛ لو كانوا كافرين، ما دخلوا الجنة.

قلت: كانوا مؤمنين؟ قال: لا والله؛ لو كانوا مؤمنين، ما دخلوا النار، ولكن بين ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: غير الأسلوب فيه، وأسند الإدخال إلى الله تعالى وأكدته بـ«إِنَّ» إحماداً لحال المؤمنين وتعظيماً لشأنهم.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾: من: حُلِّيت المرأة: إذا ألبست الحلّي.

وقرئ^(١٠) بالتخفيف، والمعنى واحد.

﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾: صفة مفعول محذوف. و«أساور» جمع أسورة، وهي جمع سوار.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: شبيب.

٢. نفس المصدر، ٧٨/٤.

٣. نفس المصدر، ٢١٠/٥.

٤. من المصدر.

٥. ع: يعجبون.

٦. ليس في س وأ.

٧. الرحمن / ٦٢.

٨. كذا في المصدر، م. وفي سائر النسخ: واقد.

٩. من المصدر.

١٠. من المصدر.

١١. ليس في س وأ.

١٢. أنوار التنزيل، ٨٩/٢.

﴿ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ : بيان له .

﴿ وَلَوْلَوْ ﴾ : عطف عليها ، لا على «ذهب» - لأنه لم يُعهد السوار منه - إلا أن يراد المرصعة به . ونصبه نافع وعاصم ، عطفاً على محلها ، أو إضمار الناصب ، مثل : ويؤتون .

وروى ^(١) حفص بهمزتين .

وقرئ ^(٢) : «لؤلؤاً» بقلب الثانية واواً . و«لولياً» بقلبهما واوين ، ثم قلب الثانية ياءً . و«ليلياً» بقلبهما ياءين . و«لول» كأدل .

﴿ وَلَبَّاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ ^(٣) : غير أسلوب الكلام فيه ، للدلالة على أنَّ الحرير ثيابهم المعتادة . أو للمحافظة على هيئة الفواصل .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٤) : ثم ذكر سبحانه ما أعدّه للمؤمنين ، فقال جل ذكره : «إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» إلى قوله تعالى : «ولباسهم فيها حرير» . حدّثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك ، شوّفتي . فقال : يا أبا محمّد ، إنّ من أدنى نعيم الجنّة أن يوجد ريحها من مسيرة ألف عام من مسافة الدنيا . وإنّ أدنى أهل الجنّة منزلاً ، لو نزل به الثقلان - الجنّ والإنس - لوسعهم طعاماً وشراباً ، ولا ينقص ممّا عنده شيء ^(٥) . وإنّ أيسر أهل الجنّة منزلة من يدخل الجنّة فيرفع له ثلاث حدائق . فإذا دخل أدناها ، رأى فيها من الأزواج والخدم والأنهار والثمار ما شاء الله ، ممّا يملأ عينه قرّة وقلبه مسرة . فإذا شكر الله وحمده ، قيل له : ارفع رأسك إلى الحديقة الثانية ، ففيها ما ليس في الأولى ^(٦) . فيقول يا ربّ ، أعطني هذه . فيقول الله تعالى : إنّ أعطيتكها ، سألتني غيرها . فيقول : يا ربّ ، هذه هذه . فإذا هو دخلها ، شكر الله وحمده .

١ . نفس المصدر والموضع .

٢ . نفس المصدر والموضع .

٣ . تفسير القمّي ، ٨١/٢ ، ٨٣ .

٤ . كذا في المصدر . وفي النسخ : شيئاً .

٥ . المصدر : الأخرى .

قال: فيقال: افتحوا له باباً إلى الجنة^(١). ويقال له: ارفع رأسك. فإذا قد فُتِحَ له باب من الخلد، ويرى أضعاف ما كان فيما قبل. فيقول عند مضاعفة^(٢) مسرّته: ربّ، لك الحمد الذي لا يُحصى، إذ مننت عليّ بالجنان، وأنجيتني من النيران.

قال أبو بصير: فبكيت و^(٣) قلت له: جعلت فداك؛ زدني. قال: يا أبا محمّد، إنّ في الجنة نهراً في حافتيه^(٤) جوارٍ نابتات. إذا مرّ المؤمن بجارية أعجبتة، قلعهها. وأنبت الله ﷻ مكانها أخرى.

قلت: جعلت فداك، زدني. قال^(٥): يا أبا محمّد، المؤمن يُزوّج ثمانمائة عذراء وأربعة آلاف ثيب وزوجتين من الحور العين.

قلت: جعلت فداك، من أيّ شيء خلقن^(٦) الحور العين؟ قال: من تربة الجنة النورانية. ويرى مخّ ساقها^(٧) من وراء سبعين حلّة. كبدها مرآته، وكبده مرآتها.

قلت: جعلت فداك، ألهنّ كلام يتكلّمن به في الجنة؟^(٨) قال: نعم، كلام لم يسمع الخلائق أعذب منه^(٩).

قلت: ما هو؟ قال: يقلن [بأصوات رخيمة]^(١٠): نحن الخالدات، فلا نموت. ونحن الناعمات، فلا نبؤس. ونحن المقيّمات، فلا نظعن. ونحن الراضيات، فلا نسخط. طوبى لمن خُلِقَ لنا. وطوبى لمن خُلِقنا له. ونحن اللواتي لو أن قرن إحدانا علّق في جو السماء لأغشى نوره الأبصار.

فهاتان الآيتان وتفسيرهما ردّ على من أنكر خلق الجنة والنار.

١. المصدر: افتحوا له باب الجنة.

٢. المصدر: تضاعف.

٣. ليس في المصدر.

٤. المصدر: حافته.

٥. ليس في المصدر.

٦. في ع: خلقهنّ.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ساقها.

٨. المصدر: يتكلّمن به أهل الجنة.

٩. المصدر: كلام يتكلّمن به لم يسمع الخلائق بمثله.

١٠. لا يوجد في المصدر.

﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾: وهو قولهم: «الحمد لله الذي صدقنا وعده»^(١). أو كلمة التوحيد.

﴿وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾^(٢): المحمود نفسه، أو عاقبته، وهو الجنة. أو الحق، أو المستحق لذاته لغاية^(٣) الحمد، وهو الله تعالى، وصراطه الإسلام. وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وقوله ﷺ: «وهدوا إلى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ». قال: التوحيد والإخلاص. «وهدوا إلى صراط الحميد». قال: إلى الولاية.

وفي محاسن البرقي^(٥): عنه، عن أبيه، عن ذكره، عن حنان أبي علي، عن ضريس الكناسي قال: سألت أبا جعفر^(٦) عليه السلام عن قول الله: «وهدوا إلى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ». فقال: هو - والله - هذا الأمر الذي أنتم عليه.

وفي أصول الكافي^(٧): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد [عن محمد] بن أورمة، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «وهدوا إلى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ» قال: ذلك حمزة وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود وعمار، هدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام. وفي مجمع البيان^(٨): وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ما أحد أحب إليه الحمد من الله عز^(٩) ذكره.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١٠): إن قوله تعالى: «هذان خصمان» إلى قوله: «الحريق» نزلت في شعبة وعتبة والوليد أهل بدر، على ما يأتي بيانه. وقوله: «إن الله يدخل الذين» إلى قوله: «صراط الحميد» نزلت في علي عليه السلام وحمزة وعبيدة يوم بدر، على ما يأتي تأويله.

١. الزمر / ٧٤.

٢. ليس في ن.

٣. تفسير القمي، ٨٣/٢.

٤. المحاسن ١٦٩، ح ١٣٣.

٥. ن والمصدر: أباعبدالله.

٦. الكافي ٤٢٦/١، ح ٧١.

٧. من المصدر.

٨. المجمع، ٧٨/٤.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن.

١٠. تأويل الآيات الباهرة ٣٣٤/١، ح ٢ و٣.

وهو ما رواه محمد بن العباس عليه السلام عن إبراهيم بن عبدالله بن مسلم^(١)، عن حجاج ابن منهال بإسناده إلى قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمان.

وقال قيس: وفيهم نزلت هذه الآية: «هذان خصمان اختصموا في ربهم». وهم الذين تبارزوا يوم بدر: علي عليه السلام وحزمة وعبيدة [وشيبة وعتبة والوليد].

وروى محمد بن يعقوب عليه السلام^(٢) عن علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد البرقي، عن أبيه، عن محمد بن [٣] الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا» بولاية علي عليه السلام [والأئمة]^(٤) «قُطعت لهم ثياب من نار».

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لا يريد به حالاً ولا استقبالاً، وإنما يريد استمرار الصد منهم؛ كقولهم: فلان يعطي ويمنع. ولذلك حسن عطفه على الماضي. وقيل: هو حال من فاعل «كفروا»، وخبر «إن» محذوف دل عليه آخر الآية. أي معذبون.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: عطف على اسم الله.

وأوله الحنفية بمكة، واستشهدوا بقوله:

﴿الَّذِي جَعَلَنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ﴾: أي المقيم والطارئ، على عدم جواز بيع دورها وإجارتها.

قيل^(٥): وهو مع ضعفه معارض بقوله^(٦) تعالى: «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ ديارهم بغير حق».

٢. نفس المصدر، ح ٤.

٤. ليس في المصدر.

٦. الحج، ٤٠.

١. ن: سالم.

٣. لا يوجد في أ.

٥. أنوار التنزيل، ٨٩/٢.

و«سواء» خبر مقدّم، والجملة ثانٍ لِـ«جعلناه» ويكون «الناس» حالاً من الهاء، وإلاّ فحال من المستكّن فيه.

ونصبه ^(١) حفص، على أنّه المفعول أو الحال و«العاكف» مرتفع به.

وقرئ ^(٢) «العاكف» بالجرّ، على أنّه بدل من الناس.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٣): وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ». قال: نزلت في قريش حين صدّوا رسول الله ﷺ عن مكّة. وقوله: «سواء العاكف فيه والباد». قال: أهل مكّة ومن جاء إليهم من البلدان. فهم سواء لا يُمنع من النزول ودخول الحرم.

وفي نهج البلاغة ^(٤): من كتاب كتبه إلى قثم بن العباس ؓ وهو عامله على مكّة: وأمر أهل مكّة أن لا يأخذوا من ساكن ^(٥) أجراً، فإنّ الله سبحانه يقول: «سواء العاكف فيه والباد». فالعاكف: المقيم به. والبادي: الذي يحجّ إليه من غير أهله.

وفي قرب الإسناد للحميري ^(٦) بإسناده إلى أبي جعفر، عن أبيه، عن عليّ ؓ أنّه كره إجارة بيوت مكّة، وقرأ: «سواء العاكف فيه والباد».

وفي تهذيب الأحكام ^(٧): موسى بن القاسم، عن صفوان بن يحيى، عن الحسين بن أبي العلاء، قال: ذكر أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية «سواء العاكف فيه والباد» فقال: كانت مكّة ليس على شيء منها باب ^(٨). وكان أوّل من علّق على بابه المصراعين معاوية بن أبي سفيان [لعنه الله] ^(٩). وليس ينبغي لأحد أن يمنع الحاجّ شيئاً من الدور ومنازلها.

وفي كتاب علل الشرائع ^(١٠): حدّثنا أبيّ عليه السلام قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد وعبد الله ابني محمّد بن عيسى، عن محمّد بن أبي عمير، عن حماد بن عثمان الناب،

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. تفسير القمي، ٨٣/٢.

٤. النهج، ٤٥٨، الكتاب، ٦٧.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: مساكن.

٦. قرب الإسناد، ٦٥.

٨. ليس في ع.

٧. التهذيب، ٤٢٠/٥، ح ١٤٥٨.

١٠. العلل، ٣٩٦-٣٩٧، ح ١.

٩. من المصدر.

عن عبيد الله^(١) بن عليّ الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: «سواء العاكف فيه والباد»؟ فقال: لم يكن ينبغي أن يصنع^(٢) على دور مكة أبواب؛ لأنّ للحاج أن ينزلوا معهم في دورهم في ساحة الدار، حتّى يقضوا مناسكهم. وإنّ أوّل من جعل لدور مكة أبواباً معاوية لعنة الله عليه.

وفي الكافي^(٣): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ معاوية أوّل من علّق على بابهِ مصراعين بمكة، فمنع حاج بيت الله، ما قال الله ﷻ: «سواء العاكف فيه والباد». وكان الناس^(٤) إذا قدموا مكة، نزل البادي على الحاضر حتّى يقضي حجّه. وكان معاوية صاحب السلسلة التي قال الله ﷻ^(٥) «في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوه إنّهُ كان لا يؤمن بالله العظيم». وكان فرعون هذه الأُمّة.

وفي تهذيب الأحكام^(٦): موسى بن القاسم، عن ابن أبي عمير - إلى أن قال -: وعنه، عن عبدالرحمان، عن حمّاد، عن حريز قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الطواف بغير أهل^(٧) مكة ممّن جاور بها أفضل أو الصلاة؟ فقال: الطواف للمجاورين أفضل. والصلاة لأهل مكة والقاطنين بها أفضل من الطواف.

وعنه^(٨)، عن عبدالرحمان، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، وحمّاد وهشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أقام^(٩) الرجل بمكة سنة، فالطواف أفضل. وإذا أقام سنتين، خلط من هذا وهذا. فإذا أقام^(١٠) ثلاث سنين، فالصلاة أفضل.

موسى بن القاسم قال^(١١): حدّثنا عبدالرحمان، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز،

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: عبدالله.

٣. الكافي ٢٤٣/٤ - ٢٤٤، ح ١.

٤. ليس في س وأ.

٥. الحاقّة ٣٢ - ٣٣.

٦. التهذيب ٤٤٦/٥، ح ١٥٥٥.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: «يعني لأهل بدل بغير أهل».

٨. نفس المصدر ٤٤٧، ح ١٥٥٦.

٩ - ١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: قام.

١٢. نفس المصدر ٣٤، ح ١٠١.

عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من أقام بمكة سنتين، فهو من أهل مكة؛ لا متعة له. فقلت لأبي جعفر: أرايت إن كان له أهل بالعراق وأهل بمكة؟ قال: فلينظر أيهما الغالب عليه، فهو من أهله.

وعنه ^(١)، عن محمد بن عذافر، عن عمر ^(٢) بن يزيد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: المجاور بمكة يتمتع بالعمرة إلى الحج إلى سنتين. فإذا جاوز سنتين، كان قاطناً، وليس له أن يتمتع.

وعنه ^(٣)، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: لأهل مكة أن يتمتعوا؟ فقال: لا، ليس لأهل مكة أن يتمتعوا.

قال: قلت: فالقاطنون بها؟ قال: إذا أقاموا سنة أو سنتين، صنعوا كما يصنع أهل مكة. فإذا أقاموا شهراً، فإن لهم أن يتمتعوا.

قلت: من أين؟ قال: يخرجون من الحرم.

قلت: من أين يهلون بالحج؟ قال: من مكة نحواً مما يقول الناس.

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾: مما ترك مفعوله، ليتناول كل متناول.

وقرئ ^(٤) بالفتح، من الورود.

﴿بِالْحَادِ﴾: عدول عن القصد.

﴿بِظُلْمٍ﴾: بغير حق.

وهما حالان مترادفان. أو الثاني بدل من الأول، بإعادة الجار. أو صلة له. أي ملحداً بسبب الظلم، كالإشراك واقتراف الآثام.

﴿تُذَقُّهُ مِنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ ^(٥): جواب لـ «من».

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٥): قوله: «ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب

١. نفس المصدر، ح ١٠٢.

٢. نفس المصدر، ح ٣٥، ١٠٣.

٣. أنوار التنزيل، ٨٩/٢.

٤. تفسير القمي، ٨٣/٢.

أليم». قال: نزلت فيمن يلحد بأمر المؤمنين ﷺ [ويظلمه] ^(١). وفي كتاب علل الشرائع ^(٢): أبي رحمة الله عليه ^(٣) قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ [مُحَمَّدَ بْنِ] ^(٤) عَيْسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ الْفُضَيْلِ ^(٥) عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ»؟ فَقَالَ: كُلُّ ظُلْمٍ يَظْلِمُ بِهِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ بِمَكَّةَ - مِنْ سَرَقَةٍ، أَوْ ظُلْمٍ أَحَدٍ، أَوْ شَيْءٍ مِنَ الظُّلْمِ - فَإِنِّي أَرَاهُ إِلْحَادًا. وَلِذَلِكَ كَانَ يَنْهَى أَنْ يُسْكَنَ الْحَرَمُ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ^(٦) قَالَ: [حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الصَّفَّارُ قَالَ: ^(٧) حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبَانَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَثْمَانَ وَمَعَاوِيَةَ بْنِ حَفْصٍ، عَنْ مَنْصُورٍ جَمِيعًا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ سَبْعًا مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ عَلَى الْكَعْبَةِ لَيْسَ يَمْرُبُهُ شَيْءٌ مِنْ حِمَامِ الْحَرَمِ إِلَّا ضَرَبَهُ. فَقَالَ: انْصَبُوا لَهُ وَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أُلْحِدَ فِي الْحَرَمِ. وَفِي أَصُولِ الْكَافِي ^(٨): الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلِّيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ أَوْرَمَةَ وَعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ [فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ^(٩) «وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ» قَالَ: نَزَلَتْ فِيهِمْ حَيْثُ دَخَلُوا الْكَعْبَةَ، فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِمَا نَزَلَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ. فَأُلْحِدُوا فِي الْبَيْتِ بِظُلْمِهِمُ الرُّسُولَ وَوَلِيَّهِ. فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

١. لا يوجد في المصدر.

٢. العلل ٤٤٥، ح ١. وفي الكافي ٢٢٧/٤، ح ٣: مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، مِثْلَهُ. كَمَا سَيُورَدُ الْمَصْنَفُ بَعْدَ صَفَحَاتٍ.

٣. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النسخ: «مَرَّةً» بَدَلَ «رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ».

٤. مِنَ الْمَصْدَرِ.

٥. الْمَصْدَرُ: الْفَضْلُ.

٦. مِنَ الْمَصْدَرِ.

٧. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ٤٥٣، ح ٤.

٨. مِنَ الْمَصْدَرِ.

٩. الْكَافِي ٤٢١/١، ح ٤٤.

وفي الكافي^(١): عن ابن أبي عمير، عن معاوية قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم»؟ قال: كل ظلم إلحاد، وضرب الخادم من غير ذنب من ذلك الإلحاد.

محمد بن يحيى^(٢)، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم»؟ قال: كل ظلم إلحاد، وضرب الخادم في غير ذنب.

وفي روضة الكافي^(٣): ابن محبوب، عن أبي ولاد وغيره من أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز ذكره: «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه»^(٤) فقال: من عبد فيه غير الله ﷻ أو تولّى فيه غير أولياء الله، فهو ملحد بظلم، وعلى الله تبارك وتعالى أن يذيقه من عذاب أليم.

وفي أصول الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبان، عن حكيم قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن أدنى الإلحاد؟ فقال: إن الكبر أدناه.

وفي تهذيب الأحكام^(٦): روى موسى بن القاسم، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً، ثم قال: وعنه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم»؟ قال: كل الظلم فيه إلحاد، حتى لو ضربت خادمك ظلماً، خشيت^(٧) أن يكون إلحاداً.

١. نفس المصدر ٢٢٧/٤، ح ٢.

٢. يوجد في الكافي (٢٢٧/٤، ح ٣) حديث آخر بهذا السند، كما سيورده المؤلف عليه السلام عن قريب. ومتن هذا الحديث يوجد عيناً في الحديث الماضي بحذف «من ذلك الإلحاد» من آخره. وأمّا الحديث بالصورة المرجودة في المتن، فلا يوجد في الكافي. والظاهر أنّ ورود هذا الحديث نشأ من غلط النسخ.

٣. الكافي ٣٣٧/٨، ح ٥٣٣.

٤. لا يوجد في المصدر.

٥. نفس المصدر ٣٠٩/٢، ح ١.

٦. التهذيب ٤٢٠/٥، ح ١٤٥٧.

٧. م: أخشيت.

وفي الكافي^(١): مُحَمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن مُحَمَّد بن إسماعيل، عن مُحَمَّد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم». فقال: كل ظلم يظلم الرجل نفسه بمكة - من سرقة، أو ظلم أحد، أو شيء من الظلم - فأني أراه إلحاداً، ولذلك كان يتقي أن يسكن الحرم.

علي بن إبراهيم^(٢)، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار قال: حدثني إسماعيل بن جابر قال: كنت فيما بين مكة والمدينة أنا وصاحب لي، فتذاكرنا الأنصار. فقال أحدهما: هم [نزاع من قبائل. وقال أحدهما: هم]^(٣) من أهل اليمن.

قال: فانتبهنا إلى أبي عبد الله عليه السلام وهو جالس في ظل شجرة. فابتدأ الحديث - ولم نسأله - فقال: [إنَّ تَبْعاً]^(٤) لَمَّا أن جاء من قبل العراق، وجاء معه العلماء وأبناء الأنبياء، فلما انتهى إلى هذا الوادي لهذيل، أتاه ناس من بعض القبائل، فقالوا: إنك تأتي أهل بلدة قد لعبوا بالناس زماناً طويلاً حَتَّى اتَّخَذُوا بلادهم حرماً وبيتهم^(٥) رباً أو رية. فقال: إن كان كما تقولون، قتلت مقاتليهم، وسبيت ذريتهم وهدمت بنيتهم^(٦).

قال: فسالت عيناه حَتَّى وقعتا على خدي. قال: فدعا العلماء وأبناء الأنبياء فقال: انظروني وأخبروني لما أصابني هذا.

قال: فأبوا أن يخبروه حَتَّى عزم عليهم. قالوا: حَدَّثْنَا بأي شيء حَدَّثت نفسك؟ قال: حَدَّثت نفسي أن أقتل مقاتليهم^(٧)، وأسبي ذريتهم، وأهدم بنيتهم^(٨). فقالوا: إنا لا ندري الذي أصابك إلا لذلك. قال: ولم هذا؟ قالوا: لأنَّ البلد حرم الله، والبيت بيت الله،

١. الكافي ٢٢٧/٤، ح ٣.

٢. الكافي ٢١٥/٤، ح ١.

٣. ليس في م.

٤. لا يوجد في س، أ، ن. وفي ع بعدها هذه الزيادة: «ولما جاء».

٥. المصدر: بنيهم.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبنيتهم.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: مقاتليهم.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبنيتهم.

وسكانه ذرية إبراهيم خليل الرحمان . فقال : صدقتم ، فما مخرجي ^(١) مما وقعت فيه ؟ قالوا : تحدث نفسك [بغير ذلك . فعسى الله أن يرد عليك .

قال : فحدثت نفسه بخير . فرجعت حذقته حتى ثبتتا مكانهما .

قال : فدعا بالقوم ^(٢) الذين أشاروا عليه بهدمها ، فقتلهم . ثم أتى البيت وكساه وأطعم الطعام ثلاثين يوماً ، كل يوم [مائة] ^(٣) جزور حتى حملت الجفان إلى السباع في رؤوس الجبال ، وثُبرت الأعلاف في الأودية للوحش .

ثم انصرف من مكة إلى المدينة . فأنزل بها قوماً من أهل اليمن من غسان ، وهم الأنصار .

وفي رواية أخرى : كساه النطاع ^(٤) وطيبه .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ : أي واذكر إذ عيناه ، وجعلناه ^(٥) له مباءة .

وقيل ^(٦) : اللام زائدة ومكان ظرف . أي واذ أنزلناه فيه .

قيل ^(٧) : رفع البيت إلى السماء ، أو انطمس أيام الطوفان ، فأعلم [الله] ^(٨) إبراهيم مكانه بريح أرسلها ، فكنست ما حوله . فبناه على أسه القديم .

﴿ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ^(٩) : «أن»

مفسرة لـ «بؤأنا» من حيث إنه تضمن معنى تعبداً ، لأن التبوئة من أجل العبادة . أو مصدرية موصولة بالنهي . أي فعلنا ذلك ، لئلا تشرك بعبادتي ، وتطهر بيتي من الأوثان والأقذار ^(١٠) لمن يطوف به ويصلي فيه . ولعله عبّر عن الصلاة بأركانها ، للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك ، كيف وقد اجتمعت .

١ . كذا في المصدر . وفي النسخ : يجزى . ٢ . ليس في أ .

٣ . من المصدر . ٤ . نفس المصدر والموضع .

٥ . كذا في أنوار التنزيل ٨٩/٢ . وفي النسخ : جعلنا .

٦ . نفس المصدر والموضع . ٧ . نفس المصدر والموضع .

٨ . كذا في أنوار التنزيل ٩٠/٢ . وفي النسخ : الاقرار . ٩ . من المصدر .

وقرئ^(١): «يشرك» بالياء.

وقرأ^(٢) نافع وحفص وهشام: «بيتي» بالفتح.

وفي الكافي^(٣): حميد بن زياد، عن ابن سماعة، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى قال^(٤) في كتابه: «وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود». فينبغي للعبد أن لا يدخل مكة، إلا وهو طاهر، وقد غسل عرقه والأذى، وتطهر.

علي بن إبراهيم^(٥)، عن أبيه؛ ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله^(٦) تبارك وتعالى حول العكبة عشرين ومائة رحمة، منها ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين.

وفي تهذيب الأحكام^(٧): روى الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن عمران الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: أتغسل النساء إذا أتين البيت؟ فقال: نعم، إن الله تعالى يقول: «وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود». وينبغي للعبد أن لا يدخل إلا وهو طاهر، قد غسل عنه العرق والأذى، وتطهر.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا محمد بن همام، عن محمد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود قال: قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: قوله تعالى: «طهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود» يعني بهم آل محمد صلوات الله عليهم.

وفي كتاب التوحيد^(٩) بإسناده إلى محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام

١ و ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. الكافي ٤/٤٠٠، ح ٣.

٤. ليس في م.

٥. نفس المصدر ٢٤٠، ح ٢.

٦. المصدر: الله.

٧. التهذيب ٥/٢٥١، ح ٨٥٢.

٨. تأويل الآيات الباهرة ١/٣٣٦-٣٣٧، ح ٧.

٩. التوحيد ١٠٣، ح ١٨.

يروون أن الله ﷻ خلق آدم على صورته؟ فقال: هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله، واختارها على سائر الصور المختلفة. فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه، فقال: «بيتي» وقال^(١): «نفخت فيه من روحي».

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ﴾: ناد فيهم.

وقرئ^(٢): «أذن».

وقيل^(٣): الخطاب لرسول الله. أمر بذلك في حجة الوداع.

﴿بِالنَّحْيِ﴾: بدعوة الحج والأمر به.

وفي الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه؛ والحسين بن محمد، عن عبدالله^(٥) بن عامر؛ ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، [جميعاً عن أحمد بن محمد]^(٦) بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن عقبة بن بشير، عن أحدهما عليه السلام قال: إن الله تعالى أمر إبراهيم ببناء الكعبة، وأن يرفع قواعدها، ويُرِّي الناس مناسكهم. فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت كل يوم سافراً^(٧)، حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فنادى أبو قيس إبراهيم عليه السلام: إن لك عندي وديعة. فأعطاه^(٨) الحجر، فوضعه موضعه. ثم إن إبراهيم عليه السلام أذن في الناس بالحج فقال: يا أيها الناس، إنني إبراهيم خليل الله. إن الله يأمركم^(٩) أن تحجوا هذا البيت؛ فحجّوه. فأجابه من يحج إلى يوم القيامة. وكان أول من أجابه من أهل اليمن.

وفي كتاب علل الشرائع^(١٠): أبيه عليه السلام قال: حدّثنا سعد بن عبدالله قال: حدّثنا أحمد وعليه ابنا الحسن بن علي بن فضال، عن عمرو بن سعيد المدائني، عن موسى بن قيس

١. الحجر / ٢٩؛ وص ٧٢.

٢. ٣ و ٢. أنوار التنزيل، ٩٠/٢.

٣. المصدر: عبدويه.

٤. الكافي ٢٠٥/٤، ح ٤.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ساقاً.

٦. ليس في م.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: أمركم.

٨. م: وأعطاه.

٩. العلل ٤٢٣، ح ١.

ابن أخى عَمَّار بن موسى الساباطي، عن مصدّق [بن صدقة]^(١)، عن عَمَّار بن موسى، عن أبي عبد الله عليه السلام [أو عن عَمَّار عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام]^(٢) قال: لَمَّا أوحى الله ﷻ إلى إبراهيم أن «أذن في الناس بالحج» أخذ الحجر الذي فيه أثر قدميه - وهو المقام - فوضعه بحذاء البيت، لاصقاً بالبيت، بحيال الموضع الذي هو فيه اليوم. ثم قام عليه، فنادى بأعلى صوته بما أمره الله ﷻ به. فلَمَّا تكلم بالكلام، لم يحتمله الحجر، فغرقت رجلاه فيه. فقلع إبراهيم عليه السلام رجله^(٣) من الحجر قلعا. فلَمَّا كثر^(٤) الناس، وصاروا إلى الشرّ والبلاء^(٥)، ازدحموا عليه. فرأوا أن يضعوه في هذا الموضع الَّذي هو فيه [اليوم]^(٦) ليخلوا المطاف^(٧) لمن يطوف بالبيت.

فلَمَّا بعث الله ﷻ محمداً ﷺ رَدَّه إلى الموضع الذي وضعه فيه إبراهيم عليه السلام. فما زال فيه، حتَّى قبض رسول الله ﷺ وفي زمن أبي بكر وأول ولاية عمر. ثم قال عمر: قد ازدحم الناس على هذا المقام، فأَيْكم يعرف موضعه [في الجاهليّة]؟^(٨) فقال له رجل: أنا أخذت قدره بقدر. قال: والقدر عندك؟ قال: نعم. قال: فائت به. فأمر بالمقام، فحمل ورُدَّ إلى الموضع الذي هو فيه الساعة.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مشاة. جمع راجل؛ كقيام وقائم.

وقرئ^(٩) بضمّ الراء مخفّف الجيم ومثقله. و«رجالي» كعجالي.

﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾: أي وركبانا على كلّ بغير مهزول أتعبه بُعد السفر فهزله.

﴿يَأْتِينَ﴾: صفة لـ «ضامر» محمولة على معناه.

وقرئ^(١٠): «يأتون» صفة للرجال والركبان، أو استئناف، فيكون الضمير للناس.

﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ﴾: طريق.

٢. من المصدر.

١. من المصدر.

٤. م: أكثر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: رجله.

٦. من المصدر.

٥. م: وصاروا إلى المشرق والبلاد.

٨. ليس في ن.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الطواف.

٩ و ١٠. أنوار التنزيل، ٩٠/٢.

﴿عَمِيقٌ﴾ (٣٧): بعيد.

وقرئ (١): «عميق». يقال: بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى.

وفي كتاب علل الشرائع (٢) بإسناده إلى الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته: لِمَ جعلت التلبية؟ فقال: إِنَّ اللَّهَ ﷻ أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا». فنادى، فأجيب من كل فج عميق [يلبّون] (٣).

أبي عليه السلام قال (٤): حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء البيت، وتمّ بناؤه، أمره أن يصعد ركناً ثم ينادي في الناس: أَلَا هَلُمَّ الْحَجَّ! أَلَا هَلُمَّ الْحَجَّ! (٥) فلو نادى: «هَلُمُّوا إِلَى الْحَجِّ» لم يحجّ إلّا من كان يومئذ إنسياً مخلوقاً. ولكن نادى: «هَلُمَّ الْحَجَّ» فلبّى الناس في أصلاب الرجال: «لَبَّيْكَ داعي الله، لبّيك داعي الله». فمن لبّى عشراً، حجّ عشراً. ومن لبّى خمساً، حجّ خمساً. ومن لبّى أكثر، فبعدد ذلك. ومن لبّى واحدة (٦)، حجّ واحدة (٧). ومن لم يلبّ، لم يحجّ.

وإسناده (٨) إلى غالب بن عثمان، عن رجل من أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ينادي في الناس بالحجّ، قام على المقام. فارتفع به حتّى صار بإزاء أبي قبيس، فنادى في الناس بالحجّ. فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، إلى أن تقوم الساعة.

وفي الكافي (٩): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لَمَّا أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ ببناء البيت، وتمّ بناؤه،

١. نفس المصدر والموضع.

٢. العلل ٤١٦، ح ١.

٣. من المصدر.

٤. نفس المصدر ٤١٩، ح ١.

٥. ليس في المصدر.

٦. لا يوجد في ع وس.

٧. المصدر: واحداً.

٨. المصدر: واحداً.

٩. نفس المصدر ٤١٩-٤٢٠، ح ٢.

١٠. الكافي ٢٠٦/٤، ح ٦.

فقد إبراهيم على ركن، ثم نادى: هَلَمْ الْحَجَّ [هَلَمْ الْحَجَّ]^(١). فلو نادى: هَلُمُوا، وذكر مثل ما نقلناه عن كتاب العلل.

علي بن إبراهيم^(٢)، عن أبيه؛ ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أقام رسول الله ﷺ بالمدينة عشر سنين لم يحج. ثم أنزل الله تعالى عليه: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ». فأمر المؤذنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم بأن رسول الله ﷺ يحج في عامه هذا. فعلم به من حضر المدينة^(٣) وأهل العوالي^(٤) والأعراب، واجتمعوا لحج رسول الله ﷺ. وإنما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون ويتبعونه، أو يصنع شيئاً فيصنعونه.

فخرج رسول الله ﷺ في أربع بقين من ذي القعدة. فلما انتهى إلى ذي الحليفة، زالت الشمس، فاغتسل. ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة، فصلّى فيه الظهر، وعزم بالحج مفرداً. وخرج حتى انتهى إلى البداء عند الميل الأول. فصّف الناس سباطين^(٥). فلبى بالحج مفرداً، وساق الهدى ستاً وستين، أو أربعاً وستين. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي عوالي اللثالي^(٦): وروي عنه ﷺ أنه قال: إنما الحاج الشُّعْثُ^(٧) الغبر، يقول الله تعالى للملائكة: انظروا إلى زوّار بيتي، قد جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق. وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): قال: ولما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أمره الله أن يؤذّن في الناس بالحج. فقال: يا رب، ما يبلغ صوتي! فقال الله: أذّن، عليك الأذان،

١. من المصدر. ٢. نفس المصدر ٢٤٥، ح ٤.

٣. ليس في أ. ٤. العوالي: قرئ بظاهر المدينة.

٥. أي صفين. وفي المصدر: سباطان. ٦. العوالي ٣٧٤، ح ١٢٣.

٧. تفسير القمي، ٨٣/٢. ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: شعثاء غبراء.

وعليّ البلاغ. وارتفع على المقام، وهو يومئذ ملصق بالبيت^(١). فارتفع به المقام، حتّى كان أطول من الجبال، فنادى وأدخل إصبعه في أذنيه^(٢)، وأقبل بوجهه شرقاً وغرباً يقول: أيّها الناس، كُتِبَ عليكم الحجّ إلى البيت العتيق، فأجيبوا ربّكم.

فأجابوه من تحت البحور السبعة، ومن بين المشرق والمغرب -إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلّها- ومن أصلاب الرجال وأرحام النساء بالتلبية: [لبيك اللهم]^(٣) لبيك.

أو لا ترونهم يأتون يلبّون؟! فمن حجّ من يومئذ إلى يوم القيامة، فهم ممّن استجاب لله. وذلك قوله^(٤): «فيه آيات بينات مقام إبراهيم» يعني بذلك نداء إبراهيم على المقام [بالحجّ]^(٥).

وفي مجمع البيان^(٦): وفي الشواذّ قراءة ابن عباس: «رُجَالاً» بالتشديد والضمّ. وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام. [وروي عن أبي عبد الله عليه السلام]^(٧) أنّه قرأ: «يأتون». ﴿لِيَشْهَدُوا﴾: ليحضروا.

﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: دينيّة ودنيويّة.

وفي الكافي^(٨): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن الفضيل، عن الربيع بن خثيم قال: شهدت أبا عبد الله عليه السلام وهو يطاف به حول الكعبة في محمل، وهو شديد المرض^(٩). فكان كلّما بلغ الركن اليمانيّ، أمرهم فوضعوه بالأرض. فأخرج يده من كوة المحمل حتّى يجزّها على الأرض، ثمّ يقول: ارفعوني.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: إصبعه في أذنه.

٤. آل عمران / ٩٧.

٦. المجمع، ٧٩/٤ و ٨٠.

٨. الكافي، ٤٢٢/٤، ح ١.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: وهو لمرض.

١. ليس في م.

٣. ليس في م.

٥. من المصدر.

٧. ليس في م.

فلما فعل ذلك مراراً في كل شوط، قلت له: جعلت فداك، يا ابن رسول الله، إن هذا يشق عليك! فقال: إني سمعت الله ﷻ يقول: «ليشهدوا منافع لهم». فقلت: منافع الدنيا، أو منافع الآخرة؟ فقال: الكل.

أبو علي الأشعري^(١)، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن أبي المغراء^(٢)، عن سلمة بن محرز قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ جاءه رجل يقال له أبو الورد، فقال لأبي عبد الله عليه السلام: رحمك الله، إنك [لو كنت] ^(٣)أرحت بدنك من المحمل. فقال أبو عبد الله عليه السلام: [يا أبا الورد، إني أحب أن أشهد المنافع التي قال الله ﷻ: «ليشهدوا منافع لهم». إنه لا يشهد بها أحد إلا نفعه] ^(٤)الله. أما أنتم، فترجعون مغفوراً لكم. وأما غيركم، فيحفظون في أهاليهم وأموالهم.

وفي مجمع البيان^(٥): «ليشهدوا منافع لهم». وقيل: منافع الآخرة، وهي العفو والمغفرة. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.

وفي عيون الأخبار^(٦)، في باب ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلة الحج الوفاة إلى الله ﷻ وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترب، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل. وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها عن الشهوات واللذات، والتقرب^(٧) بالعبادة إلى الله ﷻ والخضوع والاستكانة والذل، شاخصاً إليه في الحرّ والبرد والأمن والخوف، دائباً في ذلك دائماً^(٨). وما في ذلك لجميع الخلق، من المنافع والرغبة [والرهبة] ^(٩)إلى الله تعالى. ومنه ترك قساوة القلب وجسارة الأنفس ونسيان الذكر وانقطاع الرجاء

١. نفس المصدر ٢٣٦/٤-٢٦٤، ح ٤٦.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبي المغراء.

٣. ليس في م.

٤. ليس في ع، م، ن.

٥. المجمع ٨١/٤.

٦. العيون ٨٧٢، ح ١.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: دائم.

٨. المصدر: التقريب.

٩. ليس في م.

والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر النفس عن الفساد، ومنفعة من في الشرق وغربها، ومن في البرّ والبحر، مَن يحجّ ومَن لا يحجّ، من تاجر وجالب وبائع ومشتري وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها، كذلك «ليشهدوا منافع لهم».

وفي باب العلل^(١) التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنّه سمعها من الرضا عليه السلام مرة بعد مرة وشيئاً بعد شيء: فإن قال: فلم أمر بالحجّ؟ قيل: لعلّة الوفادة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة، وذكر كما ذكر محمد بن سنان، وزاد بعد قوله: «في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها»: مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمة عليه السلام إلى كلّ صقع^(٢) وناحية، كما قال الله ﷻ^(٣): «فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» و«ليشهدوا منافع لهم».

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾: قيل^(٤): عند إعداد الهدايا والضحايا وذبحها.

وقيل^(٥): كُنِيَ بالذكر عن النحر - لأنّ ذبح المسلمين لا ينفك عنه - تنبيهاً على أنّه المقصود ممّا يتقرّب به إلى الله تعالى.

﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾: قيل^(٦): هي عشر ذي الحجة.

وقيل^(٧): أيام النحر.

وفي مجمع البيان^(٨): واختلف في هذه الآية. قيل: هي أيام التشريق يوم النحر وثلاثة أيام بعده. والمعدودات أيام العشر. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.

وفي عوالي اللثالي^(٩): وروي عن الصادق عليه السلام أنّ الذكر في قوله: «ويذكروا اسم الله» هو التكبير عقيب خمس عشرة صلاة أولها ظهر العيد. وروي عن الباقر عليه السلام مثله.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: سقع.

٤-٧. أنوار التنزيل، ٩٠/٢.

٩. العوالي ٨٨/٢، ح ٢٣٧.

١. نفس المصدر ١١٧-١١٨، ح ١.

٣. التوبة / ١٢٢.

٨. المجمع، ٨١/٤.

وفي كتاب معاني الأخبار^(١): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٢) عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ» قَالَ: أَيَّامُ الْعَشْرِ.

وبهذا الإسناد^(٣) عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكَتَنَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ» قَالَ: هِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ.

أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ^(٤): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الصَّلْتِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ زَيْدِ الشَّحَامِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ» قَالَ: الْمَعْلُومَاتُ وَالْمَعْدُودَاتُ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ.

وَفِي تَهْذِيبِ الْأَحْكَامِ^(٥): مُوسَى بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَيْسَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: قَالَ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ: [قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ]: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ». قَالَ: عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ. وَأَمَّا^(٦) مَعْدُودَاتُ، قَالَ: أَيَّامُ التَّشْرِيقِ.

الْعَبَّاسُ وَعَلِيُّ بْنُ السَّنْدِيِّ^(٧) جَمِيعاً، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ» قَالَ: أَيَّامُ الْعَشْرِ. وَقَوْلُهُ^(٨): «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ» قَالَ: أَيَّامُ التَّشْرِيقِ.

﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: عَلَّقَ الْفِعْلُ بِالْمَرْزُوقِ، وَبَيَّنَّهَ بِالْبَهِيمَةِ، تَحْرِيزاً عَلَى التَّقَرُّبِ، وَتَنْبِيهاً عَلَى مُقْتَضَى الذِّكْرِ.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسين.

٤. نفس المصدر، ح ٣.

٦. التهذيب ٤٤٧/٥، ح ١٥٥٨.

٨. المصدر: وأيام.

١٠. البقرة ٢٠٣.

١. المعاني: ٢٩٦-٢٩٧، ح ١.

٣. نفس المصدر، ح ٢.

٥. البقرة ٢٠٣.

٧. من المصدر.

٩. نفس المصدر ٤٨٧، ح ١٧٣٦.

﴿ فَكُلُوا مِنْهَا ﴾ : من لحومها.

أمر بذلك إباحة وإزاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه، وندباً إلى مواساة الفقراء ومساواتهم. وهذا في المتطوع به دون الواجب.

﴿ وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ ﴾ : الذي أصابه بؤس، أي شدة.

﴿ الْفَقِيرَ ﴾ ٢٨ : المحتاج.

والأمر فيه للوجوب. وقد قيل به في الأول.

وفي الكافي^(١) : علي بن إبراهيم، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن عبدالله بن يحيى، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ . قال : « الفقير » الذي لا يسأل الناس . و« المسكين » أجهد منه . و« البائس » أجهدهم . والحديث طويل ، أخذت منه موضع الحاجة .

علي بن إبراهيم^(٢) ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ : ﴿ وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ قال : هو الرُّمِينُ^(٣) الذي لا يستطيع أن يخرج لزماته .

وفي الكافي^(٤) بإسناده إلى معاوية بن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل ، وستقف عليه مسنداً عند قوله تعالى^(٥) : ﴿ وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ إن شاء الله . وفيه : « والبائس » هو الفقير .

وفي تهذيب الأحكام^(٦) : روى موسى بن القاسم ، عن النخعي ، عن صفوان بن يحيى ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال في حديث طويل ستقف عليه

٢. التوبة / ٦٠ .

٤. من المصدر .

٦. الحج / ٣٦ .

١. الكافي ٥٠١/٣ ، ح ١٦ .

٣. نفس المصدر ٤٦٧/٤ ، ح ٤ .

٥. نفس المصدر ٥٠٠ ، ح ٦ .

٧. التهذيب ٢٢٣/٥ ، ح ٧٥١ .

عند قوله تعالى: «وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ»: و«البائس» الفقير.

﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار وتنف الإبط، واستحداد عند الإحلال.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: ما يندرون من البر في حجهم.

وقيل ^(١): موجب الحج.

وقرأ ^(٢) أبوبكر بفتح الواو وتشديد الفاء.

وفي أصول الكافي ^(٣): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط، عن داود بن النعمان، عن أبي عبيدة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول ^(٤) ورأى الناس بمكة وما يعملون، قال: فقال: فعال كفعال الجاهلية! أما والله، ما أمروا بهذا. وما أمروا إلا أن يقضوا تفثهم، وليوفوا نذورهم؛ فيمروا بنا، فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٥): قال محمد بن العباس: حدثنا أحمد بن هودة بإسناده ^(٦) يرفعه إلى عبدالله بن سنان، عن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله تعالى: «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ». قال: هو لقاء الإمام عليه السلام.

﴿وَلْيَطُوفُوا﴾: طواف الركن الذي به تمام التحلل، فإنه قرينة قضاء التفث.

وقيل ^(٧): طواف الوداع.

وقرأ ^(٨) ابن عامر وحده بكسر اللام.

﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ^(٩) القديم - لأنه أول بيت وضع للناس - أو المعتقد من تسلط

الجبابرة، فكم من جبار سار إليه ليهدمه، فمنعه الله.

١ و٢. أنوار التنزيل، ٩٠/٢.

٣. الكافي ٣٩٢/١، ح ٢.

٤. ليس في المصدر.

٥. تأويل الآيات الباهرة ٣٣٦/١، ح ٨.

٦. المصدر: بإسناده.

٧ و٨. أنوار التنزيل، ٩٠/٢.

وفي الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير؛ ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، وابن أبي عمير، جميعاً عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا أحرمت، فعليك بتقوى الله - إلى أن قال: - اتق المفارقة، وعليك بورع يحجزك عن معاصي الله، فإن الله تعالى يقول: «ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق»^(٢).

قال أبو عبدالله عليه السلام: من التفث أن تتكلم في إحرامك بكلام قبيح. فإذا دخلت مكة، وطفت بالبيت، وتكلمت بكلام طيب، فكان ذلك كفارة.

أحمد بن محمد^(٣)، [عن^(٤)] ابن أبي نصر قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنا حين نفرنا من منى، أقمنا أياماً. ثم حلقت رأسي طلب التلذذ، فدخلني من ذلك شيء! فقال: كان أبو الحسن صلوات الله عليه إذا خرج من مكة، فأتي بثيابه، حلق رأسه. قال: وقال في قول الله تعالى: «ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم». قال: التفث تقليل الأظفار، وطرح الوسخ، وطرح الإحرام.

محمد بن يحيى^(٥)، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل نسي أن يقصر من شعره وهو حاج، حتى ارتحل من منى؟ قال: ما يعجبني أن يُلقَى شعر رأسه^(٦) إلا بمنى. وقال في قول الله تعالى: «ثم ليقتضوا تفثهم» قال: هو الحلق وما في جلد الإنسان. عده من أصحابنا^(٧)، عن سهل بن زياد، عن علي بن سليمان، عن زياد القندي، عن عبدالله بن سنان، عن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إن الله أمرني في كتابه بأمر، فأحب أن أعمله. قال: وما ذاك؟ قلت: قول الله تعالى: «ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا

٢. ليس في أ.

١. الكافي ٣٣٧/٤ - ٣٣٨، ح ٣.

٤. من المصدر.

٣. نفس المصدر ٥٠٣ - ٥٠٤، ح ١٢.

٦. نفس المصدر ٥٠٣، ح ٨.

٥. من المصدر.

٨. نفس المصدر ٥٤٩، ح ٤.

٧. المصدر: شعره.

نذورهم». قال: «ليقضوا تفثهم» لقاء الإمام. و«ليوفوا نذورهم» تلك المناسك.

قال عبدالله بن سنان: فأتيت أبا عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك، قول الله تعالى: «ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم». قال: أخذ الشارب، وقص الأظفار، وما أشبه ذلك.

قال: [قلت:] ^(١) جعلت فداك، إن ذريح المحاربي حدثني عنك بأنك قلت له: «ليقضوا تفثهم» لقاء الامام. و«ليوفوا نذورهم» تلك المناسك. فقال: صدق [ذريح] ^(٢) وصدقت. إن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح؟!

حميد بن زياد ^(٣)، عن ابن سماعة، عن غير واحد، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله جل ثناؤه: «ثم ليقضوا تفثهم» قال: هو ما يكون من الرجل في إحرامه. فإذا دخل مكة، فتكلم بكلام طيب، كان ذلك كفارة لذلك الذي كان منه.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه ^(٤)، وروى حمران، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «ثم ليقضوا تفثهم» قال: التفث حقوق الرجل من الطيب. [إذا قضى نسكه] ^(٥)، حل له الطيب ^(٦).

وروى ربعي ^(٧)، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «ثم ليقضوا تفثهم» فقال: قص الشارب والأظفار.

وفي رواية البزنطي ^(٨) عن الرضا عليه السلام قال: التفث تقليم الأظفار، وطرح الوسخ، وطرح الإحرام عنه.

وفي قرب الإسناد ^(٩) للحميري: أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى «ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم». قال: تقليم الأظفار، وطرح الوسخ عنك، والخروج من الإحرام. و«ليطوفوا بالبيت العتيق» طواف الفريضة.

٣. نفس المصدر ٥٤٣، ح ١٥.

٥. أ، م: مناسكه.

٧. نفس المصدر، ح ١٤٣٣.

٩. قرب الإسناد، ١٥٨.

١ و٢. من المصدر.

٤. الفقيه ٢٩٠/٢، ح ١٤٣٥.

٦. ليس في س.

٨. نفس المصدر، ح ١٤٣٦.

وفي تهذيب الأحكام^(١): محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد قال: قال أبو الحسن عليه السلام في قول الله عز شأنه: «وليطوفوا بالبيت العتيق» قال: طواف الفريضة طواف النساء.

وروى محمد بن أحمد بن يحيى^(٢)، عن علي بن إسماعيل، عن محمد بن يحيى الصيرفي، عن حماد الناب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «وليطوفوا بالبيت العتيق» قال: هو طواف النساء.

وفي عيون الأخبار^(٣)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في قول النبي ﷺ: «أنا ابن الذبيحين» حديث طويل، وفي آخره: وكانت لعبد المطلب خمس سنن^(٤) أجراها الله تعالى في الإسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء - إلى قوله: - وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط.

وفي كتاب الخصال^(٥): عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه^(٦)، عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ أنّه قال في وصيّة له: يا علي، إنّ عبد المطلب سنّ في الجاهليّة خمس سنن أجراها الله له في الإسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء - إلى قوله: - ولم يكن للطواف عدد عند قريش، فسنّ فيهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأجرى الله ذلك في الإسلام.

وفي عيون الأخبار^(٧)، في باب ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسأله في العلل: وعلة الطواف بالبيت أنّ الله ﷻ قال للملائكة^(٨): «إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء». فردّوا على الله ﷻ

١. التهذيب ٢٥٢/٥ - ٢٥٣، ح ٨٥٤.

٢. نفس المصدر، ح ٨٥٥.

٣. العيون ١/١٦٨، ح ١.

٤. المصدر: من السنن.

٥. الخصال ٣١٢ - ٣١٣، ح ٩٠.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: آباءه.

٧. العيون ٢/٨٩، ح ١.

٨. البقرة / ٣٠.

هذا الجواب، فندموا. فلاذوا^(١) بالعرش، واستغفروا. فأحبَّ الله ﷻ أن يتعبَّد بمثل ذلك العباد^(٢)، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمَّى الضراح^(٣). ثمَّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمَّى البيت^(٤) المعمور بحذاء الضراح^(٥). ثمَّ وضع هذا البيت بحذاء البيت المعمور. ثمَّ أمر آدم، فطاف به. فتاب الله ﷻ عليه. فجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة.

وفي الكافي^(٦) محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن الحسين بن علي بن مروان، عن عده من أصحابنا، عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام في المسجد الحرام: لأي شيء سمَّاه^(٧) الله البيت^(٨) العتيق؟

فقال: إنَّه ليس من بيت وضعه الله على وجه الأرض، إلَّا له ربَّ وسكان يسكنونه غير هذا البيت؛ فإنَّه لا ربَّ له إلَّا الله تعالى. وهو الحرّ. ثمَّ قال: إنَّ الله تعالى خلقه قبل الأرض. ثمَّ خلق الأرض من بعده، فدحاها من تحته.

علي بن إبراهيم^(٩)، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن أبان بن عثمان، عمَّن أخبره عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: لِمَ سمَّى الله^(١٠) البيت العتيق؟ قال: هو بيت^(١١) حرّ^(١٢) عتيق من الناس، لم يملكه أحد.

وفي محاسن البرقي^(١٣): عنه، عن أبيه ومحمد بن علي، عن علي بن النعمان، عن

١. المصدر: ولاذوا. ٢. ع: العبادة.

٣. كذا في المصدر. وفي ع ون: الصراح. وفي أ وم: الصراح. وفي س: الضراح.

٤. ليس في المصدر.

٥. كذا في المصدر. وفي س ون: الصراح. وفي غيرهما: الصراح.

٦. الكافي ١٨٩/٤، ح ٥. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: سمَّى.

٨. ليس في س والمصدر. ٩. نفس المصدر، ح ٦.

١٠. ليس في المصدر. ١١. ليس في ن.

١٢. ليس في م. ١٣. المحاسن ٣٣٦، ح ١١٣.

سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما سُمِّيَ ^(١) البيت العتيق، لأنه أعتق من الغرق، وأعتق ^(٢) الحرم معه، وكَفَّ عنه الماء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣): حَدَّثَنِي أَبِي، عن صفوان بن يحيى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لَمَّا أَرَادَ اللهُ هَلَاكَ قَوْمِ نُوحٍ - وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا، وَفِيهِ يَقُولُ عليه السلام -: وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ، لَأَنَّهُ أَعْتَقَ مِنَ الْغَرَقِ.

وفي كتاب علل الشرائع ^(٤) بإسناده إلى أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول عليه السلام في آخره: وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ، لَأَنَّهُ أَعْتَقَ مِنَ الْغَرَقِ ^(٥).

وبإسناده ^(٦) إلى ذريح بن يزيد المحارب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ ﻻ أَغْرَقَ الْأَرْضَ كُلَّهَا يَوْمَ نُوحٍ إِلَّا الْبَيْتَ، فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ الْعَتِيقُ، لَأَنَّهُ أَعْتَقَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْغَرَقِ. فقلت له: أصدع إلى السماء؟ فقال: لا، لم يصل إليه الماء، ورفَّع عنه.

﴿ذَلِكَ﴾: خبر محذوف. أي الأمر ذلك. وهو وأمثاله تطلق للفصل بين كلامين.

﴿وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾: أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه. أو: الحرم ^(٧) وما يتعلَّق بالحجَّ من التكليف.

وقيل ^(٨): الكعبة، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمحرَّم.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾: فالتعظيم خير له.

﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾: ثواباً.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٩): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْعُلُوِّيِّ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنِ الْإِمَامِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام ^(١٠) فِي

١. المصدر: سُمِّيَ.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: «عق» بدل «وأعتق».

٣. تفسير القمي، ١/٣٢٧-٣٢٨.

٤. العلل، ٣٩٩، ح ١.

٥. لا يوجد في م.

٦. نفس المصدر، ح ٥.

٧. كذا في أنوار التنزيل ٩١/٢. وفي النسخ: الحرام.

٨. نفس المصدر والموضع.

٩. تأويل الآيات الباهرة ٣٣٧، ح ١٠.

١٠. المصدر: عن عيسى بن داود التجار، عن موسى، عن أبيه جعفر.

قول الله تبارك وتعالى: «ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه» قال: هي ثلاث حرمات واجبة، فمن قطع منها حرمة، فقد أشرك بالله. الأولى انتهاك حرمة الله في بيته الحرام. والثانية تعطيل الكتاب والعمل بغيره. والثالثة قطعية ما أوجب الله من فرض مودتنا وطاقتنا.

﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُنْتَلَى عَلَيْكُمْ﴾: إلّا المتلّو عليكم تحريمه. وهو ما حرّم منها لعارض؛ كالميتة وما أهّل به لغير الله. فلا تحرّموا منها غير ما حرّمه الله؛ كالبحيرة^(١) والسائبة^(٢).

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾: فاجتنبوا الرّجس الذي هو الأوثان. وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها.

﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٣): تعميم بعد التخصيص؛ فإنّ عبادة الأوثان رأس الزور. كأنّه لما حثّ على تعظيم الحرمات، أتبعه ذلك، ردّاً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب، وتعظيم الأوثان، والافتراء على الله بأنّه حكم بذلك. وقيل^(٤): شهادة الزور. والزور من الزور، وهو: الانحراف. كما أنّ الإفك من الإفك، وهو: الصرف. فإنّ الكذب منحرف مصروف عن الواقع.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥): حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار، عن إبراهيم بن هاشم، عن عبدالله بن المغيرة، عن يحيى بن عبادة^(٦)، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سمعه يقول: «الرجس من الأوثان» الشطرنج. و«قول الزور» الغناء. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

١. البحيرة: النّاقة كانت في الجاهليّة إذا ولدت خمسة أبطن شقّوا أذنّها وأعفوها أن يتّفع بها، ولم يمنعوها من مرعى ولا ماء، وقد أبطلها الإسلام.

٢. السائبة: المهملة التي كانت تُسيّب في الجاهليّة لنذر ونحوه. أو البعير الذي يُدرّك إنتاج نتاجه فيسيّب؛ أي يُترك ولا يركب ولا يحمل عليه.

٣. أنوار التنزيل، ٩١/٢.

٥. أ، س، م، ع، عتادة.

٤. المعاني ٣٤٩، ح ١، بسند غير هذا.

حَدَّثَنَا أَبِي عليه السلام ^(١) قال: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى الْخَرَّازِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَثْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قال: سَأَلْتُهُ عَنْ «قَوْلِ الزُّورِ»؟ قال: مِنْهُ قَوْلُ الرَّجُلِ لِلَّذِي يَغْتَبِي: أَحْسَنْتُ.

وَفِي الْكَافِي ^(٢): عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبَلَةَ، عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ»؟ قال: الْغَنَاءُ.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ^(٣)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ وَالْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، جَمِيعاً عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ دُرُسْتٍ، عَنْ زَيْدِ الشَّحَّامِ قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ»؟ قال: «الرِّجْسُ مِنَ الْأَوْثَانِ» الشُّطْرَنْجُ. و«قَوْلُ الزُّورِ» الْغَنَاءُ.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ^(٤)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» قال: «الرِّجْسُ مِنَ الْأَوْثَانِ الشُّطْرَنْجُ. و«قَوْلُ الزُّورِ» الْغَنَاءُ.

وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ ^(٥): «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ». وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّ اللَّعِبَ بِالشُّطْرَنْجِ وَالتَّرْدَ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْقِمَارِ مِنْ ذَلِكَ. «وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ». وَرَوَى أَصْحَابُنَا أَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَنَاءُ وَسَائِرُ الْأَقْوَالِ الْمَلْهُمَةِ.

وَرَوَى أَيُّمَنُ بْنُ خَرِيمٍ ^(٦) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، عَدَلْتُ شَهَادَةَ الزُّورِ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ. ثُمَّ قرأ: «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ».

-
١. نفس المصدر، ح ٢.
 ٢. الكافي ٤٣١/٦، ح ١.
 ٣. المصدر: واجتنبوا.
 ٤. نفس المصدر ٤٣٥، ح ٢.
 ٥. نفس المصدر، ٤٣٦، ح ٧.
 ٦. المجمع، ٨٢/٤.
 ٧. نفس المصدر والموضع. وفي أ: أيمن بن خزيمة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الرجس من الأوثان» الشطرنج. و«قول الزور» الغناء.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾: مخلصين له.

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾: وهما حالان من الواو.

وفي كتاب التوحيد^(٢) بإسناده إلى زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى «حنفاء لله غير مشركين به» وعن الحنيفية؟ فقال: هي الفطرة التي فطر الله^(٣) الناس عليها «لا تبديل لخلق الله»^(٤). وقال: فطهرهم الله على المعرفة.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾: لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر.

﴿فَنَحْنُفُهُمُ الطَّيِّرُ﴾: فإن الأهواء المردية توزع أفكاره.

وقرأ^(٥) نافع وحده بفتح الخاء وتشديد الطاء.

﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٦): بعيد، فإن الشيطان قد طرح به في الضلالة.

و«أو» للتخيير؛ كما في قوله^(٧): «أو كصيب». أو للتنويع، فإن من المشركين من لا خلاص لهم أصلاً، ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة، ولكن على بعد.

ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة، فيكون المعنى: ومن يشرك بالله، فقد هلكت نفسه هلاكاً يشبه أحد الهالكين.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: دين الله. أو: فرائض الحج ومواضع نسكه. أو: الهدايا لأنها من معالم الحج^(٨). وهو أوفق لظاهر ما بعده. وتعظيمها أن تختار حسناً سماناً غالبية الأثمان.

٢. التوحيد ٣٣٠، ح ٩.

٤. الروم / ٣٠.

٦. البقرة / ١٩.

١. تفسير القمي، ٨٤/٢.

٣. من المصدر.

٥. أنوار التنزيل، ٩١/٢.

٧. كذا في أنوار التنزيل ٩١/٢. وفي النسخ بدل هذه العبارة: «والهدايا من معالم الحج».

﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣): فَإِنَّ تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب. فُحِذِفَتْ هذه المضافات. والعائد إلى «من». وذكر «القلوب» لأنها منشأ التقوى والفجور، والأمر بهما.

وفي الكافي^(١): عُدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن بعض رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إِنَّمَا يكون الجزاء مضاعفاً فيما دون البدنة، حتَّى يبلغ البدنة. فإذا بلغ البدنة فلا تضاعف؛ لأنه أعظم ما يكون. قال الله ﷻ: «ومن يعظم شعائر الله فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ».

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٣): أي لكم فيها منافع درّها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أن تُنحر. ثم وقت نحرها منتهية إلى البيت، أي ما يليه من الحرم.

و«ثم» تحتل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة. أي لكم فيها منافع دنيويّة إلى وقت النحر، وبعده منافع دينيّة أعظم منها. وهو على الأولين إما متّصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها. أو المراد على الأول: لكم فيها منافع [دينيّة]^(٢) تنتفعون بها إلى أجل مسمّى - وهو الموت - ثم محلّها منتهية إلى البيت [العتيق]^(٣) الذي تُرفع إليه الأعمال، أو يكون فيه ثوابها، وهو البيت المعمور، أو الجنّة. وعلى الثاني: لكم فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة، ثم وقت الخروج منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قوله تعالى: «ومن يعظم شعائر الله فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ». قال: تعظيم البدن وجودتها. وقوله ﷻ: «لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى». قال: البدن يركبها المحرم من موضعه الذي يحرم فيه غير مضرّ بها، ولا معتّف عليها. وإن كان لها لبن، يشرب من لبنها إلى يوم النحر.

وفي الكافي^(١): مُحَمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل، عن مُحَمَّد بن الفضيل، عن أَبِي الصباح الكِنَانِي، عن أَبِي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» قال: إن احتاج إلى ظهرها، ركبها من غير أن يعَنَفَ عليها. وإن كان لها لبن، حلبها حلاباً لا ينهاكها^(٢).

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٣): وروى أبو بصير عنه في قول الله تعالى: «لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» قال: إن احتاج إلى ظهرها، ركبها من غير أن يعَنَفَ عليها. وإن كان لها لبن، حلبها حلاباً لا ينهاكها.

وفي مجمع البيان^(٤): «لَكُمْ فِيهَا» أي في الشعائر منافع. فمن تأوَّل أنَّ الشعائر الهدى قال: إنَّ منافعها ركوب ظهرها وشرب لبنها، إذا احتيج إليها. وهو المروي عن أَبِي جعفر عليه السلام.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: ولكل أهل دين.

﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾: متعبداً وقرباناً يتقربون به إلى الله.

وقرأ^(٥) حمزة والكسائي بالكسر. أي موضع نسك.

﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾: دون غيره، ويجعلوا نسكهم لوجهه.

علل الجعل به، تنبيهاً على أنَّ المقصود من المناسك تذكُّر المعبود.

﴿عَلَىٰ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: عند ذبحها.

وفيه تنبيه على أنَّ القربان يجب أن يكون نعماً.

﴿فَالْهَيْكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾: أخلصوا التقرب أو الذكر، ولا تشوبوه بالإشراك.

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٦): المتواضعين، أو المخلصين، فإنَّ الإخبات صفتهم.

٢. نهك الضرع: استوفى جميع ما فيه.

٤. المجمع، ٨٣/٤.

١. الكافي ٤٩٢/٤ - ٤٩٣، ح ١.

٣. الفقيه ٣٠٠/٢، ح ١٤٩٣.

٥. أنوار التنزيل، ٩٢/٢.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قوله ﷺ: «فله أسلموا وبشّر المختبين» قال: العابدين.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها.

﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾: من الكلف والمصائب.

﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾: في أوقاتها.

وقرئ^(٢): «المقيمين الصلاة» على الأصل.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٣): في وجوه الخير.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس ﷺ: حدّثنا محمد بن همام، عن

محمد بن إسماعيل [العلوي]^(٥)، عن عيسى بن داود قال: قال موسى بن جعفر عليه السلام:

سألت أبي عن قول الله ﷻ: «وبشّر المختبين». قال: نزلت فينا خاصة.

﴿وَالْبُذْنَ﴾: جمع بدنة، كخشب وخشبة.

وأصله الضم، وقد قرئ^(٦) به. وإنما سُمّي بها الإبل لعظم بدنها، مأخوذة من: بدن

بدانة: إذا ضخّم. ولا يلزم من مشاركة البقر لها في أجزائها عن سبعة بقوله ﷻ: «البدنة

عن سبعة» [والبقرة عن سبعة]^(٧). تناول^(٨) اسم البدنة لها شرعاً، بل الحديث يمنع

ذلك. وانتصابه بفعل يفسره:

﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ﴾: ومن رفعه، جعله مبتدأ.

﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من أعلام دينه التي شرعها الله.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: منافع دينية ودنيوية.

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾: بأن تقولوا عند ذبحها: الله أكبر. لا إله إلا الله. والله أكبر.

اللهم منك واليك.

٢. أنوار التنزيل، ٩٢/٢.

٤. من المصدر.

٦. ليس في م.

١. تفسير القمي، ٨٤/٢.

٣. تأويل الآيات الباهرة ٣٣٧/١، ح ١١.

٥. أنوار التنزيل، ٩٢/٢.

٧. ليس في م، ع، أ.

﴿صَوَافٌ﴾: قيل^(١): قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن.

وقرئ^(٢): «صوافن». من: صفن الفرس: إذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة، لأن البدنة تُعَقَّل إحدى يديها، وتقوم على ثلاث. و«صوافناً» بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف. و«صوافي» أي خوالص لوجه الله. و«صوافي» [يسكون الياء]^(٣) على لغة من يسكن الياء مطلقاً، كقولهم: أعط القوس باريها.

وفي مجمع البيان^(٤): وقيل: هو أن تُنحر وهي صافّة، أي قائمة. رُبِطت يداها^(٥) ما بين الرسغ والخف إلى الركبة. عن أبي عبد الله عليه السلام.

وقرأ أبو جعفر^(٦) عليه السلام: «صوافن» بالنون.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: سقطت على الأرض، وهو كناية عن الموت.

وفي الكافي^(٧): أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية قال: ذلك حين تُصَفّ للنحر، تربط يديها ما بين الخف إلى الركبة. ووجوب جنوبها إذا وقعت على الأرض. ﴿فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ﴾: قيل^(٨): الراضي بما عنده وبما يُعطى من غير مسألة. ويؤيده أنه قرئ: «القنع». أو: السائل. من: قنعت إليه قنوعاً: إذا خضعت له في السؤال. ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: قيل^(٩): المعترض بالسؤال.

وقرئ^(١٠): «والمعتري» يقال: عرّه وعراه، واعترّه^(١١) واعتراه^(١٢).

وفي الكافي^(١٣): حميد بن زياد، عن ابن سماعة، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرحمان بن أبي عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ

١. نفس المصدر والموضع.

٣. من المصدر.

٤. المجمع، ٨٦٤.

٥. المصدر: يديها.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. الكافي ٤٩٧/٤، ح ١.

٨-١٠. أنوار التنزيل، ٩٢/٢.

١١. ليس في ن.

١٢. ليس في م.

١٣. الكافي ٤٩٩/٤، ح ٢.

جنوبها» قال: إذا وقعت على الأرض. «فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز». قال: «القانع» الذي يرضى بما أعطيته، ولا يسخط ولا يكلج ولا يلوي شدة غضباً. و«المعتز» المار بك لتطعمه.

علي بن إبراهيم^(١)، عن أبيه ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان [بن يحيى]^(٢) عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية، قال: «القانع» الذي يقنع بما أعطيته. و«المعتز» الذي يعتريك. «والسائل» الذي يسألك في يديه. و«البائس» هو الفقير.

عده من أصحابنا^(٣)، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن مولى لأبي عبد الله عليه السلام قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام دعا ببذنة فنحرها. فلما ضرب الجزأرون عراقياً^(٤) فوقع إلى الأرض، وكشفوا شيئاً عن سنامها، قال: اقطعوا وكلوا منها [وأطعموا]^(٥). فإن الله تعالى يقول: «إذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا».

عده من أصحابنا^(٦)، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تصرم بالليل. ولا تحصد بالليل. ولا تضح بالليل. ولا تبذر بالليل. فإنك إن تفعل، لم يأتك القانع والمعتز. فقلت: ما القانع والمعتز؟ قال: «القانع» الذي يقنع بما أعطيته. و«المعتز» الذي يمر بك فيسألك. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تهذيب الأحكام^(٧): روى موسى بن القاسم، عن النخعي، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا ذبحت أو نحرت، فكل

٢. ليس في المصدر.

١. نفس المصدر ٥٠٠، ح ٦.

٣. نفس المصدر ٥٠١، ح ٩.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عراقياً. والعروق: عصب غليظ فوق عقب الإنسان، ومن الدابة في

٥. من المصدر مع المعقوفتين.

رجلها بمنزلة الركبة في يديها.

٧. التهذيب ٢٢٣/٥، ح ٧٥١.

٦. نفس المصدر ٥٦٥/٣، ح ٣.

وأطعم كما قال الله تعالى: «فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر».

فقال: «القانع» الذي يقنع بما أعطيته. و«المعتر» الذي يعتريك. و«السائل» الذي يسألك في يده. و«البائس» الفقير.

وفي كتاب علل الشرائع^(١): أبي بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عليه السلام قال^(٢): حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن علي بن إسماعيل، عن صفوان بن يحيى الأزرق قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: الرجل يُعطي الضحية من يسلخها بجلدها. قال: لا بأس به. إنما قال الله ﷻ: «فكلوا منها وأطعموا». والجلد لا يؤكل ولا يُطعم.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٤): حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف، عن علي بن مهزيار، عن فضالة، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «فإذا وجبت جنوبها» قال: إذا وقعت على الأرض. «فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر». قال: «القانع» الذي يرضى بما أعطيته، ولا يسخط ولا يكلح ولا يزيد^(٥) شذقه غضباً. و«المعتر» المار بك تطعمه^(٦).

وبهذا الإسناد^(٧)، عن علي بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن سيف التمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن سعيد بن عبد الملك قدم حاجاً فلقي أبي عليه السلام فقال: إني سقت هدياً، فكيف أصنع؟

فقال: أطعم أهلك ثلثاً. وأطعم القانع ثلثاً. وأطعم المسكين ثلثاً.

قلت: المسكين هو السائل؟ قال: نعم. والقانع يقنع بما أرسلت إليه من البضعة فما فوقها. و«المعتر» يعتريك لا يسألك.

١. الملل ٤٣٩، ح ١. ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: قال.

٣. ن: عن. ٤. المعاني ٢٠٨، ح ١.

٥. ن: تطعه.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يرتد.

٧. نفس المصدر، ح ٢.

وفي عوالي اللثالي^(١): وروى معاوية بن عمار، عن الصادق عليه السلام: إذا ذبحت أو نحررت، فكل وأطعم كما قال الله: «فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز».

وفي قرب الإسناد^(٢) للحميري: أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن القانع والمعتز؟ قال: «القانع» الذي يقنع بما أعطيته. و«المعتز» الذي يعتريك.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): «فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتز». قال: «القانع» الذي يسأل فتعطيه. و«المعتز» الذي يعتريك ولا يسأل^(٤).

وفي مجمع البيان^(٥): في رواية الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام [قال: «القانع» الذي يسأل فيرضى بما أعطى. و«المعتز» الذي يعتري رحلك ممن لا يسأل.

وقال أبو جعفر وأبو عبدالله عليه السلام^(٦): «القانع» الذي يقنع بما أعطيته، ولا يسخط [ولا يكلف]^(٧) ولا يلوي شذقه غضباً. و«المعتز» المار بك^(٨) لتطعمه.

وروي عنهم^(٩): أنه ينبغي أن يطعم ثلثه، ويعطي القانع والمعتز ثلثه، ويهدي لأصدقائه الثلث الباقي.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ما وصفنا من نحرها قياماً.

﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾: مع عظمها وقوتها، حتى تأخذوها^(١١) منقاداً فتعقلوها وتحبسوها صافّة قوائمها، ثم تطعنون^(١٢) في لبّاتها^(١٣).

١. العوالي ١٦٤/٣، ح ٥٣.

٢. قرب الإسناد، ١٥٥.

٣. تفسير القمي: ٨٤/٢.

٤. المصدر: فلا يسأل.

٥. المجمع، ٨٦/٤.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. ليس في أ.

٨. من المصدر.

٩. المصدر: «لما ذبده» بدل «المار بك».

١٠. نفس المصدر والموضع.

١١. كذا في أنوار التنزيل ٩٢/٢. وفي النسخ: تأخذونها.

١٢. كذا في المصدر والموضع. وفي النسخ: فتعقلونها وتحبسونها.

١٣. اللبّة: موضع القلادة من العنق.

﴿لَمَلَكُم تَشْكُرُونَ﴾ ٥: إنا عاونا عليكم بالتقرب والإخلاص .

﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ﴾ : قيل ^(١) : لن يصيب رضاه، ولن يقع منه موقع القبول .

﴿لُحُومُهَا﴾ : المتصدق بها .

﴿وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ : المهرقة بالنحر، من حيث إنها لحوم ودماء .

﴿وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ : ولكن يصيبه [ما يصحبه] ^(٢) من تقوى قلوبكم التي

تدعوكم إلى تعظيم أمر الله والتقرب إليه والإخلاص له .

وقيل ^(٣) : كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين، لطفخوا الكعبة بدمائها، قربة إلى الله،

فهم به المسلمون، فنزلت .

وفي كتاب علل الشرائع ^(٤) بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له :

ما علة الأضحية ؟ قال : إنه يُغفر لصاحبها، عند أول قطرة تقطر من دمهإ إلى الأرض .

وليعلم الله تعالى من يتقيه بالغيب . قال الله تعالى : «لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله

التقوى منكم» . ثم قال : انظر كيف قبل الله قربان هابيل، وردّ قربان قابيل .

﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ﴾ : كثره تذكيراً للنعمة، وتعليلاً له، بقوله :

﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّه﴾ : قيل ^(٥) : أي لتعرفوا عظمته ^(٦) باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره،

فتوحدوه بالكبرياء .

وقيل ^(٧) : هو التكبير عند الإحلال أو الذبح .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٨) : قال : التكبير أيام التشريق في الصلوات ^(٩) بمعنى في

عقيب خمس عشرة صلاة، وفي الأمصار عقيب عشر صلوات .

١ . نفس المصدر والموضع .

٣ . أنوار التنزيل، ٩٣/٢ .

٥ . أنوار التنزيل، ٩٣/٢ .

٧ . نفس المصدر والموضع .

٩ . م المصدر الصلاة .

٢ . ليس في ن .

٤ . العلل ٤٣٧-٤٣٨، ح ٢ .

٦ . ن : عن نعمته .

٨ . تفسير القمي، ٨٤/٢ .

﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾: أرشدكم إلى طريق^(١) تسخيرها وكيفية التقرب بها.
و«ما» تحتمل المصدرية والخبرية. و«على» متعلقة بـ«تكبروا» لتضمنه معنى الشكر^(٢).

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْسِنِينَ﴾^(٣): المخلصين فيما يأتونه ويذرونه.
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: غائلة المشركين.
وقرئ^(٤): «يدافع» أي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه.
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾: أي في أمانة الله.
﴿كَفُورٍ﴾^(٥): لنعمه؛ كمن يتقرب إلى الأصنام بذبيحته^(٦)، فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٧): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا محمد بن الحسين^(٨) بن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن إسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية؟ قال: نحن الذين آمنوا، والله يدافع عنا ما إذا أذاعت شيعتنا.

يعني أن بعض شيعتهم يذيع عنهم بعض أسرارهم إلى أعدائهم، يقصد بذلك أذاهم، أو لا يقصد؛ فإن الله سبحانه يدافع عنهم. «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ» لمودتهم [كفور] بولايتهم^(٩).

﴿أُذِنَ﴾: رُخِّص.

وقرئ^(١٠) على البناء للفاعل، وهو الله.

﴿لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾: المشركين. والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه.

١. كذا في أنوار التنزيل ٩٣/٢. وفي النسخ: التكبير.

١. ليس في أ.

٤. م: بذبيحة.

٣. نفس المصدر والموضع.

٦. المصدر: الحسن.

٥. تأويل الآيات الباهرة ٣٣٧/١، ح ١٢.

٨. أنوار التنزيل، ٩٣/٢.

٧. من المصدر.

وقرئ^(١) بفتح التاء، أي للذين يقاتلهم المشركون.

﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾: قيل^(٢): هم أصحاب رسول الله ﷺ. كان المشركون يؤذونهم. وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: اصبروا، فإنني لم أؤمر بالقتال. حتى هاجر، فأنزلت. وهي أول آية [نزلت]^(٣) في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٤): وعد لهم بالنصر، كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): قال: نزلت في علي وجعفر وحمزة صلوات الله عليه وعليهما. ثم جرت.

حدثني^(٦) أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية، قال: إن العامة يقولون: نزلت في رسول الله ﷺ لما أخرجه قريش [من مكة]^(٧)، وإنما هي للقائم^(٨) صلوات الله عليه. إذا خرج، يطلب بدم الحسين عليه السلام وهو يقول^(٩): نحن أولياء الدم وطلاب الثرة^(١٠).

وفي مجمع البيان^(١١): روي عن الباقر عليه السلام أنه قال: لم يؤمر رسول الله ﷺ بقتال، ولا إذن له فيه؛ حتى نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١٢): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا محمد بن همام عليه السلام عن محمد بن إسماعيل العلوي عليه السلام عن عيسى بن داود قال: حدثنا موسى بن جعفر،

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. من المصدر.

٤. تفسير القمي، ٨٤/٢.

٥. نفس المصدر، ٨٤-٨٥.

٦. لا يوجد في ع ون. وفي س وأ: من بكّة.

٧. كذا في المصدر وفي النسخ: وإنما هو القائم. ٨. المصدر: قوله.

٩. المصدر: الدية. والثرة: من: وتر فلاناً يتّره؛ أي قتل حميمه.

١٠. لم نثر عليه في المصدر. ولكن رواه الحويزي في نور الثقلين ٥٠١/٣، ح ١٥٣.

١١. تأويل الآيات الباهرة ٣٣٨/١، ح ١٤.

عن أبيه، عن جدّه ﷺ قال: نزلت هذه الآية في آل محمّد خاصّة: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ». ثُمَّ تَلَا إِلَىٰ قَوْلِهِ: «وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور».

وقال أيضاً^(١): حدّثنا الحسين بن عامر، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن صفوان بن يحيى، عن حكيم الحنّاط، عن ضريس، عن أبي جعفر ﷺ قال: سمعته يقول: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ». قال: الحسن والحسين ﷺ. وقال أيضاً^(٢): حدّثنا الحسين بن أحمد المالكي، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن المثني الحنّاط، عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر ﷺ في قول الله ﷻ: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» قال: هي في القائم ﷺ وأصحابه.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾: يعني مكة.

﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: بغير موجب استحقّوا به؛

﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: على طريقة قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

وقيل^(٣): منقطع.

وفي روضة الكافي^(٤): ابن محبوب، عن أبي جعفر الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر ﷺ في قول الله تبارك وتعالى: «الَّذِينَ أُخْرِجُوا» الآية. قال: نزلت في رسول الله ﷺ وعليّ وحمزة وجعفر، وجرت في الحسين سلام الله عليهم أجمعين. وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٥): وقوله ﷻ: «الَّذِينَ أُخْرِجُوا» الآية. قال: الحسين [صلوات الله عليه، وعلى جدّه وأبيه، وأمّه وأخيه، وذريّته وبنيه]^(٦) حين طلبه يزيد

١. نفس المصدر، ح ١٥.

٣. أنوار التنزيل ٩٣/٢.

٥. تفسير القمي، ٨٤/٢.

٢. نفس المصدر، ح ١٦.

٤. الكافي ٣٣٧/٨، ٣٣٨، ح ٥٣٤.

٦. ليس في المصدر.

لعنه الله ليحمله إلى الشام، فهرب إلى الكوفة، وقُتِلَ بالطف.

وفي كتاب المناقب^(١) لابن شهر آشوب: محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام: «الذين أخرجوا من ديارهم» قال: نحن^(٢)، نزلت فينا.

وفي مجمع البيان^(٣): وقال أبو جعفر عليه السلام: نزلت في المهاجرين، وجرت في آل محمد «الذين أخرجوا من ديارهم [بغير حق]»^(٤) وأخيفوا.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى، عن محمد بن عبدالرحمان، عن المفضل^(٦)، عن جعفر بن الحسين الكوفي، عن محمد بن زيد مولى أبي جعفر، عن أبيه قال: سألت مولاي أبا جعفر عليه السلام فقلت: قوله ﷺ: «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلّا أن يقولوا ربّنا الله؟» قال: نزلت في عليّ وحزمة بن الجهم، ثم جرت في الحسين عليه السلام.

وقال أيضاً^(٧): حدّثنا محمد بن همام، عن محمد بن إسماعيل، عن عيسى بن داود النجّار، قال: حدّثنا مولانا موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام في قوله تعالى: «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ» قال: نزلت فينا خاصّة، في أمير المؤمنين وذريّته، وما ارتكّب من^(٨) أمر فاطمة عليها السلام.

وفي الكافي^(٩): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن يزيد^(١٠)، عن أبي عمرو الزيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الدعاء إلى الله تعالى والجهاد في سبيله؛ أهو لقوم لا يحلّ إلّا لهم، ولا يقوم به إلّا من كان منهم، أم هو مباح لكلّ من وحّد الله ﷻ وآمن برسول الله ﷺ ومن كان كذا، فله أن يدعو إلى

٢. ليس في المصدر.

٤. من ن.

٦. المصدر: الفضل.

٨. م و: في.

١٠. ع: يريد.

١. المناقب، ١٧٩/٤.

٣. المجمع، ٨٧/٤.

٥. تأويل الآيات الباهرة ١/٣٣٩، ح ١٧.

٧. نفس المصدر، ح ١٨.

٩. الكافي ١٣/٥-١٩، ح ١.

الله ﷻ وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيله؟ فقال: ذلك لقوم لا يحلّ إلا لهم، ولا يقوم بذلك إلا من كان منهم.

قلت: من أولئك؟ قال: من قام بشرائط الله تعالى في القتال والجهاد على المجاهدين، [فهو مأذون له في الدعاء إلى الله تعالى ومن لم يكن قائماً بشرائط الله في الجهاد على المجاهدين^(١)] فليس بمأذون له في الجهاد، ولا الدعاء إلى الله، حتّى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد.

قلت: فبيّن، لي رحمك الله. قال: إنّ الله تعالى أخبر [نبيّه]^(٢) في كتابه الدعاء إليه، ووصف الدعاء^(٣) إليه، فجعل ذلك لهم درجات يعرف بعضها بعضاً، ويستدلّ ببعضها على بعض، إلى أن قال ﷺ:

ثمّ أخبر تبارك وتعالى أنّه لم يؤمر بالقتال إلا أصحاب هذه الشروط. فقال ﷺ: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلا أن يقولوا ربّنا الله».

وذلك أنّ جميع ما بين السماء والأرض لله ﷻ ولرسوله ولأتباعهما^(٤) من المؤمنين من أهل هذه الصفة. فما كان من الدنيا في أيدي المشركين والكفار والظلمة والفجار، من أهل الخلاف لرسول الله ﷺ والمولّي عن طاعتها، ممّا كان في أيديهم ظلموا فيه المؤمنين من أهل هذه الصفات وغلبوهم عليه ما أفاء الله على رسوله. فهو حقّهم أفاء الله عليهم، وردّه إليهم.

وانّما معنى الفيء كلّما صار إلى المشركين، ثمّ رجع ممّا كان قد غلب عليه أو هو فيه. فما يرجع إلى مكانه - من قول أو فعل - فقد فاء؛ مثل قول الله ﷻ «فإنّ فاءوا فإنّ الله غفور رحيم» أي رجعوا. ثمّ قال: «وإنّ عزموا الطلاق فإنّ الله سميع عليم». وقال^(٥)

١. لا يوجد في أ.

٢. من المصدر مع المعقوفتين.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: الدعاء.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: لأتباعهم.

٥. الحجرات/ ٩.

٥. البقرة/ ٢٢٦.

«وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله»؛ أي ترجع. «فإن فاءت» أي رجعت، «فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحبّ المقسطين». يعني بقوله: «تفيء» ترجع. فذلك الدليل على أن الفيء كل راجع إلى مكان قد كان عليه أو فيه. ويقال للشمس [إذا زالت:]^(١) قد فاءت الشمس، حين يفيء الفيء عند رجوع الشمس إلى زوالها. وكذلك ما أفاء الله على المؤمنين من الكفار، فإنما هي حقوق المؤمنين رجعت إليهم، بعد ظلم الكفار إياهم. فذلك قوله: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» ما كان المؤمنون أحقّ به منهم.

وإنما أذن للمؤمنين الذين قاموا بشرائط الإيمان التي وصفناها. وذلك أنه لا يكون مأذوناً له في القتال، حتى يكون مظلوماً. ولا يكون مظلوماً^(٢) حتى يكون مؤمناً. ولا يكون مؤمناً، حتى يكون قائماً بشرائط الإيمان التي اشترط الله تعالى على المؤمنين والمجاهدين^(٣). فإذا تكاملت فيه شرائط الله تعالى كان مؤمناً. [وإذا كان مؤمناً]^(٤) كان مظلوماً. وإذا كان مظلوماً، كان مأذوناً له في الجهاد؛ لقوله ﷻ: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير». وإن لم يكن مستكماً لشرائط الإيمان، فهو ظالم ممن يبغى^(٥)، ويجب جهاده حتى يتوب. وليس مثله مأذوناً له في الجهاد والدعاء إلى الله ﷻ، لأنه ليس من المؤمنين المظلومين الذين أذن لهم في القرآن في القتال.

فلما نزلت هذه الآية: «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» في المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكة من ديارهم وأموالهم، أحلّ لهم جهادهم بظلمهم إياهم، وأذن لهم في القتال.

فقلت: فهذه نزلت في المهاجرين بظلم مشركي أهل مكة لهم، فما بالهم في قتالهم

١. ليس في ن.

٢. ليس في م.

٣. ن: المهاجرين.

٤. ليس في م.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ينبغي.

كسرى وقيصر ومن دونهم من مشركي قبائل العرب؟

فقال: لو كان [إنما] ^(١) أذن لهم في قتال من ظلمهم من أهل مكة فقط، لم يكن لهم إلى قتال جموع كسرى وقيصر وغير أهل مكة من قبائل العرب سبيل؛ لأن الذين ظلموهم غيرهم، وإنما أذن لهم في قتال من ظلمهم من أهل مكة لإخراجهم إياهم من ديارهم وأموالهم بغير حق. ولو كانت الآية إنما عنت المهاجرين الذين ظلمهم أهل مكة، كانت الآية مرتفعة الغرض عمّن بعدهم، إذ لم يبق من الظالمين والمظلومين أحد، وكان فرضها مرفوعاً عن الناس بعدهم، إذ لم يبق من الظالمين والمظلومين أحد.

وليس كما ظننت، ولا كما ذكرت؛ ولكن المهاجرين ظلموا من جهتين: ظلمهم أهل مكة بإخراجهم من ديارهم [وأموالهم] ^(٢) فقاتلوهم بإذن الله لهم في ذلك. وظلمهم كسرى وقيصر ومن كان دونهم من قبائل العرب والعجم، بما كان في أيديهم، مما كان المؤمنون أحقّ به منهم. فقد قاتلوهم بإذن الله تعالى لهم في ذلك.

وبحجة هذه الآية يقاتل مؤمنو كل زمان، وإنما أذن الله تعالى للمؤمنين الذين قاموا بما وصف الله تعالى من الشرائط التي شرطها على المؤمنين في الإيمان والجهاد. ومن كان قائماً بتلك الشرائط، فهو مؤمن، وهو مظلوم ومأذون له في الجهاد بذلك المعنى. ومن كان ^(٣) على خلاف ذلك، فهو ظالم وليس من المظلومين، وليس بمأذون له في القتال، ولا بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، لأنه ليس من أهل ذلك، ولا مأذون له في الدعاء إلى الله؛ لأنه ليس يجاهد مثله وأمر بدعائه إلى الله. ولا يكون مجاهداً من قد أمر المؤمنين ^(٤) بجهاده، وحضر الجهاد عليه ومنعه منه. ولا يكون داعياً إلى الله تعالى من أمر بدعاء ^(٥) مثله إلى التوبة والحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا يأمر

٢. ليس في م.

١. من المصدر.

٣. ليس في ع.

٤. المصدرون: المؤمنون. ولعل ما في المتن أصوب لقوله: «ومنعه منه» بعدها.

٥. ع: بدعائه.

بالمعروف من قد أمر أن يؤمر به . ولا ينهى عن المنكر من قد أمر أن ينهى عنه .
 فمن كانت قد تمت فيه شرائط الله تعالى التي وصف بها أهلها من أصحاب
 النبي ﷺ وهو مظلوم، فهو مأذون له في الجهاد، كما أذن لهم في الجهاد . لأن حكم الله
 تعالى في الأولين والآخرين وفرائضه عليهم سواء إلا من علة، أو حادث يكون .
 والأولون والآخرون أيضاً في منع الحوادث شركاء، والفرائض عليهم واحدة . يُسأل
 الآخرون عن أداء الفرائض عما يُسأل عنه الأولون، ويُحاسبون عما به يُحاسبون .
 ومن لم يكن على صفة من أذن الله له في الجهاد من المؤمنين، فليس من أهل
 الجهاد، وليس بمأذون له فيه حتى يفيء بما شرط الله تعالى عليه . فإذا تكاملت فيه
 شرائط الله تعالى على المؤمنين والمجاهدين^(١)، فهو من المأذون^(٢) لهم في الجهاد .
 فليتنق الله تعالى عبد^(٣) ولا يغتر بالأمانتي التي نهى الله تعالى عنها من هذه الأحاديث
 الكاذبة على الله التي يكذبها القرآن، ويتبرأ منها ومن حملتها^(٤) ورواتها، ولا يقدم على
 الله تعالى بشبهة لا يعدّز بها . فإنه ليس وراء المتعريض^(٥) للقتل في سبيل الله منزلة يؤتى
 الله من قبلها، وهي غاية الأعمال في عظم قدرها .
 فليحكم امرؤ لنفسه، وليرها كتاب الله تعالى ويعرضها عليه، فإنه لا أحد أعرف
 بالمرء من نفسه . فإن وجدها قائمة بما شرط الله عليه في الجهاد، فليقدم على الجهاد .
 وإن علم تقصيراً، فليصلحها وليقمها^(٦) على ما فرض الله عليها من الجهاد . ثم ليقدم بها
 وهي طاهرة [مطهرة]^(٧) من كل دنس يحول بينها وبين جهادها .
 ولسنا نقول لمن أراد الجهاد، وهو على خلاف ما وصفناه من شرائط الله ﷻ على
 المؤمنين والمجاهدين: لا تجاهدوا . ولكن نقول: قد علمناكم ما شرط الله تعالى على

٢ . م والمصدر: المأذونين .

١ . ن: المهاجرين .

٣ . كذا في المصدر . وفي النسخ: عنده .

٤ . كذا في المصدر . وفي النسخ: حملتها .

٥ . كذا في المصدر . وفي النسخ: المعترض .

٦ . في غير م: ليقرها .

٧ . لا يوجد في ع، س، أ.

أهل الجهاد الذين بايعهم، واشترى منهم أنفسهم^(١) وأموالهم بالجنان. فليصلح امرؤ ما علم من نفسه من تقصير عن ذلك، وليعرضها على شرائط الله. فإن رأى أنه قد وفى بها، وتكاملت فيه، فإنه ممن أذن الله تعالى له في الجهاد. وإن أبى إلا أن يكون^(٢) مجاهداً - على ما فيه من الإصرار على المعاصي والمحارم والإقدام على الجهاد بالتخيط والعمى، والقدوم على الله ﷻ بالجهل والروايات الكاذبة - فلقد لعمرى^(٣) جاء الأثر فيمن فعل هذا الفعل^(٤): أن الله تعالى ينصر هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم.

فليتنق الله تعالى امرؤ، وليحذر أن يكون منهم. فقد بين لكم، ولا عذر لكم بعد البيان في الجهل. ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله، عليه توكلنا، وإليه المصير.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾: بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): قال محمد بن العباس ﷺ: حدثنا محمد^(٦) بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن حجر بن زائدة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: «لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض» الآية؟ فقال: كان قوم صالحون هم مهاجرون قوم سوء خوفاً أن يفسدوهم. فیدفع الله أيديهم عن الصالحين، ولم يأجر أولئك بما يدفع^(٧) بهم، وفينا مثلهم.

﴿لَهْدَمْتُ﴾: لخرّبت باستيلاء المشركين على أهل الملل.

وقرى^(٨): «لهدمت» بالتخفيف.

﴿صَوَامِعُ﴾: صوامع الرهبانية.

﴿وَبَيْعٌ﴾: وبيع النصارى.

٢. المصدر: فإن أبى أن لا يكون.

٤. ليس في م.

٦. المصدر: حميد.

٨. أنوار التنزيل، ٩٣/٢.

١. ليس في م.

٣. ليس في م.

٥. تأويل الآيات الباهرة ٣٤٠/١، ح ١٩.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ينفع.

﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: قيل^(١): وكنايس اليهود سُميت بها، لأنها يُصلّى فيها.

وقيل^(٢): أصلها «صلوتا» بالعبريّة، فعُرب.

وفي مجمع البيان^(٣): وقرأ جعفر بن محمّد عليه السلام: «وصلوات» بضم الصاد [واللام]^(٤).

﴿وَمَسَاجِدُ﴾: ومساجد المسلمين.

﴿يَذْكُرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾: صفة للأربع، أول «مساجد» خصّت بها تفضيلاً.

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾: من ينصر دينه.

قيل^(٥): وقد أنجز وعده بأن سلّط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم، وأورثهم أرضهم وديارهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: على نصرهم.

﴿عَزِيزٌ﴾^(٦): لا يمانعه شيء.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٧) قال محمّد بن العباس عليه السلام: حدّثنا محمّد بن همام، عن محمّد بن إسماعيل، عن عيسى بن داود، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام في قوله ﷻ: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض» الآية، قال: هم الأئمّة، وهم الأعلام. ولولا صبرهم وانتظارهم الأمر أن يأتيهم من الله تعالى لقتلوا جميعاً. قال الله ﷻ: «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقويّ عزيز».

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: قيل^(٨): وصف للذين أخرجوا، وهو ثناء قبل بلاء.

﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٩): فإن مرجعها إلى حكمه. وفيه تأكيد لما وعده.

١ و٢. أنوار التنزيل، ٩٣/٢.

٣. المجمع، ٨٥/٤.

٤. أنوار التنزيل، ٩٣/٢ - ٩٤.

٥. من المصدر.

٦. أنوار التنزيل، ٩٤/٢.

٧. تأويل الآيات الباهرة ٣٤٠/١، ح ٢٠.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): ثم ذكر عبادة الأئمة صلوات الله عليهم وسيرتهم، فقال: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ».

وفي رواية أبي الجارود^(٢) عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ»: فهذه لآل محمد إلى آخر الأئمة^(٣) والمهدي وأصحابه. يملّكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين. ويميت الله به وبأصحابه^(٤) البدع^(٥) والباطل، كما أمات الشقاة^(٦) الحق. حتى لا يرى أثر الظلم. [ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر]^(٧).

وفي كتاب المناقب^(٨) لابن شهر آشوب: موسى بن جعفر والحسين بن علي عليه السلام في قوله تعالى: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ [وَآتَوُا الزَّكَاةَ]»^(٩). قال: هذه فينا أهل البيت.

وفي مجمع البيان^(١٠): «وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ» قال أبو جعفر عليه السلام: نحن هم [والله]^(١١).

وفي شرح الآيات الباهرة^(١٢): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ^(١٣)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَصِينٍ^(١٤) بْنِ مَخَارِقَ، عَنِ الْإِمَامِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبَانَةَ^(١٥) عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ». قال: نحن هم.

١. تفسير القمي، ٨٥/٢.

٣. المصدر: الآية.

٥. ليس في المصدر.

٧. ليس في المصدر.

٩. من ن.

١١. من المصدر.

١٣. م: الحسين.

٢. نفس المصدر، ٨٧/٢.

٤. المصدر: أصحابه.

٦. ن: السفه. والمصدر: السفه.

٨. المناقب، ٤٧/٤.

١٠. المجمع، ٨٨/٤.

١٢. تأويل الآيات الباهرة ٣٤٢/١، ح ٢٢.

١٤. النسخ: حسين.

وقال أيضاً^(١): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ^(٢) بْنِ الْحَسَنِ عَنْ الْحُسَيْنِ^(٣)، عَنْ حَصِينِ بْنِ مَخَارِقٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ^(٤)، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ أَبِيهَا، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «الَّذِينَ إِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ». قال: هذه نزلت فينا أهل البيت.

وقال أيضاً^(٥): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْعُلُوِّيِّ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنْ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَوَقَفَ أَمَامَهُ وَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، أُعِيتَ عَلَيَّ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ سَأَلْتُ عَنْهَا جَابِرَ بْنَ يَزِيدَ، فَأَرْشَدَنِي إِلَيْكَ. فقال: وما هي؟ قال: قوله ﷻ: «الَّذِينَ إِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَهَوْا عَنِ الْأُمُورِ».

فقال: إي نعم، فينا نزلت. وذلك لأنَّ فُلَانًا وَفُلَانًا وَطَائِفَةً مَعَهُمْ - وَسَمَاهُمْ - اجْتَمَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَى مَنْ يَصِيرُ هَذَا الْأَمْرُ بَعْدَكَ؟ فَوَاللَّهِ، لَنْ صَارَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، إِنَّا لَنَخَافُهُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا. وَلَوْ صَارَ إِلَى غَيْرِهِمْ، لَعَلَّ غَيْرَهُمْ أَقْرَبُ وَأَرْحَمُ^(٦) بِنَا مِنْهُمْ!

فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً. ثم قال: أما والله لو آمنتم بالله وبرسوله، ما أبغضتموهم؛ لأنَّ بغضهم بغضي، وبغضي هو الكفر بالله. ثم نعيتم إلى نفسي. فوالله، لئن مكَّتهم الله في الأرض ليقيموا الصلاة^(٧) لوقتتها، وليؤتوا^(٨) الزكاة لمحلها، وليأمرن^(٩) بالمعروف، ولينهنن عن المنكر. إنَّما يرغب الله أنوف رجال يبغضوني، ويبغضون أهل بيتي وذريتي.

-
١. نفس المصدر، ح ٢٣.
 ٢. م: مُحَمَّدٌ.
 ٣. المصدر: [عن أبيه].
 ٤. المصدر: عن أبي عبد الله بن الحسين.
 ٥. نفس المصدر ٣٤٢-٣٤٣، ح ٢٤.
 ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: أهم.
 ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليقيمون الصلوات.
 ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليؤتون.
 ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليأمرن.

فأنزل الله ﷻ: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ». فلم يقبل القوم ذلك، فأنزل الله سبحانه: «إِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ».

وقال أيضاً^(١): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٢) بْنُ حَمِيدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ». قال: هذه [الآية] ^(٣) لآلِ مُحَمَّدٍ، الْمَهْدِيِّ وَأَصْحَابِهِ. يَمْلِكُهُمُ اللَّهُ مُشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَيُظْهِرُ الدِّينَ. وَيُمِيتُ اللَّهُ ﷻ بِهِ وَأَصْحَابَهُ الْبِدْعَ وَالْبَاطِلَ، كَمَا أَمَاتِ السَّفَهَاءَ الْحَقَّ، حَتَّى لَا يُرَى أَثَرُ مِنَ الظُّلْمِ. وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ «وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ».

﴿وَأَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ ^(١١) ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ^(١٢) ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾: تسليية له ﷺ بأن قومه إن كذبوه، فهو ليس بأوحدٍ في التكذيب؛ فإن هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه.

﴿وَكَذَّبَ مُوسَى﴾ ^(١٤): غيّر فيه النظم، وبنى الفعل للمفعول، لأن قومه بنو^(٥) إسرائيل ولم يكذبوه، وإنما كذب القبط. ولأن تكذيبه كان أشنع، وآياته كانت أعظم وأشيع.

﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾: فأمهلتهم حتى انصرفت آجالهم المقدرة.

﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ^(١٦): إنكاري عليهم. بتغيير النعمة محنة، والحياة هلاكاً، والعمارة خراباً.

١. نفس المصدر ٣٤٣-٣٤٤، ح ٢٥.

٣. من المصدر.

٤. ليس في ن.

٥. كذا في أنوار التنزيل ٩٤/٢. وفي النسخ: بني.

﴿فَكَأَيُّ مَنِ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾: بإهلاك أهلها.

وقرأ^(١) البصريان: «أهلكتها» بغير لفظ التعظيم^(٢).

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: أي أهلها.

﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: ساقطة حيطانها على سقوفها، بأن تعطل بنيانها،

فخرت سقوفها، ثم تهدمت حيطانها، فسقطت فوقها. أو: خالية مع بقاء عروشها وسلامتها. فيكون الجار متعلقاً بـ«خاوية».

ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر. أي هي خالية، وهي على عروشها. أي مظلمة عليها بأن سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها.

والجملة معطوفة على «أهلكتها» لا على «وهي ظالمة» فإنها حال والإهلاك ليس حال خواتها. فلا محل لها إن نصبت «كأين» بمقدّر يفسره «أهلكتها». وإن رفعته بالابتداء، فمحلها الرفع.

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: عطف على «قرية». أي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها، لهلاك أهلها.

وقرئ^(٣) بالتخفيف. من: أعطله، بمعنى عطله^(٤).

﴿وَقَصْرِ مَسِيدٍ﴾^(٥): مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه.

وذلك يقوي أن معنى «خاوية على عروشها» خالية مع بقاء عروشها.

وقيل^(٦): المراد بـ«بئر» بئر على سفح جبل [بحضر موت]^(٧) وبـ«قصر» قصر

مشرف على قلته، كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح. فلما قتلوه، أهلكتهم الله وعطلها.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: وقرأ البصري بغير لفظ التعظيم.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عطل.

٥. من المصدر.

٦. نفس المصدر والموضع.

وفي مجمع البيان^(١): وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام في قوله: «وبئر معطلة» أي وكم من عالم لا يُرجع إليه ولا يُنتفع بعلمه.

وفي كتاب كمال الدين وتعام النعمة^(٢) بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عليه السلام: «وبئر معطلة وقصر مشيد» قال: البئر المعطلة الإمام الصامت. والقصر المشيد الإمام الناطق.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٣) بإسناده إلى إبراهيم بن زياد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عليه السلام: «وبئر معطلة وقصر مشيد». قال: البئر المعطلة الإمام الصامت. والقصر المشيد الإمام الناطق.

حدثنا أبي عليه السلام^(٤) قال: حدثنا أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن علي بن السندي، عن محمد بن عمرو، عن بعض أصحابنا، عن نصر بن قابوس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عليه السلام: «وبئر معطلة وقصر مشيد». قال: البئر المعطلة الإمام الصامت. والقصر المشيد الإمام الناطق.

وبإسناده إلى عبد الله بن القاسم البطل، عن صالح [بن سهل]^(٥) أنه قال: أمير المؤمنين عليه السلام هو القصر المشيد. والبئر المعطلة فاطمة وولدها^(٦) معطلين من الملك.

وفي أصول الكافي^(٧): محمد بن الحسن وعلي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن موسى بن القاسم البجلي، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام في قوله تعالى: «وبئر معطلة وقصر مشيد». قال: البئر المعطلة الإمام الصامت. والقصر المشيد الإمام الناطق.

٢. كمال الدين ٤١٧، ح ١٠.

٤. نفس المصدر، ح ٢.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: ولداها.

١. المجمع، ٨٩/٤.

٣. المعاني ١١١، ح ١.

٥. ليس في م.

٧. الكافي ٤٢٧/١، ح ٧٥.

ورواه محمد بن يحيى^(١)، عن العمركي، عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن عليه السلام مثله.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): روى أبو عبدالله الحسين بن جبير عليه السلام في كتاب نخب المناقب حديثاً يرفعه إلى الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «وبئر معطلة وقصر مشيد» أنه قال: قال رسول الله ﷺ: القصر المشيد والبئر المعطلة علي عليه السلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وأما قوله ﷺ: «وبئر معطلة وقصر مشيد» قال: هو مثل لآل محمد صلوات الله عليهم. قوله: «بئر معطلة» هي التي^(٤) لا يستقي منها. وهو الإمام الذي قد غاب، فلا يقتبس منه العلم إلى وقت ظهوره. والقصر المشيد» هو المرتفع. وهو مثل لأمر المؤمنين عليه السلام والأئمة منهم^(٥) صلوات الله عليهم وفضائلهم [المنتشرة في العالمين]^(٦) المشرقة^(٧) على الدنيا. وهو قوله^(٨): «ليظهره على الدين كله». وقال الشاعر في ذلك:

بئر معطلة وقصر مشرف مثل لآل محمد مستطرف^(٩)

فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى والبئر علمهم الذي لا ينزف^(١٠)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين، فيعتبروا. وهم، وإن كانوا قد سافروا، لم يسافروا لذلك.

وفي كتاب الخصال^(١١): وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله^(١٢) تعالى: «أولم يسيروا في الأرض». قال: معناه: أولم ينظروا في القرآن.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. تفسير القمي، ٨٥/٢.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: هو الذي.

٦. ليس في المصدر.

٧. المصدر: المشرقة.

٨. التوبة ٣٣، والفتح ٢٨، والصف ٩.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: متطرف.

١١. لم نثر عليه في كتاب الخصال، ولكن رواه الحويزي في نور الثقلين ٥٠٧/٣، ح ١٧١.

١٢. الروم ٩، وآيات أخر. وفي الآية المفسرة هنا وغيرها أيضاً من الآية: «أفلم...».

﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: ما يجب أن يعقل من التوحيد، بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال.

﴿أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: ما يجب أن يُسمع من الوحي والتذكير بحال من شهد آثارهم.

﴿فَإِنَّهَا﴾: الضمير للقصة. أو مبهم يفسره «الأبصار». وفي «تعمى» راجع إليه، والظاهر أقيم مقامه.

﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١): عن الاعتبار. أي ليس الخلل في مشاعرهم، وإنما أيفت^(١) عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد. وذكر «الصدور» للتأكيد ونفي التجوز، وفضل التنبيه على أنَّ العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر.

قيل^(٢): لما نزلت (٣): «ومن كان في هذه أعمى» قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله، أنا في الدنيا أعمى، أفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلت.

وفي أصول الكافي^(٤): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن ذكره، عن محمد بن عبدالرحمان بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: تاه من جهل. واهتدى من أبصر وعقل. إن الله ﷻ يقول: «فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور». وكيف يهتدي من لم يبصر؟! وكيف يبصر من لم يتدبر؟! اتبعوا رسول الله ﷺ وأهل بيته. وأقروا بما نزل من عند الله. واتبعوا آثار الهدى؛ فإنهم علامات الأمانة والتقوى. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الخصال^(٥) عن علي بن الحسين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه: [ألا^(٦) إنَّ للعبد أربع أعين: عينا يبصر بهما أمر دينه ودنياه. وعينا يبصر بهما أمر آخرته.

١. أيف الزرع ونحوه: أصابته آفة.

٢. الإسراء، ٧٢.

٣. الكافي ١/١٨٢، ح ٦.

٤. الخصال ٢٤٠، ح ٩٠.

٥. أنوار التنزيل، ٩٥/٢.

٦. الكافي ١/١٨٢، ح ٦.

٧. من المصدر.

فإذا أراد الله بعد خيراً، فتح له العينين اللتين في قلبه. فأبصر بهما الغيب و^(١) أمر آخرته. وإذا أراد به غير ذلك، ترك القلب بما فيه.

وفي كتاب التوحيد^(٢) عن الزهري، عن علي بن الحسين عليه السلام مثل ما في الخصال سواء. وزاد في آخره: ثم التفت إلى السائل عن القدر، فقال: هذا منه [هذا منه]^(٣). وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤) خطبة له عليه السلام وفيها: وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى. وشرّ العمى عمى القلب.

وفي روضة الكافي^(٥): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شَمُون، عن عبدالله بن عبدالرحمان، عن عبدالله بن القاسم، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إنّما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس، وعينان في القلب. ألا وإنّ^(٦) الخلائق كلّهم كذلك؛ إلّا أنّ الله تعالى فتح أبصاركم، وأعمى أبصارهم.

حميد بن زياد^(٧)، عن الحسن بن محمد الكندي، عن أحمد بن عديس، عن أبان بن عثمان، عن أبي الصباح، عن أبي عبدالله عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: وأعمى العمى عمى القلب. والحديثان طويلان، أخذت منهما موضع الحاجة.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٨): وقال أبو جعفر عليه السلام: إنّما الأعمى أعمى^(٩) القلب. «فإنّه لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور».

وفي مصباح الشريعة^(١٠): قال الصادق عليه السلام: ولا يصحّ الاعتبار إلّا لأهل الصفا

١. المصدر: في . ٢. التوحيد ٣٦٦-٣٦٧، ح ٤.

٣. لا يوجد في ع .

٤. تفسير القمّي ج ٢٩١/١، ورواه الحويزي في نور الثقلين ٥٠٨/٣، ح ١٧٥.

٥. الكافي ٢١٤/٨-٢١٥، ح ٢٦٠. ٦. ليس في المصدر.

٧. الكافي ٨١/٨، ح ٣٩. ٨. الفقيه ٢٤٨/١، ح ١١١٠.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: عمى. ١٠. مصباح الشريعة، ٢٠١.

والبصيرة. قال الله ^(١) تعالى: «فاعتبروا يا أولي الأبصار». وقال عز من قائل: «فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» ^(٢) فمن فتح الله عين قلبه، وبصر عينيه ^(٣) بالاعتبار فقد أعطاه منزلة رفيعة وملكاً عظيماً.

وفي عوالي اللثالي ^(٤): وقال عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً، فتح عيني قلبه، فيشاهد بها ما كان غائباً عنه.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: المتروعد به.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٥): وقوله عليه السلام: «ويستعجلونك بالعذاب». وذلك أن رسول الله عليه السلام أخبرهم أن العذاب قد أتاهم، فقالوا ^(٦): فأين العذاب؟! فاستعجلوه.

﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: لا تمتناع الخلف في خبره. فيصيبهم ما أوعدهم به، ولو بعد حين. لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة.

﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ^(٧): قرأ ^(٨) ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء.

بيان لنهاي صبره وتأنيه، حتى استقصر المدة الطوال ^(٩). أو لتمادي عذابه وطول أيامه حقيقة. أو من حيث إن أيام الشدائد مستطالة ^(١٠).

وفي كتاب معاني الأخبار ^(١١): أبي عليه السلام قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن يعقوب بن يزيد ^(١٢)، عن جعفر بن محمد بن عقبة، عن زرارة ^(١٣)، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول

١. الحشر، ٢.

٢. لا يوجد في النسخ. وإنما أضفناها من نورالثقلين ٥٠٨/٣. والظاهر أن المصنف عليه السلام أسقط هذه العبارات

عند نقل الروایتين من التفسير المذكور. ٣. من ن. وفي غيرها: عنه.

٤. العوالي ١١٦٤، ح ١٨٣. ٥. تفسير القمي، ٨٨/٢.

٦. المصدر: قالوا. ٧. أنوار التنزيل، ٩٥/٢.

٨. ليس في أ. ٩. ن: متطولة.

١٠. المعاني ٢٢٠-٢٢١، ح ١. ١١. م: زيد.

١٢. المصدر: عمن رواه.

الله ﷻ^(١): «لابئين فيها أحقاباً» قال: الأحقاب ثمانية أحقاب. والحُقْب (٢) ثمانون سنة. والسنة ثلاثمائة وستون يوماً. واليوم كألف سنة مما تعدّون.

وفي إرشاد المفيد رحمه الله^(٣) عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، وفيه قال عليه السلام: «إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة، فهدم فيها أربعة^(٤) مساجد، ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شرف إلّا هدمها^(٥)، وجعلها جماء^(٦). ووسّع الطريق الأعظم، وكسر كلّ جناح خارج في الطريق، وأبطل الكنف^(٧) والميازيب^(٨) إلى الطرقات ولا يترك^(٩) بدعة إلّا أزالها، ولا سنة إلّا أقامها. ويفتح قسطنطينية والصين^(١٠) وجبال الديلم. فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار^(١١) كلّ سنة عشر سنين من سنّكم^(١٢) هذه. ثمّ يفعل الله ما يشاء.

قال: قلت: جعلت فداك، فكيف تطوّل السنون؟^(١٣) قال: يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلة الحركة، فتطول الأيام لذلك والسنون.

قال [قلت]^(١٤) له: إنهم يقولون: «إنّ الفلك إن تغير فسد»؟ قال: ذلك قول الزنادقة. فأما المسلمون، فلا سبيل لهم إلى ذلك. وقد شقّ الله القمر لنبيّه ﷺ وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون. وأخبر بطول يوم^(١٥) القيامة، وأنّه «كألف سنة مما تعدّون».

وفي روضة الكافي^(١٦): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عليّ بن أسباط، عنهم عليه السلام قال: فيما وعظ الله به عيسى صلى الله عليه وآله عليه: «واعبدني ليوم «كألف سنة مما تعدّون».

-
- | | |
|--------------------------------------|--------------------------------------|
| ١. النبأ / ٢٣. | ٢. المصدر: الحَقْبَة. |
| ٣. الإرشاد، ٣٤٤. | ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: أربع. |
| ٥. كذا. والصحيح: هدمه. | ٦. أي ملساء. أي جعل الأرض ملساء. |
| ٧. في غير: الكنيف. | ٨. المصدر: المآزيب. |
| ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا ترك. | ١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: العير. |
| ١١. ليس في المصدر. وفي ن: يقدر. | ١٢. المصدر: سنينكم. |
| ١٣. المصدر: يطوّل السنين. | ١٤. من المصدر. |
| ١٥. ليس في م. | ١٦. الكافي ٨/١٣٤، ح ١٠٣. |

وفيه أجزي بالحسنة^(١) أضعافها.

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمه الله ^(٢) بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام أنه قال في كلام طويل: فإن في القيامة خمسين موقفاً، كل موقف مثل ألف سنة مما تعدون. ثم تلا هذه الآية^(٣): «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ﴾: وكم من أهل قرية. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب، ورجع الضمائر والأحكام الآتية^(٤) مبالغة في التعميم والتهويل. قيل^(٥): وإنما عطف الأولى بالفاء، وهذه بالواو؛ لأن الأولى بدل من قوله: «فكيف كان كبير» وهو في حكم ما تقدّمها من الجملتين، لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة، وأن تأخيرها لعادته تعالى.

﴿أَمَلَيْتُ لَهَا﴾: كما أمهلتكم.

﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: مثلكم.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: بالعذاب.

﴿وَالْيَ الْمَصِيرُ﴾^(٦): وإلى حكمي مرجع الجميع.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٧): أوضح لكم ما أنذركم به.

والاقتصار على الإنذار، مع عموم الخطاب وذكر الفريقين؛ لأن صدر الكلام

[ومساقه]^(٨) للمشركين. وإنما ذكر المؤمنين^(٩) وثوابهم زيادة في غيظهم.

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: لما بدر منهم.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١٠): هي الجنة. والكريم من كل نوع: ما يجمع فضائله.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾: بالرد والإبطال.

١. ليس في أ.

٢. الأمالي، ٣٤/١.

٣. المعارج / ٤.

٤. ليس في أنوار التنزيل، ٩٥٠/٢.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. ليس في أ.

٧. كذا في المصدر والموضع. وفي النسخ: المؤمنون.

﴿مُعَاجِزِينَ﴾: مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق. من: عاجزه فأعجزه وعجزه: إذا سبقه فسبقه. لأنّ كلّاً من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحاق به.

وقرأ^(١) ابن كثير وأبو عمرو: «معجزين» على أنّه حال مقدّرة.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٢): النار الموقدة.

وقيل^(٣): اسم دركة.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمّد بن العباس عليه السلام: حدّثنا محمّد بن همام، عن محمّد بن إسماعيل العلويّ، عن عيسى بن داود، عن الإمام موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام في قول الله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» قال: أولئك آل محمّد صلوات الله عليهم. «والَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا»^(٥) قطع مودّة آل محمّد «معاجزين أولئك أصحاب الجحيم». قال^(٦): الأربعة نفر، يعني التيميّ، والعدويّ، والأمويّين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾: قيل^(٧): الرسول من بعثه الله بشريعة مجدّدة يدعو الناس إليها. والنبيّ يعمّه ومن بعثه لتقرير شرع سابق؛ كأنبيا بني إسرائيل الّذين كانوا بين موسى وعيسى عليه السلام. ولذلك شبه النبيّ صلى الله عليه وآله علماء أمّته بهم. والنبيّ أعمّ من الرسول^(٨). ويدلّ عليه أنّه صلى الله عليه وآله سئل عن الأنبياء، فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. قيل: فكم الرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً.

وقيل^(٩): الرسول من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه. والنبيّ غير الرسول، من لا كتاب له.

٢. أنوار التنزيل، ٩٥/٢.

١. أنوار التنزيل، ٩٥/٢.

٤. لا يوجد في المصدر، وفي غير من النسخ أيضاً.

٣. تأويل الآيات الباهرة ٣٤٥/١، ح ٢٩.

٦. أنوار التنزيل، ٩٥/٢.

٥. المصدر: هم.

٨. نفس المصدر، ٩٥-٩٦.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الرسل.

وقيل ^(١): الرسول من يأتيه الملك بالوحي. والنبى يقال له ولمن يوحى إليه في المنام.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٢): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنِيُّ، عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ زِيَادِ الْحَنَاطِ ^(٣)، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ سَوْقَةَ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ عَيْنَةَ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: يَا حَكَمُ، هَلْ تَدْرِي مَا كَانَتْ الْآيَةُ الَّتِي كَانَ يَعْرِفُ بِهَا عَلِيُّ عليه السلام صَاحِبَ قَتْلِهِ، وَيَعْرِفُ بِهَا الْأُمُورَ الْعَظَامَ الَّتِي كَانَ يَحْدُثُ بِهَا النَّاسُ؟

قال: قلت: لا والله، فأخبرني بها يا ابن رسول الله. قال: هي قول الله تعالى: «وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ».

قلت: فكان علي عليه السلام محدثاً؟ قال: نعم. وكلُّ إمامٍ من أهل البيت محدثٌ. وقال أيضاً ^(٤): حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْخَطَّابِ ^(٥)، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْبَصْرِيِّ ^(٦)، قَالَ: قَالَ لِي الْحَكَمُ بْنُ عَيْنَةَ: إِنَّ مَوْلَايَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ لِي: إِنَّمَا عَلِمَ عَلِيُّ عليه السلام كُلَّهُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ.

قال: فخرج حمران ^(٧) بن أعين ليسأله. فوجد علياً عليه السلام [قد قبض]. فقال لأبي جعفر عليه السلام: إِنَّ الْحَكَمَ حَدَّثَنَا عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ عَلِمَ عَلِيُّ عليه السلام كُلَّهُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ! فقال أبو جعفر عليه السلام: [٨] وما تدري ما هي؟ قلت: لا. قال: هي قوله تعالى: «وما

١. نفس المصدر، ٩٦.

٢. تأويل الآيات الباهرة ١/٣٤٥-٣٤٦، ح ٣٠.

٣. ليس في م. ٤. نفس المصدر ٣٤٦، ح ٣١.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن محمد بن الحسين، عن أبيه الخطَّاب.

٦. المصدر: النضري. وفي جامع الرواة ١/١٧٥: النضري.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: عمران. ٨. لا يوجد في أ.

أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث». ثم أبان شأن الرسول [والنبي] ^(١) والمحدث صلوات الله عليهم.

وقال ^(٢): حدّثنا الحسين بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن القاسم بن عروة، عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث؟ فقال: الرسول الذي تأتيه الملائكة، ويعاينهم وتبلغه الرسالة من الله. والنبي يرى في المنام؛ فما رأى فهو كما رأى. والمحدث الذي يسمع كلام الملائكة وحديثهم، ولا يرى شيئاً، بل يُنقَر في أذنه ويُنكت في قلبه.

وفي أصول الكافي ^(٣): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أبي يحيى الواسطي، عن هشام بن سالم، ودرست بن أبي منصور، عنه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبّيٌ ^(٤) في نفسه لا يعدو غيرها. ونبي يرى في النوم، ويسمع الصوت، ولا يعاينه في اليقظة، ولم يُبعث إلى أحد وعليه إمام؛ مثل ما كان إبراهيم على لوط عليه السلام. ونبي يرى في منامه، ويسمع الصوت، ويعاين الملك، وقد أرسل إلى طائفة، قتلوا أو كثروا كيونس؛ قال الله ^(٥) ليونس: «وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون». قال: يزيدون ثلاثين ألفاً، وعليه إمام. والذي يرى في منامه ^(٦)، ويسمع الصوت، ويعاين في اليقظة، وهو إمام؛ مثل أولي العزم.

وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله: «إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي» فقال الله: «لا ينال عهدي الظالمين». من عبد صنماً أو وثناً، لا يكون إماماً. عده من أصحابنا ^(٧)، [عن أحمد بن محمد] ^(٨) عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن

١. من المصدر.

٢. نفس المصدر ٣٤٦-٣٤٧، ح ٣٢.

٣. الكافي ١٧٤/١-١٧٥، ح ١.

٤. المصدر: متبأً.

٥. الصافات، ١٤٧.

٦. المصدر: نومه. وفي س بعدها: المنام.

٧. نفس المصدر ١٧٦، ح ١.

٨. ليس في أ.

ثعلبة بن ميمون، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله (١) ﴿وَمَا كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ما الرسول؟ وما النبي؟ فقال: النبي الذي يرى في منامه، ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك. [والرسول الذي يسمع الصوت، ويرى في المنام، ويعاين الملك. قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت، ولا يرى، ولا يعاين الملك] (٢). ثم تلا هذه الآية: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث».

علي بن إبراهيم (٣)، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار قال: كتب الحسن بن العباس المعروف إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ قال: فكتب [أو قال] (٤): الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول الذي ينزل عليه جبرئيل عليه السلام فيراه، ويسمع كلامه، وينزل عليه الوحي. وربما رأى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام. والنبي ربما رأى الشخص، ولم يسمع. والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث؟ قال: الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً، فيراه ويكلمه. فهذا الرسول. وأما النبي، فهو الذي يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان رأى رسول الله ﷺ من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبرئيل [من عند الله بالرسالة].

وكان محمد ﷺ حين جُمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله، يجيئه بها جبرئيل عليه السلام (٥) ويكلمه بها قبلاً. ومن الأنبياء من جُمع له النبوة، ويرى في منامه، ويأتيه الروح، ويكلمه ويحدثه من غير أن يكون يرى في اليقظة. وأما المحدث، فهو الذي يحدث، فيسمع ولا يعاين، ولا يرى في منامه.

٢. ليس في ن.

١. مريم / ٥٤.

٤. ليس في م.

٣. نفس المصدر، ح ٢.

٥. ليس في ن.

أحمد بن محمد^(١) ومحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن حسان، عن ابن فضال، عن علي بن يعقوب الهاشمي، عن مروان بن مسلم، عن بريد^(٢)، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ محدث.

قلت: جعلت فداك، ليست هذه قراءة. فما الرسول والنبي والمحدث؟ قال: الرسول الذي يظهر له الملك، فيكلمه. والنبي، هو الذي يرى في منامه. وربما اجتمعت النبوة والرسالة لواحد. والمحدث الذي يسمع^(٣) الصوت، ولا يرى الصورة. قال: قلت: أصلحك الله؛ كيف يعلم أن الذي رأى في النوم حق، وأنه من الملك؟ قال: يوفق لذلك حتى يعرفه. لقد ختم الله بكتابكم الكتب، وختم بنبيتكم الأنبياء.

محمد بن الحسن^(٤)، عن ذكره، عن محمد بن خالد، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً. وإن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً. وإن الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً. وإن الله اتخذ خليلاً قبل أن يتخذه إماماً^(٥).

علي بن محمد^(٦)، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسين، عن إسحاق بن عبدالعزيز أبي السفاج، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله اتخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتخذه نبياً. واتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً. واتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً. واتخذ خليلاً قبل أن يتخذه إماماً. وهذان الحديثان طويلان، أخذت منهما موضع الحاجة.

محمد^(٧)، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن زياد بن

١. نفس المصدر ١٧٧، ح ٤.

٢. ن: يزيد.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: سمع.

٤. نفس المصدر ١٧٥، ح ٢.

٥. المصدر: يجعله.

٦. نفس المصدر، ح ٤.

٧. نفس المصدر ٢٧٠، ح ٢.

سوقه، عن الحكم بن عيينة^(١) قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام يوماً، فقال: يا حكم، هل تدري الآية التي كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعرف قاتله بها، ويعرف بها الأمور العظام التي كان يحدث بها الناس؟

قال الحكم: فقلت في نفسي: قد وقعت على علم من علم علي بن الحسين أعلم بذلك تلك الأمور العظام. قال: فقلت: لا والله، لا أعلم. قال: ثم قلت^(٢): الآية تخبرني بها يا ابن رسول الله؟ قال: هو والله قول الله عزّ ذكره: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث». وكان علي بن أبي طالب عليه السلام محدثاً.

فقال له رجل يقال له عبدالله بن زيد - كان أخا عليّ لأُمّه -: سبحان الله! محدثاً؟! كأنّه ينكر ذلك، فأقبل عليه^(٣) أبو جعفر فقال: أما والله إنّ ابن أمك بعد قد كان يعرف ذلك. قال: فلمّا قال له ذلك، سكت الرجل. فقال هي التي هلك فيها أبو الخطاب، فلم يدر ما تأويل المحدث والنبي.

محمّد بن يحيى^(٤)، عن أحمد بن محمّد، عن علي بن الحكم، عن عبدالرحمان بن كثير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم. وما من نبيّ مضى إلّا وله وصي. وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبيّ وعشرين ألف نبيّ. منهم خمسة أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلوات الله عليهم.

وإنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان هبة الله لمحمّد عليه السلام وورث علم الأوصياء، وعلم من كان قبله. أما إنّ محمّداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين. على قائمة العرش مكتوب: حمزة أسد الله، وأسد رسوله، وسيد الشهداء. وفي ذؤابة^(٥) العرش: علي أمير المؤمنين.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: عتبة.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: «قلت ثم» بدل «ثم قلت».

٣. المصدر: علينا. ٤. نفس المصدر ٢٢٤، ح ٢.

٥. كذا في المصدر. وفي ن: رواية. وفي غيرها: زاوية.

فهذه حجّتنا على من أنكر حقّنا وجدد ميراثنا. وما منعنا من الكلام وأماننا اليقين.
فأيّ حجة تكون أبلغ من هذا؟!

عدّة من أصحابنا^(١)، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن يحيى الخثعمي، عن هشام، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: سادة النّبيّين والمرسلين خمسة، وهم أولوا العزم من الرسل، وعليهم دارت الرّحى: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء.

وفي تهذيب الأحكام^(٢) بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحبّ أن يضافه مائة ألف نبيّ وعشرون ألف نبيّ، فليزر قبر الحسين بن عليّ عليه السلام في النصف من شعبان. فإنّ أرواح النّبيّين تستأذن الله في زيارة قبره فيؤدّن لهم.

وفي كتاب الخصال^(٣) عن عتبة^(٤) بن عمير الليثي، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس في المسجد^(٥) وحده. فاغتنمت خلوته، إلى أن قال: قلت: يا رسول الله، كم النّبيّون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ.

قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً^(٦).

قلت: من كان أوّل الأنبياء؟ قال: آدم.

قلت: من الأنبياء مرسلان؟ قال: نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه.

ثمّ قال عليه السلام: يا أبا ذر، أربعة من الأنبياء سريانّيون: آدم، وشيث وأخنوخ، وهو إدريس، وهو أوّل من خطّ بالقلم، ونوح عليه السلام. وأربعة من الأنبياء من العرب: هود، وصالح، وشعيب وأنا^(٧). وأوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى. وآخرهم عيسى وسّمائة نبيّ.

١. نفس المصدر ١٧٥، ح ٣.

٢. التهذيب ٤٨٦، ح ١٠٩.

٣. الخصال ٥٢٣-٥٢٤، ح ١٣.

٤. المصدر: عبيد.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: وهو في المسجد جالس.

٦. المصدر: جمّاً غفيراً.

٧. ليس في ع. وفي المصدر: ونبيّك محمّد.

وبإسناده^(١) إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: خلق الله ﷻ مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألف وصي. فعلي أكرمهم وأفضلهم.

وبإسناده آخر^(٢) إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله نحوه. وفي عيون الأخبار^(٣)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي، وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة، حديث طويل، وفيه: وسأله عن ستة من الأنبياء لهم اسمان. فقال: يوشع [بن نون وهو ذوالكفل]^(٤)؛ ويعقوب وهو إسرائيل^(٥)؛ والخضر وهو خليفا^(٦)؛ ويونس وهو ذوالنون؛ وعيسى وهو المسيح؛ ومحمد صلى الله عليه وآله وهو أحمد. صلوات الله عليهم.

وسأله [عن خمسة من الأنبياء تكلموا بالعربية. فقال: هود، وشعيب، وصالح، وإسماعيل، ومحمد صلوات الله عليهم]^(٧).

وسأله عن خلق الله تعالى من الأنبياء مختوناً. فقال: خلق الله آدم مختوناً. وولد شيث مختوناً. وإدريس، ونوح، وسام بن نوح، وإبراهيم، وداود، وسليمان، ولوط، وإسماعيل، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي بصائر الدرجات^(٨): [علي بن إسماعيل عن محمد بن عمرو، عن يونس بن يعقوب، [عن عبد الأعلى]^(٩) عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من نبي^(١٠) ولا رسول^(١١) أرسل إلا بوليتنا وبفضلنا على من^(١٢) سوانا]^(١٣).

علي بن إسماعيل^(١٤)، عن صفوان بن يحيى، عن الحارث بن المغيرة، عن حمران

-
- | | |
|-----------------------------|-------------------------------------|
| ١. نفس المصدر ٦٤١، ح ١٨. | ٢. نفس المصدر، ح ١٩. |
| ٣. العيون ١٨٩/١ - ١٩٢، ح ١. | ٤. ليس في م. |
| ٥. المصدر: إسرائيل الله. | ٦. م: خليفاً. والمصدر: خليفاً. |
| ٧. ليس في ن. | ٨. البصار ٩٤، ح ٢. |
| ٩. من المصدر. | ١٠. المصدر: نبي نبى. |
| ١١. المصدر: ولا من رسول. | ١٢. المصدر: بفضلنا عن. |
| ١٣. لا يوجد في ع، س، أ. | ١٤. نفس المصدر ٣٤٣ - ٣٤٤، ح ١٠، ١١. |

قال: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ عَيِّنَةَ^(١)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ عِلْمَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَكُتِمْنَا الْآيَةَ. قَالَ: فَكُنَّا نَجْتَمِعُ فَنَتَدَارَسُ الْقُرْآنَ، فَلَا نَعْرِفُ الْآيَةَ.

قال: فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَكَمَ بْنَ عَيِّنَةَ حَدَّثَنَا^(٢) عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ عِلْمَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَكُتِمْنَا الْآيَةَ. قَالَ: اقْرَأْ يَا حِمْرَانُ، فَقَرَأْتُ: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ».

قال: فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ وَلَا مُحَدَّثٍ». قَالَ: [قُلْتُ: وَكَانَ عَلِيٌّ مُحَدَّثًا؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَجِئْتُ إِلَى أَصْحَابِنَا فَقُلْتُ: قَدْ أَصَبْتُ الَّذِي كَانَ الْحَكَمُ يَكْتُمُنَا. قَالَ: قُلْتُ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣) «كَانَ عَلِيٌّ مُحَدَّثًا^(٤)». فَقَالُوا لِي: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا! أَلَا سَأَلْتَهُ مَنْ يَحُدِّثُهُ؟!^(٥)

قال: [فَبَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ: أَلَيْسَ حَدَّثَنِي أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مُحَدَّثًا؟ قَالَ: بَلَى^(٦)] قُلْتُ: مَنْ يَحُدِّثُهُ؟ قَالَ: مَلِكٌ يَحُدِّثُهُ.

قلت: أَقُولُ إِنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ رَسُولٌ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ قُل^(٧): مِثْلُهُ مِثْلُ صَاحِبِ سُلَيْمَانَ، وَمِثْلُ صَاحِبِ مُوسَى. وَ[مِثْلُهُ^(٨)] مِثْلُ ذِي الْقَرْنَيْنِ^(٩).

الْعَبَّاسُ بْنُ مَعْرُوفٍ^(١٠)، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ بَرِيدِ الْعَجَلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ وَالْمُحَدَّثِ؟ قَالَ: الرَّسُولُ الَّذِي تَأْتِيهِ الْمَلَائِكَةُ

١. النسخ: عتيبة. ٢. ليس في ن.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: «كَانَ يَقُولُ عَلِيٌّ مُحَدَّثًا» بَدَلَ الْعِبَارَةِ الْأَخِيرَةِ.

٥. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ وَفِي النسخ: قَالُوا: مَا صَنَعَ شَيْئًا أَلَا كَانَ تَسْأَلُهُ مَنْ يَحُدِّثُهُ.

٦. من المصدر. ٧. المصدر: «قَالَ: بَلَى» بَدَلَ «وَلَكِنْ قُلْ».

٨. من المصدر.

٩. هَكَذَا فِي نُورِ الثَّقَلَيْنِ ٥١٥/٣، ح ٢٠١. وَفِي النسخ: مِثْلُ صَاحِبِ ذِي الْقَرْنَيْنِ. وَفِي الْمَصْدَرِ: مِثْلُ صَاحِبِ

ذَوِي الْقَرْنَيْنِ. ١٠. نفس المصدر ٣٨٨، ح ١.

[ويعاينهم]^(١) وتبلغه عن الله تبارك وتعالى. والنبى الذي يرى في منامه، [فما رأى]^(٢) فهو كما رأى. والمحدث الذي يسمع كلام الملائكة، ويُنقَر في أذنه، ويُنكت في قلبه^(٣).

محمد بن الحسين^(٤)، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حماد بن عثمان، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن النبى والرسول والمحدث؟ قال: الرسول يأتيه جبرئيل فيكلمه [قبلاً]^(٥) فيراه كما يرى الرجل صاحبه الذي يكلمه، فهذا الرسول. والنبى الذي يؤتى في منامه؛ نحو رؤيا إبراهيم^(٦)، ونحو ما كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله من السبات^(٧) إذا^(٨) أتاه جبرئيل، هكذا النبى. ومنهم من يجمع له الرسالة والنبوة. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نبياً يأتيه جبرئيل قبلاً، فيكلمه ويره ويأتيه^(٩) في النوم. والنبى الذي يسمع كلام الملك حتى يعاينه فيحدثه. فأما^(١٠) المحدث هو الذي يسمع، ولا يعاين، ولا يؤتى في المنام^(١١).

﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ : إذا قَدَّر في نفسه ما يهواه.

﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ : في تشهيه ما ينافيه.

﴿فَنَسَخَ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ : فيبطله ويذهب به.

﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ : ثم يثبت آياته الدالة على حقيقة ما هواه النبى.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ : بأحوال الإنسان.

١. من المصدر.

٢. ليس في المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: أذنه.

٤. نفس المصدر ٣٩٣، ح ١٩.

٥. من المصدر.

٦. ليس في ن.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: البينات. والسبات: النوم. وقيل: خفته. وقيل: ابتداءه في الرأس حتى يبلغ القلب.

٨. المصدر: إذ.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيراه فيأتيه.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: «من غير معاينة فيحدث و» بدل «حتى يعاينه فيحدثه، فأما».

١١. م: ولا يعاين، ولا في المنام.

﴿حَكِيمٌ﴾ (٣): فيما يفعله لهم.

قيل (١): حَدَّثَ نفسه بزوال المسكنة، فنزلت.

وفي كتاب الاحتجاج (٢) للطبرسي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه: فيذكر جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وآله ما يحدثه عدوه في كتابه من بعده، بقوله: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته». يعني أنه ما من نبي تمنى مفارقة ما يعاينه من نفاق قومه وعقوقهم والانتقال عنهم إلى دار الأقامة (٣)، «إلا ألقى الشيطان» المعرض بعداوته عند (٤) فقده، في الكتاب الذي [أنزل] (٥) عليه ذمه والقدح فيه والطعن عليه «فينسخ الله» ذلك من قلوب المؤمنين، فلا تقبله، ولا تصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين. و«يحكم الله آياته» بأن يحمي أوليائه من الضلال والعدوان، ومشايعة (٦) أهل الكفر والطغيان الذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام؛ حتى (٧) قال (٨): «بل هم أضل سبيلاً».

وفي مجمع البيان (٩): روي عن ابن عباس وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله لما تلا سورة «النجم» (١٠) وبلغ إلى قوله (١١): «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» ألقى الشيطان في تلاوته: وتلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى. فسر بذلك المشركون. [فلما انتهى إلى السجدة، سجد المسلمون، وسجد أيضاً المشركون] (١٢) لما سمعوا من ذكر آلهتهم ما (١٣) أعجبهم.

وهذا الخبر - إن صح - محمول على أنه كان يتكرر (١٤). فلما بلغ إلى هذا الموضع

١. أنوار التنزيل، ٩٦/٢.

٣. ن: الكرامة.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن.

٦. ن: متابعة.

٥. من المصدر.

٨. الفرقان / ٤٤.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: حيث.

١٠. سورة الحج والنجم.

٩. المجمع، ٩٠/٤ - ٩١.

١٢. ليس في م.

١١. النجم / ١٩ و ٢٠.

١٤. المصدر: يتلو القرآن.

١٣. المصدر: بما.

وذكر أسماء آلهتهم - وقد علموا من عادته ﷺ أنه [كان] ^(١) يعيها - قال بعض الحاضرين من الكافرين: تلك الغرائق العلى. وألقى ذلك في تلاوته، فوهم ^(٢) أن ذلك من القرآن. فأضافه [الله] ^(٣) سبحانه إلى الشيطان، لأنه إنما حصل بإغوائه ووسوسته. وهذا، أورده المرتضى قدس الله روحه في كتاب التنزيه، وهو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية. وهو وجه حسن في تأويله.

وقيل ^(٤): إن المراد بالغرائق الملائكة. وقد جاء ذلك في بعض الحديث.

وقيل ^(٥): إنه كان ﷺ إذا تلا القرآن على قريش، توقف في فصول الآيات، وأتى بكلام على سبيل الحجاج لهم. فلما تلا الآيات قال: «تلك الغرائق العلى» على سبيل الإنكار عليهم، وعلى أن الأمر بخلاف ما قالوه وظنّوه. وليس يمتنع أن يكون هذا في الصلاة، لأن الكلام في الصلاة حينئذ كان مباحاً، وإنما نسخ من بعد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): «وأما قوله ﷺ: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي» إلى قوله: «والله عليم حكيم» فإن العامة رَوَوْا أن رسول الله ﷺ كان في الصلاة، فقرأ سورة النجم في المسجد الحرام، وقريش يسمعون لقراءته. فلما انتهى إلى هذه الآية: «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» أجرى إبليس على لسانه: فإنها الغرائق العلى ^(٧)، وإن شفاعتهن لثرتجى. ففرحت قريش، وسجدوا. وكان في القوم الوليد بن المغيرة المخزومي - وهو شيخ كبير - فأخذ كفاً من حصي، فسجد عليه وهو قاعد. فقالت قريش: قد أقر محمد بشفاعه اللات والعزى. قال: فنزل جبرئيل ﷺ فقال له: قد قرأت ما لم أنزل عليك! وأنزل عليه: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان».

٢. ن: متابعة.

١. من المصدر.

٤. نفس المصدر، ٩١.

٣. من المصدر.

٦. تفسير القمي، ٨٥/٢ - ٨٦.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. المصدر: الأولى.

وأما الخاصة فإنهم رَوَوْا عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّ رسول الله ﷺ أصابه خصاصة . فجاء إلى رجل من الأنصار ، فقال له : هل عندك من طعام ؟ قال : نعم يا رسول الله . وذبح له عناقاً وشواه . فلما أدناه منه ، تمنى رسول الله ﷺ أن يكون معه علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم . فجاء أبو بكر وعمر ^(١) ، ثم جاء علي بعدهما . فأنزل الله ﷻ في ذلك : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أميته » . يعني أبابكر وعمر ^(٢) . « فينسخ الله ما يلقي الشيطان » . يعني لما جاء علي صلى الله عليه بعدهما . « ثم يحكم الله آياته للناس » . يعني ينصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٣) : قال محمد بن العباس عليه السلام : حدثنا محمد بن الحسين ^(٤) بن علي قال : حدثني [أبي] ^(٥) عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال : خرج رسول الله ﷺ وقد أصابه جوع شديد ، فأتى رجلاً من الأنصار . فذبح له عناقاً ، وقطع له عذق بُسر ورطب . فتمنى رسول الله ﷺ علياً عليه السلام وقال : يدخل عليكم رجل من أهل الجنة . قال : فجاء أبو بكر . ثم [جاء] ^(٦) عمر . ثم [جاء] ^(٧) عثمان . ثم جاء علي عليه السلام . فنزلت هذه الآية إلى قوله ﷻ : « عذاب يوم عقيم » .

﴿ لَيَجْمَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ : علة لتمكّن الشيطان منه .

وذلك يدل على أَنَّ الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل .

﴿ فَنَفَثَ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ : شك ونفاق .

﴿ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ : المشركين .

١ . المصدر : فجاء منافقان .

٢ . المصدر : يعني فلاناً وفلاناً .

٣ . تأويل الآيات الباهرة ١/٣٤٧ ، ح ٣٣ .

٤ . المصدر : الحسن .

٥ . من المصدر .

٦ . من المصدر .

٧ . من المصدر .

﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ﴾: يعني الفريقين، فوضع الظاهر موضع ضميرهم، قضاء عليهم بالظلم.

﴿لَقَدْ لَقِيَ شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (٣٧): عن الحق، أو عن الرسول والمؤمنين.
﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أَنَّ القرآن هو الحق النازل من عند الله.

﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾: بالقرآن أو بالله.
﴿فَتَخَبَّتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾: بالانقياد والخشية.
﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: فيما أشكل.
﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٨): هو نظر صحيح يوصلهم إلى ما هو الحق فيه.
﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾: في شك.
﴿مِنْهُ﴾: من القرآن، أو الرسول، أو ممَّا لقي الشيطان في أمنيته.
﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، أو الموت، أو أشراطها.
﴿بَغْتَةً﴾: فجأة.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٩): يوم حرب يُقتلون فيه، كيوم بدر.
سُمِّيَ به، لأن أولاد النساء يُقتلون فيه، فيصرون كالعقيم. أو لأنَّ المقاتلين أبناء الحرب، فإذا قُتِلُوا، صارت عقيماً. فوصل اليوم بوصفها، اتساعاً. أو لأنَّه لا خير لهم فيه. ومنه: «الريح العقيم» لما لم تنشئ مطراً، ولم تلحق شجراً. أو: لأنَّه لا مثل له، لقتال الملائكة فيه. أو يوم القيامة، على أَنَّ المراد بالساعة غيره، أو على وضعه موضع ضميرها للتحويل.

﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾: التنوين فيه منوب عن الجملة التي دلت عليها^(١) الغاية. أي يوم نزول مريتهم.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بالمجازاة.

والضمير يعمّ المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله:

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿٣٨﴾: وإدخال الفاء في خبر الثاني دون الأول، تنبيه

على أن إثابة المؤمنين بالجَنّات تفضّل من الله تعالى وأن عقاب الكافرين مسبّب عن

أعمالهم. ولذلك قال: «لهم عذاب» ولم يقل: هم في عذاب.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا﴾: في الجهاد.

﴿أَوْ مَاتُوا لَبِزُوا فَزَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: الجنة ونعيمها.

وإنما سوى بين من قُتل في الجهاد ومن مات حتف أنفه في الوعد، لاستوائهما في

القصد وأصل العمل.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٣٩﴾: فإنه يرزق بغير حساب.

﴿لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِزْوَانِهِ﴾: هو الجنة، فيها ما يحبونه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بأحوالهم وأحوال معادهم.

﴿حَلِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾: لا يعاجل في العقوبة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١) قال: «ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة» يعني فلاناً

وفلاناً «للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم». يعني إلى الامام المستقيم. ثم قال:

«ولا يزال الذين كفروا في مرية منه» أي في شك من أمير المؤمنين صلوات الله عليه

«حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم». قال: العقيم الذي لا مثل له في

الأيام. ثم قال: «الملك يومئذ يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في

جَنّاتِ النَّعِيمِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا». قال: ولم يؤمنوا بولاية أمير المؤمنين عليه

والأنمة صلوات الله عليهم «فأولئك لهم عذاب مهين». ثم ذكر أمير المؤمنين

والمهاجرين من أصحاب النبي ﷺ فقال جلّ ذكره: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا لِيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا» إلى قوله تعالى: «لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ».

وفي جوامع الجامع^(١): «الملك يومئذ لله» إلى قوله: «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ». وروي أنهم قالوا: يا رسول الله، هؤلاء الَّذِينَ قَتَلُوا قَدْ عَلِمْنَا مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَنَحْنُ نَجَاهِدُ مَعَكَ كَمَا جَاهِدُوا، فَمَا لَنَا إِنْ مِتْنَا مَعَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ﷺ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا» إِلَى قَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ» قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ خَاصَّةً.

﴿ذَلِكَ﴾: الْأَمْرُ ذَلِكَ.

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾: وَلَمْ يَزِدْ فِي الْاِقْتِصَاصِ.

وَأَمَّا سُمِّيَ الْاِبْتِدَاءُ بِالْعِقَابِ الَّذِي هُوَ الْجَزَاءُ، لِلْاِزْدَوَاجِ، أَوْ لِأَنَّهُ سَبَبُهُ.

﴿ثُمَّ يُعْجِبُ عَلَيْهِ﴾: بِالْمَعَاوِدَةِ إِلَى الْعُقُوبَةِ.

﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾: لَا مُحَالَةَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾^(٣): لِلْمُنْتَصِرِ، حَيْثُ اتَّبَعَ هَوَاهُ فِي الْاِنْتِقَامِ، وَأَعْرَضَ عَمَّا

نَدَبَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ^(٣): «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

وفيه تعريض بالحثّ على العفو والمغفرة. فإنه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه، لَمَّا كَانَ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، فغیره بذلك أولى. وتنبیه على أنه تعالى قادر على العقوبة؛ إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده.

وفي مجمع البيان^(٤): «ومن عاقب بمثل ما عوقب به» الآية. روي أن الآية نزلت في

قوم من مشركي مكة لقوا قوماً من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم. فقالوا: إن أصحاب محمد لا يقاتلون في هذا الشهر. فحملوا عليهم. فناشدهم المسلمون ألا يقاتلوه في الشهر الحرام^(١) فأبوا. فأظفر الله المسلمين بهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): «وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عَاقَبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ» فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَخْرَجْتَهُ قَرِيشَ مِنْ مَكَّةَ، وَهَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى الْغَارِ، وَطَلَبُوهُ لِيَقْتُلُوهُ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ بَدْرٍ، وَقُتِلَ عَتَبَةُ وَشَيْبَةُ وَالْوَلِيدُ وَأَبُو جَهْلٍ وَحَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَغَيْرُهُمْ.

فلما قبض رسول الله ﷺ طلب يزيد بدمائهم. فقتل الحسين وآل محمد صلوات الله عليهم بغياً وعدواناً وظلماً^(٣). وهو قول يزيد حين تمثّل بهذا الشعر:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لاتشل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
قد قتلنا القوم^(٤) من ساداتهم وعدلناه^(٥) ببدر فاعتدل
وكذاك الشيخ أوصاني^(٦) به فاتّبع الشيخ فيما قد سأل

وقال يزيد لعنه الله:

يقول والرأس مطروح يقبّه يا ليت أشياخنا الماضين^(٧) بالحضر
حتى يقيسوا قياساً لو^(٨) يقاس به أيام بدر لكان الوزن بالقدر
فقال الله تبارك وتعالى: «ومن عاقب» يعني رسول الله ﷺ «بمثل ما عوقب به» يعني

٢. تفسير القمي، ٨٦٢-٨٧.

١. ليس في ع.

٣. ليس في المصدر.

٤. في رواية: «القرم». والقرم من الرجال: السيد المعظم.

٦. ن: وصاني.

٥. في رواية: «عدلناهم».

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الماضون. ٨. المصدر: لا.

حسيناً عليه السلام^(١) أرادوا أن يقتلوه «ثم بُغي عليه لينصرته»^(٢) الله. يعني بالقائم صلوات الله عليه من ولده.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣) بالإسناد المتقدم عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: سمعت أبي محمد بن علي صلوات الله عليه كثيراً ما يردّد هذه الآية: «من عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغي عليه لينصرته الله» فقلت: يا أبة، جعلت فداك؛ أحسب هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين خاصة. [قال: نعم]^(٤).

﴿ذَلِكَ﴾: أي ذلك النصر.

﴿بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: بسبب أن الله تعالى قادر على تغليب بعض الأمور على بعض، جارٍ عادته على المداولة بين الأشياء المتعاندة. ومن ذلك إيلاج أحد المتلوّين في الآخر، بأن يزيد فيه ما ينقص منه. أو بتحصيل ظلمة الليل مكان ضوء النهار، بتغيب الشمس، وعكس ذلك بإطلاعها.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: يسمع قول المعاقب والمعاقب.

﴿بَصِيرٌ﴾^(٥): يرى أفعالهما فلا يهملهما.

﴿ذَلِكَ﴾: الوصف بكمال القدرة والعلم.

﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده؛ فإنّ وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه، عالماً بذاته وبما عداه. أو: الثابت الإلهيّة، ولا يصلح لها إلّا من كان قادراً عالماً.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: إلهاً.

وقرأ^(٦) ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو بكر بالتاء، على مخاطبة المشركين.

وقرئ^(٧) بالبناء للمفعول، فيكون الواو لـ «ما» فإنّه في معنى الآلهة.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: حسين.

٢. المصدر: لينصره.

٣. تأويل الآيات الباهرة ٣٤٩/١، ح ٣٦.

٤. من المصدر، مع المعقوفتين.

٥ و٦. أنوار التنزيل، ٩٨/٢.

- ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾: المعدوم في حد ذاته أو باطل الإلهية.
- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾: علا الأشياء.
- ﴿الْكَبِيرُ﴾^(٣٢): عن أن يكون له شريك، لشيء أعلى منه شأنًا وأكبر سلطانًا.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: استفهام تقرير، ولذلك رُفِعَ.
- ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: عطفاً على «أنزل» إذ لو نُصِبَ جواباً، لدلّ على نفي الاخضرار. كما في قولك: ألم تر أنني جنتك فتكرمني. والمقصود إثباته.
- وإنما عدل به عن صيغة الماضي، للدلالة على بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جلّ ودقّ.
- ﴿خَبِيرٌ﴾^(٣٣): بالتدابير الظاهرة والباطنة.
- ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقاً ومُلكاً.
- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَهْوُ الْغَنِيِّ﴾: في ذاته عن كل شيء.
- ﴿الْحَمِيدُ﴾^(٣٤): المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾: جعلها مذلة لكم مُعدّة لمنافعكم.
- ﴿وَالْفُلْكَ﴾: عطف على «ما» أو على اسم «أن».
- وقرئ^(١) بالرفع على الابتداء.
- ﴿تَخْرِجِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾: حال منها أو خبر.
- ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾: من أن تقع، أو: كراهة أن تقع، بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمسك.
- ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: إلا بمشيئته. وذلك يوم القيامة.
- قيل^(٢): وفيه ردّ لاستمسكها بذاتها؛ فإنها مساوية لسائر الأجسام في الجسميّة، فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر والموضع.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١): حيث هتأ لهم أسباب الاستدلال، وفتح عليهم أبواب المنافع، ودفع عنهم أنواع المضار.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٢) بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه، عن النبي ﷺ حديث طويل يذكر فيه الاثني عشر صلوات الله عليهم بأسمائهم، وفي آخره يقول ﷺ: ومن أنكرهم، أو أنكر واحداً منهم، فقد أنكرني. بهم يمسك الله ﷻ السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبهم يحفظ الأرض أن تميد بأهلها.

قوله: «ومن أنكرهم، أو أنكر واحداً منهم، فقد أنكرني» يدل على كفر أهل السنة صريحاً؛ يعني كفرهم في الباطن، فلا ينافي إسلامهم في الظاهر، لأنه لا شك في كفر من أنكر الرسول ﷺ.

وبإسناده^(٣) إلى سليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين ﷺ حديث طويل، يقول فيه: بنا يمسك الله السماء^(٤) أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها.

وفي كتاب علل الشرائع^(٥): حدثنا أحمد بن محمد، عن أبيه، عن محمد بن أحمد، عن الهيثم النهدي^(٦)، عن بعض أصحابنا بإسناده رفعه قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقرأ: «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا»^(٧) يقولها عند الزلزلة. ويقول: «ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ».

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾: بعد أن كنتم جماداً عناصر ونطفاً.

﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾: إذا جاء أجلكم.

١. كمال الدين ٢٥٨-٢٥٩، ح ٣.

٢. نفس المصدر ٢٠٧، ح ٢٢.

٣. ليس في أ.

٤. العلل ٥٥٥، ح ٤.

٥. س، أ، م، ن: الهندية.

٦. فاطر / ٤١.

﴿ثُمَّ يُخَيِّكُم﴾: في الآخرة.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾^(١): ليجود للنعم مع ظهورها.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: أهل دين.

﴿جَعَلْنَا مَنَسْكَ﴾: متعبداً، أو شريعة تعبدوا بها.

وقيل^(٢): عيداً.

﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: ينسكونه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قوله ﷻ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسْكَ هُمْ نَاسِكُوهُ». أي مذهباً يذهبون به.

﴿فَلَا يَنَازِعَنَّكَ﴾: سائر أرباب الملل.

﴿فِي الْأَمْرِ﴾: أي في أمر الدين، أو النساك؛ لأنهم بين جهال وأهل عناد. أو: لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع.

وقيل^(٤): المراد نهى الرسول ﷺ عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم. فإنها إنما تنفع طالب الحق، وهؤلاء أهل مراء. أو عن منازعتهم؛ كقولك: لا يضاربنيك زيد. وهذا إنما يجوز في أفعال المغالبة للتلازم.

وفي جوامع الجامع^(٥): روي أن بديل بن ورقاء وغيره من كفار خزاعة قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولاتأكلون ما قتله الله؟! يعنون الميتة.

وقرئ^(٦): «فلا ينزعك» على تهيج الرسول والمبالغة في تشييته على دينه. على أنه من: نازعته فنزعته: إذا غلبته.

﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى توحيده وعبادته.

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٧): طريق إلى الحق سوي.

٢. تفسير القمي، ٨٧/٢.

٤. الجوامع، ٣٠٣.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: فلا ينازعك.

١. أنوار التنزيل، ٩٨/٢.

٣. أنوار التنزيل، ٩٨/٢-٩٩.

٥. أنوار التنزيل، ٩٩/٢.

﴿وَإِنْ جَادُلُوكَ﴾ : وقد ظهر الحق ولزمت الحجة .
 ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٥٨) : من المجادلة الباطلة وغيرها ، فيجازيكم عليها .
 وهو وعيد فيه رفق .
 ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ : يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب .
 ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ : كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات .
 ﴿فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١٥٩) : من أمر الدين .
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ : فلا يخفى عليه شيء .
 ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ : هو اللوح . كتبه فيه قبل حدوثه . فلا يهتك أمرهم ، مع علمنا به وحفظنا له .

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ : إن الإحاطة به وإثباته في اللوح ، أو الحكم بينكم .
 ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١٦٠) : لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء .
 وفي شرح الآيات الباهرة (١) : قال محمد بن العباس عليه السلام بالإسناد المتقدم ، عن عيسى بن داود قال : حدثنا الإمام موسى بن جعفر ، عن أبيه عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية : «لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ» جمعهم [رسول الله] ﷺ . ثم قال : يا معشر الأنصار والمهاجرين ، إن الله تعالى يقول : «لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ» . والمنسك (٢) هو الإمام لكل أمة بعد نبيها ، حتى يدركه نبي . ألا وإن لزوم الإمام وطاعته هو الدين ، وهو المنسك . وهو علي بن أبي طالب عليه السلام إمامكم بعدي . فإني أدعوكم إلى هداه ؛ فإنه على هدى مستقيم .

فقام القوم يتعجبون من ذلك ويقولون : والله إذا لُتِنازعَ (٤) في الأمر ، ولا نرضى طاعته أبداً ؛ [وإن] (٥) كان رسول الله ﷺ مخصَّصَ (٦) به . فأنزل الله ﻋَﻠَﻴْكَ : «وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ

١ . تأويل الآيات الباهرة ٣٤٩/١ ، ح ٣٧ .

٢ . من المصدر .

٣ . س ، م ، أ : النسك .

٤ . كذا في المصدر . وفي النسخ : لينازعن .

٥ . من المصدر .

٦ . المصدر : المفتون .

لعلني هدىً مستقيم» إلى قوله: «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ».

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: حجة تدل على جواز عبادته.

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: حصل لهم من ضرورة العقل واستدلالة^(١).

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم.

﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾^(٢): يقرر مذهبه، أو يدفع العذاب عنهم.

﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: من القرآن.

﴿يَتَّبِعُونَ﴾: واضحات الدلالة على العقائد الحقّة والأحكام الإلهية.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾: الإنكار، لفرط تكبرهم للحق، وغيظهم

لأباطيل أخذوها تقليداً. وهذا منتهى الجهالة. وللإشعار بذلك، وضع «الذين كفروا»

موضع الضمير. أو: ما يقصدونه من الشر.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: يشون، ويبطشون بهم.

﴿قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِنْ ذَلِكُمْ﴾: من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم أو ممّا

أصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم.

﴿النَّارُ﴾: أي هو النار.

كأنه جواب سائل قال: ما هو؟ ويجوز أن يكون مبتدأ خبره:

﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وقرئ^(٣) بالنصب، على الاختصاص. وبالجز، بدلاً من

«شر». فتكون الجملة استثنافاً كما إذا رفعت^(٤) خبراً أو حالاً منها.

﴿وَبَشِّرِ الْمَصِيرِ﴾^(٥): النار.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا محمد بن همام، عن

محمد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود^(٧) قال: حدّثنا الإمام موسى بن جعفر،

١. ن: الاستدلال.

٢. أنوار التنزيل، ٩٩/٢.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: وقعت.

٤. تأويل الآيات الباهرة ٣٥٠/١، ح ٣٨.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: زياد.

عن أبيه عليه السلام في قول الله تعالى: «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ» ^(١) إلى قوله: «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» قال: كان القوم إذا نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام آية في كتاب الله فيها فرض طاعته ^(٢) أو فضيلة فيه أو في أهله، سخطوا ذلك وكرهوا؛ حتى هموا به، وأرادوا به العظيم ^(٣)، وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وآله [أيضاً] ^(٤) ليلة العقبة، غيظاً وغضباً وحسداً. حتى نزلت هذه الآية.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾: بين لكم حال ^(٥) مستغربة، أو قصة رائعة. ولذلك سماها مثلاً. أو: لجعل الله مثل. أي مثل في استحقاق العبادة.

﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾: للمثل - أو: لشأنه - استماع تدبر وتفكر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يعني الأصنام.

وقرأ يعقوب ^(٦) بالياء. وجيء به مبنياً للمفعول. والراجع إلى الموصول محذوف على الأولين.

﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾: لا يقدرون على خلقه مع صغره. لأن «لن» بما فيها من تأكيد النفي، دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه.

والذباب من الذب، وجمعه: أذبةٌ وذَبَّانٌ.

﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾: [أي للخلق هو ^(٧)] بجوابه المقدر في موضع الحال. جيء به ^(٨) للمبالغة. أي لا يقدرون على خلقه، مجتمعين له متعاونين عليه. فكيف إذا كانوا منفردين؟!

﴿وَأَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾: جهلهم غاية التجهيل بأن أشركوا إلهاً

١. ليس في ع ون. ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: طاعة.

٣. ليس في ن. وفي غيرها: العظيم. والمتن موافق المصدر.

٤. من المصدر. ٥. من م.

٦. أنوار التنزيل، ٩٩/٢ - ١٠٠. ٧. لا يوجد في أنوار التنزيل المطبوع عام، ١٣١٦.

٨. من أنوار التنزيل، ١٠٠/٢. ٩. كذا في المصدر والموضع. وفي النسخ: بهما.

قدر على المقدّرات كلّها، وتفرد بإيجاد الموجودات بأسرها، تماثيل هي أعجز الأشياء. ويبيّن ذلك بأنّها لاتقدر على خلق أقلّ الأحياء وأذلّها، ولو اجتمعوا له. بل لاتقوى على مقاومة هذا الأقلّ الأذلّ، وتعجز عن ذبه عن نفسها، واستنقاذ ما يختطفه من عندها.

قيل: كانوا يطلبونها بالطيب والعسل، ويغلقون عليها الأبواب. فيدخل الذباب من الكوى فيأكله.

﴿ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (٣٧): عابد الصنم ومعبوده. أو: الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب، والصنم يطلب الذباب منه السلب. أو: الصنم والذباب. كأنّه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه، ولو حققت وجدت الصنم أضعف بدرجات (١).

وفي الكافي (٢): محمّد بن يحيى، عن بعض أصحابه، عن العباس بن عامر، عن أحمد بن رزق (٣) القسماني (٤)، عن عبدالرحمان بن الأشلّ بيّاع الأنماط، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كانت قريش تطلّخ الأصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر، وكان يغوث قبل الباب. و[كان] (٥) يعوق عن يمين الكعبة. وكان نسر عن يسارها. وكانوا إذا دخلوا، خرّوا سجداً ليغوث، ولا ينحنون. ثمّ يستديرون بحيالهم إلى يعوق. ثمّ يستديرون عن يسارها بحيالهم إلى نسر. ثمّ يلبّون فيقولون: لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك [لا شريك هو لك] (٦) تملكه وما ملك.

قال: فبعث الله ذباباً أخضر له أربعة أجنحة. فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئاً إلا أكله. وأنزل الله ﷻ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ لِّأُولَئِكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ» (٧) من

١. نفس المصدر والموضع.

٢. الكافي ٥٤٢/٤، ح ١١.

٣. كذا في المصدر وجامع الرواة ٥٠/١. وفي ن: ذرق. وفي غيرها: رزق.

٤. م: القساني. والمصدر: الغساني. وفي جامع الرواة: الغمساني.

٥. من المصدر.

٦. ليس في م.

٧. المصدر: يدعون.

دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه
ضعف الطالب والمطلوب».

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾: ما عرفوه حق معرفته، حيث أشركوا به، وسمّوا باسمه
ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ ﴾: على خلق الممكنات بأسرها.

﴿ عَزِيزٌ ﴾ (٧١): لا يغلبه شيء. وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن أفلها، مقهورة من
أذلها.

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾: يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾: يدعون سائرهم إلى الحق، ويبلغون إليهم ما نزل.

كأنه لما قرّر وحدانيته في الألوهية، ونفى أن يشاركه غيره في صفاتها، بيّن أن له
عباداً مصطفىين للرسالة، يُتوسّل بإجابتهم والاقتداء بهم إلى عبادة الله سبحانه وهو
أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عدها من الموجودات، تقريراً للنبوة وتزييفاً
لقولهم: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»^(١) والملائكة بنات الله، ونحو ذلك.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي عليه السلام عن علي عليه السلام حديث طويل، وفيه: فاصطفى
جلّ ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال فيهم: «الله
يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قوله ﷺ: «الله يصطفى من الملائكة رسلاً». أي
يختار. وهم^(٤) جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل^(٥). ومن الناس الأنبياء
والأوصياء. ومن^(٦) الأنبياء نوح عليه السلام وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه

٢. الاحتجاج، ٢٤٧.

٤. المصدر: هو.

٦. المصدر: فمن.

١. الزمر / ٣.

٣. تفسير القمي، ٨٧/٢.

٥. المصدر: ملك الموت.

وآله وعليهم. ومن هؤلاء الخمسة رسول الله ﷺ. ومن الأوصياء أمير المؤمنين والأنمة صلوات الله عليهم. وفيه تأويل غير هذا.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) : مدرك للأشياء كلها.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : عالم لواقعها ومرتقبا.

﴿وَالَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٧٦) : وإليه ترجع الأمور كلها. لأنه مالكها. «لا يسأل عما

يفعل»^(١) من الاصطفاء أو غيره، «وهم يسألون»^(٢) عما يفعلون ويقولون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ازْكُوا وَاَسْجُدُوا﴾ : في صلاتكم، لأنهم ما كانوا يفعلونها^(٣)

أول الإسلام. أو: صلوا. وعبر عن الصلاة بهما، لأنهما أعظم أركانها. أو: اخضعوا له، وخزوا له سجداً.

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ : بسائر ما تعبدكم به.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٤) : قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية عليه السلام : يا بُنَيَّ، لا تغل ما^(٥) لا تعلم. بل لا تغل كل ما تعلم. فإن الله تبارك وتعالى قد فرض على جوارحك كلها فرائض - إلى قوله : - ثم استعبد بها بطاعته، فقال ﷺ : «يا أيُّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون». فهذه فريضة جامعة واجبة على الجوارح.

وفي جوامع الجامع^(٦) عن عقبة بن عامر قال : قلت : يا رسول الله، في سورة الحج سجدتان ؟ قال : نعم. إن لم تسجدهما، فلا تقرأهما.

وفي أصول الكافي^(٧) : علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال : حدَّثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً يقول

١. الأنبياء، ٢٣. ٢. الأنبياء، ٢٣.

٣. كذا في أنوار التنزيل، ١٠٠/٢. وفي النسخ: يفعلونها.

٤. الفقيه ٣٨١/٢، ح ١٦٢٧. ٥. في غير: كلماً.

٦. الجوامع، ٣٠٤. ٧. الكافي ٣٦٢/٢ - ٣٧، ح ١.

فيه ﷺ بعد أن قال: إِنَّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم، وقَسَمه عليها، وفرَّقَه فيها، وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة، فقال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسجدوا واعبدوا ربَّكم وافعلوا الخير لعلَّكم تفلحون». وهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين. وقال في موضع آخر^(١): «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله فلا تدعوا مع الله أحداً».

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: تحرَّروا ما هو خير وأصلح فيما تأتون وتذرون؛ كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق.

وفي أصول الكافي^(٢): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه وعليّ بن محمّد^(٣) القاسانيّ، جميعاً عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول: جُعِلَ الخير كلّ في بيت، وجُعِلَ مفتاحه الزهد في الدنيا.

محمّد بن يحيى^(٤)، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: من همّ بشيء من الخير، فليعجله. فَإِنَّ كلّ شيء فيه تأخير، فَإِنَّ الشيطان فيه نظرة.

وفي عيون الأخبار^(٥) بإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: اصطنع^(٦) الخير إلى من هو أهله [والى من هو ليس من أهله]^(٧). فَإِنْ لم تصب من هو أهله، فأنت أهله.

وبإسناده^(٨) قال: قال رسول الله ﷺ: رأس العقل بعد الإيمان التودّد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كلّ برّ وفاجر.

١. الجنّ / ١٨. ٢. نفس المصدر ١٢٨/٢، ح ٢.

٣. كذا في المصدر وجامع الرواة ٦٠١/١. وفي النسخ: محمّد بن عليّ.

٤. نفس المصدر ١٤٣/٢، ح ٩. ٥. العيون ٣٤/٢، ح ٧٦.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: اصطنعوا. ٧. ليس في س وأ.

٨. نفس المصدر، ح ٧٧.

﴿لَمَلَكُمُ تَفْلِحُونَ﴾^(١): أي افعلوا هذه كلها، وأنتم راجون الفلاح، غير متيقنين^(٢) له، واثقين على أعمالكم.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾: الله ومن أجله، أعداء الله الظاهرة - كأهل الزيغ - والباطنة؛ كالهوى والنفس.

﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾: أي جهاداً فيه حقّاً خالصاً لوجهه. فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة، كقولك: هو حق علم. وأضيف الجهاد إلى الضمير اتساعاً، أو لأنه مختص بالله، من حيث إنّه مفعول لوجه الله ومن أجله.

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾: اختاركم لدينه ولنصرته. وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي إليه.

وفي قوله:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾: أي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم، إشارة إلى أنّه لا مانع لهم عنه، ولا عذر لهم في تركه. أو إلى الرخصة في إغفال بعض ما أمرهم به حيث شقّ عليهم؛ لقوله ﷺ: إذا أمرتكم بشيء، فائتوا منه ما استطعتم.

وقيل^(٣): ذلك بأن جعل لهم من كلّ ذنب مخرجاً، بأن رخص لهم في المضائق، وفتح عليهم باب التوبة، وشرع لهم الكفّارات في حقوقه، والأروش والديات في حقوق العباد.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾: منتصب على المصدر بفعل دلّ عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف. أي وسّع دينكم توسعة ملة أبيكم. أو على الإغراء. أو على الاختصاص.

وقيل^(٣): بإضمار فعل تقديره: وأتبعوا ملة أبيكم.

[وقيل ^(١): عليكم ملة أبيكم] ^(٢).

وقيل ^(٣): تقديره: وافعلوا الخير فعل أبيكم.

وإنما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله ﷺ وهو كالأب لأمته، من حيث إنه سبب لحياتهم الأبدية، ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة. أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته، فغلبوا على غيرهم.

﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾: قبل القرآن في الكتب المتقدمة ^(٤).

﴿وَفِي هَذَا﴾: وفي القرآن.

والضمير لله. ويدل عليه أنه قرئ ^(٥): «الله سَمَّاكُم». أو لإبراهيم، وتسميتهم «مسلمين» في القرآن - وإن لم تكن منه - كان بسبب تسميته من ^(٦) قبل في قوله ^(٧): «ومن ذريتنا أمة مسلمة لك».

وقيل ^(٨): «وفي هذا» تقديره: وفي هذا بيان تسميته إياكم مسلمين.

﴿لَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾: يوم القيامة.

﴿شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾: قيل ^(٩): بأنه بلغكم.

وقيل ^(١٠): بالطاعة والقبول.

﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: بتبليغ الرسل إليهم.

وفي أصول الكافي ^(١١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجلي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حقاً

٢. لا يوجد في م.

٤. أ: المقدمة.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: منه.

٨-١٠. نفس المصدر والموضع.

١. مجمع البيان، ٩٦/٤.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. أنوار التنزيل، ١٠١/٢.

٧. البقرة/١٢٨.

١١. الكافي ١٩١/١، ح ٤.

جهاده هو اجتباكم». قال: إيانا عنى، ونحن المجتبون. ولم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين من حرج. فالحرج أشد من الضيق. «ملة أبيكم إبراهيم». إيانا عنى خاصة. «هو^(١) سمّاكم المسلمين» الله ﷻ سمّانا المسلمين من قبل في الكتب التي مضت، وفي هذا القرآن «ليكون الرسول عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على الناس». فرسول الله ﷺ الشهيد علينا، بعد بلغنا عن الله تبارك وتعالى. ونحن الشهداء على الناس يوم القيامة. فمن صدّق يوم القيامة، صدّقناه. ومن كذّب، كذّبناه.

الحسين بن محمد^(٢)، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن عليّ الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن عمر بن أذينة، عن بريد العجليّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله ﷻ: «ملة أبيكم إبراهيم». قال: إيانا عنى خاصة. «هو سمّاكم المسلمين من قبل» في الكتب التي مضت «وفي هذا القرآن» ليكون الرسول عليكم شهيداً. فرسول الله ﷺ الشهيد علينا، بما بلغنا عن الله ﷻ. ونحن الشهداء على الناس. فمن صدّق، صدّقناه يوم القيامة. ومن كذّب، كذّبناه يوم القيامة.

وفي عيون الأخبار^(٣) بإسناده إلى ابن أبي عبدون، عن أبيه قال: لما حُمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون - وقد كان خرج بالبصرة، وأحرق دور ولد العباس - وهب المأمون جرمه لأخيه عليّ بن موسى الرضا. وقال له: يا أبا الحسن، لئن خرج^(٤) أخوك وفعل ما فعل، لقد خرج [قبله]^(٥) زيد بن عليّ، فقتل. ولولا مكانك مني، لقتلته. فليس ما أتاه بصغير.

فقال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين، لا تنفس أخيه زيداً إلى زيد بن عليّ! فإنّه كان من علماء آل محمد. غضب الله تعالى فجاهد أعداءه، حتّى قُتل في سبيله. ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام أنّه سمع أباه جعفر بن محمد عليه السلام يقول: رحم الله عمّي زيداً،

١. المصدر: و.

٢. نفس المصدر ١٩٠، ح ٢.

٣. العيون ١٩٤/١ - ١٩٥، ح ١.

٤. يوجد في أبعدها: بالبصرة وأحرق.

٥. أ: علماء إبراهيم.

٥. من المصدر.

إِنَّه دعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ. ولو ظفر، لوفى بما دعا إليه. ولقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عمي، إن رضيت أن تكون [المقتول] ^(١) المصلوب بالكناسة ^(٢)، فشأنك. فلما ولى، قال جعفر بن محمد ﷺ: ويل لمن سمع وأعيت، فلم يجبه.

فقال المأمون: يا أبا الحسن، أليس قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الرضا ﷺ: إن زيد بن علي عليه السلام لم يدع ما ليس له بحق. وإنه كان أتقى لله تعالى من ذلك. إنه قال: أدعوكم إلى ^(٣) الرضا من آل محمد. وإنما جاء ما جاء فيمن يدعي أن الله تعالى نص عليه؛ ثم يدعو إلى غير دين الله، ويضل عن سبيله بغير علم. وكان زيد - والله - ممن خوطب بهذه الآية: «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم».

وفي كتاب الخصال ^(٤) عن أمير المؤمنين عليه السلام: الحج جهاد كل ضعيف. جهاد المرأة حسن التبعل. لا يخرج المؤمن ^(٥) في الجهاد وهو مع من لا يؤمن على الحكم ولا ينفذ في الشيء أمر الله تعالى. فإن ^(٦) مات في ذلك، كان معينا لعدونا في حبس حقوقنا، والإشاطة ^(٧) بدمائنا وميتته ^(٨) ميتة ^(٩) جاهلية.

عن الأصمعي بن نباتة ^(١٠) عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه: والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنان الفاسقين. فمن أمر بالمعروف، شد ظهر المؤمن. ومن نهى عن المنكر، أرغم ^(١١) أنف الشيطان ^(١٢). ومن صدق في المواطن، قضى الذي عليه. ومن شنأ الفاسقين وغضب لله تعالى، غضب الله له.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: بكناسة.

٤. الخصال ٦٢٠ و ٦٢٥. من حديث أربعمائة، ح ١٠.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: من.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: ميتة.

١٠. نفس المصدر ٢٣١ - ٢٣٢، ح ٧٤.

١٢. المصدر: المناق.

١. من المصدر.

٣. ليس في المصدر.

٥. المصدر: المسلم.

٧. في غير: الإشاطة.

٩. ليس في: والمصدر.

١١. س، م، أ: رغم.

عن فضيل بن عياض^(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الجهاد؛ أسنة هو أم فريضة؟ فقال: الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، وجهاد سنة لا يقيم إلا مع فرض، وجهاد سنة.

فأما أحد الفرضين، فمجاهدة الرجل نفسه عن معاصي الله؛ وهو من أعظم الجهاد. ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض.

وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقيم إلا مع فرض، فإن مجاهدة العدو فرض على جميع الأمة^(٢). ولو تركوا الجهاد، لأتاهم العذاب. وهذا هو من عذاب الأمة. وهو سنة على الإمام أن يأتي العدو مع الأمة فيجاهدهم. وأما الجهاد الذي هو سنة، فكل سنة أقامها الرجل، وجاهد في إقامتها وبلوغها وأحيائها، فالعمل والسعي فيها من أفضل الاعمال؛ لأنه إحياء سنة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: من سنَّ حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها^(٣) من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وفي محاسن البرقي^(٤): عنه، عن ابن محبوب، عن علي بن حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون» وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج» في الصلاة والزكاة والصوم [والخير]^(٥). إذا تولوا الله ورسوله وأولي الأمر من أهل البيت، قبل الله أعمالهم.

وفي جوامع الجامع^(٦): وفي الحديث: إن أمتي أمة مرحومة.

وفي الاستبصار^(٧) بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الجنب يجعل الركوة أو التور، فيدخل إصبعه فيه. قال: إن كانت يده قدرة، فأهرقه. وإن كانت

١. نفس المصدر ٢٤٠، ح ٨٩.

٢. من ع.

٣. من المصدر.

٤. المحاسن ١٦٦-١٦٧، ح ١٢٤.

٥. ليس في ع.

٦. الجوامع، ٣٠٤.

٧. الاستبصار ٢٠/١، ح ٥٦.

لم يصبها قدر، فليغتسل منه. هذا ممّا قال الله تعالى: «ما جعل عليكم في الدين من حرج».

وبإسناده إلى أبي بصير^(١) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نساغر، فربّما بلينا بالغدير من المطر يكون إلى جانب القرية، فيكون فيه العذرة، ويبول فيه الصبي، ويبول فيه الدواب^(٢) وتروث. فقال: إن عرض في قلبك منه شيء، فافعل^(٣) هكذا - يعني افرج الماء بيدك - ثم توضأ. فإن الدين ليس بمضيق، فإن الله تعالى يقول: «ما جعل عليكم في الدين من حرج».

وفي تهذيب الأحكام^(٤): أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علي بن الحسن بن رباط، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عثرت، فانقطع ظفري، فجعلت على إصبعي مرارة. كيف أصنع بالوضوء؟ قال: يُعرف هذا وأشباهه من كتاب الله تعالى. قال الله: «ما جعل عليكم في الدين من حرج». امسح عليه.

وفي الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن ابن مسكان، قال: حدّثني محمد بن ميسر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل الجنب يستهي إلى الماء القليل في الطريق، ويريد أن يغتسل منه، وليس معه إناء يغرف. ويده قذرتان. قال: يضع يده، ثم^(٦) يتوضأ، ثم يغتسل. هذا ممّا قال الله تعالى: «ما جعل عليكم في الدين من حرج».

عدّة من أصحابنا^(٧)، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علي بن الحسن بن رباط، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: عثرت، فانقطع ظفري، ونقل كما نقلت عن التهذيب سواء.

١. نفس المصدر ٢٢، ح ٥٥.

٢. المصدر: الدابة.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فقل.

٤. التهذيب ٣٦٣/١، ح ١٠٩٧.

٥. الكافي ٤/٣، ح ٢.

٦. المصدر: و.

٧. نفس المصدر ٣٣/٣، ح ٤.

وفي قرب الإسناد^(١) للحميري بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ممّا أعطى الله أمّتي، وفَضَّلهم به على سائر الأمم، أعطاهم ثلاث خصال لم يُعطها إلّا نبيّ. وذلك أنّ الله تبارك وتعالى [كان إذا بعث نبياً^(٢)] قال له: اجتهد في دينك، ولا حرج عليك. وإنّ الله تبارك وتعالى^(٣) أعطى أمّتي ذلك، حيث يقول: «وما جعل عليكم في الدين من حرج». يقول: من ضيق. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة. وفي أصول الكافي^(٤): عليّ بن محمّد، عن بعض أصحابنا، عن ابن محبوب، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام أنّه قال: ليس على ملّة إبراهيم غيرنا. وسائر الناس منها براء. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي قرب الإسناد^(٥) للحميري بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ممّا أعطى الله أمّتي، وفَضَّلهم به على سائر الأمم، أعطاهم ثلاث خصال لم يُعطها إلّا نبيّ. وذلك أنّ الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبياً، جعله شهيداً على قومه، وأنّ الله تبارك وتعالى جعل أمّتي شهيداً^(٦) على الخلق؛ حيث يقول: «ليكون الرسول عليكم شهيداً [وتكونوا شهداء على الناس]». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة. وفي كتاب المناقب^(٧) لابن شهر آشوب: وفي خبر أنّ قوله تعالى: «هو سمّاكم المسلمين من قبل» فدعوة إبراهيم وإسماعيل لآل محمّد صلوات الله عليهم. فإنّه لمن لزم الحرم من قریش حتّى جاء النبي صلى الله عليه وآله ثمّ اتّبعه وآمن به. وأمّا قوله تعالى: «ليكون الرسول عليكم شهيداً»^(٨) [النبيّ يكون على آل محمّد شهيداً، ويكونون^(٩) شهداء على الناس].

١. قرب الإسناد، ٤١.

٢. توجد في س هاهنا هذه الزيادة: جعله شهيداً على قومه. وإنّ الله تبارك وتعالى جعل أمّتي.

٣. ليس في م. ٤. الكافي ٤٣٥/١، ح ٩١.

٥. قرب الإسناد، ٤١. ٦. ليس في م.

٧. المناقب، ١٢٩/٤. ٨. لا يوجد في ع.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: يكون.

عبدالله بن الحسن^(١)، عن زين العابدين عليه السلام في قوله تعالى^(٢): «لتكونوا شهداء على الناس» قال: نحن هم.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٣) بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود، عن الرضا عليه السلام حديث طويل، وفيه: نحن حجج الله في خلقه. نحن شهداء الله وأعلامه في بريته.

وبإسناده^(٤) إلى سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في جمع من المهاجرين والأنصار بالمسجد أيام خلافة عثمان: أنشدكم الله، أتعلمون أن الله تعالى أنزل في سورة الحج: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير [لعلكم تفلحون]»^(٥) إلى آخر السورة. فقام سلمان فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد، وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم؟ فقال عليه السلام: عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة دون هذه الأمة. قال سلمان: بينهم لنا يا رسول الله. قال: أنا وأخي [علي] عليه السلام وأحد عشر من ولدي. قالوا: اللهم نعم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿فَاقْبِئُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف.

وفي مجمع البيان^(٦): وروى عبدالله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾: وثقوا به في مجامع أموركم، ولا تطلبوا الإعانة والنصرة إلا منه.
﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم ومتولي أموركم.

١. نفس المصدر والموضع. وفيه وم: عبدالله بن الحسين.

٢. البقرة/١٤٣.

٣. كمال الدين ٢٠٢، ح ٦.

٥. من ن.

٤. نفس المصدر ٢٧٨-٢٧٩، ح ٢٥.

٧. المجمع، ٩٧/٤.

٦. من المصدر.

﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٣٨): هو؛ إذ لا مثل له في الولاية والنصرة، بل لا مولى ولا ناصر^(١) سواه في الحقيقة].

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْعُلَوِيِّ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْإِمَامُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ»^(٣) الآية، أَمَرَهُم بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَقَدْ افْتَرَضَهَا اللَّهُ^(٤) عَلَيْهِمْ. وَأَمَّا فِعْلُ الْخَيْرِ، فَهُوَ طَاعَةُ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله. «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ» يَا شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ». قَالَ: مِنْ ضَيْقٍ. «مِلَّةٌ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ» يَا آلَ مُحَمَّدٍ، يَا مَنْ قَدْ اسْتَوْدَعَكُمْ الْمُسْلِمِينَ، وَافْتَرَضَ طَاعَتَكُمْ عَلَيْهِمْ. «وَتَكُونُوا [أَنْتُمْ]^(٥) شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» بِمَا قَطَعُوا مِنْ رَحْمَتِكُمْ، وَضَيَعُوا مِنْ حَقِّكُمْ، مَزَقُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَعَدَلُوا حُكْمَ غَيْرِكُمْ بِكُمْ. فَالْزَمُوا الْأَرْضَ وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ يَا آلَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلَ بَيْتِهِ. «هُوَ مَوْلَاكُمْ» أَنْتُمْ وَشِيعَتُكُمْ «فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ».

١. كذا في أنوار التنزيل ١٠١/٢. وفي النسخ: لا مولى والنصير.

٢. تأويل الآيات الباهرة ٣٥١/١-٣٥٢، ح ٤١. ٣. من ع. لا يوجد في المصدر أيضاً.

٤. ليس في المصدر. ٥. من المصدر.

سورة المؤمنين

سورة المؤمنين

مكيّة . وهي مائة وتسع عشرة آية عند البصريّين ، وثمانى عشرة عند الكوفيّين .

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١) بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال^(٢): من قرأ سورة المؤمنين ، ختم الله له بالسعادة إذا كان يدمن في قراءتها في كلّ جمعة . وكان في الفردوس الأعلى مع النبيّين والمرسلين .

وفي مجمع البيان^(٣): أبيّ بن كعب ، عن النبيّ ﷺ قال : من قرأ سورة المؤمنين ، بشرته الملائكة يوم القيامة بالروح والريحان وما تقرّبه عينه عند نزول ملك الموت .
﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٤) : قد فازوا بأمانتهم .

و«قد» تثبت المتوقّع ، كما أنّ «لَمَّا» تنفيه . وتدلّ على ثباته إذا دخلت على الماضي . ولذلك تقرّب «قد» الماضي من الحال . ولَمَّا كان المؤمنون متوقّعين ذلك من فضل الله ، صُدّرت بها بشارتهم .

وقرأ^(٥) ورش عن نافع : «قد افلح» بإلقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها .
وقرئ^(٥) : «أفلحوا» على لغة^(٦) «أكلوني البراغيث» . أو على الإبهام والتفسير .
و«أفلحُ» اجتزاء بالضمة عن الواو . و«أفلح» على البناء للمفعول .

١ . ثواب الأعمال ١٣٥ ، ح ١ .

٣ . المجمع ، ٩٨/٤ .

٥ . أنوار التنزيل ، ١٠٢/٢ .

٢ . لا يوجد في ع .

٤ . أنوار التنزيل ، ١٠٢/٢ .

٦ . من م .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قال الصادق عليه السلام: لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ، قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي. فَقَالَتْ: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ».

وفي عيون الأخبار^(٢) عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَى الْمُؤْمِنَ ثَلَاثَ خِصَالٍ: الْعِزَّةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَلَاحَ^(٣) فِي الْآخِرَةِ، وَالْمَهَابَةَ فِي قُلُوبِ^(٤) الظَّالِمِينَ. ثُمَّ قَرَأَ^(٥): «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» وَقَرَأَ: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» إِلَى قَوْلِهِ: «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

عن عبد المؤمن الأنصاري^(٦)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَى الْمُؤْمِنَ ثَلَاثَ خِصَالٍ: الْعِزَّةَ فِي الدُّنْيَا فِي دِينِهِ، وَالْفَلَاحَ^(٧) فِي الْآخِرَةِ، وَالْمَهَابَةَ فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ^(٨).

وفي أصول الكافي^(٩) بإسناده إلى كامل التمار قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ». أَتَدْرِي مَنْ هُمْ؟ قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ. قَالَ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ. إِنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ النَّجَاءُ، فَالْمُؤْمِنُ غَرِيبٌ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ.

وفي محاسن البرقي^(١٠) عنه، عن أبيه، عن علي بن النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن كامل التمار قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يَا كَامِلُ، الْمُؤْمِنُ غَرِيبٌ، [الْمُؤْمِنُ غَرِيبٌ]^(١١) ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي مَا قَوْلُ اللهِ: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ»؟ قُلْتُ: قَدْ أَفْلَحُوا وَفَازُوا وَدَخَلُوا الْجَنَّةَ. فَقَالَ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ النَّجَاءُ.

١. تفسير القمي، ٨٨/٢.

٢. لم نعر عليه في العيون، ولكن رواه في الخصال ١٥٢، ح ١٨٧.

٣. المصدر: الفلاح.

٤. المصدر: صدور.

٥. المنافقون ٨/.

٦. الخصال ١٣٨-١٣٩، ح ١٥٧.

٧. المصدر: الفلاح.

٨. ن: الظالمين.

٩. الكافي ٣٩١/١، ح ٥.

١٠. المحاسن ٢٧٢، ح ٣٦٧.

١١. من المصدر.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٦): خائفون من الله، متذللون له، ملزمون أبصارهم مساجدهم.

وفي الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كنت^(٢) في صلاتك، فعليك بالخشوع^(٣) والإقبال على صلاتك؛ فإن الله يقول: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ».

وفي أصول الكافي^(٤): عده من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمعون، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن مسمع بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب، فهو عندنا نفاق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): قوله: «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ». قال: غَضَّكَ بصرُكَ في صلواتك، وإقبالك عليها.

وفي مجمع البيان^(٦): «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ». روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً يعث بلحيته في صلاته، فقال: أما إنه لو خشع قلبه، لخشعت جوارحه. وروي^(٧) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع بصره إلى السماء في صلاته. فلما نزلت الآية، طأطأ رأسه، ورمى ببصره إلى الأرض.

وفي كتاب الخصال^(٨) عن أمير المؤمنين عليه السلام: ليخشع الرجل في صلاته، فإنه من خشع قلبه لله تعالى خشعت جوارحه، فلا يعث بشيء.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٧): لما بهم من الجد ما شغلهم عنه. وهو أبلغ من «الَّذِينَ لَا يَلْهَوْنَ» من وجوه: جعل الجملة اسمية، وبناء الحكم على الضمير، والتعبير عنه بالإسم، وتقديم الصلة عليه، وإقامة الإعراض مقام الترك؛ ليدل

٢. المصدر: إذا كنت دخلت.

٤. نفس المصدر ٣٩٦/٢، ح ٦.

٦. المجمع، ٩٩/٤.

٨. الخصال ٦٢٨، من حديث أربعمئة، ح ١٠.

١. الكافي ٣٠٠/٣، ح ٣.

٣. المصدر: بالتخشع.

٥. تفسير القمي، ٨٨/٢.

٧. المجمع، ٩٩/٤.

على بعدهم رأساً مباشرة وتسبباً وميلاً وحضوراً. فَإِنْ أَصْلَهُ أَنْ يَكُونَ فِي عَرْضٍ غَيْرِ عَرْضِهِ. وكذلك الجملة التالية بهذه.

وفي أصول الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو الزَّيْرِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَذَكَرَ حَدِيثاً طَوِيلاً يَقُولُ فِيهِ عليه السلام - بَعْدَ أَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَرَضَ الْإِيمَانَ عَلَى جَوَارِحِ ابْنِ آدَمَ، وَقَسَمَهُ عَلَيْهَا، وَفَرَّقَهُ فِيهَا -: وَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى السَّمْعِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِ السَّمْعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَنْ يَعْزُضَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا نَهَى اللَّهُ ﷻ عَنْهُ، وَالْإِصْغَاءَ إِلَى مَا أَسْخَطَ اللَّهُ ﷻ. فَقَالَ فِي ذَلِكَ^(٢): «وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفِرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا^(٣) مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ». ثُمَّ اسْتَشْنَى اللَّهُ ﷻ مَوْضِعَ النِّسْيَانِ، فَقَالَ: «وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ». وَقَالَ^(٤): «فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ». وَقَالَ ﷻ: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ». وَقَالَ^(٥): «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ» وَقَالَ^(٦): «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرَّوْا كِرَامًا». فِهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ ﷻ عَلَى السَّمْعِ مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ لَا يَصْنَعِيَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، وَهُوَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ.

وفي إرشاد المفيد عليه السلام^(٧) كلام طويل لأُمير المؤمنين عليه السلام وفيه يقول عليه السلام: كُلُّ قَوْلٍ لَيْسَ فِيهِ لِلَّهِ ذِكْرٌ^(٨)، فَلغو.

١. الكافي ٣٥/٢، ح ١.

٢. النساء / ١٤٠.

٣. يوجد في س، م، هاهنا هذه الزيادة: بعد الذكري.

٤. الزمر / ١٨.

٥. القصص / ٥٥.

٦. الفرقان / ٧٢.

٧. لم نثر عليه في الإرشاد، ولكن رواه نور الثقلين ٥٢٩/٣، ح ١٥. وآخره فيه: فهو لغو.

٨. ن: «ذكر الله» بدل «الله ذكر».

وفي مجمع البيان^(١): «وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللّٰغُوِ مُعْرِضُونَ». وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: هو أن يتقوّل^(٢) الرجل عليك بالباطل، أو يأتيك بما ليس فيك، فتعرض عنه الله. وفي رواية أخرى^(٣) أنه الغناء والملاهي.

وفي اعتقادات الإمامية^(٤) للصدوق عليه السلام: وسئل عليه السلام عن القصّاص، أيحلّ الاستماع لهم؟ فقال: لا.

وفي عيون الأخبار^(٥) بإسناده إلى محمّد بن أبي عبّاد - وكان مشتهراً بالسمع وشرب النبيذ - قال: سألت الرضا عليه السلام عن السماع؟ فقال: لأهل الحجاز رأي فيه، وهو في حيز الباطل واللهو. أما سمعت الله ﷻ يقول^(٦): «وَإِذَا مَرَّوْا بِاللّٰغُوِ مَرَّوْا كِرَامًا»؟!

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٧): «وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللّٰغُوِ مُعْرِضُونَ»^(٨) يعني عن الغناء والملاهي.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾^(٩): وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة، ليدلّ على أنهم بلغوا الغاية من القيام على الطاعات البدنية والمالية، والتجنّب عن المحرّمات، وسائر ما توجب المروءة اجتنابه. والزكاة تقع على المعنى والعين. والمراد الأول؛ لأنّ الفاعل فاعل الحدث، لا المحلّ الذي هو موقعه. أو الثاني، على تقدير مضاف.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٩): قال الصادق صلوات الله عليه: من منع قيراطاً من الزكاة، فليس بمؤمن ولا مسلم. ولا كرامة^(١٠).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(١١): لا يبدّلونها.

-
- | | |
|------------------------|---------------------------|
| ١. المجمع، ٩٩/٤. | ٢. ع: يقول. |
| ٣. نفس المصدر والموضع. | ٤. الاعتقادات، ١٠٥. |
| ٥. العيون ١٢٦/٢، ح ٥. | ٦. الفرقان / ٧٢. |
| ٧. تفسير القمي، ٨٨/٢. | ٨. لا يوجد في ع. |
| ٩. نفس المصدر والموضع. | ١٠. المصدر: ولا كرامة له. |

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: يعني الإماء.

و«على» صلة لحافطين؛ من قولك: احفظ على عنان فرسي. أو حال. أي حفظوها في كافة الأحوال، إلّا في حال التزوّج أو التسرّي. أو بفعل دلّ عليه «غير ملومين». وإنّما قال «ما» إجراءً للمماليك مجرى غير العقلاء، إذ الملك أصل شائع فيه. وإفراد ذلك بعد [تعميم]^(١) قوله: «والذين هم عن اللغو معرضون» لأنّ المباشرة أشهى الملاهي إلى النفس وأعظمها خطراً.

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(٢): الضمير لـ «حافظون» أو لمن دلّ عليه الاستثناء. أي فإن بذلوا لأزواجهم أو إماءهم، فإنّهم غير ملومين على ذلك. وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٣): والمتعة حدّها حدّ الإماء. وفي مجمع البيان^(٤): وملك اليمين في الآية يعني الإماء؛ لأنّ الذكور من المماليك لا خلاف في وجوب حفظ الفرج منهم.

وفي أصول الكافي^(٥): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حدّثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً يقول فيه بعد أن قال: وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرّم الله عليه، وأن يعرض عمّا نهى الله عنه، ممّا لا يحلّ له، وهو عمله، وهو من الإيمان. وذكر قوله^(٦) تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» إلى قوله: «ويحفظن فروجهن». وفسرها: وكلّ شيء في القرآن من حفظ الفرج، فهو من الزنا، إلّا هذه الآية، فإنّها من النظر.

وفي كتاب الخصال^(٧) عن مسعدة بن زياد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يحرم من الإماء عشرة: لا يجمع بين الأمّ والبنت؛ ولا بين الأختين؛ ولا أمتك، وهي أختك من

٢. تفسير القمّي، ٨٩/٢.

١. من أنوار التنزيل، ١٠٢/٢.

٤. الكافي ٣٦-٣٥/٢، ح ١.

٣. المجمع، ٩٩/٤.

٦. الخصال ٤٣٨، ح ٢٧.

٥. النور ٣٠-٣١.

الرضاعة؛ ولا أمتك، وهي حامل من غيرك حتى تضع؛ [ولا أمتك، ولها زوج؛^(١) ولا أمتك، وهي عمتك من الرضاعة؛ [ولا أمتك، وهي خالتك من الرضاعة؛^(٢) ولا أمتك، وهي حائض حتى تطهر؛ ولا أمتك وهي رضيعتك؛ ولا أمتك، ولك فيها شريك.

عن أمير المؤمنين^(٣) عليه السلام: أبعد ما يكون^(٤) العبد من الله، إذا كان همه فرجه وبطنه. عن نجم^(٥)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: يا نجم، كلّمكم في الجنّة معنا، إلّا أنّه ما أقبح بالرجل^(٦) منكم أن يدخل الجنّة قد هتك ستره، وبدت عورته! قال: قلت: جعلت فداك، وإنّ ذلك لكائن؟! قال: نعم؛ إن لم يحفظ فرجه وبطنه.

عن أبي هريرة^(٧)، عن النبي ﷺ قال: إنّ أول ما يدخل به النار من أمتي الأجوفان. قالوا: يا رسول الله، وما الأجوفان؟ قال: الفرج والغم. وأكثر ما يدخل به الجنّة تقوى الله، وحسن الخلق.

عن الحسن^(٨) بن المختار^(٩) بإسناده يرفعه، قال: رسول الله ﷺ: ملعون ملعون من نكح بهيمة.

عن أبي عبد الله^(١٠) عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من سلم من أمتي من أربع خصال، فله الجنّة: من الدخول في الدنيا، وأتباع الهوى، وشهوة البطن، وشهوة الفرج.

عن جعفر بن محمد^(١١)، عن أبيه، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: تحلّ الفروج بثلاثة وجوه: نكاح بميراث، ونكاح بلا ميراث، ونكاح بملك يمين.

وفي الكافي^(١٢): وعنه، عن أحمد بن محمد، عن العباس بن موسى، عن إسحاق

١. ليس في المصدر.

٢. نفس المصدر ٦٣٠، من حديث أربعمائة.

٣. نفس المصدر ٢٥، ح ٨٨.

٤. ليس في أ.

٥. نفس المصدر ٧٨، ح ١٢٦.

٦. المصدر: الحسين.

٧. نفس المصدر ١٢٩، ح ١٣٢.

٨. نفس المصدر ٢٢٣، ح ٥٤.

٩. نفس المصدر ١١٩، ح ١٠٦.

١٠. الكافي ٤٥٣/٥، ح ٢.

بن أبي سارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عنها، يعني المتعة. فقال لي: حلال؛ فلا تزوج^(١) إلا عفيفة. إن الله ﷻ يقول: «والذين هم لفروجهم حافظون». فلا تضع فرجك حيث لا تأمن على درهمك.

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾: المستثنى.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٢): أي الظالمون المتجاوزون إلى ما لا يحل^(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قال: من جاوز ذلك [فأولئك هم العادون] أي الكاملون في العدوان^(٥).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾: أي لما يؤتمنون عليه، ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق.

﴿رَاعُونَ﴾^(٦): قائمون بحفظها وإصلاحها.

وقرأ^(٧) ابن كثير هنا وفي المعارج: «لأمانتهم» على الأفراد، لأمن الالتباس، أو لأنها في الأصل مصدر^(٨).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(٩): على أوقاتها وحدودها.

ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرّر. ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي^(١٠).

وليس في ذلك تكرير لما وصفهم به أولاً؛ لأنّ الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها. وفي تصدير الأوصاف وختمها بالصلاة تعظيم لشأنها.

وفي الكافي^(١١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد؛ ومحمد بن يحيى، عن أحمد

١. ع، ن، م: فلا تزوج.

٢. لا يوجد في م، ن، أ.

٣. تفسير القمي، ٨٩/٢.

٤. ليس في ع.

٥. أنوار التنزيل، ١٠٣/٢.

٦. لا يوجد في س وأ.

٧. نفس المصدر والموضع.

٨. الكافي ٢٦٩/٣ - ٢٧٠، ح ١٢.

[ابن محمّد] ^(١)، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن الفضيل [بن يسار] ^(٢) قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحْفَظُونَ». قال: هي الفريضة. قلت: «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ» ^(٣). قال: هي النافلة.

﴿أُولَئِكَ﴾: أي الجامعون بهذه الصفات.

﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ^(٤) «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ^(٥): وفي عيون

الأخبار ^(٦) بإسناده عن علي عليه السلام: إن هذه الآية فيّ نزلت.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٧): حدّثني أبي، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً إلا جعل له في الجنة منزلاً وفي النار منزلاً. فإذا سكن ^(٨) أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، أشرفوا. فيشرفون على أهل النار، وترفع لهم منازلهم فيها. ثمّ يقال لهم: هذه منازلكم التي ^(٩) لو عصيتم الله، لدخلتموها. [يعني النار] ^(١٠).

قال: فلو أنّ أحداً مات فرحاً، لمات أهل الجنة في ذلك اليوم فرحاً، لما صُرف عنهم من العذاب.

ثمّ ينادي منادٍ: يا أهل النار، ارفعوا رؤوسكم. فيرفعون رؤوسهم، فينظرون إلى ^(١١) منازلهم في الجنة، وما فيها من النعيم. فيقال لهم: هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم، لدخلتموها.

قال: فلو أنّ أحداً مات حزناً، لمات أهل النار حزناً. فيورث هؤلاء منازل هؤلاء، ويورث هؤلاء منازل هؤلاء. وذلك قول الله: «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

١. من المصدر.

٢. ليس في المصدر.

٣. المعارج / ٢٣.

٤. العيون / ٦٥/٢، ح ٢٨٨.

٥. تفسير القمي، ٨٩/٢.

٦. المصدر: دخل.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ بعدها: في النار.

٨. من المصدر.

٩. ليس في المصدر.

وفي مجمع البيان^(١): روي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار. فإن مات، ودخل النار، ورث أهل الجنة منزله. و«الفردوس» قيل^(٢): هو اسم من أسماء الجنة. وقيل^(٣): هو اسم لرياض الجنة. وقيل^(٤): هو جنة مخصوصة. ثم اختلف في أصله، فقيل^(٥): إِنَّهُ رُومِي فَعُرْب. وقيل^(٦): عربيّ وزنه فعلول. وهو البستان الذي فيه الكرم. وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٧)، في خبر بلال عن النبي ﷺ الذي يذكر فيه صفة الجنة، قال الراوي: فقلت لبلال: هل فيها غيرها؟ قال: نعم، جنة الفردوس. قلت: وكيف سورها؟ قال: نور.

قلت: الغرف التي هي فيها؟ قال: هي من نور رب العالمين. وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ، عَنِ الْإِمَامِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ [عَنْ أَبِيهِ]^(٩) فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» إِلَى: «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» قَالَ: نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ﴾: من خلاصة سُلت من بين الكدر. ﴿مِنْ طِينٍ﴾^(١٠): متعلّق بمحذوف؛ لأنّه صفة لـ «سلالة». أو «من» بيانية. أو بمعنى سلالة؛ لأنّها في معنى مسلوقة. فتكون ابتدائية كالأولى. و«الإنسان» آدم عليه السلام خُلِقَ من صفوة سُلت من الطين. أو الجنس؛ فإنّهم خُلِقُوا من سلالة جُعِلَتْ نطفاً بعد أدوار.

٧. الفقيه ١٩٣/١، ح ٩٠٥.

١-٦. المجمع، ٩٩/٤-١٠٠.

٩. من المصدر، مع المعقوفتين.

٨. تأويل الآيات الباهرة ٣٥٢/١، ح ١.

وقيل ^(١): المراد بالطين آدم، لأنه خُلق منه. والسلالة نطفته.
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾: خلقناه منها. أو: ثم جعلنا السلالة نطفة.
وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أو المسلول أو الماء.
﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ^(٢): مستقر حصين، يعني الرحم. وهو في الأصل صفة للمستقر، وُصف به المحلّ مبالغة، كما عبّر عنه بالقرار.
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: بأن أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء.
﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: فصيّرها قطعة لحم.
﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾: بأن صلّبناها.
﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾: ممّا بقي من المضغة، أو ممّا أنبتنا عليها ممّا يصل إليها.
واختلاف العواطف، لتفاوت الاستحالات. والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة.

وقرأ ^(٣) ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاءً باسم الجنس عن الجمع.
وقرئ ^(٣) بإفراد أحدهما وجمع الآخر.
وفي كتاب علل الشرائع ^(٤): أبي الله قال: حدّثني محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سهام الموارث من ستة أسهم لآزدي عليها.
ف قيل له: يا ابن رسول الله ﷺ ولم صارت ستة أسهم؟ قال: لأنّ الإنسان خُلق من ستة أشياء. وهو قول الله ﷻ: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين ثمّ خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً».

وبإسناده ^(٥) إلى الحسين بن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّنا رويناه عن النبي ﷺ أنّ

من شرب الخمر لم تُحسب صلاته أربعين صباحاً. فقال: صدقوا.
 فقلت: وكيف لا تُحسب صلاته أربعين صباحاً لأقل من ذلك ولا أكثر؟ قال: لأن الله
 تبارك وتعالى قدّر خلق الإنسان، [فصير^(١)] النطفة أربعين يوماً، ثم نقلها، فصيرها
 علقة أربعين يوماً. ثم نقلها، فصيرها مضغة أربعين يوماً. وهكذا إذا شرب الخمر،
 بقيت في مثانته على قدر ما خلُق منه. وكذلك يجتمع غذاؤه وأكله وشربه يبقى في
 مثانته أربعين يوماً.

وفي كتاب الخصال^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان فيما
 وعظ لقمان ابنه أنه قال له: يا بُنَيَّ، ليعتبر من قصر يقينه، وضعفت نيته في طلب الرزق
 - إلى قوله عليه السلام: - أما أول ذلك، فإنه كان في بطن^(٣) أمه يرزقه هناك في قرار مكين،
 حيث لا يؤذيه حرٌّ ولا برد. ثم أخرجه من ذلك. الحديث.

وفي كتاب مصباح الشريعة^(٤) لابن طائوس عليه السلام في دعاء الحسين بن علي عليه السلام يوم
 عرفة: ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً. وخلقني من التراب. ثم أسكنتني
 الأصلاب، آمناً لريب المنون واختلاف الدهور.

فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم الأيام الماضية والقرون الخالية.
 لم تخرجني لرافتك بي، ولطفك بي، وإحسانك إليّ، في دولة أيام الكفرة الذين
 نقضوا عهدك، وكذبوا رسلك. لكنك أخرجتني، رافة منك وتحنناً عليّ، للذي سبق
 لي من الهدى الذي يسرتني، وفيه أنشأتني، ومن قبل ذلك رؤفت بي جميل صنعك
 وسوايغ نعمك.

وابتدعت خلقي من مني يُمْنِي. ثم أسكنتني في ظلمات [بين]^(٥) لحم وجلد ودم.

٢. الخصال ١٢٢، ح ١١٤.

١. من المصدر.

٣. المصدر: رحم.

٤. كذا في جميع النسخ. والصحيح: «مصباح الزائر». كما نقله عنه نور الثقلين ٥٣٣/٣، ح ٤١.

٥. من نور الثقلين.

لم تشهرني بخلقي ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري. ثم أخرجتني إلى الدنيا تاماً سوياً. وفي الصحيفة السجّادية^(١) في دعائه عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل: اللهم وأنت حدرتني ماءً مهيناً^(٢) من صلب متضايق العظام، حرج المسالك، إلى رحم ضيقة سترتها بالحجب. تصرّفني حالاً عن حال؛ حتّى انتهيت بي إلى تمام الصورة، وأثبتّ في الجوارح، كما نعتّ في كتابك نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم عظماً. ثم كسونا العظام لحماً. ثم أنشأتني خلقاً آخر كما شئت.

حتّى إذا احتجت إلى رزقك، ولم أستغن عن غياث فضلك، جعلت لي قوتاً من فضل طعام وشراب أجرته لأمتك التي أسكنتني جوفها، وأودعني قرار رحمها. ولو تكلني يا ربّ في تلك الحالات إلى حولي، أو تضطرّني إلى قوتي، لكان الحول عني معزلاً، ولكانت القوّة منّي بعيدة. فغذوتني بفضلك غذاء البرّ اللطيف. تفعل ذلك بي تطوّلاً عليّ إلى غايتي هذه.

وفي الكافي^(٣) ابن محبوب، عن رفاعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ النطفة إذا وقعت في الرحم، تصير^(٤) إلى علقه، ثم إلى مضغة، ثم إلى ماشاء الله. وإنّ النطفة إذا وقعت في غير الرحم، لم يُخلق منها شيء. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة. عدّة من أصحابنا^(٥)، عن سهل بن زياد، عن الحجاج، عن ابن بكير، عن أبي منهال، عن الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ النطفة إذا وقعت في الرحم، بعث الله عليه السلام ملكاً، فأخذ من التربة التي يُدفن فيها، فمائها^(٦) في النطفة. فلا يزال قلبه يحنّ إليها [حتّى يدفن فيها]^(٧).

محمد بن يحيى^(٨)، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم

١. الصحيفة ١٨٢-١٨٤، الدعاء ٣٢. ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: حدرتني من ماء هيناً.

٤. ليس في أ.

٦. ماث الشيء في الماء: أذابه فيه.

٨. نفس المصدر ١٣/٦، ح ٣.

٣. الكافي ١٠٨/٣، ح ٢.

٥. نفس المصدر ٢٠٣، ح ٢.

٧. من المصدر.

قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: قال أبو جعفر عليه السلام: إِنَّ النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً. ثم تصير علقة أربعين يوماً. ثم تصير مضغة أربعين يوماً. فإذا كمل أربعة أشهر، بعث الله ملكين خلاقين فيقولان: يا رب، ما تخلق؟ ذكرأ أو أنثى؟ فيؤمران. فيقولان: يا رب، شقياً أو سعيداً؟ فيؤمران. فيقولان: يا رب ما أجله وما رزقه؟ وكل شيء من حاله، وعدد من ذلك أشياء. ويكتبان الميثاق بين عينيه. فإذا أكمل الله له الأجل^(١)، بعث الله إليه ملكاً، فزجره زجرة فيخرج وقد نسي الميثاق.

فقال الحسن بن الجهم: [فقلت له: ^(٢) أفيجوز أن يدعو الله، فيحوّل الأنثى ذكراً والذكر أنثى؟ فقال: إِنَّ الله يفعل ما يشاء.

محمد بن يحيى^(٣)، عن أحمد بن محمد^(٤)؛ وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ الله تعالى إذا أراد أن يخلق النطفة التي ممّا أخذ عليها الميثاق في صلب آدم، أو ما يبدو له فيه^(٥)، ويجعلها في الرحم، حرّك الرجل للجماع، وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتّى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري. فتفتح الرحم بابها، فتصل النطفة إلى الرحم. فتردّد فيه أربعين صباحاً^(٦). ثم تصير علقة أربعين يوماً. ثم تصير مضغة أربعين يوماً. ثم تصير لحماً تجري فيه عروق مشتبكة.

ثم يبعث الله ملكين خلاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله. فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم. وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء. فينفخان^(٧) فيها روح الحياة والبقاء. ويشقان له السمع والبصر

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فإذا كمل الأجل.

٢. من المصدر.

٣. نفس المصدر ١٣-١٥، ح ٤.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: علي.

٥. أي يبدو له في خلقه، فلا يتمّ خلقه بأن يجعله سقطاً. قاله العلامة المجلسي.

٦. المصدر: يوماً.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيتنفخان.

وجميع الجوارح، وجميع ما في البطن، ياذن الله.

ثم يوحى الله إلى الملكين: اكتبنا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري. واشترطالي البدء فيما تكتبان. فيقولان: يا رب، ما نكتب؟ قال: فيوحى الله ﷻ إليهما: ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمه. فيرفعا رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهة أمه. فينظران فيه. فيجدان في اللوح صورته ورؤيته^(١)، وأجله وميثاقه، شقياً أو سعيداً، وجميع شأنه. قال: فيملي أحدهما على صاحبه. فيكتبان جميع ما في اللوح، ويشترطان البدء فيما يكتبان. ثم يختمان الكتاب، ويجعلانه بين عينيه. ثم يقيمان قائماً في بطن أمه^(٢). قال: وربما عتني، فانقلب. ولا يكون ذلك إلا في كل^(٣) عات أو مارد.

فإذا بلغ أوان خروج الولد، تاماً أو غير تام، أوحى الله ﷻ إلى الرحم أن افتحي بابك، حتى يخرج خلقي إلى أرضي، وينفذ فيه أمري. فقد بلغ أوان^(٤) خروجه. قال: فتفتح الرحم باب الولد. فيبعث الله ﷻ إليه ملكاً يقال له زاجر. فيزجره زجرة. فيفزع^(٥) منه الولد. فينقلب، فتصير رجلاه فوق رأسه، ورأسه في أسفل البطن؛ ليسهل الله على المرأة وعلى الولد الخروج.

قال: فإذا احتبس، زجره الملك زجرة أخرى. فيفزع منها. فيسقط الولد إلى الأرض باكياً فزعاً من الزجرة.

محمد [بن يحيى^(٦)] عن أحمد [بن محمد^(٧)]، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الخلق؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق الخلق من طين، أفاض بها كفاضة القداح^(٨). فأخرج المسلم، فجعله

١. المصدر: زيتته.

٢. ليس في ع.

٣. ليس في ن.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: وإن.

٥. أ: فيفزع.

٦. نفس المصدر ١٥، ح ٥.

٧. من المصدر.

٨. من المصدر.

٩. إفاضة القداح: الضرب بها. والقداح: جمع القدح - بالكسر - وهو: السهم قبل أن يراش أو ينصل. كأنهم

سعيداً. وجعل الكافر شقيّاً. فإذا وقعت النطفة، تلقّتها^(١) الملائكة، فصوّروها. ثمّ قالوا: يا ربّ، أذكر أو أنسى؟ فيقول الربّ ﷻ أيّ ذلك شاء. فيقولان: «تبارك الله أحسن الخالقين».

ثمّ توضع في بطنها. فتزدّد تسعة أيّام في كلّ عرق ومفصل^(٢) منها. و^(٣) للرحم ثلاثة أقفال: قفل في أعلاها ممّا يلي أعلى السرة^(٤) من الجانب الأيمن، والقفل الآخر وسطها، والقفل الآخر أسفل الرحم^(٥). فيوضع بعد تسعة أيّام في القفل الأعلى. فيمكث^(٦) فيه ثلاثة أشهر. فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفس والتهوُّع.

ثمّ ينزل إلى القفل الأوسط. فيمكث فيه ثلاثة أشهر^(٧). وسرة^(٨) الصبيّ فيها مجمع [العروق، و]^(٩) عروق المرأة كلّها منها، يدخل طعامه وشرابه من تلك العروق. ثمّ ينزل إلى القفل الأسفل. فيمكث فيه ثلاثة أشهر. فذلك تسعة أشهر.

ثمّ تطلق المرأة. فكلّما طلقت، انقطع عرق من سرة^(١٠) الصبيّ، فأصابها ذلك الوجع. ويده على سرّته^(١١)؛ حتّى يقع إلى الأرض ويده مبسوطة. فيكون رزقه حينئذٍ من فيه.

محمّد بن يحيى^(١٢) [عن أحمد بن محمّد]^(١٣)، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل و^(١٤) غيره قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، الرجل يدعو للحبل أن

⇒ كانوا يخلطونها ويقرعون بها بعدما يكتبون عليها أسماءهم.

قال الفيص: ﷺ وفي التشبيه إشارة لطيفة إلى اشتباه خير بني آدم بشرهم إلى أن يميّز الخبيث من الطيّب.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: تلقيها.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: يفصل.

٣. المصدر: «ومنها» بدل «منها». و.

٤. المصدر: الصرة.

٥. المصدر: من الرحم.

٦. م، س، أ: فيمكث الصبيّ.

٧. ليس في أ.

٨. المصدر: صرة.

٩. من المصدر.

١٠. المصدر: صرته.

١١. نفس المصدر ١٦، ح ٦.

١٢. من المصدر.

١٣. المصدر: أو.

يجعل الله ما في بطنها ذكراً سوياً. فقال: يدعو ما بينه وبين أربعة أشهر. فإنه أربعين ليلة نطفة، وأربعين ليلة علقه، وأربعين ليلة مضغة. فذلك تمام أربعة أشهر. ثم يبعث الله ملكين خلّاقين. فيقولان: يا رب، ما تخلق؟ ذكراً أو أنثى؟ شقيّاً أو سعيداً؟ فيقال ذلك. فيقولان: يا رب، ما رزقه؟ وما أجله؟ وما مدّته؟ فيقال ذلك. وميثاقه بين عينيه ينظر إليه. فلا يزال منتصباً في بطن أمه. حتّى إذا دنا خروجه، بعث الله إليه ملكاً، فيزجره زجرة. فيخرج وينسى الميثاق.

محمّد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد؛ وعليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إذا وقعت النطفة في الرحم، استقرّت فيها أربعين يوماً. وتكون علقه أربعين يوماً. وتكون مضغة أربعين يوماً. ثم يبعث الله ملكين خلّاقين فيقال لهما: اخلقا كما أراد^(٢) الله تعالى ذكراً أو أنثى. صوّاه، واكتباً أجله ورزقه ونبّته، وشقيّاً أو سعيداً. واكتباً لله^(٣) الميثاق الذي أخذّه عليه في الذرّبين عينيه.

فإذا دنا خروجه من بطن أمه، بعث الله إليه ملكاً يقال له زاجر، فيزجره. فيفزع فزعاً، فينسى الميثاق. ويقع على الأرض يبكي من زجرة الملك.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾: وهو صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه، أو المجموع. و«ثم» لما بين الخلقين من التفاوت.

﴿فَبَارَكُ اللَّهُ﴾: فتعالى شأنه في قدرته وحكمته.

﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٤): المقدّرين تقديراً.

فحذف المميّز لدلالة «الخالقين» عليه.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٥): وقوله ﷻ: «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين». قال: السلالة الصفوة من الطعام والشراب الذي يصير نطفة. والنطفة أصلها من

١. نفس المصدر، ح ٧.

٢. المصدر: يريد.

٣. ليس في ن.

٤. تفسير القمي، ٨٩/٢، ٩٠.

السلالة. والسلالة هو من صفوة الطعام والشراب. والطعام من أصل الطين. فهذا معنى قوله جلّ ذكره: «من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين». يعني [في الأنثيين ثمّ]^(١) في الرحم.

«ثمّ خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظماً فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين». وهذه استحالة من أمر إلى أمر. فحدّ النطفة إذا وقعت في الرحم أربعون^(٢) يوماً. ثمّ تصير علقه.

وقوله ﷺ: «خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين» إلى قوله ﷺ: «ثمّ أنشأناه خلقاً آخر» فهي^(٣) ستّة أجزاء وستّ استحالات. وفي كلّ جزء واستحالة دية محدودة. ففي النطفة عشرون ديناراً. وفي العلقه أربعون ديناراً. وفي المضغة ستون ديناراً. وفي العظم ثمانون ديناراً. وإذا كُسي لحماً، فمائة دينارٍ حتّى يستهلّ. فإذا استهلّ، فالدية كاملة.

فحدّثني أبي بذلك، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: يا ابن رسول الله، فإن خرج في النطفة قطرة دم؟ قال: في القطرة عشر النطفة. ففيها اثنان وعشرون ديناراً.

قلت: فقطرتان؟ قال: أربعة وعشرون ديناراً.

قلت: فثلاث؟ قال: ستّة وعشرون ديناراً.

قلت: فأربع؟ قال: ثمانية وعشرون ديناراً.

قلت: فخمس؟ قال: ثلاثون ديناراً. [وما زاد على النصف]^(٤) فهو على هذا

الحساب حتّى تصير علقه، فيكون فيها أربعون ديناراً.

قلت: فإن خرجت [النطفة]^(٥) متخضضة بالدم؟ قال: قد علقت، إن كان دماً

١. ليس في المصدر.

٣. المصدر: فهم.

٥. من المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أربعين.

٤. ليس في ن.

صافياً^(١) ففيها أربعون ديناراً. وإن كان دماً^(٢) أسود، فذلك من الجوف فلا شيء عليه إلا التعزير. لأنه ما كان من دم صاف، فذلك للولد^(٣)، وما كان من دم أسود، فهو من الجوف.

قال: فقال أبو شبل: فإن العلقه صارت^(٤) فيها شبه العروق واللحم؟ قال: اثنان وأربعون ديناراً العشر.

[قال: ^(٥) قلت: إن عشر الأربعين ديناراً أربعة دنانير؟ قال: لا، إنما هو عشر المضغة؛ لأنه^(٦) إنما ذهب عشرها. فكلما ازدادت، زيد حتى تبلغ الستين.

قلت: فإن رأيت^(٧) في المضغة مثل عقدة^(٨) عظم يابس؟ قال: إن ذلك عظم أول ما يتبدئ، ففيه أربعة دنانير. فإن زاد، فزاد أربعة دنانير حتى يبلغ الثمانين^(٩).

قلت: فإن كُسي العظم لحماً؟ قال: كذلك إلى مائة.

قلت: فإن وكزها^(١٠)، فسقط الصبي لا يدري حياً كان أو ميتاً؟ قال: هيهات يا أبا شبل! إذا بلغ أربعة أشهر، فقد صارت فيه الحياة، وقد استوجب الدية.

وفي الكافي أيضاً بعد أن قال^(١١): عِدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شَمُون، عن عبدالله بن عبدالرحمان الأصم، عن مسمع، عن أبي عبدالله قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام^(١٢):

وبهذا الإسناد^(١٣) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: جعل دية الجنين مائة دينار. وجعل مني الرجل إلى أن يكون جنيناً خمسة أجزاء. فإذا كان جنيناً قبل أن تلجه الروح^(١٤)، مائة

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: دم صاف.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: دم.

٣. المصدر: الولد.

٤. المصدر: إذا صارت.

٥. من المصدر.

٦. ليس في المصدر.

٧. المصدر: رأيت.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: العقد.

٩. المصدر: مائة.

١٠. المصدر: ركزها.

١١. الكافي ٣٤٢/٧، ح ١٢.

١٢. ليس في م.

١٣. نفس المصدر ٣٤٢-٣٤٣، ح ١.

١٤. ليس في ن.

دينار. وذلك أن الله ﷻ خلق إنسان من سلالة، وهي النطفة؛ فهذا جزء. ثم علقه؛ فهو جزءان. ثم مضغه؛ فهو ثلاثة أجزاء. ثم عظمها؛ فهو أربعة أجزاء. ثم يكسّي لحماً؛ فحينئذ تمّ جنيناً، فكمّلت له خمسة أجزاء مائة دينار. والمائة دينار خمسة أجزاء. فجعل للنطفة خمس المائة، عشرين ديناراً. وللعلقة خمسي المائة، أربعين ديناراً. وللمضغة ثلاثة أخماس المائة، ستين ديناراً. وللعظم أربعة أخماس المائة، ثمانين ديناراً. فإذا كسّي اللحم، كانت له مائة [دينار]^(١) كاملة. فإذا نشأ فيه خلق آخر - وهو الروح - فهو حينئذ نفس [فيه]^(٢) ألف دينار كاملة، إذا كان ذكراً، وإن كان أنثى، فخمسمائة دينار.

محمد بن يحيى^(٣)، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام ما صفة [خلقة]^(٤) النطفة التي تُعرف بها؟ فقال: النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة. فتمكث في الرحم إذا صارت فيه، أربعين يوماً. ثم تصير إلى علقه.

قلت: فما صفة خلقة العلقه التي تُعرف بها؟ قال: هي علقه كعلقه دم^(٥) المحجمة الجامدة. تمكث في الرحم بعد تحويلها عن النطفة، أربعين يوماً. ثم تصير مضغة. قلت: فما صفة المضغة وخلقته التي تُعرف بها؟ قال: هي مضغة لحم حمراء فيها عروق خضر مشتبكة. ثم تصير إلى عظم.

قلت: فما صفة خلقته إذا كان عظماً؟ قال: إذا كان عظماً، شقّ له السمع والبصر، ورُتبت جوارحه. فإذا كان كذلك، فإنّ فيه الدية كاملة.

علي بن إبراهيم^(٦)، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن أبيه، عن سعيد بن المسيّب قال: سألت علي بن الحسين عليه السلام عن رجل ضرب امرأة حاملاً

٣. نفس المصدر ٣٤٥، ح ١٠.

٥. المصدر: الدم.

١ و ٢. من المصدر.

٤. من المصدر.

٦. نفس المصدر ٣٤٧، ح ١٥.

برجله، فطرحته ما في بطنها ميتاً. فقال: إن كان نطفة فعليه عشرون ديناراً.

قلت: فما حدّ النطفة؟ قال: هي التي إذا وقعت في الرحم، فاستقرت فيه [أربعين يوماً. (قال: ^(١)) وإن طرحته وهو علقه، فإنّ عليه أربعين ديناراً.

قلت: فما حدّ العلقه؟ قال: هي التي إذا وقعت في الرحم، فاستقرت فيه [ثمانين يوماً. قال ^(٢): وإن طرحته وهو مضغة، فإنّ عليه ستين ديناراً.

قلت: فما حدّ المضغة؟ فقال: هي التي إذا وقعت في الرحم، فاستقرت فيه مائة وعشرين يوماً ^(٣). قال: وإن طرحته، وهو نسمة مخلقة له عظم ولحم مزيل ^(٤) الجوارح، قد نفخ فيه روح العقل، فإنّ عليه دية كاملة.

قلت له: رأيت تحوّل في بطنها إلى حال أبروح كان ذلك أو بغير روح؟ ^(٥) قال: بروح عدا ^(٦) الحياة القديم المنقول في أصلاب الرجال وأرحام النساء. ولولا أنّه كان فيه روح عدا الحياة، ما تحوّل عن حال بعد حال في الرحم. وما كان -إذاً- على من يقتله دية، وهو في تلك الحال.

محمّد بن يحيى ^(٨) وغيره، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن إسماعيل بن عمر ^(٩)، عن شعيب العرقوفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ للرحم أربعة سبل. في أيّ سبيل سلك فيه الماء، كان منه الولد؛ واحد واثنان ^(١٠) وثلاثة وأربعة. ولا يكون إلى سبيل أكثر من واحد.

أحمد ^(١١) بن محمّد ^(١٢)، رفعه عن محمّد بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ

-
١. من المصدر.
 ٢. ليس في ن.
 ٣. ليس في ن.
 ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عشرون يوم.
 ٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: مزيد. والمزيل: المفروق. وفي الوافي: «مرمل» أي المزين. وفي الوافي:
 - «مرمل» أي المزين. وفي التهذيب: «مرتب». ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: ذلك.
 ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: غداء. ٨. نفس المصدر ١٦٦-١٧، ح ١.
 ٩. كذا في المصدر وجامع الرواة ١٠٠/١. وفي النسخ: عمرو.
 ١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: اثنين. ١١. المصدر: عليّ.
 ١٢. نفس المصدر ١٧، ح ٢.

الله ﷻ خلق للرحم أربعة أوعية: فما كان في الأول، فلأب. وما كان في الثاني، فلأم. وما كان في الثالث، فللعنومة. وما كان في الرابع، فللخزولة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ»: فهو نفخ الروح فيه.

وفي تهذيب الأحكام^(٢): محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن عيسى، عن العباس بن موسى الوراق، عن يونس بن عبد الرحمان، عن أبي جرير القمي قال: سألت العبد الصالح عليه السلام عن النطفة، ما فيها من الدية؟ وما في العلقة؟ وما في المضغة المخلفة وما يقر في الأرحام؟

قال: إنه يُخلق في بطن أمه خلقاً بعد خلق، يكون نطفة أربعين يوماً. ثم يكون علقة أربعين يوماً. ثم مضغة أربعين يوماً^(٣). ففي النطفة أربعون ديناراً. وفي العلقة ستون ديناراً. وفي المضغة ثمانون ديناراً. فإذا كُسي العظام لحماً، ففيه مائة دينار. قال الله ﷻ: «ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ». فإن كان ذكراً، ففيه الدية. وإن كانت أنثى^(٤)، ففيها ديته.

وفي كتاب التوحيد^(٥) بإسناده إلى الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام حديث طويل، وفيه: قلت: جعلت فداك، وغير الخالق الجليل خالق؟ قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: «تبارك الله أحسن الخالقين». فقد أخبر أن في عباده خالقين [وغير خالقين]^(٦). منهم عيسى بن مريم. خلق من الطين كهية الطير بإذن الله. ونفخ فيه، فصار طائراً بإذن الله. والسامري خلق لهم «عجلاً جسداً له خوار»^(٧).

وفي كتاب الخصال^(٨) عن زيد بن وهب قال: سُئل أمير المؤمنين علي بن

١. تفسير القمي، ٩١/٢.

٣. من المصدر.

٥. التوحيد ٦٣، ح ١٨.

٧. الأعراف ١٤٨.

٢. التهذيب ٢٨٢/١٠، ح ١١٠٢.

٤. ليس في ع.

٦. ليس في المصدر.

٨. الخصال ٤٠٠-٤٠١، ح ١٠٩.

أبي طالب ﷺ عن قدرة الله ﷻ. فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى ملائكة لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض، ما وسعته لعظم خلقته وكثرة أجنحته. ومنهم من لو كُلفت الجن والإنس أن يصفوه، ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله^(١) وحسن تركيب صورته. وكيف يوصف من ملائكته من سبعمئة عام ما بين منكيه^(٢) وشحمة أذنيه؟!^(٣)

ومنهم من يسد الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه. ومنهم من السماوات إلى حجزته. ومنهم من قدمه على غير قرار في جو الهواء الأسفل، والأرضون إلى ركبته^(٤).

ومنهم من لو ألقى في نقرة إبهامه جميع المياه، لوسعتها. ومنهم من لو أُلقيت السفن في دموع عينيه، لجرت دهر الداهرين. «تبارك الله أحسن الخالقين». [وفي كتاب التوحيد^(٥) مثله]^(٦).

وفي كتاب الخصال^(٧) أيضاً عن أبي عبد الله ﷺ قال: خمسة خُلِقوا نارين: الطويل الذهب، والقصير القمي^(٨)، والأزرق بخضرة، والزائد، والناقص. وفي مجمع البيان^(٩): وروي أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ. فلما بلغ إلى قوله: «خلقاً آخر» خطر بباله: «فتبارك الله أحسن الخالقين». فلما أملاها رسول الله ﷺ كذلك، قال عبد الله: إن كان محمد نبياً يوحى إليه، فأنا نبي يوحى إلي! فلحق بمكة مرتداً.

ولو صح هذا، فإن هذا القدر لا يكون معجزاً، ولا يمتنع أن يتفق ذلك من الواحد منا.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: مفاصله. ٢. ن: منكيه.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: أذنه. ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ركبته.

٥. التوحيد ٢٧٨، ح ٣. ٦. ليس في أ.

٧. الخصال ٢٨٦-٢٨٧، ح ٤١. ٨. أي السمين.

٩. المجمع، ١٠١/٤.

لكن هذا الشقي إنما اشتبه عليه، أو شبه على نفسه، لما كان في صدره من الكفر والحسد للنبي ﷺ. انتهى.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ (٥): لصائرون إلى الموت لا محالة. ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل، وقد قرئ^(١) به.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (٦): للمحاسبة والمجازاة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾: سماءات؛ لأنها طوارق [بعضها فوق]^(٢) بعض مطارقة النعل^(٣). وكل ما فوقه مثله، فهو طريقه. أو لأنها طرق الملائكة، أو الكواكب فيها مسيرها.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾: عن ذلك المخلوق الذي هو السماوات، أو عن جميع المخلوقات.

﴿غَافِلِينَ﴾ (٧): مهملين أمرها، بل نحفظها عن الزوال أو الاختلال، وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال، حسب ما اقتضته الحكمة، وتعلقت به المشيئة. ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بتقدير يكثر نفعه، ويقل ضرره. أو: مقدار ما علمنا من صلاحهم.

﴿فَأَسْكَنَاهُ﴾: فجعلناه ثابتاً مستقراً.

﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾: على إزالته بالإفساد أو التصعيد أو التعميق، بحيث يتعذر استنباطه.

﴿لَقَادِرُونَ﴾ (٨): كما كنا قادرين على إنزاله.

وفي تنكير «ذهاب» إيماء إلى كثرة طرقه، ومبالغة في الإيعاد به. ولذلك جعل أبلغ من قوله^(٤): «قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين».

١. أنوار التنزيل، ١٠٣/٢.

٢. ليس في م.

٣. ليس في المصدر.

٤. الملك / ٣٠.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض» فهي الأنهار والعيون والآبار. وفي الكافي^(٢): عنه، عن أحمد بن محمد، عن العباس بن معروف، عن النوفلي، عن يعقوب، عن عيسى بن عبدالله، عن سليمان بن جعفر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ: «وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وإنّا على ذهاب به لقادرون» يعني بالتعميق^(٣).

وفي مجمع البيان^(٤): وروى مقاتل، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: إنّ الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار: سيحون، وهو نهر الهند؛ وجيحون، وهو نهر بلخ؛ ودجلة، والفرات، وهما نهران^(٥) العراق؛ والنيل، وهو نهر مصر. أنزلها الله من عين واحدة، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم^(٦). فذلك قوله: «وأنزلنا من السماء ماء بقدر». الآية.

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ : بالماء.

﴿جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا﴾ : في الجنّات.

﴿فَوَاكِهٍ كَثِيرَةٍ﴾ : تتفكّهون بها.

﴿وَمِنْهَا﴾ : من الجنّات، ثمارها وزروعها.

﴿تَأْكُلُون﴾^(٧) : تغذّياً، أو ترتزقون^(٨) وتحصلون معاشكم؛ من قولهم: فلان يأكل

من حرفته.

ويجوز أن يكون الضميران للنخيل والأعناب. أي لكم في ثمرتهما: أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك، وطعام تأكلونه.

٢. الكافي ٣٩١/٦، ح ٤.

٤. المجمع، ١٠٢/٤.

٦. ن: معاشهم.

١. تفسير القمي، ٩١/٢.

٣. المصدر: ماء العقيق. وفي ع: ون: بالتعميق.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: نهر.

٧. ع: ترتزقون.

﴿وَشَجَرَةً﴾: عطف على «جَنَاتٍ».

وقرئت ^(١) بالرفع، على الابتداء. أي ومما أنشأنا ^(٢) لكم به شجرة.

﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾: جبل موسى بين ^(٣) مصر وأيلة.

وقيل ^(٤): بفلسطين.

وقد يقال له: طور سينين. ولا يخلو من أن يكون الطور للجبل، و«سيناء» اسم بقعة أضيف إليها. أو المركَّب منهما علم له، كامرئ القيس. ومُنِعَ صرفه للتعريف والعجمة، أو التأنيت على تأويل البقعة، لا للألف. لأنه فيعال، كديماس. من السناء، بالمد، وهو: الرفعة، أو بالقصر، وهو: النور. أو ملحق بفعلال [-كعلباء- من السين؛ إذ لا فعلاء بألف التأنيت، بخلاف «سيناء» على قراءة الكوفيَّين والشاميَّ ويعقوب فإنه فيعال] ^(٥) ككيسان. أو فعلاء، كصحراء. لا فعال، إذ ليس في كلامهم.

وقرئ ^(٦) بالكسر والقصر.

﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾: أي تنبت ملتبساً بالدهن، ومستصحباً له.

ويجوز أن تكون الباء معدية لـ «تنبت». كما في قولك: ذهبت بزيد.

وقرأ ^(٧) ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية: «تَنْبَتَ». وهو إما من أنبت بمعنى

نبت؛ كقول زهير:

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قسطيناً لهم حتّى إذا أنبت البقل

أو على تقدير: تنبت ^(٨) زيتونها ملتبساً بالدهن.

وقرئ ^(٩) على البناء للمفعول، وهو كالأول. و«تثمر بالدهن» و«تخرج بالدهن»

١. أنوار التنزيل، ١٠٤/٢. ٢. ع وم: أنشأ.

٣. يوجد في م هاهنا هذه العبارة: عطف «شجرة» على «جَنَاتٍ» في نظري ضعيف ممّا ترى. وإثما الرفع

أجود. والتنوين للتعظيم. ٤. نفس المصدر والموضع.

٥. ليس في أ. ٦ و٧. نفس المصدر والموضع.

٨. ليس في ع. ٩. نفس المصدر والموضع.

[و«تخرج الدهن»^(١)] و«تنبت بالدهان».

﴿وَصَبِغٍ لِلْأَكْلَيْنِ﴾ ٣٥: معطوف على الدهن، جار على إعرابه، عطف أحد وصفي الشيء على الآخر. أي تنبت بالشيء الجامع^(٢) بين كونه دهناً يُدهن به ويُسرج منه، وكونه إداماً^(٣) يُصبغ فيه الخبز، أي يغمس فيه للانتدام. وقرئ^(٤): «وصباغ» كدباغ في دبغ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): وقوله ﷻ: «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين». قال: شجرة الزيتون. وهو مثل رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الزيت شجرة مباركة فانتدموا به، وادهنوا.

وفي مجمع البيان^(٦): «تنبت بالدهن وصبغ للأكلين». وقد روي عن النبي ﷺ وأmir المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما. فالطور الجبل، وسيناء الشجرة. وفي تهذيب الأحكام^(٧) بإسناده إلى الثمالی، عن أبي جعفر ﷺ أَنَّهُ كَانَ فِي وَصِيَّةِ أمير المؤمنين ﷺ أَن أخرجوني إلى الظهر، فإذا تصوّبت^(٨) أقدامكم، واستقبلتكم ريح، فادفوني. فهو أول طور سيناء. ففعلوا ذلك.

وإسناده إلى أبي عبد الله ﷺ حديث طويل يقول فيه ﷺ وقد ذكر أمير المؤمنين ﷺ: والغري وهي قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليماً، وقدس عليه عيسى تقديساً، واتخذ عليه إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ حبيباً. وجعله للنبيين مسكناً. فوالله ما سكن بعد أبويه الطيبين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين ﷺ. ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: تعتبرون بحالها وتستدلون بها.

١. من المصدر.

٢. كذا في أنوار التنزيل ١٠٤/٢. وفي النسخ: المجمع.

٣. كذا في المصدر والموضع. وفي النسخ: إذا ما.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. تفسير القمي، ٩١/٢.

٦. المجمع، ١٠٣/٤.

٧. التهذيب ٣٤/٨، ح ٦٩.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: تصوّبت.

﴿نُسْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: من الألبان، أو من العلف. فَإِنَّ اللَّبَنَ يَتَكُونُ مِنْهُ.
فـ«من» للتبعيض أو الابتداء.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: في ظهورها وأصوافها وشعورها.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٣): فتنفعون بأعيانها.

﴿وَعَلَيْهَا﴾: وعلى الأنعام، فَإِنَّ مِنْهَا مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ؛ كالأبل والبقر.

وقيل^(١): المراد الإبل؛ لأنها هي المحمول عليها عندهم، والمناسب للفلك؛ فَإِنَّهَا سفائن البر. قال ذو الرمة:

سفينة برّ تحت خدي زمامها

فيكون الضمير فيه، كالضمير في «وبعولتهنّ أحق برّذهنّ»^(٢).

﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾^(٣): في البرّ والبحر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: إلى آخر القصص مسوق

ليبين كفران الناس ما عدّد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاقهم بهم من زوالها.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: استئناف لتعليل الأمر بالعبادة.

وقرأ^(٣) الكسائيّ بالجرّ على اللفظ.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٣): أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه، فيهلككم ويعذبكم،

برفضكم عبادته إلى عبادة غيره، وكفرانكم نعمة التي لا تحصونها؟!

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ﴾: الأشراف.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾: لعوامهم:

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾: أن يطلب الفضل عليكم

ويسودكم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: أن يرسل رسولا.

﴿لَا تَزَلْ مَلَكَةً﴾ : رسلاً.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾^(١) ويعنون نوحاً. أي ما سمعنا به أنه نبي. أو ما كلّمهم به من الحثّ على عبادة الله ونفي له غيره، أو من دعوى النبوة. وذلك إما من فرط عنادهم، أو لأنهم كانوا في فترة متطاولة.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ حِجَّةٌ﴾ : أي جنون، ولأجله يقول ذلك.

﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾ : فاحتملوه وانتظروا.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾^(٢) : لعله يفيق من جنونه.

﴿قَالَ﴾ : بعد ما أيس من إيمانهم :

﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ : يا هلاكهم. أي بإنجاز ما وعدتهم من العذاب.

﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾^(٣) بدل تكذيبهم إياي، أو بسببه.

﴿فَاَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٤) : بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه، أو يفسده عليك مفسد.

﴿وَوَحَيْنَا﴾ : وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ : بالركوب أو نزول العذاب.

﴿وَفَارَ التَّوَرُّ﴾ : في جوامع الجامع^(٥) : «فإذا جاء أمرنا وفار التّور» الآية. روي أنه

قيل لنوح عليه السلام : إذا رأيت الماء يغور من التّور، فاركب أنت ومن معك في السفينة. فلما نبع الماء من التّور، أخبرته امرأته، فركب.

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ : فادخل فيها.

يقال : سلك فيه، وسلك غيره. قال الله تعالى^(٦) : «ما سلككم في سقر».

﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ : من كلّ أمّتي الذكر والأنثى واحدین مزدوجین.

وقرأ^(٧) حفص : «من كلّ» بالتنوين. أي من كلّ نوع زوجين. و«اثنين» تأكيد.

﴿وَأَهْلَكَ﴾ : وأهل بيتك . أو : ومن آمن معك .

﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ : أي القول من الله بإهلاكه لكفره . وإنما جيء بـ «على» لأن السابق ضار^(١) ؛ كما جيء باللام حيث كان نافعاً في قوله^(٢) : «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى» .

﴿وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ : بالدعاء لهم بالإنجاء .

﴿إِنَّهُمْ مُفْرَقُونَ﴾^(٣) : لا محالة ، لظلمهم بالإشراك والمعاصي .

ومن هذا شأنه لا يُشفع له ، ولا يُشفع فيه . كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله :

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) : كقوله^(٥) : «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» .

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي﴾ : في السفينة ، أو في الأرض .

﴿مُنْزَلاً مَبَارَكاً﴾ : يتسبب لمزيد الخير في الدارين .

وقرئ^(٦) : «منزلاً» بمعنى إنزالاً أو موضع إنزال .

﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^(٧) : ثناء مطابق لدعائه . أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه ، وتوسلاً به إلى الإجابة . وإنما أفردته بالأمر والمعلق به أن يستوي هو ومن معه ، إظهاراً لفضله ، وإشعاراً بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم ، فإنه يحيط بهم .

وفي أصول الكافي^(٨) : عده من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي بصير : قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكرًا ؟ قال : نعم .

قلت : ما هو ؟ قال^(٩) : يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال . وإن كان فيما أنعم

٢ . الأنبياء / ١٠١ .

١ . ليس في س وأ .

٤ . أنوار التنزيل ، ١٠٦/٢ .

٣ . الأنعام / ٤٥ .

٦ . ليس في أ .

٥ . الكافي ٩٥/٢ ، ٩٦ ، ح ١٢ .

الله عليه في ماله حقّ، أذاه. ومنه قول الله تعالى: «رَبِّ^(١) أَنْزَلْنِي مَنزَلاً مَبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٢) قال النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إذا نزلت منزلاً، فقل: اللهم أنزلني منزلاً مباركاً، وأنت خير المنزلين. تُرْزَقُ خيره، ويُدْفَعُ عنك شرّه. وفي كتاب الخصال^(٣) فيما علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه: وإذا نزلتم منزلاً، فقولوا: اللهم أنزلنا^(٤) منزلاً مباركاً، وأنت خير المنزلين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما فعل بنوح وقومه.

﴿لآيَاتٍ﴾: يستدلّ بها ويعتبر أولو الاستبصار والاعتبار.

﴿وَأَنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾^(٥): لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم. أو: ممتحنين عبادنا بهذه

الآيات.

و«إن» هي المخففة. واللام هي الفارقة.

وفي نهج البلاغة^(٦): أيها الناس، إنّ الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم، ولم يعذكم من أن يتليكم. وقد قال جلّ من قائل: «إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ».

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾^(٧): هم عاد أو ثمود.

﴿فَارْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: هو هود أو صالح. وإنّما جعل القرن موضع

الإرسال، ليدلّ على أنّه لم يأتهم من مكان غير مكانهم، وإنّما أوحى إليه وهو بين أظهرهم.

﴿إِنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ﴾: تفسير له «أرسلنا».

أي قلنا لهم على لسان الرسول: اعبدوا الله.

٢. الفقيه ١٩٥/٢، ح ٨٨٧.

٤. ن، س، أ: أنزلني.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: و.

٣. الخصال ٦٣٤، من حديث أربعمائة.

٥. النهج ١٥٠، الخطبة ١٠٣.

﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾: عذاب الله !؟

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾: لعله ذكر بالواو، لأن كلامهم لم يتصل بكلام الرسول، بخلاف قول قوم نوح. وحيث استؤنف به، فعلى تقدير السؤال.

﴿ وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾: بقاء ما فيها من الثواب والعقاب. أو: بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث.

﴿ وَاتْرَفْنَاهُمْ ﴾: ونعمناهم.

﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾: بكثرة الأموال والأولاد.

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾: في الصفة والحال.

﴿ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾: تقرير للمماثلة. و«ما» خبرية.

والعائد إلى الثاني منصوب محذوف، أو مجرور حذف مع الجار، لدلالة ما قبله عليه.

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ ﴾: فيما يأمركم.

﴿ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾: حيث أذلتهم أنفسكم.

و«إذا» جزاء للشرط، وجواب [للذين قالوهم من قومهم] ^(١).

﴿ أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا ﴾: مجردة من اللحوم والأعصاب،

﴿ أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾: من الأحداث - أو من العدم - تارة أخرى إلى الوجود.

و«أنكم» تكرير للأول. أكد به، لما طال الفصل بينه وبين خبره. أو «أنكم مخرجون»

مبتدأ خبره الظرف المقدم. أو فاعل للفعل المقدر، جواباً للشرط. والجملة خبر الأول. أي أنكم إخراجكم إذا مِتُّم. أو: أنكم إذا مِتُّم، وقع إخراجكم. ويجوز أن يكون خبر الأول محذوفاً، لدلالة خبر الثاني عليه، لأن يكون خبره الظرف، لأن اسمه جئة ولا يكون اسم زمان خبراً عن جئة.

﴿ هِيَاهُتْ هِيَاهُتْ ﴾: بعد التصديق أو الصحة.

﴿لَمَّا تُوْعِدُونَ﴾ ٢٥: أي بعد ما توعدون.

واللام للبيان كما في «هيئت لك»^(١).

وقيل^(٢): «هيئات» بمعنى البعد. وهو مبتدأ خبره «لما توعدون».

وقرئ^(٣) بالفتح منوناً، للتكثير. وبالضم منوناً، على أنه جمع هيهة. وغير منون، تشبيهاً بـ «قُلْ». وبالكسر، على الوجهين. وبالسكون على لفظ الوقت، وبإبدال التاء هاء.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ : أصله: إن الحياة إلا حياتنا الدنيا. فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها، حذراً عن التكرير، وإشعاراً بأن تعينها مغني عن التصريح بها، كقوله:

هي النفس ما حملتها تتحمل

ومعناه: لا حياة إلا هذه الحياة. لأن «إن» نافية دخلت على «هي» التي في معنى الحياة الدالة على الجنس، فكانت مثل «لا» التي تنفي ما بعدها نفي الجنس.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ : يموت بعضنا، ويولد بعض.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ ٢٦: بعد الموت.

﴿إِنْ هُوَ﴾ : ما هو.

﴿إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ : فيما يدعيه من الرسالة له، وفيما يعدنا من البعث.

﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٧: بمصدقين.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ : عليهم وانتقم لي منهم.

﴿بِمَا كَذَّبُون﴾ ٢٨: بسبب تكذيبهم إياي.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ : عن زمان قليل.

و«ما» صلة لتوكيد معنى القلة. أو نكرة موصوفة.

﴿لَيُضْحِكَنَّ نَادِمِينَ﴾^(١): على التكذيب، إذا عاينوا العذاب.

﴿فَاخَذَتْهُمْ الصَّبِيحَةُ﴾: صبيحة جبرئيل. صاح عليهم صبيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم، فماتوا.

واستدل به على أن القرن قوم صالح.

﴿بِالْحَقِّ﴾: بالوجه الثابت الذي لا دافع له. أو: بالعدل من الله، لقولك: فلان يقضي بالحق. أو: بالوعد الصدق.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً﴾: شبههم في دمارهم بغناء السيل^(١) وهو حميله؛ كقول العرب: سال^(٢) به الوادي لمن هلك.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «فَجَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً» الغناء اليابس الهامد من نبات الأرض.

﴿فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤): يحتمل الإخبار والدعاء. و«بعداً» مصدر بعد: إذا هلك. وهو من المصادر التي تُنصب بأفعال لا يستعمل إظهارها. واللام لبيان من دُعي عليه بالبعد. ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾^(٥): يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم.

﴿مَا نَسِبُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: الوقت الذي حد لهلاكها.

و«من» مزيدة للاستغراق.

﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾^(٦): الأجل.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾: متواترين واحداً بعد واحد. من الوتر وهو الفرد. والتاء

بدل من الواو؛ كتولج ويتقور^(٧). والألف للتأنيث؛ لأن الرسل جماعة.

١. كذا في أنوار التنزيل ١٠٧/٢. وفي النسخ: العمل.

٢. ليس في م. ٣. تفسير القمي، ٩١/٢.

٤. س، أ، م، ن: يتقول. وفي أنوار التنزيل ١٠٨/٢: يتقور.

وقرأ^(١) أبو عمرو بالتنوين، على أنه مصدر - بمعنى المواترة - وقع حالاً.
﴿كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾: إضافة الرسول مع الإرسال إلى المرسل، ومع
المجيء إلى المرسل إليهم، لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو
منتهاه إليهم.

﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾: في الإهلاك.
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: لم يبق منهم إلا حكايات يسمر بها. وهو اسم^(٢) جمع
للحديث. أو جمع أحداث، وهي ما يتحدث به تلهياً.

﴿فَبَعْدَ لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣):
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾: بالآيات التسع.
﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(٤): وحجة واضحة ملزمة للخصم.

ويجوز أن يراد به العصي. وإفرادها لأنها أولى المعجزات وأمرها تعلقت بها
معجزات شتى؛ كانقلابها حيّة، وتلقفها [ما أفكته]^(٥) السحرة، وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربهما بها، وحراستها، ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة
ورشاء ودلوا. وأن يراد به المعجزات، وبالآيات الحجج. وأن يراد بهما المعجزات،
فإنها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن الإيمان والمتابعة.
﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَلَيْنَ﴾^(٦): متكبرين.

﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ بِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾: ثنى البشر، لأنه يُطلق للواحد - كقوله^(٧): «بشراً
سويّاً» - كما يُطلق للجمع؛ كقوله^(٨): «فإمّا ترين من البشر أحداً». ولم يشن المثل، لأنه
في حكم المصدر.

١. أنوار التنزيل، ١٠٨/٢.

٢. ليس في أ.

٣. ليس في م.

٤. مريم / ١٧.

٥. مريم / ٢٦.

وهذه القصص - كما ترى - تشهد بأن قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم، لما بينهم من المماثلة في الحقيقة. وفساده يظهر للمستبصر بأدنى تأمل. فإن النفوس البشرية، وإن تشاركت في أصل القوى والإدراك، لكنها متباينة الإقدام فيها. وكما ترى في جانب نقصان أغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة، يمكن أن يكون في طرف الزيادة أغنياء عن التعلم والتفكير في أكثر الأشياء وأغلب الأحوال. فيدركون ما لا يدرك غيرهم. ويعلمون ما لا ينتهي إليه علمهم وإليه أشار بقوله ^(١) تعالى: «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما ألهمكم إله واحد».

﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ : يعني بني إسرائيل .

﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ ^(٢) : خادمون منقادون كالعباد .

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ ^(٣) : بالغرق في بحر قلزم .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ : التوراة .

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ : لعل بني إسرائيل .

قيل ^(٤) : ولا يجوز عود الضمير إلى فرعون وقومه ؛ لأن التوراة نزلت بعد إغراقهم .

﴿يَهْتَدُونَ﴾ ^(٥) : إلى المعارف والأحكام .

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ : بولادتها إياه من غير مسيس . فالآية أمر واحد

مضاف إليهما . أو : جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد، وظهرت منه معجزات أخرى؛

وأُمَّه آية بأن ولدت من غير مسيس . فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها .

﴿وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رِبْوَةٍ﴾ : قيل ^(٦) : أرض بيت المقدس، فإنها مرتفعة . أو دمشق .

أو رملة فلسطين . أو مصر ^(٧) ؛ فإن قراها على الربي .

وقرأ ^(٨) ابن عامر وعاصم بفتح الراء . وقرئ ^(٩) : «رباوة» بالضم والكسر .

٢ و٣ . أنوار التنزيل، ١٠٨/٢ .

٥ . م : حصر مصر .

٧ . نفس المصدر والموضع .

١ . الكهف / ١١٠ .

٤ . ليس في م .

٦ . نفس المصدر والموضع .

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: مستقرّ من أرض منبسطة.

وقيل ^(١): ذات ثمار وزروع؛ فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها.

﴿وَمَعِينٍ﴾ ^(٢): وماء معين ظاهر جارٍ. فعيل من: معن الماء: إذا جرى. وأصله: الإبعاد في الشيء. أو من الماعون، وهو: المنفعة. لأنه نفع. أو مفعول من عانه: إذا أدركه بعينه. لأنه لظهوره مدرك بالعيون. وصف مأواهما بذلك، لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣): وقال علي بن إبراهيم عليه السلام قوله ﷻ: «وجعلنا ابن مريم وأمه آية» إلى قوله «ومعين». قال: الربوة الحيرة. و«ذات قرار ومعين» الكوفة. وفي مجمع البيان ^(٤): «وأوبناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين». قيل: حيرة الكوفة وسوادها. والقرار مسجد الكوفة. والمعين الفرات. عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. وفي جوامع الجامع ^(٥) مثله.

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: قيل ^(٦): نداء وخطاب لجميع الأنبياء، لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة - لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة - بل على معنى أن كلاً منهم خوطب به في زمانه. فيدخل تحته عيسى دخولاً أولاً. ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيهاً على أن تهينة أسباب النعم لم تكن له خاصة، وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم، واحتجاجاً على الرهبانية في رفض الطيبات. أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقترديا بالرسل في تناول ما رزقا ^(٧).

وقيل ^(٨): النداء له. ولفظ الجمع للتعظيم.

والطيبات: ما يستلذ من المباحات.

١. نفس المصدر، ١٠٩.

٢. تفسير القمي، ٩١/٢.

٣. المجمع، ١٠٨/٤.

٤. الجوامع، ٣٠٧.

٥. أنوار التنزيل، ١٠٩/٢.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: رزقنا.

٧. نفس المصدر والموضع.

وقيل ^(١): الحلال الصافي القوام. فالحلال ما لا يُعصى الله فيه. والصافي ما لا يُنسَى الله فيه. والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل.

وفي مجمع البيان ^(٢): «يَأْيُهَا الرِّسْلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ». وروى عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا. وَإِنَّهُ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: «يَأْيُهَا الرِّسْلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ». وقال ^(٣): «يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ».

﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾: فَإِنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنْكُمْ وَالنَّافِعُ عِنْدَ رَبِّكُمْ.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ^(٤): فَأَجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ﴾: وَلَئِنْ هَذِهِ. وَالْمَعْلَلُ بِهِ «فَاتَّقُونَ». أَوْ: وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ.

وقيل ^(٥): إِنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى «مَا تَعْمَلُونَ».

وقرأ ^(٦) ابن عامر بالتخفيف. والكُوفِيُّونَ بالكسر، على الاستئناف.

﴿أَمَّتْكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾: قِيلَ ^(٧): مَلَّتْكُمْ مَلَّةٌ وَاحِدَةٌ. أَيْ مَتَّحِدَةٌ فِي الْعَقَائِدِ وَأَصُولِ

الشَّرَائِعِ. أَوْ جَمَاعَتَكُمْ جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ مَتَّفِقَةٌ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ فِي الْعِبَادَةِ وَنَصَبِ «أُمَّةٍ» عَلَى الْحَالِ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم: «أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ» قَالَ: عَلَى مَذْهَبٍ وَاحِدٍ.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ^(٨): فِي شَقِّ الْعَصَا وَمَخَالَفَةِ الْكَلِمَةِ.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٩): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ عليه السلام: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ،

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْحُسَيْنِ ^(٩) بْنِ مَخَارِقَ، عَنْ أَبِي الْوَرْدِ وَأَبِي

الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تعالى: «وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ». قَالَ: أَلَّ

مُحَمَّدٌ عليه السلام.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. المجمع، ١٠٩/٤.

٣. البقرة/١٧٢.

٤. كذا في أنوار التنزيل ١٠٩/٢. وفي النسخ: فيجازيكم.

٥-٧. أنوار التنزيل، ١٠٩/٢.

٨. تأويل الآيات الباهرة ٣٥٢/١-٣٥٣، ح ٢.

٩. المصدر: الحصين.

فعلى هذا يكون الخطاب بقوله: «أمتکم» لآل محمد صلى الله عليهم. وقوله: «أمة واحدة» أي غير متفرقة في الأقوال والأفعال^(١)، بل على طريقة واحدة لا تفترق ولا تختلف أبداً. ولو كان المعنى بها أمة محمد ﷺ جميعها، لما قال: «واحدة»^(٢) لأن النبي ﷺ قال: ستفرق أمتي من بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، والباقي في النار. والفرقة الناجية هي الأمة الواحدة، وهم آل محمد وشيعتهم.

﴿فَتَقَطُّوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾: تقطعوا أمر دينهم، وجعلوه أدياناً مختلفة. أو: فتفرقوا وتخرّبوا.

و«أمرهم» منصوب بنزع الخافض، أو التمييز. والضمير إلى ما دلّ عليه الأمة من أربابها أولها.

﴿زُبُرًا﴾: قطعاً. جمع زبور الذي بمعنى الفرقة.

ويؤيده القراءة بفتح الباء^(٣). فإنه جمع^(٤) زبرة. وهو حال من «أمرهم» أو من الواو. أو مفعول ثانٍ لـ «تقطعوا». فإنه متضمن معنى جعل.

وقيل^(٥): كتباً. من: زبرت الكتاب. فيكون مفعولاً ثانياً، أو حالاً من «أمرهم» على تقدير مثل كتب.

وقرئ^(٦) بتخفيف الباء، كرُسل في رُسل.

﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾: من المتحزبين.

﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: من الدين.

﴿فَرِحُوْنَ﴾^(٧): معجبون^(٧) معتقدون أنهم على الحق.

١. المصدر: غير متفرقة لافي أقوال ولا في الأفعال.

٢. ليس في م. ٣. أنوار التنزيل، ١٠٩/٢.

٤. ليس في أ. ٥ و٦. نفس المصدر والموضع.

٧. كذا في أنوار التنزيل ١٠٩/٢. وفي النسخ: محبون.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وقوله ﷻ: «كُلَّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ». قال: كُلٌّ من اختار لنفسه ديناً، فهو فرح به.

﴿فَذَرْنَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾: في جهالتهم.

شبهها بالماء الذي يغير القامة؛ لأنهم مغمورون فيها، أو لاعبون بها.

وقرئ^(٢): «في غمراتهم».

﴿حَتَّىٰ حَبِين﴾ (ك): إلى أن يُقتلوا أو يموتوا.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾: أنما نعطيهم ونجعله مدداً لهم.

﴿مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ﴾ (ج): بيان لـ «ما» وليس خبراً له. فإنه غير معاب عليه. وإنما

المعاب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم، فخبّره:

﴿نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: والراجع محذوف. والمعنى: أيحسبون أن الذي

نمدهم به، نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم؟!

﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (د): بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور، ليتأملوا فيعلموا أن

ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في الخير.

وقرئ^(٣): «يمدّهم» على الغيبة. وكذلك «يسارع» و«يسرع». ويحتمل أن يكون

فيهما ضمير الممدّ به. و«يسارع» مبنياً للمفعول.

وفي نهج البلاغة^(٤): فلو رخص الله في الكبر لأحد، لرخص لأنبيائه ورسله^(٥).

ولكنه سبحانه كره لهم التكابر، ورضي لهم التواضع. فألصقوا بالأرض خدودهم،

وعفّروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين. فكانوا قوماً مستضعفين

قد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجعدة، وامتحنهم بالمخاوف^(٦)، ومحصهم

١. تفسير القمي، ٩١/٢.

٢. أنوار التنزيل، ١٠٩/٢.

٣. نفس المصدر، ١١٠.

٤. النهج ٢٩٠-٢٩١، الخطبة ١٩٢.

٥. المصدر: لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه.

٦. كذا في المصدر. وفي م: بالتخايف. وفي غيرها: بالمخايف.

بالمكافأة . فلا تعتبروا الرضا والسخط^(١) بالمال والولد، جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار، في موضع الغنا والافتقار^(٢) . فقد قال سبحانه : «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» . فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَانِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

وفي مجمع البيان^(٣) : «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدَّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» . وروى السكوني، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَحْزَنُ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ إِذَا قُتِرَتْ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ أَقْرَبَ لَهُ مِنِّي . وَيَفْرَحُ إِذَا بَسَطَتْ لَهُ الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ أَبْعَدَ لَهُ مِنِّي . ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ : «بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ ذَلِكَ فِتْنَةٌ لَهُمْ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ : من خوف عذابه .

﴿مُتَّقُونَ﴾^(٤) : حذرون .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ : المنصوبة والمنزلة .

﴿يُؤْمِنُونَ﴾^(٥) : بتصديق مدلولها .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾^(٦) : شركاً جليّاً ولاخفياً .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ : يعطون ما أعطوا من الصدقات .

وقرئ^(٧) : «يأتون ما أتوا» أي يفعلون ما فعلوا من الطاعات .

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ : خائفة أن لا يقبل منهم، وأن لا يقع على الوجه اللائق، فيؤاخذ

به .

﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٨) : لأن مرجعهم إليه . أو : من أن مرجعهم إليه، وهو

يعلم ما يخفى عليهم .

﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ : يرغبون في الطاعات أشد الرغبة، فيبادرونها .

١ . كذا في المصدر . وفي النسخ : السخطة . ٢ . كذا في المصدر . وفي النسخ : الافتقار .

٣ . أنوار التنزيل ، ١١٠/٢ .

٤ . المجمع ، ١١٠/٤ .

أو: يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال، بالمبادرة إليها؛ كقوله^(١): «فأتاهم الله ثواب الدنيا». فيكون إثباتاً لهم ما نفى عن أضدادهم. «هم لها عاملون».

﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٢): لأجلها فاعلمون السبق. أو: يسبقون الناس إلى الطاعة أو الثواب؛ أو الجنة. أو: يسبقونها، أي ينالونها قبل الآخرة، حيث عجلت لهم في الدنيا؛ كقوله «هم لها عاملون»^(٣).

وفي أصول الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه وعلي بن محمد القاساني؛ جميعاً عن القاسم بن محمد، عن سليمان المنقري، عن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قدرت أن لاتعرف، فافعل. وما عليك أن لايتني عليك الناس. وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس، إذا كنت محموداً عند الله.

ثم قال^(٥): قال [أبي] علي بن أبي طالب: لا خير في العيش إلا لرجلين: رجل يزداد كل يوم خيراً، ورجل يتدارك منيته بالتوبة. وأتني له بالتوبة؟! والله، لو سجد حتى ينقطع عنقه، ما قبل الله تبارك وتعالى منه، إلا بولايتنا أهل البيت. ألا ومن عرف حقنا ورجا^(٦) الثواب فينا، ورضي بقوته نصف مد في كل يوم، وما ستر عورته، وما أكره رأسه. وهم والله في ذلك خائفون وجلون. ودّوا أنه حظهم من الدنيا. وكذلك وصفهم الله ﷻ فقال: «والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ».

ثم قال: ما الذين آتوا؟ آتوا - والله - مع الطاعة المحبة والولاية؛ وهم في ذلك خائفون. ليس خوفهم خوف شك، ولكنهم خافوا أن يكونوا مقصرين في محبتنا وطاعتنا.

٢. المؤمنون / ٦٣.

١. آل عمران / ١٤٨.

٤. ليس في م.

٣. الكافي ٤٥٦٢-٤٥٧، ح ١٥.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: رجاء.

٥. من المصدر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): ذكر ﷺ من يريد بهم الخيرة، فقال: «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» إلى قوله: «يُؤْتُونَ مَا آتَوْا» [قال: من العبادة والطاعة. وفي روضة الكافي^(٢): وهيب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألتَه عن قول الله ﷻ: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا»^(٣) وقلوبهم وجلة». قال: هي شفاعتهم ورجاؤهم. يخافون أَنْ تُرَدَّ عليهم أعمالهم، إِنْ لم يطيعوا الله عزَّ ذكره ويرجون أَنْ يقبل منهم. وفي مجمع البيان^(٤): «وقلوبهم وجلة». وقال أبو عبد الله عليه السلام: معناه: خائفة أَنْ لا يقبل منهم.

وفي رواية أخرى^(٥): يُؤْتِي مَا آتَى، وهو خائف راج. وفي محاسن البرقي^(٦): عنه، عن [الحسن بن علي]^(٧) بن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: «الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وقلوبهم وجلة أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» قال: يعملون ما عملوا من عمل، وهم يعلمون أَنَّهُمْ يثابون عليه.

وروى عثمان بن عيسى^(٨)، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يعملون ويعلمون أَنَّهُمْ سيثابون عليه.

عنه^(٩)، عن أبيه، عن ابن سنان، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو أَنَّ العباد وصفوا الحقَّ وعملوا به، ولم تعقد^(١٠) قلوبهم على^(١١) أَنَّهُ الحقَّ، ما انتفعوا به^(١٢).

-
- | | |
|-------------------------------|---------------------------------------|
| ١. تفسير القمي، ٩١/٢. | ٢. الكافي ٢٢٩/٨، ح ٢٩٤. |
| ٣. لا يوجد في ع ون. | ٤. المجمع، ١١٠/٤. |
| ٥. المجمع، ١١٠/٤. | ٦. المحاسن ٢٤٦، ح ٢٥٦؛ وص ٢٤٧، ح ٢٥٢. |
| ٧. ليس في المصدر. | ٨. نفس المصدر ٢٤٧، ح ٢٥٢. |
| ٩. نفس المصدر ٢٤٨-٢٤٩، ح ٢٥٥. | ١٠. المصدر: لم يعقد. |
| ١١. ليس في المصدر. | ١٢. من ع. ليس في المصدر أيضاً. |

وفي أصول الكافي^(١): عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن حديد، عن منصور بن يونس، عن الحارث بن المغيرة أو أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما كان في وصية لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب. وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله تعالى خيفة لو جنته ببر الثقلين، لعذبك. وارج الله رجاء لو جنته بذنوب الثقلين، لرحمك.

محمد بن يحيى^(٢)، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إِنْ مِمَّا حَفِظَ مِنْ خُطْبِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَلَا إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَعْمَلُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ^(٣): بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ. وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا اللَّهُ ﷻ قَاضٍ فِيهِ. وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، أَخَذْتُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ. وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^(٤): وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: «أُولَئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ» يَقُولُ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ^(٥).

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْإِمَامُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ اعْنَأَبِيهِ^(٧) عليه السلام قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَدِهِ: «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» آيَةً إِلَى قَوْلِهِ: «وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ».

﴿وَلَا تَكُلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: قَدَر طَاقَتَهَا.

يريد التحريض على ما وصف به الصالحين، وتسهيله على النفوس.

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾: يَعْنِي اللُّوحُ أَوْ صَحِيفَةُ الْأَعْمَالِ.

٢. نفس المصدر ٧٠، ح ٩.

١. الكافي ٦٧/٢، ح ١.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: المخافتين.

٤. تفسير القمي، ٩٢/٢.

٦. تأويل الآيات الباهرة ٣٥٣/١، ح ٤.

٥. ليس في ع.

٧. من المصدر مع المعقوفتين.

﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾: بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع.

وفي كتاب المناقب^(١) لابن شهر آشوب، في مناقب زين العابدين عليه السلام: وكان إذا دخل شهر رمضان، يكتب على غلمانه ذنوبهم حتى إذا كان آخر ليلة دعاهم، ثم أظهر الكتاب وقال: يا فلان، فعلت كذا وكذا، ولم أؤذيك. فيقرون أجمع.

فيقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين، ربك قد أحصى عليك ما عملت، كما أحصيت علينا. ولديه كتاب ينطق بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة. فاذكر ذلّ مقامك بين يدي ربك الذي لا يظلم مثقال ذرة. «وكفى بالله شهيداً»^(٢). فاعف واصفح، يعف عنك المليك؛ لقوله^(٣) تعالى: «وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم» ويبيكي وينوح.

﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾^(٤): بزيادة عقاب أو نقصان ثواب.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب الكفرة.

﴿فِي غَمْرَةٍ﴾: في غفلة عامرة لها.

﴿مِنْ هَذَا﴾: من الذي وصف به هؤلاء. أو: من كتاب الحفظة.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾: خبيثة.

﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾: متجاوزة لما وصّفوا به، أو متخطية عما هم عليه من الشرك.

﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾^(٥): معتادون فعلها.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾: متنعّميهـم.

﴿بِالْعَذَابِ﴾: يعني القتل يوم بدر.

وفي جوامع الجامع^(٦): «حتى إذا أخذنا مترفّيهـم بالعذاب». والعذاب قتلهم يوم

بدر، والجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: اللهم اشدّد وطأتك على مضر.

١. المناقب، ١٥٨/٤.

٢. النساء، ٧٩.

٣. النور، ٢٢.

٤. الجوامع، ٣٠٨.

واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف. فابتلاهم [الله] ^(١) بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقذر ^(٢) والأولاد.

وفي مجمع البيان ^(٣) ذكر نحو الثاني، ونقله قولاً عن الضحاك.

وفي جوامع الجامع ^(٤): «أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين» ^(٥). حيث خافوا الله، فآمنوا به وأطاعوه. «وآباءهم» إسماعيل وأعقابهم ^(٦).

وعن النبي ﷺ: لا تسبوا مضر، ولا ربيعة؛ فإنهما كانا مسلمين. ولا تسبوا الحارث بن كعب، ولا أسد بن خزيمه، ولا تميم بن عامر ^(٧)؛ فإنهم كانوا على الإسلام. وما شككتهم فيه ^(٨) من شيء، فلا تشكوا في أن تبعاً كان مسلماً.

﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ ^(٩): فاجزوا الصراخ بالاستغاثة.

وهو جواب الشرط. والجملة مبتدأة [بعد «حتى»] ^(١٠).

ويجوز أن يكون الجواب:

﴿لَا تَجْأَرُوا النُّومَ﴾: فإنه مقدر بالقول. أي قيل لهم: لا تجأروا.

﴿إِنَّكُمْ مَنَا لَا تَنْصَرُونَ﴾ ^(١١): تعليل للنهي. أي لاتجأروا؛ فإنه لا ينفعكم، إذ

لا تمنعون منا، أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا.

﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تَتْلَى عَلَيْكُمْ﴾: يعني القرآن.

﴿فَكَتَّمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَكْصُونَ﴾ ^(١٢): تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها

والعمل بها.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾: قيل ^(١٣): الضمير للبيت. وشهرة استكبارهم وافتخارهم بأنهم

٢. المصدر: القَدْ.

١. من المصدر.

٤. الجوامع، ٣٠٨.

٣. المجمع، ١١٢/٤.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: وإسحاق وأعقابهم.

٥. المؤمنون / ٦٨.

٨. المصدر: تميم بن مر.

٧. نفس المصدر والموضع.

١٠. ليس في ع.

٩. المصدر: منه.

١١. أنوار التنزيل، ١١١/٢.

قَوَامِهِ، أَغْنَى عَنْ سَبْقِ ذِكْرِهِ. أَوْ لـ «آيَاتِي» فَإِنَّهَا بِمَعْنَى كِتَابِي، وَالبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِـ «مُسْتَكْبِرِينَ» لِأَنَّهُ بِمَعْنَى مُكَذِّبِينَ. أَوْ لِأَنَّ اسْتِكْبَارَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَدَثَ بِسَبَبِ اسْتِمَاعِهِ. أَوْ بِقَوْلِهِ:

﴿سَامِرًا﴾: أَي تَسْمُرُونَ بِذِكْرِ الْقُرْآنِ وَالطَّعْنِ فِيهِ. وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مُصَدَّرٌ جَاءَ عَلَى لَفْظِ الْفَاعِلِ؛ كَالْعَاقِبَةِ.

وَقُرئ^(١): «سَمَرًا» جَمَعَ سَامِرٌ.

﴿تَهْجُرُونَ﴾^(٢): مِنَ الْهَجْرِ -بِالْفَتْحِ- إِنَّمَا بِمَعْنَى الْقَطِيعَةِ، أَوْ الْهَذْيَانِ. أَي تَعْرَضُونَ عَنِ الْقُرْآنِ. أَوْ تَهْذُونَ فِي شَأْنِهِ. أَوْ الْهَجْرِ -بِالضَّمِّ-: الْفَحْشُ. وَيؤَيِّدُ الثَّانِي قِرَاءَةُ بِالنَّافِعِ^(٣): «تُهْجِرُونَ» مِنْ أَهْجَرَ، بِمَعْنَى أَفْحَشَ.

وَقُرئ^(٤): «تَهْجُرُونَ» عَلَى الْمُبَالَغَةِ.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾: أَي الْقُرْآنَ، لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ بِإِعْجَازِ لَفْظِهِ وَوُضُوحِ مَدْلُولِهِ.

﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٥): مِنَ الرُّسُولِ وَالكِتَابِ -أَوْ مِنَ الْأَمْنِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ- فَلَمْ يَخَافُوا كَمَا خَافَ آبَاؤُهُمُ الْأَقْدَمُونَ -كَإِسْمَاعِيلَ وَأَعْقَابَهُ- فَآمَنُوا بِهِ وَبَكْتَبِهِ وَرُسُلِهِ وَأَطَاعُوهُ.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾: بِالْأَمَانَةِ وَالصِّدْقِ وَحَسَنِ الْخُلُقِ وَكَمَالِ الْعِلْمِ مَعَ عَدَمِ التَّعَلُّمِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ صِفَةِ الْأَنْبِيَاءِ.

﴿فَنَهَمَ لَهُ مُتَكِرُونَ﴾^(٦): دَعَا لَهُ أَحَدُ هَذِهِ الْوُجُوهِ؛ إِذْ لَا وَجْهَ لَهُ غَيْرَهَا. فَإِنَّ الْإِنْكَارَ الشَّيْءَ، قَطْعًا أَوْ ظَنًّا، إِنَّمَا يَتَجَهَّ إِذَا ظَهَرَ امْتِنَاعُهُ بِحَسَبِ النُّوعِ أَوْ الشَّخْصِ أَوْ بَحْثِ عَمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَقْصَى مَا يُمْكِنُ فَلَمْ يَوْجِدْ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ حِجَّةٌ﴾: فَلَا يَبَالُونَ بِقَوْلِهِ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَرْجَحُهُمْ عَقْلًا، وَأَتَقْنَهُمْ نَظَرًا.

﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٣٧): لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم، فلذلك أنكروه.

وإنما قيد الحكم بالأكثر، لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافاً من توبيخ قومه، أو لقلة فطنته وعدم فكره؛ لا لكرهه الحق.

﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾: بأن كان في الواقع آلهة شتى.

﴿لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾: كما سبق تقريره في قوله (١): «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا».

وقيل (٢): لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلاً، لذهب ما قام به العالم فلا يبقى. أو: لو اتبع الحق الذي جاء به محمد ﷺ أهواءهم [وانقلب شركاً، لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه. أو: لو اتبع الله أهواءهم] (٣) بأن أنزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي، لخرج عن الألوهية، ولم يقدر أن يمسك السماوات والأرض. [وهو على أصل المعتزلة] (٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٥): «ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن». قال: الحق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام.

﴿بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾: بالكتاب الذي هو ذكرهم؛ أي وعظهم، أو صيتهم. أو الذكر الذي تمنوه بقولهم: «لو أن عندنا ذكراً من الأولين» (٦).

وقرى (٧): «بذكرهم».

﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٨): لا يلتفتون إليه.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾: قيل (٨): إنه قسيم قوله: «أم به جنة».

﴿خُرُجاً﴾: أجراً على أداء الرسالة.

٢. أنوار التنزيل، ١١١/٢.

٤. من ع.

٦. الصافات / ١٦٨.

١. الأنبياء / ٢٢.

٣. لا يوجد في ع، س، أ.

٥. تفسير القمي، ٩٢/٢.

٧ و ٨. أنوار التنزيل، ١١١/٢.

﴿فَخَرَجَ بِكَ﴾: رزقه في الدنيا. أو: ثوابه في الآخرة.

﴿خَيْرٌ﴾: لسعته ودوامه. ففيه مندوحة لك عن عطائهم.

والخراج بإزاء الدخل؛ يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك. والخراج غالب في الضريبة على الأرض. ففيه إشعار بالكثرة واللزوم، فيكون أبلغ. ولذلك عبّر به عن عطاء الله إياه.

وقرأ^(١) ابن عامر: «خرجاً فخرج ربك». وحمزة والكسائي: «خراجاً فخراج» للمزاوجة.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٢): تقرير لخيرية خراجه.

﴿وَأَنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣): تشهد العقول السليمة على استقامته لاعوج فيه يوجب اتهامهم له. واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة، وأزاح العلة في هذه الآيات، بأن حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام، وبين انتفاءها عدا كراهة الحق وقلة الفطنة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «أم تسألهم خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين» يقول: أم تسألهم أجراً، فأجر ربك خير^(٣). وقوله: «وَأَنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٤) قال: إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي أمالي شيخ الطائفة^(٥) بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: لعلي عليه السلام: من أحبك لدينك، وأخذ بسبيلك، فهو ممن يهدي إلى صراط مستقيم. ومن رغب عن هواك، وأبغضك وانجلاك، لقي الله يوم القيامة لاخلق له.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّراطِ﴾: السوي.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. تفسير القمي ٩٤/٢، ٩٢.

٣. ليس في ن.

٤. لم نجده في المصدر، ولكن رواه نور الثقلين ٥٨٤/٣، ح ٩٦.

﴿لَنَّاكِبُونَ﴾ (٣١): لعادلون عنه؛ فَإِنَّ خَوْفَ الْآخِرَةِ أَقْوَى الْبَوَاعِثِ (٣٢) عَلَى طَلَبِ الْحَقِّ وسلوك طريقه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٣٣): قال: «وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ». قال: عن الإمام لحاندون (٣٤).

وفي أصول الكافي (٣٥): الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن عبدالله (٣٦) بن عبدالرحمان، عن الهيثم بن واقد، عن مقرن (٣٧) قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول (٣٨): قال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ شَاءَ لَعَرَفَ الْعِبَادَ نَفْسَهُ، وَلَكِنْ جَعَلْنَا أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ وَسَبِيلَهُ، وَالْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتِي مِنْهُ. فَمَنْ عَدَلَ عَنِ وَلَايَتِنَا، أَوْ فَضَّلَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا، فَإِنَّهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي روضة الكافي (٣٩) خطبة مسندة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة، يقول فيها عليه السلام وقد ذكر الأشقيين: يقول لقرينه إذا التقيا: «يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ» (٤٠). فيجيبه الأشقى على رثوته: يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَخْذَكَ خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَلْتَنِي (٤١) عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً (٤٢).

فأنا الذكر الذي عنه ضلّ، والسبيل الذي عنه مال، والإيمان الذي به كفر، والقرآن الذي إياه هجر، والدين الذي به كذب والصراط الذي عنه نكب.

٢. تفسير القمي، ٩٢/٢-٩٣.

١. ع. وأ: لأقوى على...

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: لحاندون. ٤. الكافي ١٨٤/١، ح ٩.

٥. س. وأ: عبيد الله.

٦. كذا في المصدر وجامع الرواة ٢٦٢/٢. وفي النسخ: صفوان.

٧. ليس في ن. ٨. الكافي ٢٧/٨-٢٨، ح ٤.

٩. الزخرف ٣٨. ١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: أضلّني.

١١. العبارة مأخوذة من الآيتين ٢٨ و ٢٩ من سورة الفرقان.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْفَضِيلِ^(٢) الْأَهْوَازِيُّ، عَنْ بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ غَلَامِ الْخَلِيلِ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ بْنِ طَالِبٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ». قَالَ: عَنْ وَلايتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

وعنه أيضاً قال^(٣): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ، عَنْ جَعْفَرِ الرِّيَّانِيِّ^(٤)، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلْوَانَ^(٥)، عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ^(٦)، عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نَابَتَةَ، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: قَوْلُهُ تعالى: «وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ» قَالَ: عَنْ وَلايتِنَا^(٧).

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾: يعني القحط.

﴿لَلْجُودِ﴾: لثبوا، واللجاج: التماذي في الشيء.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: إفراطهم في الكفر واستكبارهم عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين.

﴿يَعْمَهُونَ﴾^(٨): عن الهدى.

وفي جوامع الجامع^(٩): «ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍّ للجهنم في طغيانهم يعمهون». ولما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي، ولحق باليمامة، ومنع الميرة من أهل مكة، وأخذهم الله بالنسبين حتى أكلوا العلهز - وهو دم القراد مع الصوف - جاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أنشدك الله والرحم، ألسنت تزعم أنك بُعثت رحمة للعالمين؟! فقال: بلى. فقال له: قتلت الأباء بالسيف، والأبناء بالجوع.

١. تأويل الآيات الباهرة ١/ ٣٥٤-٣٥٥، ح ٦. ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الفضيل.

٣. نفس المصدر ١/ ٣٥٥، ح ٧. ٤. المصدر: الرماني.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: حسن بن حسين بن علوان.

٦. ع وس: ظريف. ٧. ليس في أ.

٨. الجوامع، ٣٠٩.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾: يعني القتل يوم بدر.

﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾^(٦): بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم.

واستكان: استفعل من الكون؛ لأنَّ المفتقر انتقل من كون إلى كون. أو افتعل من السكون أشبعت فتحته. وليس من عادتهم التضرع. وهو استشهاد على ما قبله.

وفي أصول الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: «فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ»؟ فقال: الاستكانة هي الخضوع، والتضرع رفع اليدين والتضرع بهما.

[محمد بن يحيى^(٢)، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: «فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ». قال: الاستكانة هي الخضوع، والتضرع رفع اليدين والتضرع بهما]^(٣).

وفي مجمع البيان^(٤): وروي عن مقاتل بن حيان، عن الأصمعي بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: رفع الأيدي من الاستكانة. [قلت: وما الاستكانة؟]^(٥) قال: ألا تقرأ هذه الآية: «فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ»! أوردته الثعلبي والواحدي في تفسيريهما.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: الاستكانة الدعاء. والتضرع رفع اليدين^(٦) في الصلاة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: قيل^(٨): يعني الجوع؛ فإنه أشد من الأسر والقتل.

وفي مجمع البيان^(٩): وذلك حين دعا النبي ﷺ عليهم، فقال: اللهم [اجعلها

٢. نفس المصدر (٤٨١)، ج ٦.

١. الكافي ٤٧٩/٢ - ٤٨٠، ج ٢.

٣. لا يوجد في أ.

٤. لم نثر عليه في المجمع؛ ولكن رواه نور الثقلين ٥٥٠/٣، ج ١٠٣.

٥. ليس في ن. ٦. المجمع، ١١٣/٤.

٧. المصدر: اليد. ٨. أنوار التنزيل، ١١٢/٢.

٩. المجمع، ١١٤/٤.

عليهم^(١) سنين كسني^(٢) يوسف. فجاءوا؛ حتى أكلوا العلهز. وهو الوبر بالدم.

وقال أبو جعفر^(٣): هو في الرجعة.

وقيل^(٤): هو القتل يوم بدر.

وقيل^(٥): فتحنا عليهم باباً من عذاب جهنم في الآخرة.

وقيل^(٦): ذلك حين فتح مكة.

﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسُوْنَ﴾^(٧): متحيرون آيسون من كل خير؛ حتى جاءك أعتاهم

يستعطفك.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾: لتحسوها ما نصب من الآيات.

﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾: لتتفكروا فيها، وتستدلوا بها، إلى غير ذلك من المنافع الدينية

[والدينية^(٨)].

﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾^(٩): تشكرونها شكراً قليلاً؛ لأن العمدة في شكرها استعمالها

فيما خلقت لأجلها، والإذعان لما نحلها من غير إشراك.

و«ما» صلة للتأكيد.

وفي نهج البلاغة^(١٠): قال ﷺ: اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم،

ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: [خلقكم]^(١١) وبشكم فيها بالتناسل.

﴿وَالَّذِي تُخَسِّرُونَ﴾^(١٢): تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّ وَيُبَيِّتْ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: ومختص به تعاقبهما،

لا يقدر عليه غيره، فيكون رداً لنسبته إلى الشمس حقيقة. أو: لأمره وقضائه تعاقبهما،

أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر.

١. ليس في المصدر.

٢-٦. نفس المصدر والموضع.

٨. النهج ٤٧٠، الحكمة ٨.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: كسني.

٧. من أنوار التنزيل، ١١٢/٢.

٩. من أنوار التنزيل، ١١٢/٢.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٨٥): بالنظر والتأمل أُنَّ الكلَّ مِنَّا، وَأُنَّ قدرتنا تعمُّ الممكنات كلها،
وَأُنَّ البعث من جملتها؟!

وقرئ^(١) بالياء، على أَنَّ الخطاب السابق لتغليب المؤمنين.

﴿بَلْ قَالُوا﴾: أي كفَّار مكَّة.

﴿مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾^(٨٦): آباؤهم ومن دان بدينهم.

﴿قَالُوا أَيَّذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾^(٨٧): استبعاداً. ولم يتأملوا أَنهم كانوا قبل ذلك أيضاً تراباً فُخِّلُوا.

﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٨٨): إلا أكاذيبهم التي كتبوها. جمع أسطورة؛ لأنه يستعمل فيما يتلوهى به، كالأعاجيب والأصاحيك.

وقيل^(٢): جمع أسطار^(٣) جمع سطر.

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٨٩): إن كنتم من أهل العلم، أو من العالمين بذلك.

فيكون استهانة بهم وتقريراً لفرط جهالتهم؛ حتَّى جهلوا مثل هذا الجليّ الواضح. والزمام بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره. ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا، فقال:

﴿سَيَقُولُونَ لَهِ﴾: لأنَّ العقل الصريح قد اضطرَّهم بأدنى نظر إلى الإقرار بأنَّه خالقها.

﴿قُلْ﴾: أي بعد ما قالوه:

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٩٠): فتعلمون أن من قد فطر الأرض ومن فيها ابتداءً، قدر على إيجادها ثانياً؟! فإنَّ بدء الخلق ليس أهون من إعادته.

وقرئ^(٤): «تذكرون» على الأصل.

١. أنوار التنزيل، ١١٢/٢.

٢. أنوار التنزيل، ١١٣/٢.

٣. أنوار التنزيل، ١١٣/٢.

٤. ليس في م.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦): فَإِنَّهَا أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ .
 ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ : قرأ^(١) أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده ، على ما يقتضيه لفظ السؤال .

﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٨٧): عقابه ، فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ، ولا تنكروا قدرته على بعض مقدراته ؟!

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ : ملكه غاية ما يمكن .
 وقيل^(٢) : خزائنه .

﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ : يغيث من يشاء ويحرسه .
 ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ : ولا يغاث عليه أحد ، ولا يمنع منه .
 وتعديته بـ «على» لتضمين معنى النصرة .

﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨):

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ﴾ (٨٩): فمن أين تُخدعون ، فُتَصْرَفُونَ عن الرشد مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلة ؟!

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ : من التوحيد والوعد بالنشور .

﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٩٠): حيث أنكروا ذلك .

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ : لتقدسه عن مماثلة أحد .

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ : يساهمه في الألوهية .

﴿إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَغْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ : جواب محاجتهم . وجزاء

شرط خُذِفَ ، لدلالة ما قبله عليه . أي لو كان معه آلهة كما تقولون ، لذهب كل واحد منهم بما خلقه ، واستبدَّ به ، وامتاز ملكه من ملك الآخرين ، ووقع بينهم التحارب والتغالب ؛ كما هو حال ملوك الدنيا . فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء . واللازم

باطل بالإجماع والاستقراء. وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): «ثم ردّ الله ﷻ على الثنوية الذين قالوا بالهين، فقال: «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض». قال: لو كانا^(٢) إلهين كما زعمتم، إلکانا يختلفان، فيخلق هذا ولا يخلق هذا، ويريد هذا ولا يريد هذا و[^(٣) لطلب كلّ واحد منهما العلوّ^(٤)]. وإذا شاء واحد أن يخلق إنساناً، شاء الآخر أن يخالفه فيخلق بهيمة، فيكون [الخلق منهما على مشيئتهما واختلاف إرادتهما]^(٥) إنساناً وبهيمة في حالة واحدة. فهذا [من أعظم المحال]^(٦) غير موجود. وإذا بطل هذا، ولم يكن بينهما اختلاف، بطل الاثنان وكان واحداً^(٧). فهذا التدبير واتّصاله وقوام بعضه ببعض، يدلّ على صانع واحد^(٨). وهو قول الله ﷻ: «ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض». [وقوله^(٩): «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»]^(١٠).

وفي كتاب التوحيد^(١١) بإسناده إلى الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن عليه السلام حديث طويل، وفي آخره: قلت: جعلت فداك، بقيت مسألة. قال: هات، لله أبوك. قلت: يعلم القديم ما لم يكن أن لو كان، كيف كان يكون؟ قال: ويحك، إنّ مسائلك لصعبة. أما سمعت الله يقول^(١٢): «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»؟! وقوله: «ولعلا

٢. المصدر: كان.

١. تفسير القمي، ٩٣/٢.

٤. المصدر: الغلبة.

٣. من المصدر.

٦. ليس في المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٧. المصدر: وإذا بطل هذا، ثبت التدبير والصنع لواحد.

٨. المصدر: ودلّ أيضاً التدبير وثباته وقوام بعضه ببعض على أنّ الصانع واحد.

١٠. ليس في المصدر.

٩. الأنبياء / ٢٢.

١٢. الأنبياء / ٢٢.

١١. التوحيد ٦٥، ح ١٨.

بعضهم على بعض». وقال ^(١) يحكي قول أهل النار: «أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل». وقال ^(٢): «ولو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه». فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان، كيف كان يكون.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ ^(٣): من الولد والشريك، لما سبق من الدليل على فساده.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: خبر مبتدأ محذوف. وقد جرّه ^(٤) ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة. وهو دليل آخر على نفي الشريك، بناءً على توافقهم في أنه المتفرد بذلك. ولهذا رتب عليه:

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾.

﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(٥): بالفاء.

وفي كتاب معاني الأخبار ^(٦) بإسناده إلى ثعلبة بن ميمون، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «عالم الغيب والشهادة». فقال: الغيب ما لم يكن. والشهادة ما قد كان.

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي﴾: إن كان لابد من أن تريني. لأن «ما» والنون للتأكيد.

﴿مَا يُوْعَدُونَ﴾ ^(٧): من العذاب في الدنيا والآخرة.

وفي مجمع البيان ^(٨): وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن أبي صالح، عن ابن عباس وجابر بن عبد الله، أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع - وهو بمنى -: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض! وإيم الله، لئن فعلتموها، لتعرفوني ^(٩) في كتيبة يضاربونكم. قال: فتمز من خلفه منكبه الأيسر

١. فاطر / ٣٧.

٢. الأنعام / ٢٨.

٣. أنوار التنزيل، ١١٣/٢.

٤. معاني الأخبار ١٤٦، ح ١.

٥. مجمع البيان ١١٧/٤. شواهد التنزيل ٤٠٣/١، ح ٥٥٩.

٦. المصدر: لتعرفني.

فالتفت، فقال: أو عليّ. فنزل: «قل ربّ إمّا ترينّي» الآيات.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١) روي هذا الخبر عن محمد بن العباس بأدنى تغيير.

﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٢): قريناً لهم في العذاب.

وهو إمّا لهضم النفس، أو لأنّ شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم، كقوله^(٣): «واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة».

عن الحسن^(٤): إنّ الله تعالى أخبر نبيّه أنّ له في أمته نعمة، ولم يطلعه على وقتها. فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء. وتصدير كلّ واحد من الشرط والجزاء به، فضل تضرّع وجوار.

﴿وَأَنَا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾^(٥): لكنّا نؤخره علماً بأنّ بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون. أو: لأنّا لا نعدّ بهم وأنت فيهم.

ولعلّه ردّ لإنكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاءً.

وقيل^(٦): قد أراه، وهو قتل بدر، أو فتح مكة.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾: وهو الصفع عنها والإحسان في مقابلتها، لكن بحيث لم يؤذ إلى وهن في الدين.

وقيل^(٧): هي كلمة التوحيد. و«السيّئة» الشرك.

وقيل^(٨): هو الأمر بالمعروف. و«السيّئة» المنكر. وهو أبلغ من «ادفع بالحسنة

السيّئة» لما فيه من التنصيص على التفضيل.

وفي الكافي^(٩): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن بعض

أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام إلى بشير بن^(١٠) عطار^(١١)

١. تأويل الآيات الباهرة ٣٥٥/١، ح ٨؛ ونقله في الهامش عن تفسير فرات ١٠٢.

٢. الأنفال ٢٥.

٣. ٦-٣. أنوار التنزيل، ١١٤/٢.

٤. الكافي ٢٦٨٧، ح ٤٠.

٥. المصدر: بشر.

٦. م: عطار. ن: عطاء.

التيمي^(١) في كلام بلغه. فمَرَّ به رسول أمير المؤمنين ﷺ في بني أسد، وأخذه. فقام نعيم بن دجاجة الأسدي فأقلته^(٢).

فبعث إليه أمير المؤمنين ﷺ، فأتوه به وأمر به أن يُضرب. فقال له نعيم: أما والله إنَّ المقام معك لذَّ. وإنَّ فراقك لكفر. قال: فلَمَّا سمع ذلك منه قال له: [يا نعيم]^(٣) قد عفونا عنك. إنَّ الله ﷻ يقول: «ادفع بالتي هي أحسن السيئة». أمَّا قولك: «إنَّ المقام معك لذَّ»، فسيئة اكتسبتها. وأمَّا قولك: «وإنَّ فراقك فكفر»، فحسنة اكتسبتها. فهذه بهذه ثم أمر أن يُخلَّى عنه.

وفي محاسن البرقي^(٤): عنه، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن عَمَن أخبره، عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله تعالى: «ادفع بالتي هي أحسن السيئة» قال: التي هي أحسن، التقية. «فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم»^(٥).

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾^(٦): أي منك بما يصفونك، أو: بوصفهم إياك على خلاف حالك، وأقدر على جزائهم؛ فكلَّ إلينا أمرهم.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(٧): وساوسهم.

وأصل الهمز: النخس. ومنه: مهماز الرائض. شبه حَثْمَ الناس على المعاصي، بهمز الراضة الدواب على المشي. والجمع للممّرات، أو لتنوع الوسوس، أو لتعدد المضاف إليه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): وقوله: «وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين». قال: ما يقع في قلبك من وسوسة الشياطين.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾^(٩): يحوموا حولي في شيء من الأحوال.

١. المصدر: التيمي.

٢. أي خلّصه.

٣. من المصدر.

٤. المحاسن ٢٥٧، ح ٢٩٧.

٥. فصلت / ٣٤.

٦. تفسير القمي، ٩٣/٢.

وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل، لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾: متعلق بـ«يصفون». وما بينهما اعتراض لتأكيد الإغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان أن يزلّه عن الحلم، وبغيره على الانتقام. أو بقوله: «إنهم لكاذبون».

﴿قَالَ﴾: تحسراً على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة، لما أطلع على الأمر: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٣٠) ردوني إلى الدنيا.

والواو لتعظيم المخاطب.

وقيل (١): لتكرير قوله «ارجعني» كما قيل في قفا وأطرقا.

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾: في الإيمان الذي تركته. أي لعلّي آتي بالإيمان وأعمل فيه.

وقيل (٢): في المال، أو في الدنيا.

وعنه (٣) عليه السلام: إذا عاين المؤمن الملائكة، قالوا: أنرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟! بل قدوماً إلى الله. وأما الكافر، فيقول: «رَبِّ ارْجِعُون».

وفي كتاب ثواب الأعمال (٤): وذكر أحمد بن أبي عبدالله أن في رواية أبي بصير، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من منع الزكاة، سأل الرجعة عند الموت. وهو قول الله تعالى: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ». وفي الكافي (٥): يونس، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من منع قيراطاً من الزكاة، فليس بمؤمن ولا مسلم. وهو قوله تعالى: «رَبِّ ارْجِعُون لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ».

﴿كَلَّا﴾: ردع عن طلب الرجعة، واستبعاد لها.

٤. ثواب الأعمال ٢٨٠، ح ٥.

١-٣. أنوار التنزيل، ١١٤/٢.

٥. الكافي ٥٠٣/٣، ح ٣.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾: يعني قوله «رَبِّ ارْجِعُون» إلى آخره. والكلمة، الطائفة من الكلام المنتظم^(١) بعضها مع بعض.

﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾: لا محالة، لتسلط الحسرة عليه.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٢)، في وصية النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ، تارك الزكاة يسأل الرجعة إلى الدنيا. وذلك قول الله ﷻ «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون» الآية.

وفي أمالي الصدوق^(٣) عن الصادق عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: إذا مات الكافر، شيعه سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره. وأنه ليناشد حامله بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلان، ويقول: لو أن لي كزرة فأكون من المؤمنين^(٤). ويقول: «رَبِّ ارْجِعُون لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت». فتجيبه الزبانية: كلاً إنها كلمة أنت^(٥) قائلها.

وفي مجمع البيان^(٦): وروى العياشي بإسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: جعلت فداك، أيعرف القديم سبحانه الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون؟

قال: ويحك، إن مسألتك لصعبة. أما قرأت قوله ﷻ، إلى قوله: -وقال- يحكي قول الأشقياء: «رَبِّ ارْجِعُون لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت كلاً إنها كلمة هو قائلها» [وقال^(٧)]: «ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون»^(٨). فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان، كيف كان يكون.

١. ليس في أ. ٢. الفقيه ٢٦٦/٤، ح ٨٢٣.

٣. أمالي الصدوق ٢٣٩، المجلس ٤٨، ح ١٢.

٤. حكى سبحانه هذا المضمون عن الكافر في كتابه المجيد، فقال في موضع: «فلو أن لنا كزرة فنكون من المؤمنين» (الشعراء / ١٠٢). وفي موضع آخر: «لو أن لي كزرة فأكون من المحسنين» (الزمر / ٥٨).

٥. س، أن، هو. ٦. مجمع البيان، ١١٧/٤ - ١١٨.

٧. الأنعام / ٢٨. ٨. من المصدر.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾: أمامهم، والضمير للجماعة.

﴿بَرْزَخٌ﴾: حائل بينهم وبين الرجعة.

﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾^(١): يوم القيامة.

وهو إقناط كليّ عن الرجوع إلى الدنيا، لما علم أنّه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا، وإنّما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١): وقوله ﷺ: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون».

قال: البرزخ هو أمر بين أمرين. وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة. (وهو ردّ على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب قبل القيامة)^(٢). وهو قول الصادق عليه السلام: «والله ما أخاف عليكم إلّا البرزخ، وأمّا إذا صار الأمر إلينا، فنحن أولى بكم».

وقال عليّ بن الحسين^(٣) عليه السلام: إنّ القبر إمّا روضة من رياض الجنّة، وإمّا حفرة من حفر النار^(٤).

وفيه أيضاً^(٥): وقوله: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون». فقال^(٦) الصادق عليه السلام:

البرزخ، القبر. وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة. والدليل على ذلك، قول العالم عليه السلام: والله ما نخاف عليكم إلّا البرزخ.

وفي كتاب الخصال^(٧) عن الزهريّ قال: قال عليّ بن الحسين بن عليّ بن

أبي طالب عليه السلام: أشدّ ساعات ابن آدم، ثلاث ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقوم^(٨) فيها بين يدي الله، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار.

١. تفسير القميّ، ٩٣/٢ - ٩٤.

٢. من المصدر.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. ن: النيران.

٥. نفس المصدر، ١٩ - ٢٠.

٦. ن: وقال.

٧. الخصال ١١٩ - ١٢٠، ح ١٠٨. والحديث طويل.

٨. المصدر: يقف.

ثم قال: إن نجوت - يا ابن آدم - عند الموت، فأنت أنت، وألا هلكت. وإن نجوت - يا ابن آدم - حين توضع في قبرك، فأنت أنت، وألا هلكت. وإن نجوت حين تحمل^(١) على الصراط، فأنت أنت، وألا هلكت. وإن نجوت - يا ابن آدم - حين تقوم^(٢) لرب العالمين، فأنت أنت، وألا هلكت.

ثم تلا: «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون». وقال: هو القبر، وإن لهم فيه لمعيشة ضئلاً. والله، إن القبر لروضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

وفي الكافي^(٣): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد، عن عبد الرحمن بن حماد، عن عمر^(٤) بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنني سمعتك وأنت تقول: كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم. قال: صدقت. كلهم - والله - في الجنة.

قال: قلت: جعلت فداك، إن الذنوب كثيرة كبار! فقال: أما في القيامة، فكلكم في الجنة، بشفاعتي النبي المطاع، أو وصي النبي. ولكنني والله أتخوف عليكم في البرزخ. [قلت: وما البرزخ؟ فقال: القبر، منذ حين موته إلى يوم القيامة.

وفي نهج البلاغة^(٥): قال عليه السلام: سلخوا في بطون البرزخ^(٦) سبيلاً سلطت الأرض عليهم فيه. فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم. فأصبحوا في فجوات^(٧) قبورهم

١. المصدر: يُحمَل الناس.

٢. المصدر: يقوم الناس.

٣. الكافي ٢٤٢/٣، ح ٣.

٤. المصدر: عمرو.

٥. نهج البلاغة ٣٣٩، الخطبة ٢٢١.

٦. ليس في أ.

٧. قوله عليه السلام: «في فجوات» هي جمع فجوة؛ وهي الفرجة المتسعة بين الشيتين. «وجماداً لا ينامون» قال الشارح المعتزلي: أي خرجوا عن صورة الحيوانية إلى صورة الجماد الذي لا ينمو ولا يزيد. ويروى: «لا ينامون» بتشديد الميم، من النيمة؛ وهي: الهمس والحركة. ومنه قولهم: «أسكت الله نائمته» في قول من شدد ولم يهمل.

جماداً لا ينمون^(١)، وضماراً^(٢) لا يوجدون. لا يفزعهم ورود الأحوال. ولا يحزنهم تنكر الأحوال. ولا يحفلون^(٣) بالزواجف^(٤)، ولا يأذنون^(٥) للقواصف^(٦). غيباً لا ينتظرون وشهوداً لا يحضرون.

وإنما كانوا جميعاً، فتشتتوا، وألأفاً^(٧) فافترقوا. وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عمت أخبارهم وصمت ديارهم؛ ولكنهم سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً، وبالسَّمع صمماً، وبالحركات سكوناً.

فكأنهم في ارتجال الصفة^(٨) صرعى سبات؛ جيران لا يتأسون^(٩)، وأحباء لا يتزاورون. بليت^(١٠) بينهم عرى التعارف. وانقطعت منهم أسباب الإخاء، فكلهم وحيد وهم جميع، وبجانب الهجر، وهم أخلأ. لا يتعارفون لليل صباحاً^(١١) ولا لنهار مساء. أيّ الجديدين^(١٢) ظعنوا فيه، كان عليهم سرمداً.

شاهدوا من أخطار دارهم أفزع^(١٣) ممّا خافوا. ورأوا من آياتها أعظم ممّا قدّروا. فكلتا الغائيتين^(١٤) مدّت لهما إلى مباءة^(١٥)، فأنت مبالغ الخوف والرجاء. فلو كانوا

١. في هامش نسخة «م»: قوله **جماداً** لا ينمون لعلّ فيه إشارة إلى أنّ جسد الإنسان حين صيرورته تراباً لا يستحيل كسائر التراب نباتاً وشجراً وثمرأ بل كبرادة الذهب يبقى كماله مختلطاً بسائر التراب إلى أن يتميّز بينهما الماء - مثلاً - إذا قذف التراب في طست فيه ماء فإنّ التراب يختلط بالماء ويرتفع وتبقى البرادة راسية بسماكته ومن ذلك يتّجه إحدى الأجوبة لشبهة الأكل والمأكل في الميعاد. ص

٢. الضمار: المال لا يرجى رجوعه. ٣. أي لا يبالون.

٤. الرواجف: جمع راجفة: الزلزلة توجب الاضطراب.

٥. أي يستمعون. والمصدر منه: الأذن، بالتحريك.

٦. القواصف: من: قصف الرعد: اشتدّت قصفته. ٧. آلاف: بل جمعه ألأف: أي مؤتلف مع غيره.

٨. أي وصف الحال بلا تأمل. ٩. م: لا يتأسون.

١٠. أي رثت وفنيت. ١١. ليس في م.

١٢. الجديدان: الليل والنهار. ١٣. المصدر: أفطع.

١٤. يريد بالغائيتين هنا: الجنة والنار.

١٥. المباءة: مكان التبوّء والاستقرار؛ والمراد منها: ما يرجعون إليه في الآخرة.

ينطقون بها لَعَيُوا^(١) بصفة ما شاهدوا وما عاينوا.

وفي الكافي^(٢): علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن خالد بن عمارة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا حيل بينه وبين الكلام، أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله ومن شاء الله^(٣). فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عن يمينه، والآخر عن يساره. فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أمّا ما كنت ترجو، فهو ذا أمامك. وأمّا ما كنت تخاف منه، فقد أمنت منه.

ثم يُفتح له باب إلى الجنّة. فيقول: هذا منزلك من الجنّة. فإن شئت رددناك إلى الدنيا، ولك فيها ذهب وفضة. فيقول: لا حاجة لي في الدنيا. فعند ذلك يبيضّ لونه ويرشح جبينه، وتقلّص شفتاه، ويتشر^(٤) منخراه، وتدفع عينه اليسرى. فأَيّ هذه العلامات رأيت، فاكثف بها.

فإذا خرجت النفس من الجسد، فيعرض عليها كما عُرِضَ عليه، وهي في الجسد، فتختار الآخرة. فيغسله فيمن يغسله [ويقلّبه فيمن يقلّبه]^(٥).

فإذا أُدرج في أكفانه، ووُضع على سريره، خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً، وتلقاه أرواح المؤمنين، يسلمون عليه ويبشرونه بما أعد الله له جلّ ثناؤه من النعيم.

فإذا وُضع في قبره، رُدّ إليه الروح إلى وركيه. ثم يُسأل عما يعلم. فإذا جاء بما يعلم، فُتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله صلى الله عليه وآله فيدخل عليه من نورها [وضوئها]^(٦) وبردها وطيب ريحها.

قال: قلت: جعلت فداك، فأين ضغطة القبر؟ فقال: هيهات، ما على المؤمنين

١. أي لعجزوا.

٢. الكافي ١٢٩/٣ - ١٣٠، ح ٢.

٣. كَتَبَ بمن شاء الله عن أمير المؤمنين عليه السلام وإنما لم يصرح به، كتماناً على المخالفين المنكرين.

٤. المصدر: تتشر.

٥. ليس في س، أ.

٦. من المصدر.

[منها] ^(١) شيء. والله إن هذه الأرض لتفخر على هذه، فتقول: وطئ على ظهري مؤمن، ولم يطئ على ظهرك مؤمن. وتقول له الأرض: والله لقد كنت أحبك وأنت تمشي على ظهري. وأما إذا ولنتك، فستعلم ماذا أصنع بك. فيفسح له مدّ بصره.

عده من أصحابنا ^(٢)، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عبدالعزيز العبدی، عن ابن أبي يعفور قال: كان خطّاب الجهنّي خليطاً لنا، وكان شديد النصب لآل محمّد صلوات الله عليهم، وكان يصحب نجدة الحروري ^(٣).

قال: فدخلت عليه، أعوده للخلطة والتقية. فإذا هو مغمي عليه من حدّ الموت، فسمعتة يقول: مالي ولك يا عليّ؟! فأخبرت بذلك أبا عبدالله عليه السلام. فقال أبو عبدالله عليه السلام: رآه، وربّ الكعبة! رآه، وربّ الكعبة!

عليّ بن إبراهيم ^(٤)، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة قال: قلت: لأبي جعفر عليه السلام: أرايت الميّت إذا مات، لم تجعل معه الجريدة؟ قال: يتجافى عنه العذاب والحساب، مادام العود رطباً.

قال: والعذاب كلّ في يوم واحد، في ساعة واحدة، قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم. وإنّما جعلت السعفتان لذلك، فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما إن شاء الله.

محمّد بن يحيى ^(٥)، عن محمّد بن الحسين، عن عبدالرحمان بن أبي هاشم، عن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: ما من موضع قبر، إلّا وهو ينطق كلّ يوم، ثلاث مرّات: أنا بيت التراب، أنا بيت البلاء، أنا بيت الدود.

قال: فإذا دخله عبد مؤمن، قال: مرحباً وأهلاً، أما والله لقد كنت أحبّك، وأنت

١. من المصدر. ٢. الكافي ١٣٣/٣-١٣٤، ح ٩.

٣. الحرورية: طائفة من الخوارج منسوبة إلى حروراء؛ وهي قرية بالكوفة رئيسهم نجدة.

٤. الكافي ١٥٢/٣، ح ٤. ٥. الكافي ٢٤١/٣-٢٤٢، ح ١.

تمشي على ظهري . فكيف إذا دخلت بطني؟! فسترى ذلك . قال : فيفسح له مدّ البصر ، ويُفتح له باب يرى مقعده من الجنة .

قال : ويخرج من ذلك رجل ، لم تر عيناه شيئاً [قط^(١)] أحسن منه . فيقول : يا عبد الله ، ما رأيت شيئاً قطّ أحسن منك . فيقول : أنا رأيت الحسن الذي كنت عليه ، وعملك الصالح الذي كنت تعمله .

قال : ثمّ تؤخذ روحه فتوضع في الجنة ، حيث رأى منزله . ثمّ يقال له : نم قريـر العين ، فلا تزال نفخة من الجنة تصيب جسده^(٢) ويجد لذتها وطيبها ، حتّى يُبعث .

قال : وإذا دخل الكافر ، قال له : لا مرحباً بك ولا أهلاً ، أما والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري . فكيف إذا دخلت بطني؟! سترى ذلك .

قال : فيضّم عليه فيجعله رميماً ، ويعاد^(٣) كما كان . ويُفتح له بابٌ إلى النار ، فيرى مقعده من النار .

ثمّ قال : ثمّ إنّه يخرج منه رجل أقبح من رأى قطّ . قال : فيقول له : يا عبد الله ، من أنت ؟ ما رأيت شيئاً أقبح منك . قال : فيقول : أنا عملك السيئ الذي كنت تعمله ، ورأيت الخبيث .

قال : ثمّ تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار . ثمّ لم تزل نفخة من النار تصيب جسده ، فيجد ألمها وحزّها في جسده إلى يوم يُبعث . ويسلّط الله على روحه تسعة وتسعين تنيناً تنهشه ، ليس فيها تنين ينفخ على وجه الأرض ، فتنبت شيئاً .

عدّة من أصحابنا^(٤) ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن عليّ ، عن غالب بن عثمان ، عن بشير الدهان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ للقبر كلاماً في كلّ يوم . يقول : أنا بيت الغربة ! أنا بيت الوحشة ! أنا بيت الدود ! أنا القبر ! أنا روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار^(٥) .

٢ . المصدر : من جسده .

٤ . الكافي ٢٤٢٣ ، ح ٢ .

١ . من المصدر .

٣ . ليس في ن .

٥ . م : النيران .

علي بن محمد^(١)، عن علي بن الحسن، عن حسين بن راشد، عن المرتجل^(٢) بن معمر، عن ذريح المحاربي، عن عباية الأسدي عن حبة العرنبي قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر^(٣). فوقف بوادي السلام، كأنه مخاطب لأقوام. فقامت بقيامه، حتى أعيتت. ثم جلست، حتى مللت. ثم قمت، حتى نالني مثل ما نالني أولاً. ثم جلست، حتى مللت.

ثم قمت وجمعت ردائي. فقلت: يا أمير المؤمنين، إنني قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة! ثم طرحت الرداء ليجلس عليه. فقال لي: يا حبة، إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته.

قال: قلت يا أمير المؤمنين، وأنهم لكذلك؟! قال: نعم. ولو كشف لك، لرأيتهم حلقةً حلقةً محتبين^(٤) يتحدّثون.

فقلت: أجسام^(٥) أم أرواح؟ فقال: أرواح. وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض، إلا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام. وأنها لبقعة من جنة عدن.

عدة من أصحابنا^(٦)، عن سهل بن زياد عن الحسن بن علي، عن أحمد بن عمر، رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إن أخي ببغداد، وأخاف أن يموت بها. فقال: ما تبالي حيث ما مات. أما إنه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها، إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام.

قلت له: وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة. أما إنني كأني بهم خلق خلق، قعود يتحدّثون.

٢. ن: المرتجل.

١. الكافي ٢٤٣/٣، ح ١.

٣. أي ظهر الكوفة.

٤. من احتبى بالثوب: اشتمل به. وقيل: جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ليستند، إذ لم يكن للعرب

في البوادي جذران تستند إليهما في مجالسهما. ٥. في بعض النسخ: أجساد.

٦. الكافي ٢٤٣/٣، ح ٢.

عليّ بن إبراهيم^(١)، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولّاد الحنّاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش! فقال: لا. المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم.

عذّة من أصحابنا^(٢)، عن سهل بن زياد، عن عبدالرحمان بن أبي نجران، عن مثني الحنّاط، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أرواح المؤمنين لفي شجرة من الجنة، يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها. ويقولون: ربّنا أقم الساعة لنا وأنجز لنا ما وعدتنا والحقّ آخرنا بأولنا.

سهل بن زياد^(٣)، عن إسماعيل بن مهران، عن درست بن أبي منصور، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الأرواح في صفة الأجساد، في شجرة في الجنة، تتعارف وتتسائل^(٤). فإذا قدمت الروح على الأرواح، تقول: دعوها، فإنّها قد أقبلت^(٥) من هول عظيم. ثمّ يسألونها: ما فعل فلان؟ وما فعل فلان؟ فإن قالت لهم: «تركته حيّاً» ارتجوه. وإن قالت لهم: «قد هلك» قالوا: قد هوى هوى.

عليّ بن إبراهيم^(٦)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، وعن محمّد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين؟ فقال: في حجرات في الجنة. يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها. ويقولون: ربّنا أقم الساعة. وأنجز لنا ما وعدتنا. والحقّ آخرنا بأولنا.

عليّ^(٧)، عن أبيه، عن محسن بن أحمد، عن محمّد بن حمّاد، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا مات الميت، اجتمعوا عنده يسألونه عمّن مضى

١. نفس المصدر ٢٤٤، ح ١.

٢. نفس المصدر، ح ٢.

٣. نفس المصدر، ح ٣.

٤. المصدر: أفلتت.

٥. نفس المصدر، ح ٤.

٦. نفس المصدر، ح ٤.

٧. نفس المصدر، ح ٥.

وعَمَن بقي. فإن كان مات ولم يرد عليهم، قالوا: قد هوى هوى. ويقول بعضهم لبعض: دعوه، حتّى يسكن ممّا مرّ عليه من الموت.

محمّد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد، عن القاسم بن محمد، عن الحسين بن أحمد، عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ فقلت: يقولون: تكون في حواصل طيور خضر، في قناديل تحت العرش. فقال أبو عبد الله عليه السلام: سبحان الله! المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير. يا يونس، إذا كان ذلك، أتاه محمد ﷺ وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، والملائكة المقرّبون عليهم السلام. فإذا قبضه الله ﷻ صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا. فيأكلون، ويشربون. فإذا قدم عليهم القادم، عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا.

محمّد^(٢)، عن أحمد، عن الحسين بن سعيد، عن أخيه الحسن، عن زرعة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّنا نتحدّث عن أرواح المؤمنين، أنّها في حواصل طيور خضر ترعى في الجنّة، وتأوي إلى قناديل تحت العرش. فقال: لا، إذن ما هي في حواصل طير.

قلت: فأين هي؟ قال: في روضة كهيئة الأجساد في الجنّة.

عليّ بن إبراهيم^(٣) عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن محمد بن عثمان عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن أرواح المشركين؟ فقال: في النار يُعذّبون ويقولون: ربّنا لا تقم لنا الساعة. ولا تنجز لنا ما وعدتنا. ولا تلحق آخرنا بأولنا.

عدّة من أصحابنا^(٤)، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمان بن أبي نجران، عن مثني، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أرواح الكفّار في نار جهنّم، يُعرضون عليها يقولون: ربّنا لا تقم لنا الساعة. ولا تنجز لنا ما وعدتنا. ولا تلحق آخرنا بأولنا.

١. نفس المصدر ٢٤٥، ح ٦.

٢. نفس المصدر، ح ٧.

٣. نفس المصدر، ح ١.

٤. نفس المصدر، ح ٢.

محمّد بن يحيى^(١)، عن محمد بن أحمد، بإسناد له، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: شرب في النار برهوت، الذي فيه أرواح الكفار.

عدة من أصحابنا^(٢)، عن سهل بن زياد؛ وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن جعفر بن محمد الأشعري، عن القّدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: شرب ماء على [وجه]^(٣) الأرض ماء برهوت. وهو الذي بحضر موت. يردّه^(٤) هام^(٥) الكفار.

عدة من أصحابنا^(٦)، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمان بن أبي نجران، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام [عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام]^(٧) قال: إنّما يُسأل في قبره من محض الإيمان محضاً والكفر^(٨) محضاً. وما سوى ذلك، فيلهي عنه^(٩).

أبو علي الأشعري^(١٠)، عن محمد بن عبد الجبار، عن الحجاج، عن ثعلبة، عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم.

محمد بن يحيى^(١١)، عن أحمد بن محمد [بن عيسى]^(١٢)، عن الحسين بن سعيد، عن

١. نفس المصدر ٢٤٦، ح ٣.

٢. نفس المصدر، ح ٤.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: تروده.

٥. هام، جمع هامة: وهي الصدى، ورئيس القوم. والصدى: الرجل اللطيف الجسد، والجسد من آدمي بعد موته. وطائر يخرج من رأس المقتول إذا بُلي بزعم الجاهلية. وكانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير على قبره. والمراد بالهامة هنا: أرواح الكفار وأبدانهم المثالية. [قاله المحدث الكاشاني عليه السلام].

٦. الكافي ٣/٢٣٥، ح ٢.

٧. لا يوجد في المصدر وفي غير وس من النسخ أيضاً.

٨. في نور الثقلين ٥٦٠/٣ ح ١٤٤، نقلاً عن المصدر: أو محض الكفر.

٩. قوله عليه السلام: «محض الإيمان...» محض على صيغة الفعل؛ أي أخلص. وقوله عليه السلام: «فيلهي»: ليس على معناه الحقيقي، بل هو كناية عن عدم التعرّض لهم في سؤال ما دون الإيمان والكفر. (كذا في هامش

المصدر).

١٠. نفس المصدر، ح ١.

١١. ليس في س، أ، ن.

١٢. الكافي ٣/٢٣٦، ح ٤.

النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بريد بن معاوية، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً. عنه ^(١)، عن أحمد بن محمد، عن الحسين، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يُسأل وهو مضغوط. عده من أصحابنا ^(٢) عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: فقال: نعوذ بالله منها. ما أقل ما يفلت من ضغطة القبر! وهذا الحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

عده من أصحابنا ^(٣)، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شُمون، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن القاسم، عن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله، من المسؤولون في قبورهم؟ قال: من محض الإيمان ^(٤) ومن محض الكفر.

قال: قلت: فبقية هذا الخلق؟ قال: يلهمي - والله - عنهم. ما يُعْبَأُ بهم. قال: قلت: وعمّ يُسألون؟ قال: عن الحجة القائمة بين أظهركم. فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان بن فلان؟ فيقول: ذلك إمامي. فيقال: نم، أنام الله عينيك ^(٥). ويُفتح له باب من الجنة، فلا يزال يتحفه ^(٦) من روحها إلى يوم القيامة. ويقال للكافر: ما تقول في فلان بن فلان؟ قال: فيقول: سمعت به وما أدري ما هو! قال: فيقال له: لا دريت. قال: ويُفتح له باب من النار. فلا يزال يتحفه ^(٧) من حرّها إلى يوم القيامة.

١. نفس المصدر، ح ٥.

٣. نفس المصدر ٢٣٧، ح ٨.

٥. المصدر: عينك.

٧. م: بنفحة.

٢. نفس المصدر، ح ٦.

٤. ن: محض الإيمان محضاً.

٦. م: بنفحة.

عَدَّة من أصحابنا^(١)، عن أحمد بن محمد وسهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن علي بن رثاب، عن ضريس الكناسي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: أُن الناس يذكرون أنَّ فراتنا يخرج من الجنة. فكيف، وهو يقبل من المغرب، وتصب فيه العيون والأودية؟!

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام - وأنا أسمع -: إنَّ لله جنة خلقها الله في المغرب، وماء فراتكم يخرج منها. واليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء، فتسقط على ثمارها، وتأكّل منها وتتغنم فيها، وتتلاقى وتتعارف. فإذا طلع الفجر، هاجت من الجنة، فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض، تطير ذاهبة وجائية، وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس، وتتلاقى في الهواء وتتعارف.

قال: وإنَّ الله ناراً في المشرق، خلقها ليسكنها أرواح الكفار، ويأكلون من زقومها. ويشربون من حميمها ليلهم. فإذا طلع الفجر، هاجت إلى وإد باليمن، يقال له: برهوت، أشدَّ حرّاً من نيران الدنيا. كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون. فإذا كان المساء، عادوا إلى النار، فهم كذلك إلى يوم القيامة.

قال: قلت: أصلحك الله، فما حال الموحّدين المقرّين بنبوة محمد ﷺ من المسلمين المذنبين الذين يموتون، وليس لهم إمام، ولا يعرفون ولا يتكلم؟

فقال: أمّا هؤلاء، فإنَّهم في حفرهم^(٢) لا يخرجون منها. فمن كان منهم له عمل صالح، ولم يظهر منه عداوة، فإنَّه يخدّ له خدّاً إلى الجنة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيامة. فيلقى الله، فيحاسبه بحسناته وسيئاته؛ فإمّا إلى النار، وإمّا إلى الجنة. فهؤلاء موقوفون لأمر الله.

قال: وكذلك يُفعل بالمستضعفين، والبله، والأطفال، وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم.

فَأَمَّا النَّصَابُ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ، فَإِنَّهُمْ يُخَذُّ لَهُمْ خَذٌ إِلَى النَّارِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ ﷻ فِي الْمَشْرِقِ. فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهَبِ وَالشَّرِّ وَالِدُخَانِ وَفُورَةِ الْحَمِيمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ مَصِيرُهُمْ إِلَى الْحَمِيمِ. ثُمَّ فِي النَّارِ يَسْجُرُونَ. ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ: أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟! ^(١) أَيْنَ إِمَامِكُمُ الَّذِي اتَّخَذْتُمُوهُ دُونَ الْإِمَامِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً؟! ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: لِقِيَامِ السَّاعَةِ.

قيل ^(٢): والقراءة بفتح الواو، وبه وبكسر الصاد، يؤيد أن الصور أيضاً، جمع الصورة.

﴿فَلَا آسَابَ بَيْنَهُمْ﴾: تنفعهم، لزوال التعاطف والتراحم، من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة؛ بحث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنه ^(٣). أو: يفتخرون بها.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: كما يفعلون اليوم.

﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ^(٤): ولا يسأل بعضهم بعضاً، لاشتغاله بنفسه.

وهو لا يناقض قوله: «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» ^(٥). لأنه عند النفخ، وذاك بعد المحاسبة، أو دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٥): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ حَنَّانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَاتَ ابْنُ لَهَا. فَأَقْبَلَتْ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ ^(٦): غَطِّي قَرَطُكَ، فَإِنَّ قَرَابَتَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تَنْفَعُكَ شَيْئاً. فَقَالَتْ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ لِي قَرَطاً يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ؟!

ثم دخلت على رسول الله ﷺ. فأخبرته بذلك وبكت. فخرج رسول الله ﷺ فنادى: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس. فقال: ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع؟! لو قد

١. مضمون الآيات ٧١-٧٣ من سورة المؤمن. ٢. أنوار التنزيل، ١١٤/٢-١١٥.

٣. مضمون الآيات ٣٤-٣٦ من سورة عبس. ٤. الصفات/ ٢٧، والطور/ ٥٠.

٥. تفسير القمي، ١٨٨/٢. ٦. المصدر: الثاني.

قمت المقام المحمود، لشغقت في أحوجكم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان^(١): وقال ﷺ: كل حسب ونسب منقطع، إلا حسبي ونسبي.
وفي كتاب المناقب^(٢) لابن شهر آشوب، في مناقب زين العابدين عليه السلام: قال طاوس الفقيه: رأيت يطفو من العشاء إلى السحر ويتعبد. فلما لم ير أحداً، رمق إلى السماء بطرفه وقال: إلهي، غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين. جنتك لتغفر لي وترحمني، وتريني وجه جدّي محمد ﷺ في عرصات القيامة.

ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك، ما أردت بمعصيتي مخالفتك. وما عصيتك إذا عصيتك^(٣) وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض. ولكن سؤلت لي نفسي، وأعاني على ذلك سترك المرخى به علي. فالآن من عذابك من يستقذني؟! وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟!

فواسواتاه غداً من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفين: جوزوا. وللمثقلين: حطوا. أمع المخفين أجوز، أم مع المثقلين أخط؟ وبلي! كلما طال عمري، كثرت خطايي، ولم أتب. أما أن لي أن أستحي من ربّي؟!

ثم بكى وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي، ثم أين محبتي
أتيت بأعمال قباح رديّة وما في الورى خلق جنّي كجنايتي
ثم بكى وقال: سبحانه! تُعصى كأنك لا ترى! وتحلم كأنك لم تُعص! تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع، كأنّ لك^(٤) الحاجة إليهم. وأنت - يا سيدي - الغني عنهم.
ثم خرّ إلى الأرض ساجداً. قال: فدنوت منه، وثلث رأسه، فوضعت على ركبتي.

وبكيت حتى جرت دموعي على خدّه. فاستوى جالساً وقال: من الذي أشغلني عن ذكر ربي؟ فقلت له: أنا طاوس، يا ابن رسول الله. ما هذا الجزع والفرع؟! ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا، ونحن عاصون جافون. أبوك الحسين بن علي، وأمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله ﷺ.

قال: فالتفت إلي وقال: هيهات هيهات! يا طاوس. دع عني حديث أبي وأمي وجدّي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن؛ ولو كان عبداً حبشياً. وخلق^(١) النار لمن عصاه ولو كان ولدأ^(٢) قرشياً. أما سمعت قول الله تعالى: «إذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يؤمذ ولا يتساءلون»؟! والله [لا ينفعك غداً إلا تقدمة تقدّمها من عمل صالح. وفي أصول الكافي^(٣)، حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٤) جواب لرسالة طلحة والزبير إليه عليه السلام، وفيه: زعمتما أنكما أخوأي في الدين وابنا عمي في النسب؟ فأما النسب فلا أنكره؛ وإن كان النسب مقطوعاً، إلا ما وصله الله بالإسلام. وفي كتاب مقتل الحسين عليه السلام^(٥) [لأبي مخنف] من كلامه عليه السلام في موقف كربلاء: أما أنا ابن بنت نبيكم صلوات الله عليه؟! فوالله^(٦) ما بين المشرق والمغرب لكم ابن بنت نبي غيري.

ومن أشعاره عليه السلام فيه أيضاً^(٧):

أنا ابن علي الحرّ من آل هاشم	كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وفاطمة أمي ثم جدّي محمّد	وعمي يدعي ذا الجناحين جعفر
ونحن ولادة الحوض نسقي محبّنا	بكأس رسول الله ما ليس يُنكر
إذا ما أتى يوم القيامة ظامئاً	إلى الحوض يسقيه بكفيه حيدر

١. ن: خلق الله. ٢. ن: سيّد.

٣. الكافي ٣/٣٤٤، ح ١. ٤. ليس في أ.

٥. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف، ١١٨. ٦. ليس في أ.

٧. أورد أبو الفرج هذه الأبيات باختلاف في الألفاظ كما في عوالم العلوم للبحراني ٢٩١/١٨، نقلاً عنه.

ومن أشعاره عليه السلام أيضاً^(١):

خيرة الله من الخلق أبي	بعد جدّي فأنا ابن الخيرتين
أمي الزهراء حقاً وأبي	وارث العلم ومولى الثقلين
فضّة قد صُفِّيت من ذهب	فأنا الفضة وابن الذهبين
والدي شمس وأمّي قمر	فأنا الكوكب وابن القمرين
عبدالله غلاماً يافعاً	وقريش يعبدون الوثنيين
من له جدّ كجدّي في الوري	أو كأمي في جميع المشرقين
خصّه الله بفضل وتقى	فأنا الأزهر وابن الأزهرين
جوهر من فضّة مكنونة	فأنا الجوهر وابن الدرّتين
جدّي المرسل مصباح الدجى	وأبي الموفى له بالبيعتين
والدي خاتمه جاد به	حين وافى رأسه للركعتين
أيّده الله لطهر طاهر	صاحب الأمر ببدر وحنين
ذاك والله عليّ المرتضى	ساد بالفضل على أهل الحرمين

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: موزونات عقائده وأعماله. أي فمن كانت له عقائد وأعمال
صالحة، يكون لها وزن عند الله وقدر.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢): الفائزون بالنجاة والدرجات العلى^(٣).

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ
جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». قَالَ: نَزَلَتْ فِيْنَا.

١. مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف ١٣٤ - ١٣٨. ونقله في عوالم العلوم ٢٩٠/١٨ نقلاً عن مقاتل الطالبيين.

٢. أبي الفرج باختلاف في الألفاظ. ٢. ليس في ع، س، أ.

٣. تأويل الآيات ٣٥٧١، ح ٩.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: ومن لم يكن له وزن. وهم الكفار، لقوله ^(١): «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً».

﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: غبنوها؛ حيث ضيعوا زمان استكمالها، وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها.

﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ^(٢): بدل من الصلة. أو خبر ثانٍ لـ «أولئك».

وفي عيون الأخبار ^(٣)، في باب قول الرضا عليه السلام لأخيه زيد بن موسى، حين افتخر على من في مجلسه، بإسناده إلى إبراهيم بن محمد الثقفي ^(٤)، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: من أحب عاصياً، فهو عاص. ومن أحب مطيعاً، فهو مطيع. ومن أعان ظالماً، فهو ظالم. ومن خذل ظالماً، فهو عادل. [ومن خذل عادلاً، فهو ظالم] ^(٥). إنه ليس بين الله وبين أحد قرابة. ولا ينال أحد ولاية الله إلا بالطاعة.

ولقد قال رسول الله ﷺ لبني عبدالمطلب: اثبتوني بأعمالكم، لا بأحسابكم وأنسابكم. قال الله تبارك وتعالى: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ».

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): قال الصادق عليه السلام: لا يتقدم يوم القيامة أحد إلا بالأعمال. والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: يا أيها الناس، إن العريضة ليست بأب وجد. وإنما هو لسان ناطق. فمن تكلم به، فهو عربي. ألا إنكم ولد آدم، وآدم من تراب. [والله، لعبد حبشي حين أطاع، خير من سيد قرشي عصي الله. وإن] ^(٧) أكرمكم عند الله أتقاكم ^(٨).

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/٢٣٧، ح ٨.

٤. من المصدر.

٦. من المصدر.

١. الكهف/١٠٥.

٣. المصدر: الهمداني.

٥. تفسير القمي، ٩٤/٢.

٧. الحجرات/١٣.

والدليل على ذلك قول الله: «فإذا نُفِخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه» قال ^(١): بالأعمال الحسنة «فأولئك هم المفلحون ومن خَفَّت موازينه» قال: من الأعمال الحسنة «فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون».

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ : تحرقها.

واللفح كالنفخ، إلا أنه أشد تأثيراً.

﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ ^(٢) : من شدة الاحتراق.

وقرئ ^(٣): «كلحون».

وفي كتاب الاحتجاج ^(٤) للطبرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يذكر فيه أحوال أهل القيامة، وفيه: ومنهم أئمة الكفر وقادة الضلالة، فأولئك لا يقيم لهم يوم القيامة وزناً ^(٥). ولا يعابهم - لأنهم لم يعبؤوا بأمره ونهيه - يوم القيامة. «فهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون».

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): وقوله ﴿ تَلْفَحُ ﴾: تلفح وجوههم النار» قال: أي تلهب عليهم، فتحرقهم. «وهم فيها كالحون» أي مفتوح الفم، متربدي الوجوه.

﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ : على إضمار القول. أي يقال لهم: ألم تكن.

﴿ فَكُنتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴾ ^(٧) : تأنيب وتذكير لهم، عما استحقوا هذا العذاب لأجله.

﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ : ملكتنا، بحيث صارت أحوالنا مؤذية إلى سوء

العاقبة.

وقرأ ^(٨) حمزة والكسائي: «شقاوتنا» بالفتح، كالسعادة. وقرئ ^(٩) بالكسر، كالكتابة.

وفي كتاب التوحيد ^(١٠) بإسناده إلى علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي

٢. أنوار التنزيل، ١١٥/٢.

٤. من قوله تعالى في الكهف ١٠٥.

٦ و٧. أنوار التنزيل، ١١٥/٢.

١. المصدر: يعني.

٣. الاحتجاج، ٢٤٤.

٥. تفسير القمي، ٩٤/٢.

٨. التوحيد ٢٥٦، ح ٢.

عبد الله ﷺ في قول الله ﷻ: «قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا» قال: بأعمالهم [شقوا]^(١). وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يذكر فيه أحوال أهل المحشر. يقول فيه - وقد ذكر النبي ﷺ: ويشهد على منافقي قومه وأمتهم وكفارهم، بإلحادهم وعنادهم ونقضهم عهوده^(٣) وتغييرهم سنته، واعتدائهم على أهل بيته وانقلابهم على أعقابهم، وارتدادهم على أدبارهم، واحتدائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الأمم الظالمة الخائنة بأنبيائها فيقولون بأجمعهم: «ربنا غلبت علينا شقوتنا».

﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾^(٤) عن الحق.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: من النار.

﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾: إلى التكذيب.

﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾^(٥): لأنفسنا.

﴿قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا﴾: اسكتوا سكوت هوان، إنها ليست مقام سؤال. من: خسأت

الكلب: إذا زجرته فحسأ.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾^(٦): في رفع العذاب؛ فإنه لا يُرفع ولا يُخَفَّفُ العذاب. أو: لا

تكلمون رأساً.

وقيل^(٧): إن أهل النار يقولون ألف سنة: «ربنا أبصرنا وسمعنا»^(٨). فيجابون: «حقّ

القول مِنِّي»^(٩). فيقولون ألفاً: «ربنا أمتنا اثنتين»^(١٠). فيجابون: «ذلكم بأنه إذا دُعي الله

وحده كفرتم»^(١١). فيقولون ألفاً: «يا مالك ليقض علينا ربك»^(١٢). فيجابون: «إنكم

١. من المصدر.

٢. الاحتجاج، ٢٤٢.

٣. ن: عمودهم. المصدر: عهده.

٤. أنوار التنزيل، ١١٥/٢.

٥. السجدة / ١٢.

٦. السجدة / ١٣.

٧. غافر / ١١.

٨. ليس في المصدر.

٩. غافر / ١٢.

١٠. الزخرف / ٧٧.

ماكنون»^(١). فيقولون ألفاً: «رَبَّنَا أَخْرِنا إلى أجل قريب»^(٢). فيجابون: «أولم تكونوا أقسمتم من قبل»^(٣). فيقولون ألفاً^(٤): «رَبَّنَا أَخْرِنا نعمل صالحاً»^(٥). فيجابون: أولم نعمركم»^(٦). فيقولون ألفاً: «رَبِّ ارْجِعُون»^(٧). فيجابون: «اخشؤوا فيها»^(٨). ثم لا يكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩): «قالوا رَبَّنَا أَخْرِنا منها فإن عدنا فإننا ظالمون قال اخشؤوا فيها ولا تكلمون». فبلغني - والله أعلم - أنهم تداركوا^(١٠) بعضهم على بعض سبعين عاماً، حتى انتهوا إلى قعر جهنم.

﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ الشأن.

وقرئ^(١١) بالفتح، أي لأنه.

﴿كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾: يعني المؤمنين.

وقيل^(١٢): الصحابة.

وقيل^(١٣): أهل الصفة.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١٤).

﴿فَاتَّخَذُوا لَهُمْ سَخِرِيًّا﴾: هزواً.

وقرأ^(١٥) نافع وحمة والكسائي بالضم. وهما مصدر اسخر، زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة. وعند الكوفيين، المكسور بمعنى الهزء، والمضموم - من السخرة - بمعنى الانقياد والعبودية.

٢. إبراهيم / ٤٤.

١. الزخرف / ٧٧.

٤. ليس في أ.

٣. إبراهيم / ٤٤.

٦. فاطر / ٣٧.

٥. فاطر / ٣٧.

٨. المؤمنون / ١٠٨.

٧. المؤمنون / ١٠٨.

٩. تفسير القمي، ٩٤/٢.

١٠. كذا في النسخ والمصدر. ولكن الصحيح ما نقل في الصافي ٤١٢/٣ ونور الثقلين ٥٦٦/٣ نقلاً عن

١١-١٤. أنوار التنزيل، ١١٥/٢.

المصدر: «تدراكوا».

﴿حَتَّىٰ آتَوْكُم ذِكْرِي﴾: من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم، فلم تخافوني في أوليائي.

﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ﴾^(١): استهزاء بهم.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾: على أذاكم.

﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٢): فوزهم بمجامع مراداتهم، مخصوصين به. وهو ثاني مفعولي «جزيتهم».

وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي بالكسر، استثناءً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عِيسَى بْنِ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْإِمَامُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ - فِي عَلِيٍّ - فَكُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ»^(٢): معناه أَنْ يَقَالَ لِمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ: «أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ - فِي عَلِيٍّ - فَكُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ»؟ فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ذَلِكَ، قَالُوا: «رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ» إِلَى قَوْلِهِ: «هُمْ الْفَائِزُونَ». وَهُمْ شِيعَةُ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وفي إرشاد المفيد عليه السلام^(٣) بإسناده إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ عَلِيًّا وَشِيعَتَهُ هُمُ الْفَائِزُونَ.

وفي كتاب ثواب الأعمال^(٤) بإسناده عَنْ سَعْدِ بْنِ طَرِيفٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ (٥) آيَةٍ، كُتِبَ مِنَ الْفَائِزِينَ.

﴿قَالَ﴾: أي الله، أو الملك المأمور بسؤالهم.

وقرأ^(٦) ابن كثير وحمزة والكسائي على الأمر للملك، أو لبعض رؤساء أهل النار.

٢. المؤمنون / ١٠٥.

١. تأويل الآيات ٣٥٦/١، ح ١٠.

٤. ثواب الأعمال ١٢٩، ح ١.

٣. الإرشاد، ١٨.

٦. أنوار التنزيل، ١١٦/٢.

٥. المصدر: ثلاثمائة.

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ : أحياء أو أمواتاً في القبور؟

﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ (١٧) : تمييز لـ «كم» .

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ : استقصاراً لمدّة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار. أو لأنّها كانت أيام سرورهم، وأيام السرور قصار. أو لأنّها منقضية، والمنقضي في حكم المعدوم.

﴿فَأَسْأَلُ الْعَادِينَ﴾ (١٨) : الَّذِينَ يَتِمَكَّنُونَ مِنْ عَدَايَاهُمَا، إِنْ أُرِدْتَ تَحْقِيقَهَا، فَإِنَّا لَمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ مَشْغُولُونَ عَنْ تَذَكُّرِهَا وَاحْصَائِهَا. أو: الملائكة الَّذِينَ يَعْدُونَ أَعْمَارَ النَّاسِ وَيَحْصُونَ أَعْمَالَهُمْ.

وقرئ^(١) : «العادين» بالتخفيف، أي الظلمة، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا نَقُول. و«العاديين» أي القدمات المعمرين، فَإِنَّهُمْ أَيْضاً يَسْتَقْصِرُونَ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢) : وقوله : «قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادين» قال : فاسأل^(٣) الملائكة الَّذِينَ يَعْدُونَ عَلَيْنَا الْيَوْمَ، وَيَكْتُبُونَ سَاعَتَنَا وَأَعْمَالَنَا الَّتِي اكْتَسَبْنَاهَا فِيهَا.

﴿قَالَ﴾ : وفي قراءة الكوفيّين^(٤) : «قل»^(٥).

﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٩) : تصديق لهم في مقالهم.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ : توبيخ على تغافلهم. و«عبثاً» حال بمعنى عابثين.

أو مفعول له. أي لم نخلقكم تلهياً بكم، وإنّما خلقناكم لنتعبّدكم ونجازيكم على أعمالكم. وهو كاللّيل على البعث.

وفي كتاب علل الشرائع^(٦) بإسناده إلى جعفر بن محمّد بن عمارة^(٧)، عن أبيه قال :

١. أنوار التنزيل، ١١٦/٢.

٢. تفسير القمي، ٩٤/٢ - ٩٥.

٣. المصدر: سل.

٤. المصدر: حمزة والكسائي.

٥. أنوار التنزيل ١١٦/٢.

٦. علل الشرائع ٩، ح ٢.

٧. س، أن، عتار.

سألت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: لِمَ خَلَقَ اللهُ الخلق؟ فقال: إِنَّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً، ولم يتركهم سدى؛ بل خلقهم لإظهار قدرته، وليكفهم طاعته، فيستوجبوا بذلك رضوانه. وما خلقهم ليجلب منهم منفعة، ولا ليدفع بهم مضرة؛ بل خلقهم لينفعهم، ويوصلهم إلى نعيم الأبد.

وبإسناده ^(١) إلى مسعدة بن زياد، قال: قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام: يا أبا عبدالله، إِنَّا خَلَقْنَا للعجب! قال وما ذلك، لله أنت؟! قال: خُلِقْنَا للفناء. قال: مه! يا ابن أخ، خُلِقْنَا للبقاء. وكيف تنفي جنّة لا تبيد، ونار لا تخمد. ولكن قل: إِنَّمَا نتحوّل من دار إلى دار.

﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَأَنْتَزِعُونَ﴾ ^(٢) معطوف على «أَتَمَّا خلقناكم» أو «عبثاً».

وقرأ ^(٣) حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾: الَّذِي يَحَقُّ لَهُ الْمَلِكُ مطلقاً. فَإِنَّ مِنْ عِداهِ مَمْلُوكٌ

بالذات، مالك بالعرض، من وجه دون وجه وفي حال دون حال.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: فَإِنَّ مِنْ عِداهِ عَبِيدٌ.

﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ ^(٤): الَّذِي يَحِيطُ بِالْأَجْرَامِ، وَيَنْزِلُ مِنْهُ مَحْكَمَاتُ الْأَقْضِيَةِ

وَالْأَحْكَامِ. وَلِذَلِكَ وَصَفَهُ بِالْكَرَمِ، أَوْ لِنَسْبَتِهِ إِلَى أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ.

وقرئ ^(٥) بالرفع، على أَنَّهُ صِفَةُ الرَّبِّ.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: يعبده إفراداً، أو إشراكاً.

﴿لَا يَرْهَأَنَّ لَهُ بِهِ﴾: صِفَةُ أُخْرَى لِـ«إِلَه» لازمة له، فَإِنَّ الْبَاطِلَ لَا بَرَهَانَ لَهُ بِهِ. جِيءَ بِهَا

لِلتَّكْيِيدِ وَبِنَاءِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ، تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّ التَّدْبِيْنَ بِمَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مَمْنُوعٌ، فَضْلًا عَمَّا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى خِلَافِهِ. أَوْ اعْتِرَاضَ بَيْنَ الشَّرْطِ وَالْجِزَاءِ لِذَلِكَ.

﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾: فَهُوَ مُجَازِلُهُ، مَقْدَارُ مَا يَسْتَحِقُّهُ.

٢. أنوار التنزيل، ١١٦٢.

١. نفس المصدر ١١، ج ٥.

٣. أنوار التنزيل، ١١٦٢.

﴿ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ١٧٧: إِنَّ الشَّانَ.

وقرى^(١) بالفتح، على التعليل، أو الخبر. أي حسابه عدم الفلاح.

بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين، وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين. ثم أمر

رسوله بأن يستغفره ويسترحه، فقال:

﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ١٧٨.

سورة النور

سورة النور

مدنية بلا خلاف، وهي ثنتان أو أربع وستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: حصّنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور، وحصّنوا بها نساءكم. فإن من أدام قراءتها في كل يوم، أو في كل ليلة، لم يزن أحد من أهل بيته أبداً حتى يموت. فإذا مات، شيعه إلى قبره سبعون ألف ملك، كلهم يدعون ويستغفرون له، حتى يدخل في قبره.

وفي مجمع البيان^(٢): أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأ سورة النور، أُعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد كل مؤمنة ومؤمن^(٣) فيما مضى وفيما بقي.

وفي الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تنزلوا النساء الغرف، ولا تعلّموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور.

عدة من أصحابنا^(٥)، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم، رفعه قال: أمير المؤمنين عليه السلام: لا تعلّموا نساءكم سورة يوسف، ولا تقرّوهن إياها. فإن فيها الفتن. وعلموهن سورة النور، فإن فيها المواعظ.

وفي أصول الكافي^(٦): علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن

٢. مجمع البيان، ٤/١٢٢.

٤. الكافي، ٥/٥١٦، ح ١.

٦. الكافي، ٢/٣٢٢-٣٣، ح ١.

١. ثواب الأعمال، ١٣٥، ح ١.

٣. المصدر: كل مؤمن ومؤمنة.

٥. نفس المصدر، ح ٢.

عبدالرزاق بن مهران، عن الحسين^(١) بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: «وسورة النور أنزلت بعد سورة النساء. وتصديق ذلك أن الله ﷻ أنزل عليه في سورة النساء: «واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً»^(٢). والسبيل الذي قال الله ﷻ: «سورة أنزلناها» إلى قوله «طائفة من المؤمنين».

﴿سُورَةٌ﴾: أي هذه سورة، أو فيما أوحينا إليك سورة.

﴿أَنزَلْنَاهَا﴾: صفتها. ومن نصبها، جعله مفسراً لناصبها. فلا يكون له محل، إذا قدر: «اتل»، أو «دونك»، أو نحوه.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: وفرضنا ما فيها من الأحكام.

وشدده^(٤) ابن كثير وأبو عمرو، لكثرة فرائضها، أو المفروض عليهم، أو للمبالغة في إيجابها.

﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات الدلالة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٥): فتتقون المحارم.

وقرئ^(٥) بتخفيف الذال.

﴿الرَّائِيَةُ وَالزَّانِي﴾: أي فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما، وهو الجلد، ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر.

﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾: والفاء لتضمنها معنى الشرط، إذ اللام بمعنى الذي.

٢. النساء / ١٥.

٤. أنوار التنزيل، ١١٧/٢.

١. ن: الحسن.

٣. النور / ٢-١.

٥. أنوار التنزيل، ١١٧/٢.

وقرئنا^(١) بالنصب، على إضمار فعل يفسره الظاهر. وهو أحسن من نصب «سورة» لأجل الأمر. و«الزان» بلاياء.

وإنما قدم الزانية، لأن الزنا - في الأغلب - يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه. ولأن مفسدته تتحقق بالإضافة إليها. والجلد: ضرب الجلد.

وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن، لما دل على أن حد المحصن هو الرجم. وفي تهذيب الأحكام^(٢): يونس بن عبد الرحمان، عن سماعة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لا يُرجم الرجل والمرأة حتى يشهد عليهما أربعة شهداء على الجماع والإبلاج والإدخال كالميل في المكحلة.

يونس بن عبد الرحمان^(٣)، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: الحرّ والحرّة إذا زنيا، جُلد كلّ واحد منهما مائة جلدة. فأما المحصن والمحصنة، فعليهما الرجم.

عنه^(٤)، عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: الرجم في القرآن قوله تعالى: [إذا زنى]^(٥) الشيخ والشيخة فارجموهما البتّة، فإنهما قضيا الشهوة.

عنه^(٦)، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: المحصن يُرجم. والذي قد أملك ولم يدخل بها، يُجلد مائة جلدة^(٧) ونفي سنة.

علي بن إبراهيم^(٨)، عن أبيه، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام في الشيخ والشيخة، أن يُجلدا مائة. وقضى للمحصن الرجم. وقضى في البكر والبكرة إذا زنيا، جلد مائة ونفي سنة في غير مصرهما. وهما اللذان قد أملكا ولم يدخل بها.

١. كذا في أنوار التنزيل ١١٧/٢. أي «الزانية والزاني». وفي النسخ: قرئ.

٢. تهذيب الأحكام ٢/١٠، ح ١. ٣. نفس المصدر، ح ٣، ح ٦.

٤. نفس المصدر، ح ٧. ٥. من المصدر.

٦. نفس المصدر، ح ٨. ٧. ليس في المصدر.

٨. نفس المصدر ٣-٤، ح ٩.

محمّد بن أحمد بن يحيى^(١)، عن إبراهيم بن صالح^(٢) بن سعيد، عن محمّد بن حفص، عن عبدالله بن طلحة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا زنى الشيخ والعجوز، جُلدا، ثم رُجما عقوبة لهما. وإذا زنى النصف من الرجال، رُجم ولم يُجلد، إذا كان قد أحصن. وإذا زنى الشاب السنّ، جُلد، ونفي سنة من مصره.

عليّ بن إبراهيم^(٣)، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن إبراهيم بن الفضل، عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا زنى المجنون أو المعتوه^(٤)، جُلد الحدّ. وإن كان محصناً، رُجم.

قلت: وما الفرق بين المجنون والمجنونة، والمعتوه والمعتوهة؟ فقال: المرأة إنما تؤتى والرجل يأتي. وإنما يأتي إذا عقل كيف يأتي اللذة. وإن المرأة تُستكره ويُفعل بها، وهي لا تعقل ما يُفعل بها.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٥): والزنا على وجوه، والحدّ فيه على وجوه. فمن ذلك أنّه أحضر عمر بن الخطّاب ستّة نفر أخذوا بالزنا. فأمر أن يقام على كلّ واحد منهم الحدّ.

وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه جالساً عند عمر. فقال: يا عمر، ليس هذا حكمهم. قال: فأقم أنت عليهم الحدّ. فقَدّم واحداً منهم، فضرب عنقه. وقَدّم الثاني، فرجمه. وقَدّم الثالث، فضربه الحدّ. وقَدّم الرابع، فضربه نصف الحدّ. وقَدّم الخامس، فعزّره. وأطلق السادس^(٦).

فتعجّب عمر وتحير الناس. فقال عمر: يا أبا الحسن، ستّة نفر في قضية واحدة، أقمت عليهم خمس عقوبات، وأطلقت واحداً؟!^(٧) ليس منها حكم يشبه الآخر!

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن إبراهيم بن صالح.

٤. س، أ، م: المعتوه والمعتوهة.

٦. المصدر: وأما السادس فأطلقه.

١. نفس المصدر ٤، ح ١٠.

٣. نفس المصدر ١٩، ح ٥٦.

٥. تفسير القمي، ٩٦/٢.

٧. في المصدر: أقمت عليهم ستّ عقوبات.

فقال: نعم. أما الأول، فكان ذمياً زنى بمسلمة، فخرج عن ذمته. فالحكم فيه بالسيف^(١). وأما الثاني، فرجل محصن زنى، فرجمناه. وأما الثالث، فغير محصن، فحددناه. وأما الرابع، فرق^(٢) زنى، فضربناه نصف الحد. وأما الخامس، فكان منه ذلك الفعل بالشبهة، فعزّزناه وأدّبناه. وأما السادس، فمجنون مغلوب على عقله، سقط منه التكليف.

وفي الكافي^(٣): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يُضرب الرجل الحد قائماً، والمرأة قاعدة. ويُضرب كل عضو، ويترك الرأس والمذاكير.

علي بن إبراهيم^(٤)، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن إسحاق بن عمار قال:

سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الزاني كيف يُجلد؟ قال: أشدّ الجلد.

قلت: فمن فوق ثيابه؟ قال: بل تُخلع^(٥) ثيابه.

قلت: فالمفتري؟ قال: يُضرب بين الضريين، جسده كله فوق ثيابه.

أبو علي الأشعري^(٦)، عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان [بن يحيى]^(٧) عن إسحاق بن عمار، قال سألت: أبا إبراهيم عليه السلام عن الزاني كيف يُجلد؟ قال: أشدّ الجلد. فقلت: فوق الثياب؟ فقال: بل يُجرّد.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾: رحمة.

﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾: في طاعته وإقامة حده، فتعطلوه، أو تسامحوا فيه.

وقرأ^(٨) ابن كثير بفتح الهمزة. وقرئت^(٩) بالمد على فعالة.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: فإن الإيمان يقتضي الجدّ في طاعة الله

٢. المصدر: فعبد.

٤. نفس المصدر، ح ٢.

٦. نفس المصدر، ح ٣.

٨ و ٩. أنوار التنزيل، ١١٧/٢.

١. المصدر: السيف.

٣. الكافي ١٨٣/٧، ح ١.

٥. المصدر: يخلع.

٧. من المصدر.

والاجتهاد في إقامة أحكامه، وهو من باب التهيج.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢): زيادة في التنكيل. فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب.

والطائفة، فرقة يمكن أن يكون حافة حول شيء، من الطواف.

قيل^(١): وأقلها ثلاثة.

وقيل^(٢): واحد أو اثنان.

وقيل^(٣): أربعة. لأن أقل ما يثبت به الزنا شهادة أربعة.

وقيل^(٤): ليس لهم عدد محصور، بل هو موكول إلى رأي الإمام. والمقصود أن يحضر جماعة يقع لهم إذاعة الحد، ليحصل الاعتبار.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وليشهد عذابهما» يقول: ضربهما طائفة من المؤمنين، يُجمع لهما الناس إذا جلدوا.

وفي تهذيب الأحكام^(٦): الحسين بن سعيد، عن ابن محبوب عن حماد بن زياد، عن سليمان بن خالد، وذكر حديثاً طويلاً، ثم قال:

عنه، عن محمد بن يحيى، عن غياث بن إبراهيم، عن جعفر، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله تعالى: «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله». قال: في إقامة الحدود. وفي قوله تعالى: «ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين». قال: الطائفة واحد.

وفي عوالي اللئالي^(٧): عن الباقر عليه السلام: إن أقل الطائفة الحاضرة للحد، هي الواحد. ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾: إذ الغالب أن المائل إلى الزنا، لا يرغب في نكاح الصوالح، والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء. فإن المشاكلة علة الإلفة والتضام، والمخالفة سبب النفرة والافتراق.

٤-١. أنوار التنزيل، ١١٧/٢-١١٨.

٥. تفسير القمي، ٩٥/٢.

٦. تهذيب الأحكام ١٥٠/١٠، ح ٦٠٢.

٧. عوالي اللئالي ١٥٣/٢، ح ٤٢٨.

قيل^(١): وكان حقَّ المقابلة أن يقال: والزانية لا تنكح إلا من هو زان أو مشرك. لكنَّ المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهنَّ. لأنَّ الآية نزلت في ضعفة المهاجرين، لما همَّوا أن يتزوَّجوا بغايا يَكْرِهْنَ أنفسهنَّ لينفقنَّ عليهم من أكسابهنَّ على عادة الجاهليَّة. ولذلك قدَّم الزاني.

وفي الكافي^(٢): عدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن داود بن سرحان، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة»؟ قال: هنَّ نساء مشهورات بالزنا، ورجال مشهورون بالزنا؛ شُهِرُوا بِهِ^(٣) وعُرفوا به. والناس اليوم بذلك المنزل. فمن أُقيم عليه حدُّ الزنا أو متَّهم بالزنا، لم يَنبَغِ لأحد أن يناكحه حتَّى يعرف منه التوبة.

محمد بن يحيى^(٤)، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة»؟ فقال: كنَّ نسوة مشهورات بالزنا، ورجال مشهورون بالزنا؛ قد عُرفوا بذلك. والناس اليوم بتلك المنزلة. فمن أُقيم عليه حدُّ الزنا، أو شُهِرَ به، لم يَنبَغِ لأحد أن يناكحه حتَّى يعرف منه التوبة.

الحسين بن محمد^(٥)، عن معلي بن محمد، عن الحسن بن علي، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة»؟ قال: هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول الله ﷺ مشهورين بالزنا. فنهى الله عن أولئك الرجال والنساء. والناس اليوم على تلك المنزلة. من شهر شيئاً من ذلك، أو أُقيم عليه الحدُّ، فلا تزوَّجوه حتَّى تُعرَف توبته.

محمد بن يحيى^(٦)، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن معاوية بن وهب

١. أنوار التنزيل، ١١٨/٢.

٢. الكافي، ٣٥٤/٥، ح ١.

٣. نفس المصدر، ح ٢.

٤. نفس المصدر، ح ٤.

٥. ليس في المصدر.

٦. نفس المصدر، ٣٥٥، ح ٣.

قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل تزوج امرأة، فعلم بعد ما تزوجها أنها كانت زنت. قال: إن شاء زوجها أن يأخذ الصداق من الذي زوجها، ولها الصداق بما استحلت من فرجها، وإن شاء تركها.

حميد بن زياد^(١)، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن أبان، عن حكم بن حكيم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك». قال: إنما ذلك في الجهر. ثم قال: لو أن إنساناً زنى، ثم تاب، تزوج حيث شاء.

﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) قيل^(٣): لأنه تشبه بالفساق، وتعرض للتهمة، وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب؛ وغير ذلك من المفاسد. ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم، مبالغة.

وقيل^(٤): النفي بمعنى النهي، وقد قرئ به. والحرمة على ظاهرها. والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه، أو منسوخ بقوله تعالى: «وأنكحوا الأيامى منكم»^(٥) فإنه. يتناول المسافحات. ويؤيده أنه عليه السلام سئل عن ذلك، فقال: أوله سفاح. وآخره نكاح. والحرام لا يحرم الحلال.

قال البيضاوي: وقيل^(٥): المراد بالنكاح: الوطء. فيؤول إلى نهى الزاني عن الزنا إلا بزانية، والزانية لا يزني بها إلا زان، وهو فاسد.

أقول: مراد من قال: «إن المراد بالنكاح الوطء» أنهما اشتراكا في الزنا، فهي مثله. وهو ليس بفاسد كما توهمه^(٦).

وفي أصول الكافي^(٧): علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبد الرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام

١. نفس المصدر، ح ٦.

٢ و ٣. أنوار التنزيل، ١١٨/٢.

٤. النور / ٣٢.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. انظر مجمع البيان ١٢٥/٤.

٧. الكافي ٣٢/٢، ح ١.

حديث طويل، يقول فيه ﷺ: «الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين». فلم يسم الله الزاني مؤمناً، ولا الزانية مؤمنة.

وقال رسول الله ﷺ: ليس يمترى فيه أهل العلم أنه قال لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن. ولا يسرق السارق حين يسرق، وهو مؤمن. فإنه إذا فعل ذلك، خلع عنه الإيمان كخلع القميص.

وفي الكافي^(١): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل قال: سألت رجلاً أبا الحسن الرضا ﷺ وأنا أسمع، عن رجل تزوج المرأة متعة، ويشترط عليها أن لا يطلب ولدها، فتأتي بعد ذلك بولد، فشدد في إنكار الولد، وقال: أتجده^(٢)؟ فقال الرجل: فإنني^(٣) أتهمها، فقال: لا ينبغي لك أن تتزوج إلا مؤمنة أو مسلمة. فإن الله ﷻ يقول: «الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين».

ورواه في الاستبصار^(٤) كذلك، إلا أن فيه: لا ينبغي لك أن تتزوج إلا مأمونة. إن الله تعالى يقول^(٥) [إلى آخره.

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: أي يقذفون العفاف [من النساء بالفجور والزنا]. والمراد بالإحصان هاهنا: إحصان الفرج بالعفة؛ لأن ذلك حكم قذف مطلق العفاف^(٦) [مزوجة وغير مزوجة. كما يأتي في الأخبار.

﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: أي ثم لم يأتوا على صحة ما رموهن به من الزنا، بأربعة عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك.
﴿فَاجْلِدُوهُنَّ﴾: أي الذين يرموهن بالزنا.

١. نفس المصدر ٤٥٤/٥، ح ٣.

٢. المصدر: أيجده.

٣. المصدر: فإن.

٤. الاستبصار ١٥٣/٣، ح ٥٦٠.

٥. ليس في ن.

٦. ليس في س، أ.

﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾: حَدًّا لِقَذْفِهِمْ وَرَمِيهِمْ بِالزَّانَا.

وفي كتاب علل الشرائع^(١) بإسناده إلى علي بن أشيم عمَّن رواه عن أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قيل له: لِمَ جُعِلَ فِي الزَّانَا أَرْبَعَةٌ مِنَ الشُّهُودِ وَفِي الْقَتْلِ شَاهِدَانِ؟ فقال: إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَحَلَّ لَكُمْ الْمَتْعَةَ، وَعَلِمَ أَنَّهَا سَتْنُكَرُ^(٢) عَلَيْكُمْ. فَجُعِلَ الْأَرْبَعَةُ الشُّهُودُ احتياطاً لَكُمْ. لَوْلَا ذَلِكَ، لَأَتَيْتُ عَلَيْكُمْ. وَقُلَّ مَا يَجْتَمِعُ أَرْبَعَةُ شَهَادَةٍ بِأَمْرٍ وَاحِدٍ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام^(٣) قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الصَّفَّارُ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ معروف، عَنِ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارٍ، عَنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ [حَمَّادِ بْنِ]^(٤) أَبِي حَنِيفَةَ [عَنِ أَبِيهِ حَمَّادٍ]^(٥) عَنْ [أَبِيهِ] أَبِي حَنِيفَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَيُّهُمَا أَشَدُّ: الزَّانَا أَمْ الْقَتْلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: الْقَتْلُ.

قال: فقلت: فما بال القتل جاز فيه شاهدان، ولا يجوز في الزنا إلا أربعة؟ فقال لي: ما عندكم فيه يا أبا حنيفة؟

قال: قلت ما عندنا فيه إلا حديث عمر، أَنَّ اللَّهَ أَجْرَى فِي الشَّهَادَةِ كَلِمَتَيْنِ عَلَى الْعِبَادِ. قال: ليس كذلك يا أبا حنيفة. ولكنَّ الزَّانَا فِيهِ حَدَّانِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَشْهَدَ كُلُّ اثْنَيْنِ عَلَى وَاحِدٍ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ جَمِيعاً عَلَيْهِمَا الْحَدُّ. وَالْقَتْلُ، إِنَّمَا يَقَامُ الْحَدُّ عَلَى الْقَاتِلِ وَيُدْفَعُ عَنِ الْمَقْتُولِ.

وفي تهذيب الأحكام^(٦): [سهل بن زياد، عن]^(٧) ابن محبوب، عن نعيم بن إبراهيم، عن عباد البصري، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: إِذَا قَذَفَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيَعْمَلُ^(٨) عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، وَيَنْكَحُ^(٩) الرِّجَالَ؟ قَالَ: يُجْلَدُ حَدُّ الْقَاذِفِ، ثَمَانِينَ جَلْدَةً.

٢. س، أ، م، ن: مستنكر.

٤ و ٥. من المصدر.

٧. ليس في المصدر.

٩. المصدر: تنكح.

١. علل الشرائع ٥٠٩، ح ١.

٣. نفس المصدر ٥١٠، ح ٣.

٦. تهذيب الأحكام ٦٧/١٠، ح ٢٤١.

٨. المصدر: انك لتعمل.

الحسين بن سعيد^(١)، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن أبي مريم الأنصاري قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الغلام لم يحتلم، يقذف الرجل، هل يُجْلَد؟ قال: لا. قال: وذاك لو أن رجلاً قذف الغلام، لم يُجْلَد.

سهل بن زياد^(٢)، عن ابن أبي نصر، عن عاصم بن حميد، عن أبي نصر، عن أبي عبد الله عليه السلام في الرجل يقذف الصبية؟ يُجْلَد. قال: لا، حتّى تبلغ.

الحسن بن محبوب^(٣)، عن عبدالعزيز العبدى، عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو أتيت برجل قذف عبداً مسلماً بالزنا، لا يُعْلَم منه إلا خيراً، لضربه الحدّ حدّ الحرّ، إلا سوطاً.

علي بن إبراهيم^(٤)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قذف العبد الحرّ، جُلد ثمانين. وقال: هذا من حقوق الناس.

أحمد بن محمد^(٥)، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: سألت عن المملوك يفترى على الحرّ. قال: عليه ثمانون. قلت: فإذا زنى؟ قال: يُجْلد خمسين.

يونس^(٦) [ابن عبد الرحمان]^(٧) عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه نهى عن قذف من ليس على الإسلام، إلا أن يُطْلَع على ذلك منهم. وقال: أيسر ما يكون، أن يكون قد كذب.

محمد بن الحسن الصفار^(٨)، عن الحسين^(٩) بن علي، عن يونس بن عبد الرحمان، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك، ما تقول في الرجل يقذف بعض جاهلية العرب؟ قال: يُضْرَب الحدّ. إنّ ذلك يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله.

-
- | | |
|--------------------------|-----------------------------|
| ١. نفس المصدر ٦٨، ح ٢٥١. | ٢. نفس المصدر ٦٨، ح ٢٥٢. |
| ٣. نفس المصدر ٧١، ح ٢٦٦. | ٤. نفس المصدر ٧٢، ح ٢٧٠. |
| ٥. نفس المصدر، ح ٢٧١. | ٦. نفس المصدر ٧٥، ح ٢٨٦. |
| ٧. ليس في المصدر. | ٨. نفس المصدر ٨٧-٨٨، ح ٣٣٩. |
| ٩. ن، المصدر: الحسن. | |

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل: وعلة ضرب القاذف وشارب الخمر ثمانين جلدة؛ لأن في القذف نفي الولد وقطع النسل وذهاب النسب. وكذلك شارب الخمر، لأنه إذا شرب هذى. وإذا هذى، افترى. فوجب [عليه]^(٢) حدّ المفترى.

وفي الكافي^(٣): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل افترى على قوم جماعة. قال: إن أتوا به مجتمعين، ضُرب حدّاً واحداً. وإن أتوا به متفرقين، ضُرب لكل واحد منهم حدّ.

محمد بن يحيى^(٤)، عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن أبان بن عثمان عن الحسن العطار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل قذف قوماً.

قال: بكلمة واحدة؟ قلت: نعم. قال: يُضرب حدّاً واحداً. فإن فرّق بينهم بالقذف، ضُرب لكل واحد منهم حدّاً.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾: أي شهادة كانت، لأنه مفترٍ.

وقيل^(٥): شهادتهم في القذف.

﴿أَبْدَأَ﴾: ما لم يتب.

وفي الاستبصار^(٦): عن إسماعيل بن زياد، عن الصادق، عن الباقر عليه السلام أن علياً عليه السلام قال: ليس بين خمس نساء و[بين]^(٧) أزواجهنّ ملاعنة، إلى قوله: والمجلود في الفرية؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبْدَأَ﴾.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): حدّثني أبي، عن حماد، عن حريز، عن أبي

٢. من المصدر.

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٩٥/٢، ح ١.

٤. نفس المصدر ٢٠٩-٢١٠، ح ٢.

٣. الكافي ٢٠٩/٧، ح ١.

٦. الاستبصار ٣٧٥/٣، ح ١٠.

٥. أنوار التنزيل، ١١٨/٢.

٨. تفسير القمي، ٩٦/٢.

٧. من المصدر.

عبدالله ﷺ قال: القاذف يُجلد ثمانين جلدة، ولا تُقبل شهادته ^(١) أبداً، إلا بعد التوبة أو يكذب نفسه.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ^(٢): المحكوم بفسقهم.

وفي أصول الكافي ^(٣): علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبدالرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر ﷺ حديث طويل، يقول فيه ﷺ: «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون» إلى قوله: «غفور رحيم». فبرأه الله ما كان مقيماً على الفرية من أن يسمى بالإيمان. قال الله ^(٤): «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستونون».

وجعله الله منافقاً. قال الله ^(٥): «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

وجعله الله من أولياء إبليس، قال ^(٦): «إِلَّا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربّه». وجعله ملعوناً، فقال ^(٧): «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تُشْهِدُهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». وليس ^(٨) تشهد الجوارح على مؤمن. إنما تشهد على من حَقَّت عليه كلمة العذاب. فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه. قال الله ^(٩): «فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا».

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: عن القذف.

في الكافي ^(١٠): علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن زرعة، عن

١. س، م، ن، المصدر: له شهادة.

٢. الكافي ٣٢/٢، ح ١.

٣. السجدة / ١٨.

٤. التوبة / ٦٧.

٥. ليس في ع.

٦. الكهف / ٥٠.

٧. النور / ٢٣ - ٢٤.

٨. المصدر: وليست.

٩. الإسراء / ٧١.

١٠. الكافي ٢٤١/٧، ح ٧.

سماعة قال: سألته عن شهود الزور؟ قال: فقال: يُجْلَدُونَ حَدًّا لَيْسَ لَهُ وَقْتُ، وَذَلِكَ إِلَى الْإِمَامِ، وَيَطَافُ بِهِمْ حَتَّى تَعْرِفَهُمْ^(١) النَّاسُ.

وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا». قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ تُعْرِفُ تَوْبَتَهُ؟ قَالَ: يَكْذِبُ نَفْسَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ^(٢) حَتَّى يَضْرِبَ وَيَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ^(٣). وَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ ظَهَرَتْ تَوْبَتُهُ.

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(٤)، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ وَحَمَّادٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ سَلِيمَانَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ، يَقْذِفُ الرَّجُلَ فَيُجْلَدُ حَدًّا، ثُمَّ يَتُوبُ وَلَا يَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، أَتَجُوزُ شَهَادَتُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. مَا يُقَالُ عِنْدَكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُونَ تَوْبَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ أَبَدًا. فَقَالَ: بَنَسْ مَا قَالُوا. كَانَ أَبِي يَقُولُ: إِذَا تَابَ وَلَمْ يَعْلَمْ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، جَازَتْ شَهَادَتُهُ.

وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٥): «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا». وَاخْتَلَفَ فِي هَذَا الْإِسْتِثْنَاءِ إِلَى مَاذَا يَرْجِعُ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الْفَسْقِ [خَاصَّةً دُونَ قَوْلِهِ: «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا»]. فَيُزُولُ^(٦) عَنْهُ اسْمُ^(٧) الْفَسْقِ بِالتَّوْبَةِ، وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ - إِلَى قَوْلِهِ -: وَالْآخَرُ أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ يَرْجِعُ إِلَى الْأَمْرَيْنِ. فَإِذَا تَابَ، قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ، حُدُّهُ أَوْ لَمْ يَحُدَّ. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - إِلَى قَوْلِهِ -: وَهُوَ قَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: أَعْمَالُهُمُ بِالتَّوْبَةِ. وَمِنْهُ الْإِسْتِسْلَامُ لِلْحَدِّ، أَوِ الْإِسْتِحْلَالُ مِنَ الْمَقْدُوفِ.

قِيلَ^(٨): وَالْإِسْتِثْنَاءُ رَاجِعٌ إِلَى أَصْلِ الْحُكْمِ، وَهُوَ اقْتِضَاءُ الشَّرْعِ لِهَذِهِ الْأُمُورِ^(٩)،

٢. المصدر: الناس.

١. المصدر: يعرفهم.

٤. نفس المصدر ٣٩٧، ح ٢.

٣. م، ن: ويستغفرونه.

٦. ن: ويزول.

٥. مجمع البيان، ١٢٦/٤.

٨. أنوار التنزيل، ١١٨/٢.

٧. ليس في أ.

٩. المصدر: لهذا الأمر.

ولا يلزم سقوط الحدّ به كما قيل . لأنّ من تمام التوبة الاستسلام له ، أو الاستحلال .
ومحلّ المستثنى النصب [على الاستثناء .

وقيل ^(١) : إلى النهي . ومحلّه الجرّ على البدل من هم في «لهم» .

وقيل ^(٢) : إلى الأخيرة ومحلّه النصب [لأنّه عن ^(٤) موجب .

وقيل : منقطع ، متّصل بها بعده .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٥) : علة للاستثناء .

﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ اَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ اِلَّا اَنْفُسُهُمْ ﴾ : نزلت في هلال بن

أميّة ، رأى رجلاً على فراشه . و«أنفسهم» بدل من «شهداء» أو صفة لـ«هم» على أنّ «إلا»
بمعنى غير .

﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ اَوْ اَيَّ شَهَادَاتٍ ﴾ : فالواجب شهادة أحدهم ، أو فعليهم شهادة

أحدهم .

و«أربع» تُصَبّ على المصدر . وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص ^(٥) ، على ^(٦) أنّه

خبر شهادة .

﴿ بِاللَّهِ ﴾ : متعلّق بـ«شهادات» لأنها أقرب .

وقيل ^(٧) : بـ«شهادة» لتقدّمها .

﴿ إِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴾ ^(٦) : أي فيما رماها به من الزنا . وأصله : على أنّه . فحُذِفَ

الجارّ ، وكُسِرَتْ إِنْ ، وُعُلِقَ العامل عنه ، وَعَوِضَ باللام تأكيداً .

﴿ وَالْخَامِسَةُ ﴾ : والشهادة الخامسة .

﴿ اَنْ لَّعَنَ اللّٰهُ عَلَيْهِ اِنْ كَانَ مِنَ الْكَٰذِبِيْنَ ﴾ ^(٧) : في الرمي .

٣ . من المصدر .

١ و٢ . نفس المصدر والموضع .

٥ . نفس المصدر ، ١١٩ .

٤ . المصدر : من .

٧ . أنوار التنزيل ، ١١٩/٢ .

٦ . ليس في أ .

وقرأ^(١) نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين [ورفع «لعنة»]^(٢).

هذا لعان الرجل، وحكمه سقوط حدّ القذف عنه. وهذا حكم خصّ الله به الأزواج في قذف نسائهم. فتقوم الشهادات الأربع، مقام الشهود الأربعة في دفع القذف عنهم. في الكافي^(٣): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن المثنى^(٤)، عن زرارة، قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم». قال: هو القاذف^(٥) الذي يقذف امرأته. فإذا قذفها، ثم أقَرَّ أنه^(٦) كذب عليها، جُلِدَ الحدّ وُرِدَتْ إليه امرأته. وإن أبي إلا أن يمضي، فليشهد عليها أربع شهادات بالله إنّه لمن الصادقين. والخامسة يلعن فيها نفسه إن كان من الكاذبين.

وإن أرادت أن تدرأ عن نفسها العذاب - والعذاب هو الرجم - شهدت أربع شهادات بالله إنّه لمن الكاذبين. والخامسة أنّ غضب الله عليها إن كان من الصادقين. فإن لم تفعل، رُجمت. وإن فعلت، درأت عن نفسها الحدّ، ثم لا تحلّ له إلى يوم القيامة. [قلت: رأيت إن فُرّق بينهما ولها ولد فمات؟ قال: ترثه أمّه. وإن مات أمّه، ورثه أخواله. ومن قال إنّه ولد زنا، جُلِدَ الحدّ.

قلت: يُردّ إليه الولد إذا أقَرَّ به؟ قال: لا، ولا كرامة. ولا يرث الابن ويرثه الابن]^(٧). علي بن إبراهيم^(٨)، عن أبيه، عن الحسين بن سيف، عن محمد بن سليمان، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قلت: له: كيف صار الزوج إذا قذف امرأته، كانت شهادته أربع شهادات بالله؟ وكيف لا يجوز ذلك لغيره؟ وصار إذا قذفها غير الزوج، جُلِدَ الحدّ، ولو كان ولداً أو أختاً؟

١. أنوار التنزيل، ١١٩/٢.

٢. من المصدر.

٣. الكافي ٢١١/٧، ح ٥؛ الكافي ١٦٢/٨، باب اللعان ح ٣.

٤. المصدر: مثنى الحنّاط.

٥. ليس في المصدر.

٦. المصدر: بأنّه.

٧. ليس في المصدر.

٨. نفس المصدر ٤٠٣، ح ٦.

فقال: قد سُئل [أبو] ^(١) جعفر عليه السلام عن هذا. فقال: ألا ترى أنه إذا قذف الزوج امرأته، قيل له: وكيف علمت أنها فاعلة؟ فإن قال رأيت ذلك منها بعيني، كانت شهادته أربع شهادات بالله. وذلك أنه قد يجوز للرجل أن يدخل المدخل في الخلوة التي لا يصلح ^(٢) لغيره أن يدخلها، ولا يشهدها ولد ولا والد في الليل والنهار. فلذلك صارت شهادته أربع شهادات [بالله] ^(٣) إذا قال: رأيت ذلك بعيني. وإذا قال: إنِّي لم أعاين، صار قاذفاً [في حدِّ غيره] ^(٤)، وضرب الحدِّ، إلا أن يقيم عليها البينة.

وإن زعم غير الزوج إذا قذف وادَّعى أنه رآه بعينه، قيل له: وكيف رأيت ذلك؟ وما أدخلك ذلك المدخل الذي رأيت فيه هذا وحدك؟ أنت متهم في دعواك. فإن كنت صادقاً، فأنت ^(٥) في حدِّ التهمة. فلا بدَّ من أدبك بالحدِّ الذي أوجبه الله عليك. قال: وإنما صارت شهادة الزوج أربع شهادات [بالله] ^(٦) لمكان الأربعة شهداء، مكان كلِّ شاهدين ^(٧).

وفي عوالي اللثالي ^(٨) روي في الحديث أنَّ هلال بن أمية، قذف زوجته بشريك بن السحماء ^(٩). فقال النبي ﷺ: البينة، وإلا حدَّ في ظهرك. فقال: يا رسول الله، يجد أحدنا مع امرأته رجلاً يلتمس البينة؟! فجعل رسول الله ﷺ يقول: البينة وإلا حدَّ ^(١٠) في ظهرك. فقال: والذي بعثك بالحقِّ إنِّي صادق ^(١١)، وسينزل الله ما يبرئ ظهري من الجلد. فنزل قوله تعالى: «والَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمُ الْآيَةَ.

﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: أي الحدِّ.

﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ^(١٢): فيما رماني به.

١. من المصدر.

٢. المصدر: لا تصلح.

٣. ٤. من المصدر.

٥. ليس في س، أ.

٦. من المصدر.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: شاهدين.

٨. عوالي اللثالي ٤١١/٣، ح ١.

٩. المصدر: شحماء.

١٠. المصدر: لصاحبه.

١١. المصدر: لصاحبه.

١٢. المصدر: فحدَّ.

﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) : في ذلك .

ورفع الخامسة بالابتداء، وما بعدها الخبر. أو بالعطف على «أن تشهد». ونصبها^(٢) حفص عطفاً على «أربع».

وقرأ^(٣) نافع: «أن غَضِبَ الله» بكسر الضاد وفتح الباء، ورفع «الله».

وفي الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبدالرحمان بن الحجاج قال: إن عباد البصري سأل أبا عبدالله عليه السلام وأنا حاضر: كيف يلاعن الرجل المرأة؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: إن رجلاً من المسلمين أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، أرايت لو أن رجلاً دخل منزله، فوجد مع امرأته رجلاً يجامعها، ما كان يصنع؟ قال: فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله. فانصرف الرجل. وكان ذلك الرجل، هو الذي ابتلي بذلك من امرأته.

قال^(٥): فنزل الوحي من عند الله صلى الله عليه وآله بالحكم فيهما. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك الرجل. فدعاه، فقال له: أنت الذي رأيت مع امرأتك رجلاً؟ فقال: نعم. فقال له: انطلق، فأنتي بامرأتك، فإن الله قد أنزل الحكم فيك وفيها.

قال: فأحضرها زوجها، وأوقفهما رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم قال للزوج: اشهد أربع شهادات بالله إنك لمن الصادقين، فيما رميتها به. قال: فشهد. ثم قال له: اتق الله، فإن لعنة الله شديدة. ثم قال له: اشهد الخامسة أن لعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين. قال: فشهد. قال: فأمر به فنجي.

ثم قال للمرأة: اشهدي أربع شهادات بالله إن زوجك لمن الكاذبين فيما رماك به. قال: فشهدت. ثم قال لها: أمسكي. فوعظها وقال لها: اتقي الله، فإن غضب الله شديد. ثم قال لها: اشهدي الخامسة أن غضب الله عليك، إن كان زوجك من الصادقين فيما

١. أنوار التنزيل، ١١٩/٢.

٢. أنوار التنزيل، ١١٩/٢.

٣. الكافي ١٦٣/٦، ح ٤.

٤. ليس في س، أن ن.

رماك به. قال: فشهدت. ففرّق بينهما وقال لهما: لاتجتمعا بِنِكَاحِ أَبَدًا^(١) بعد ما تلاعنتما.

الحسن بن محبوب^(٢)، عن عباد بن صهيب، عن أبي عبدالله عليه السلام في رجل أوقفه الإمام للعان، فشهد شهادتين ثم نكل، فأكذب نفسه قبل أن يفرغ من اللعان. قال: يُجلد حدّ القاذف، ولا يُفرّق بينه وبين امرأته.

علي بن إبراهيم^(٣)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا قذف الرجل امرأته، فإنّه لا يلاعنها حتّى يقول: رأيت بين رجلها رجلاً يزني بها.

قال: وسئل عن الرجل يقذف امرأته. قال: يلاعنها ثم يُفرّق بينهما، فلا تحلّ له أبداً. فإذا أقرّ على نفسه قبل الملاءنة، جُلِدَ حدّاً وهي^(٤) امرأته.

قال: وسألته عن المرأة الحرّة يقذفها زوجها وهو مملوك. قال: يلاعنها، [ثم يُفرّق بينهما، فلا تحلّ له أبداً. فإن أقرّ على نفسه بعد الملاءنة، جُلِدَ حدّاً وهي امرأته]^(٥).

قال: وسألته عن الحرّ تحته أمة، فيقذفها. قال: يلاعنها.

قال: وسألته عن المرأة^(٦) التي يرميها زوجها وينتفي من ولدها ويلاعنها ويفارقها، ثم يقول بعد ذلك: «الولد ولدي» ويكذب نفسه. فقال: أمّا المرأة، فلا ترجع إليه أبداً. وأمّا الولد، فإنّي أردّه إذا ادّعاه ولا أدع ولده. وليس له ميراث. ويرث الابن الأب، ولا يرث الأب الابن. ويكون ميراثه لأخواله. فإن لم يدّعه أبوه، فإنّ أخواله^(٧) يرثونه ولا يرثهم. وإن دعاه أحد ابن الزانية، جُلِدَ الحدّ.

الحسين بن محمّد^(٨)، عن معلي بن محمّد، عن الحسن بن علي الوشاء^(٩)، عن

١. ليس في ن. ٢. نفس المصدر، ح ٥.

٣. نفس المصدر ١٦٤، ح ٦. ٤. ن: إذ هي.

٥. من المصدر. ٦. المصدر: الملاءنة.

٧. ن: فأخواله. ٨. نفس المصدر ١٦٢، ح ٢.

٩. من ن.

أبان، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تكون الملاءنة ولا الإيلاء إلا بعد الدخول.

علي بن إبراهيم^(١)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألت عن الحرِّ، بينه وبين المملوكة لعان؟ فقال: نعم. وبين المملوك والحرّة، وبين العبد والأمة، وبين المسلم واليهوديّة والنصرانيّة. ولا يتوارثان ولا يتوارث الحرّ والمملوكة.

علي بن إبراهيم^(٢)، عن أبيه، [عن ابن أبي عمير]^(٣) عن حماد بن الحلبي ومحمد بن مسلم [عن أبي عبدالله عليه السلام في رجل قذف امرأته، وهي خرساء. قال: يفرّق بينهما.

محمد بن يحيى^(٤)]^(٥) عن العمري بن علي، عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: سألت عن رجل لاعن امرأته، فحلف أربع شهادات بالله، ثم نكل في الخامسة. قال: إن نكل في الخامسة، فهي امرأته وجُلْد. وإن نكلت المرأة عن ذلك، إذا كانت اليمين عليها، فعليها مثل ذلك.

قال: وسألته عن الملاءنة، قائماً يلاعن أو قاعداً؟ قال: الملاءنة، وما أشبهها من قيام.

وفي أصول الكافي^(٦): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن بعض أصحابه، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كنّ فيه، كان منافقاً؛ وإن صام وصلى، وزعم أنّه مسلم: من إذا أوْثَمَن، خان؛ وإذا^(٧) حدّث، كذب؛ وإذا وعد، أخلف. إنَّ الله ﻻ يحب الخائنين» وقال:

١. نفس المصدر ١٦٤، ح ٧.

٢. نفس المصدر، ح ٨.

٣. ليس في س، أ.

٤. نفس المصدر ١٦٥، ح ١٢.

٥. من ن.

٦. الكافي ٢٩٠/٢ - ٢٩١، ح ٨.

٧. الأنفال ٥٨.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: وإن.

«أَنَّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين». وفي قوله ^(١) تعالى: «واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا».

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): وأما قوله ﷺ: «والذين يرمون أزواجهم» إلى قوله تعالى: «إن كان من الصادقين» فإنها نزلت في اللعان.

وكان سبب ذلك أنه لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، جاء إليه عويمر بن ساعدة العجلاني - وكان من الأنصار - فقال: يا رسول الله، إن امرأتي زنى بها شريك بن السمحاء، وهي منه حامل. فأعرض عنه رسول الله ﷺ. فأعاد عليه القول. فأعرض عنه، حتى فعل ذلك أربع مرات.

فدخل رسول الله ﷺ منزله، فنزلت عليه آية اللعان. فخرج رسول الله ﷺ وصلى بالناس العصر. ثم قال لعويمر: ائتني بأهلك، فقد أنزل الله ﷻ فيكما قرآناً. فجاء إليها، فقال لها: رسول الله ﷺ يدعوك. وكانت في شرف من قومها. فجاء معها جماعة.

فلما دخلت المسجد، قال رسول الله ﷺ لعويمر: تقدما إلى المنبر والتعنا. فقال: كيف أصنع؟ فقال: تقدم، وقل: أشهد بالله إنني ^(٣) لمن الصادقين فيما رميته بها. فتقدم وقالها. فقال رسول الله ﷺ: أعداها. فأعادها. حتى فعل ذلك أربع مرات. فقال له في الخامسة: عليك لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميته بها. فقال في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به.

ثم قال رسول الله ﷺ: إن اللعنة موجبة ^(٤) إن كنت كاذباً. ثم قال له: تنح. فتنحى ^(٥). ثم قال لزوجته: تشهدين كما شهد، وإلا أقمت عليك حد الله. فنظرت في وجوه قومها. فقالت: لا أسود هذه الوجوه في هذه العشيّة. فتقدمت إلى المنبر. وقالت: أشهد بالله إن عويمر بن ساعدة من الكاذبين فيما رمانني به. فقال لها رسول الله ﷺ: أعيديها.

٢. تفسير القمي، ٩٨/٢-٩٩.

٤. المصدر: لموجبة.

١. مريم ٥٤.

٣. المصدر: إني إذاً.

٥. المصدر: فتنحى عنه.

فأعادتها، حتى أعادتها أربع مرّات. فقال لها رسول الله ﷺ: العني نفسك في الخامسة، إن كان من الصادقين فيما رماك به. فقالت في الخامسة أن غضب الله عليه إن كان من الصادقين فيما رمانى به. فقال رسول الله ﷺ: ويلك إنَّها موجبة إن كنت كاذبة.

ثم قال رسول الله ﷺ لزوجها: اذهب، فلا تحلّ لك أبداً. قال: يا رسول الله، فمالي الذي أعطيتها؟ قال: إن كنت كاذباً، فهو أبعد لك منه. وإن كنت صادقاً، فهو لها بما استحلتت من فرجها. ثم قال رسول الله ﷺ إن جاءت بالولد أحמש الساقين وأخفش العينين، جعد^(١) ققط^(٢)، فهو للأمر السيئ. وإن جاءت به أشهل أصهب^(٣)، فهو لأبيه. فيقال إنَّها جاءت به على الأمر السيئ، فهذه لا تحلّ لزوجها. وإن جاءت بولد، لا يرثه أبوه، وميراثه لأمه. وإن لم يكن له أم، فلاخواله، وإن قذفه أحد، جلد حدّ القاذف.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾^(٤): متروك الجواب للتعظيم، أي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾: بأبلغ ما يكون من الكذب. من الأفك، وهو: الصرف؛ لأنَّه قول مأفوك عن وجهه.

قيل^(٥): والمراد مأفك به على عائشة. وذلك أنَّه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات. فأذن ليلة في القفول بالرحيل، فمشت لقضاء حاجة. ثمَّ عادت إلى الرجل. فلمست صدرها، فإذا عقد من جزع ظفار^(٦) قد انقطع. فرجعت لتلمسه،

١. الأحمش: الدقيق الساقين. والخفش: صغر العين وضعف البصر خلقة. والجعد من الشعر: ما فيه التواء وتقبض، أو القصير منه. والققط: القصير الجعد من الشعر.

٢. الشهل: أن يشوب سواد العين زرقه. والأصهب: ما يخالط بياض شعره حمرة.

٣. في هامش نسخة «م»: يقال للكريم من الرجال: جعد وجعد وققط؛ أي شديد الجعودة. وقد ققط شعره بالكسر. وشعر جعد: بين الجعودة. والجعودة: ضد السبط. وشعر سبط وسبط مثال كنيف وفرس؛ أي

مسترسل. (خ ص) ٤. أنوار التنزيل، ١١٩/٢.

٥. الجَزَعُ: ضرب من العقيق يُعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان، والحجر في جملة بلون الظفر.

فظنَّ الَّذِي كَانَ يُرْجِلُهَا أَنَّهَا دَخَلَتْ الْهُودَجَ، فَرَحَلَهُ عَلَى مَطْبِئِهَا وَسَارَ. فَلَمَّا عَادَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا، لَمْ تَجِدْ ثُمَّ^(١) أَحَدًا. فَجَلَسَتْ كَيْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا مَنْشَدٌ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمَعْطَلِ السَّلْمِيُّ قَدْ عَرَسَ^(٢) وَرَاءَ الْجَيْشِ. فَأَدْلَجَ^(٣)، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِهَا، فَعَرَفَهَا. فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَرَكِبَتْهَا. فَقَادَهَا، حَتَّى أَتَى الْجَيْشَ، فَأَتَّهَمَتْ بِهِ.

﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾: جماعة.

وقيل^(٤): هي من العشرة إلى الأربعين. وكذلك العصابة. يريد عبدالله بن أبي، وزيد بن رفاعه، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدهم. وهي خبر «إن». وقوله:

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾: مستأنف. والخطاب لرسول الله وأبي بكر وعائشة وصفوان. والهاء للإفك.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: لاكتسابكم به الثواب العظيم، وظهور كرامتكم على الله، بإنزال ثمانى عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظنَّ بكم خيراً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): «وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: «إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»، فَإِنَّ الْعَامَّةَ رَوَتْ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَائِشَةَ، وَمَا رُمِيتَ بِهِ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خِرَازَةِ.

وَأَمَّا الْخَاصَّةُ، فَإِنَّهُمْ رَوَوْا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مَارِيَةِ الْقَبْطِيَّةِ، وَمَا رَمَتْهَا بِهِ عَائِشَةُ.

حدَّثَنَا^(٦) مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ [قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ^(٧) بْنُ بَكِيرٍ، عَنْ زُرَّارَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٨)]

١. أي هناك.

٢. عَرَسَ بِالْمَكَانِ: لَزِمَهُ وَأَدَامَ بِهِ.

٣. أدلج: سار من أول الليل.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. تفسير القمي، ٩٩/٢.

٦. نفس المصدر، ٩٩-١٠٠.

٧. المصدر: مُحَمَّدٌ - ل.

٨. ليس في أ.

يقول: لَمَّا أَهْلَكَ^(١) إبراهيم ابن رسول الله ﷺ حزن عليه حزناً شديداً. فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريح!

فبعث رسول الله ﷺ علياً عليه السلام وأمره بقتله. فذهب علي صلوات الله عليه إليه ومعه السيف. وكان جريح القبطي في حائط. فضرب علي صلوات الله عليه باب البستان، فأقبل إليه جريح ليفتح له الباب. فلَمَّا رَأَى عَلِيّاً عليه السلام عرف في وجهه الغضب. فأدبر راجعاً ولم يفتح باب البستان فوثب علي عليه السلام على الحائط، ونزل إلى البستان، واتبعه، وولَّى جريح مذبراً. فلَمَّا خشي أن يرهقه، صعد في نخلة وصعد علي^(٢) في أثره. فلَمَّا دنا منه، رمى بنفسه من فوق النخلة. فبدت عورته؛ فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء.

فانصرف علي عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله، إذا بعثتني في الأمر، أكون فيه كالسمار المحمي في الوبر^(٣)، أم أثبت؟ قال: فقال: لا بل أثبت. فقال^(٤): والذي بعثك بالحق، ما له ما للرجال وما له ما للنساء. فقال [رسول الله]^(٥): الحمد لله الذي صرف عنا سوء أهل البيت^(٦).

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾: لكلِّ جزء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه، مختصاً به.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: أي تحمّل معظمه.

وقرأ^(٧) يعقوب بالضم، وهو لغة فيه.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الخائضين.

١. المصدر: مات.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: الوتر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: قال له: بل ثبت. قال.

٥. من المصدر.

٦. في هامش نسخة «م»: عدم الإتيان بالشهود لا يستلزم الكذب، لأن الصادق قد يعجز عن البيّنة، فلا بد أن

يكون المراد الحكم الظاهري. أنوار التنزيل، ١٢٠/٢.

قيل^(١): هو ابن أبي، فإنه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله ﷺ [وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت. ثم جاء^(٢) يقودها والله ما نجت منه ولا نجا منها]^(٣).
وقيل^(٤): هو^(٥) حسان ومسطح، فإنهما شايعاه بالتصريح به. و«الذي» بمعنى «الذين».

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٦): في الآخرة، أو في الدنيا بأن جلدوا.
وصار ابن أبي مطروداً مشهوراً بالنفاق، وحسان أعمى أشلّ اليدين، ومسطح مكفوف البصر. وهذا بناء على ما روته العامة في سبب النزول.
وأما على ما روته الخاصة، فالمراد بـ«الذي تولّى كبره» عائشة. والتذكير لتأويلها بالمفتري والقاذف. وعدم التصريح، للتصريح بأن أمثالها ممن تشرفت بازدواج النبي، ينبغي أن لا يُصرّح بانتسابها بأمثال ذلك، فضلاً عن اتّصافها بها صريحاً. وفي ذلك زيادة تقريع وتوبيخ لها على ذلك.

﴿لَوْ لَا﴾: هلاً.

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات؛ كقوله^(٧) تعالى: «ولا تلمزوا أنفسكم».
وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة، مبالغة في التوبيخ، وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظنّ الخير بالمؤمنين، والكفّ عن الطعن فيهم، وذنب الطاعنين عنهم، كما يذنبونهم عن أنفسهم.

وإنما جاز الفصل بين «لولا» وفعله بالظرف، لأنه مُنَزَّل منزلة، من حيث إنه لا ينفك عنه. ولذلك يتسع في غيره. وذلك لأن ذكر الظرف أهم، فإن التخصيص على أن لا يخلوا بأوله.

١. أنوار التنزيل، ٢/ ١٢٠.

٢. من ع.

٣. ليس في المصدر.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. المصدر: هو.

٦. الحجرات / ١١.

﴿وَقَالُوا هَذَا أَفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١٣): كما يقول المتيقن المطلع على الحال.
 ﴿لَوْ لَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ
 الْكَاذِبُونَ﴾^(١٤): من جملة المقول، تقريراً لكونه كذباً، فإن ما لا حجة عليه مكذب عند
 الله، أي في حكمه. ولذلك رتب الحد عليه.

﴿وَلَوْ لَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: لولا هذه لامتناع الشيء
 لوجود غيره. والمعنى: ولولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها
 الإمهال للتوبة، ورحمته في الآخرة بالعتق والمغفرة المقدران لكم.
 ﴿لَمَسَّكُمْ﴾: عاجلاً.

﴿فِي مَا أَفْضَيْتُمْ فِيهِ﴾: خضتم فيه.
 ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١٥): يُستحقر دونه اللوم والجلد.
 ﴿إِذْ﴾: ظرف لـ «مسكم» أو «أفضتم».
 ﴿تَلَقَّوْهُ بِالْسِتِّكُمْ﴾: يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه. يقال: تلقى القول
 وتلقفه وتلقنه.

وقرئ^(١٦): «تلقونه» على الأصل. و«تلقون» من لقيه: [إذا لقفه]. و«تلقونه» بكسر
 حرف المضارعة. [و«تلقونه» من إلقائه بعضهم على بعض]^(١٧). و«تلقونه». و«تلقونه»
 من الألق والإلق، وهو الكذب. و«تلقفونه» من ثقفته: إذا طلبته فوجدته. و«تلقفونه» أي
 تتبعونه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: أي وتقولون كلاماً مختصاً بالأفواه بلا
 مساعدة من القلوب، لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم. كقوله^(١٨): «يقولون
 بأفواههم ما ليس في قلوبهم».
 ﴿وَتَخْسِبُونَهُ هَيئاً﴾: سهلاً لاتبعة له.

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (٥): في الوزر واستجرار العذاب.

فهذه ثلاثة آثام مترتبة عُلّقَ بها مَسَّ العذاب العظيم: تلقي الإفك بالسنتهم، والتحدّث به من غير تحقّق، واستصغارهم لذلك، وهو عند الله عظيم.

وفي مصباح الشريعة^(١): قال الصادق عليه السلام: لا تدع اليقين بالشكّ والمكشوف بالخفي ولا تحكم على ما لم تره بما يروى لك عنه^(٢). وقد عظم الله ﷻ أمر الغيبة وسوء الظنّ بإخوانك من المؤمنين، فكيف بالجرأة على إطلاق قول واعتقاد بزور^(٣) وبهتان في أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال الله تعالى: «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ».

﴿وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾: ما ينبغي وما يصحّ لنا.

﴿أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِذَا﴾: قيل^(٤): يجوز أن تكون الإشارة إلى القول المخصوص، وأن تكون إلى نوعه. فإنّ قذف آحاد الناس محرّم شرعاً.

﴿سُبْحَانَكَ﴾: تعجّب ممّن يقول ذلك. وأصله أنّه يُذكر عند كلّ متعجّب، تنزيهاً لله تعالى من أن يصعب عليه مثله، ثمّ كثر، فاستعمل لكلّ متعجّب. أو تنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة، فإنّ فجورها يُنفر عنه ومخلّ بمقصود الزواج، بخلاف كفرها كامرأة نوح. فيكون تقريراً لما قبله وتمهيداً لقوله:

﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (٦): لعظمة المبهوت عليه، فإنّ حقارة الذنوب وعظمتها، باعتبار متعلقاتها.

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾: كراهة أن تعودوا، أو في أن تعودوا.

﴿أَبَدًا﴾: ما دمتم أحياء مكلفين.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٧): فإنّ الإيمان يمنع عنه. وفيه تهيج وتقريع.

٢. المصدر: تروى عنه.

٤. أنوار التنزيل، ١٢١/٢.

١. مصباح الشريعة، ٦٧.

٣. المصدر: زور.

﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب، كي تتعظوا وتتأدبوا.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بالأحوال كلها.

﴿حَكِيمٌ﴾ (٣) في تدابيرهِ. ولا يجوز الكشخنة على نبيهِ، ولا يقرّره عليها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾: يريدون.

﴿أَنْ تَشِيعَ﴾: أن تنتشر.

﴿الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: الحدّ والسعير، إلى غير ذلك.

وفي كتاب ثواب الأعمال^(١) بإسناده إلى محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، الرجل من إخواني بلغني^(٢) عنه الشيء الذي أكرهه^(٣)، فأسأله عنه، فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات. فقال لي: يا محمد، كذب سمعك وبصرك عن أخيك. وإن شهد عندك خمسون قسامة، وقال لك قولاً، فصدّقه وكذبهم. ولا تديعن عليه شيئاً تشينه به وتهمد به مروءته، فتكون من الذين قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

وفي روضة الكافي^(٤): سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الأول عليه السلام مثل ما في كتاب ثواب الأعمال. وفي أصول الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال في مؤمن ما رآته عيناه، وسمعتة أذناه، فهو

٢. المصدر: يبلغني.

٤. الكافي ١٤٧/٨، ح ١٢٥.

١. ثواب الأعمال ٢٩٥، ح ١.

٣. المصدر: أكره له.

٥. نفس المصدر ٢٥٧/٢، ح ٢.

من الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ ﷻ: «إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

وبإسناده ^(١) إلى إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من أذاع فاحشة، كان كمتدثها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال في مؤمن ما رآته عيناه، وسمعت ^(٣) أذناه، كان من الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ ﷻ فِيهِمْ: «إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وفي أمالي الصدوق عليه السلام ^(٤): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ عليه السلام [قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الصَّفَّار] ^(٥) قال: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ نُوحٍ، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عمير قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمْرَانَ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: من قال في أخيه المؤمن ما رآته عيناه، وسمعت أذناه، فهو مَعْنَى قَالَ اللَّهُ ﷻ: «إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما في الضمائر.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٦): ذلك.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: تكرير للمنة، بترك المعالجة في العقاب،

للدلالة على عظيم الجريمة. ولذا عطف قوله:

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٧): على حصول فضله ورحمته عليهم، وحذف

الجواب، وهو مستغنى عنه، لذكره مرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: قيل ^(٨): بإشاعة الفاحشة.

١. نفس المصدر ٣٥٦، ح ٢.

٢. المصدر: ما سمعت.

٣. أمالي الصدوق ٢٧٦، ح ١٦.

٤. أنوار التنزيل، ١٢١/٢.

٥. ليس في م.

وقيل ^(١): آثاره وطرقه التي تؤدّي إلى مرضاته .

وقيل ^(٢): وسأوسه .

وقرأ: ^(٣) نافع والبرّي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها .

وقرئ ^(٤) بفتح الطاء .

وفي مجمع البيان ^(٥): وروي عن عليّ عليه السلام «خطئات» بالهمزة .

﴿وَمَنْ يَنْبَغِ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: بيان لعلّة النهي عن

اتباعه .

وقيل ^(٦): الفحشاء: ما أفرط قبحه . والمنكر: ما أنكره الشرع .

﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بتوفيق التوبة الماحية للذنوب، وشرع الحدود

المكفّرة لها .

﴿مَا زَكَّيْ﴾: ما طهر من دنسها .

﴿مِنْكُمْ مِنْ لَحْدٍ أَبَدًا﴾: آخر الدهر .

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾: بحمله على التوبة وقبولها .

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لمقاتلهم .

﴿عَلِيمٌ﴾ ^(٧): بنياتهم وأفعالهم وأحوالهم .

وفي الآية دلالة على أنّ الله سبحانه يريد من خلقه خلاف ما يريده الشيطان . وفيها

دلالة على أنّ أحداً لا يصلح إلّا بلطفه .

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: ولا يحلف . افتعال من الأتّى، أو لا يقصّر من الألو . ويؤيد الأوّل أنّه

قرئ ^(٧): «ولا يتأل» .

١. مجمع البيان، ١٣٣/٤ .

٣. أنوار التنزيل، ١٢١/٢ .

٥. مجمع البيان، ٢٥١/١ .

٧. أنوار التنزيل، ١٢٢/٢ .

٢. مجمع البيان، ١٣٣/٤ .

٤. نفس المصدر والموضع .

٦. أنوار التنزيل، ١٢١/٢ .

﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾: في الدين.

﴿وَالسَّعَةِ﴾: في المال.

﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾: على أن لا يؤتوا. أو: في أن يؤتوا.

وقرى^(١) بالثناء على الالتفات.

﴿أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: صفات لموصوف واحد

- أي ناساً جامعين لها، لأن الكلام فيمن كان كذلك - أو لموصوفات أقيمت مقامها،

فيكون أبلغ في تعليل المقصود.

﴿وَلْيَتَّقُوا﴾: [ما فرط منهم]^(٢).

﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾: بالإغماض عنه.

﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء

إليكم.

وفي مجمع البيان^(٣): وروي عن النبي ﷺ: «ولتغفوا ولتصفحوا» بالثناء. كما

روي بالياء أيضاً.

وفي نهج البلاغة^(٤): من كلام له عليه السلام على سبيل الوصية: إن أبق فأنا ولي دمي. وإن

أفن، فالفناء ميعادي. وإن أعف، فالعفو لي قربة، ولكم^(٥) حسنة؛ فاعفوا. ألا تحبون أن

يغفر الله لكم؟!

وفي كتاب المناقب^(٦) لابن شهر آشوب، في مناقب زين العابدين عليه السلام: وكان إذا

دخل شهر رمضان، يكتب على غلمانه ذنوبهم، حتى إذا كان آخر ليلة دعاهم. ثم أظهر

الكتاب، وقال: يا فلان، فعلت كذا ولم أؤذبك^(٧). فيقرّون أجمع. فيقوم وسطهم،

١. أنوار التنزيل، ١٢٢/٢.

٢. ليس في م.

٣. مجمع البيان، ١٣٣/٤.

٤. المصدر: روي عن علي عليه السلام.

٥. نهج البلاغة ٣٧٨، الكتاب ٢٣.

٦. المصدر: وهو لكم.

٧. المناقب، ١٥٨/٤.

٨. المصدر: أؤذيك.

ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين، ربك قد أحصى عليك ما عملت، كما أحصيت علينا. ولديه كتاب ينطق بالحق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة. فاذكر ذلّ مقامك بين يدي ربك الذي لا يظلم مثقال ذرة «وكفى بالله شهيداً»^(١). فاعف واصفح، يعف عنك المليك، لقوله تعالى: «وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم». ويكي وينوح.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢): مع كمال قدرته. فتخلّقوا بأخلاقه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى»: وهم قرابة رسول الله ﷺ. «واليتامى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا». يقول: يعفو بعضكم عن بعض، ويصفح [بعضكم بعضاً]^(٤). فإذا فعلتم، كانت رحمة من الله لكم. يقول الله ﷻ: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم».

وفي مجمع البيان^(٥): قيل: إن قوله: «ولا يأتل أولو الفضل منكم» الآية، نزلت في أبي بكر ومسطح بن أثاثه، وكان ابن خالة أبي بكر، وكان من المهاجرين ومن جملة البدرين. وكان فقيراً، وكان أبو بكر يجري^(٦) عليه ويقوم بنفقته. فلما خاض في الإفك، قطعها وحلف أن لا ينفعه بنفع أبداً. فلما نزلت الآية، عاد أبو بكر إلى ما كان وقال: والله إنّي لأحب أن يغفر الله لي. والله لا أنزعها عنه أبداً. عن ابن عباس وعائشة وابن زيد.

وقيل^(٧): نزلت في يتيم كان في حجر أبي بكر، حلف لا ينفق عليه. عن الحسن ومجاهد.

١. كلامه عليه السلام يشير إلى ما ورد في الآيات: المؤمنون / ٦٢، الكهف / ٤٩، النساء / ٤٠، والفتح / ٢٨.

٢. تفسير القمي، ١٠٠/٢.

٣. ليس في المصدر.

٤. مجمع البيان، ١٣٣/٤.

٥. المصدر: يجتري.

٦. نفس المصدر والموضع.

وقيل^(١): نزلت في جماعة من الصحابة أقسموا على أن لا يتصدّ قوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا يواسوهم. عن ابن عباس وغيره. انتهى.

والبيضاوي، بعد أن قال: «نزلت الآية في أبي بكر» وفسّر أولي الفضل بأولي الفضل في الدين، قال^(٢): «وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرفه». ولم يعلم أنّ ذلك لا يدلّ عليه، إلا إذا كانت الإضافة في أولي الفضل للعهد والإشارة إليه، ولم يعهد ذلك سابقاً. فالمراد أنّ من كان ذا فضل بحسب الدين، يجب عليه ذلك. ولا يلزم منه أنّ كلّ من عمل به، كان ذا فضل بحسب الدين، لجواز أن يكون الباعث على العمل به ادّعاؤه كونه ذا فضل منه، وإن كان في الواقع بخلافه.

بل يمكن أن يقال: فيه إشعار بخلاف ما ادّعاه وعدم فضله بحسبه في الواقع؛ لأنّ الداعي إلى الإنفاق على أولي القربى وغيرهم، هو السعة في المال. فلو كان له فضل بحسب الدين، لكفاه أن يقال: «ولا يأتلّ أولي السعة». فلمّا لم يكن له ذلك، ويحتمل عدم امتثاله لعدم داع قويّ إلى ذلك، وأمكنه المعذرة بانتفاء السعة الفاضلة عن كفافه الصالحة لذلك - مع أنّ كونه ذاسعة، لا يوافق غرضه كمال المناسبة - أكّده بضمّ «الفضل» الدالّ بحسب الظاهر على الفضل في الدين، ليدعوه ادّعاؤه اندراجّه فيه إلى الامتثال. والحاصل أنّه لو لم يكن المقصود في الآية، الإشعار بكون أبي بكر غير ذي فضل بحسب الدين، لزم الاستدراك بقوله ﷺ: «أولي الفضل»، وهو محال. فالواجب أن يكون هو لذلك الإشعار. وظهر أن حبّ أبي بكر، أعمى وأصمّ ذلك الفاضل بحسبه. والله لا يهدي القوم الكافرين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: العفاف.

﴿الْفَافِلَاتِ﴾: ممّا قدّفن به.

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: بالله وبرسوله، استباحةً لعرضهنّ وطعنًا في الرسول ﷺ

والمؤمنين.

﴿لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أبعادوا عن الرحمة في الدارين، كما طعنوا فيهن.
 ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣): لعظم ذنوبهم.
 وقيل (١): هو حكم كل قاذف، ما لم يتب.
 وقيل (٢): مخصوص بمن قذف أزواج النبي ﷺ.
 ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾: ظرف لما في «لهم»، من معنى الاستقرار لا للعذاب، لأنه موصوف.

وقرأ حمزة والكسائي (٣) بالياء، للفصل (٤).
 ﴿الْسِّتْمُ وَيَبْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥): يعترفون بها بإنطاق الله إياها
 بغير اختيارهم، أو بظهور آثاره عليها.
 وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب.

وفي أصول الكافي (٥): علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبد الرزاق بن مهران، عن الحسين (٦) بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، يقول فيه: ونزل بالمدينة (٧): «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم».

فبرأه الله ما كان مقيماً على الفرية من أن يسمى بالإيمان. قال الله (٨) ﷻ: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويون».

وجعله الله ﷻ منافقاً. قال الله (٩) ﷻ: «إن المنافقين هم الفاسقون».
 وجعله ملعوناً، فقال: «إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في

٢ و ٣. نفس المصدر والموضع.

٥. الكافي ٣٢٢/٢، ح ١.

٧. النور ٤/٥.

٩. التوبة ٦٧.

١. أنوار التنزيل، ١٢٢/٢.

٤. المصدر: للتقدم والفصل.

٦. س، أن، الحسن.

٨. السجدة ١٨.

الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم. يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون». وليست تشهد الجوارح على مؤمن. إنما تشهد على من حَقَّتْ عليه كلمة العذاب. فأما المؤمن، فيعطى كتابه بيمينه. قال الله ﷻ: «فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً»^(١).

وفي مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام في كلام طويل: واجعل ذهابك ومجيئك في طاعة الله والسعي في رضاءه. فإن حركاتك كلها مكتوبة في صحيفة. قال الله ﷻ: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون».

﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾: جزاءهم المستحق.

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: لمعاينتهم الأمر.

﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٢): الثابت بذاته، الظاهر ألوهيته، لا يشاركه في ذلك غيره، ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه. أو: ذو الحق المبين، أي العادل الظاهر عدله. ومن كان هذا شأنه، ينتقم من الظالم للمظلوم، لا محالة.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾: أي الخباثت يتزوجن الخباث وبالعكس. وكذلك أهل الطيب.

وفي روضة الكافي^(٣): أحمد بن محمد [بن أحمد]^(٤) عن علي بن الحسين الميثمي^(٥)، عن محمد بن عبدالله، عن زرارة، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لرجل من الشيعة: أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان^(٦): في معناه أقوال، إلى قوله: الثالث: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال. والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء. والطيبات من النساء

١. الإسراء / ٧١.

٢. مصباح الشريعة ١٢، الباب الرابع.

٣. الكافي ٣٦٥/٨، ح ٥٥٦.

٤. من المصدر.

٥. المصدر: علي بن الحسن التيمي.

٦. مجمع البيان، ١٣٥/٤.

للطَّيِّبِينَ من الرجال. والطَّيِّبُونَ من الرجال للطَّيِّبَاتِ من النساء. عن أبي مسلم
والجبائي. وهو المروِّي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: هي مثل قوله ^(١): «الزاني
لا ينكح إلا زانية أو مشركة» الآية. لأنَّ ^(٢) أناساً همَّوا أن يتزوَّجوا منهنَّ، فنهاهم الله عن
ذلك، وكره ذلك لهم.

وقيل ^(٣): إنَّ الخبيثات من الكلم، للخبيثين من الرجال. والخبيثون من الرجال،
للخبيثات من الكلم. وكذلك أهل الطيب.

وقيل ^(٤): الخبيثات من السيئات للخبيثين من الرجال. والخبيثون من الرجال
للخبيثات من السيئات. والطَّيِّبَاتِ من الحسنات للطَّيِّبِينَ من الرجال. والطَّيِّبُونَ من
الرجال للطَّيِّبَاتِ من الحسنات.

﴿أُولَئِكَ﴾ : [أهل بيت الرسول، أو الرسول وعائشة وصفوان، أو الطَّيِّبُونَ
والطَّيِّبَاتِ] ^(٥).

﴿مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ : مِمَّا يَقُولُهُ الْآفَكُونَ. أو: مِمَّا يَقُولُهُ أَوْ يَعْمَلُهُ الْخَبِيثُونَ
والخبيثات.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ^(٦): يعني في الجنة.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٧) للطبرسي رحمته الله عن الحسن بن علي عليهما السلام حديث طويل،
يقول فيه - وقد قام من مجلس معاوية وأصحابه، بعد أن ألقمهم الحجر -: «الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات». هم - والله، يا معاوية - أنت وأصحابك هؤلاء
وشيعتك. «والطَّيِّبَاتِ للطَّيِّبِينَ والطَّيِّبُونَ للطَّيِّبَاتِ أولئك مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ
مغفرة ورزق كريم». هم علي بن أبي طالب وأصحابه وشيعته.

وفي كتاب الخصال ^(٨)، عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة، قالوا: قال رسول الله ﷺ:

١. النور / ٣.

٣ و ٤. نفس المصدر والموضع.

٦. الاحتجاج، ٢٧٨.

٢. المصدر: إن.

٥. ليس في ع، أ.

٧. الخصال ٣١/١، ح ١١٠.

إذا طاب قلب المرء، طاب جسده. وإذا خبث القلب، خبث الجسد.

قيل ^(١): ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة: برأ يوسف عليه السلام بشاهد من أهلها. وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه، بالحجر الذي ذهب بثوبه. ومريم عليها السلام بإنطاق ولدها. وعائشة بهذه الآية الكريمة مع هذه المبالغات. وما ذلك إلا لإظهار منصب الرسول، وإعلاء منزلته ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾: التي تسكنونها؛ فإن الأجر والمعير أيضاً لا يدخلان إلا بإذن.

﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾: تستأذنوا ^(٢).

من الاستئناس بمعنى الاستعلام. من: أنس الشيء: إذا أبصره. فإن المستأذن، مستعلم للحال، مستكشف أنه هل يرد دخوله، أي يؤذن له؟ أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش. فإن المستأذن، مستوحش خائف أن لا يؤذن له. فإذا أذن له، استأنس. أو: تعرّفوا هل تمّ إنسان من الإنس؟

﴿وَتَسَلَّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾: بأن تقولوا: السلام عليكم، أَدْخَلَ؟

وعنه ^(٣) ﷺ: التسليم، أن يقول: السلام عليكم أَدْخَلَ؟ ثلاث مرّات. فإن أذن له، دخل؛ وإلا رجع.

وفي كتاب معاني الأخبار ^(٤): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ أَحْمَدَ [ابن الوليد قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الصَّفَّارُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، وَمُحْسِنِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَبَانَ الْأَحْمَرِ] ^(٥) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلَّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا». قَالَ: الاستئناس، وقع النعل والتسليم.

١. أنوار التنزيل، ٢/٢٢٣.

٢. ليس في م.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. معاني الأخبار ١٦٣، ح ١.

٥. من المصدر. وفي النسخ بدلها: مرفوعاً.

وفي مجمع البيان^(١): عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قلنا: يا رسول الله، ما الاستئناس؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبير، يتنحج على أهل البيت.

وعن سهل بن سعيد^(٢)، قال: أطلع رجل في حجرة من حجر رسول الله. فقال رسول الله ﷺ ومعه مدرّي^(٣) يحك به رأسه -: لو أعلم أنك تنظر، لطعنت به في عينيك. إنما الاستئذان من النظر.

وروي^(٤) أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أستاذن على أمي؟ فقال نعم. قال: إنها ليس لها خادم غيري، أفأستاذن عليها كلما دخلت؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال الرجل: لا، قال: فاستأذن عليها.

وروي^(٥) أن رجلاً أستاذن على رسول الله ﷺ فتنحج. فقال ﷺ لامرأة - يقال لها روضة -: قومي إلى هذا، فعلميه وقولي له: قل: السلام عليكم، أدخل؟ فسمعها الرجل، فقالها. فقال: أدخل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): حدّثني علي بن الحسين قال: حدّثني أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، [عن أبان، عن عبدالرحمان بن أبي عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام] قال: الاستئناس، وقع النعل والتسليم.

وفي الكافي^(٧): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن^(٨) هارون بن الجهم عن جعفر [بن عمر]^(٩) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نهى رسول الله ﷺ أن يدخل الرجل^(١٠) على النساء إلا بإذن أوليائهنّ.

١. مجمع البيان، ١٣٥/٤ - ١٣٦.

٢. نفس المصدر والموضع. وفيه: سهل بن سعد.

٣. أي مشط.

٤ و ٥. نفس المصدر والموضع.

٦. تفسير القمي، ١٠١/٢.

٧. الكافي ٥٢٨/٥، ح ٢.

٨. ليس في م.

٩. ليس في ن.

١٠. المصدر: الرجال.

عَدَّة من أصحابنا^(١)، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يستأذن الرجل إذا دخل على أبيه، ولا يستأذن الأب على الابن. قال: ويستأذن الرجل على النساء إلا بإذن أوليائهن.

عَدَّة من أصحابنا^(٢)، عن أحمد بن محمد، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يستأذن الرجل إذا دخل على أبيه، ولا يستأذن الأب على الابن. ويستأذن الرجل على ابنته وأخته إذا كانتا متزوَّجتين.

أحمد بن محمد^(٣)، عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد بن علي الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يستأذن على أبيه؟ فقال: نعم. وقد كنت أستأذن على أبي، وليست أمي عنده؛ وإنما هي امرأة أبي. توفيت أمي وأنا غلام. وقد يكون من خلوتهما ما لا أحب أن أفاجئهما عليه، ولا يحب أن ذلك مني. والسلام أصوب وأحسن. عَدَّة من أصحابنا^(٤)، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن إسماعيل بن مهران، عن عبيد بن معاوية بن شريح، عن سيف بن عميرة، عن عمرو بن شمر، [عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام]^(٥) عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرج رسول الله ﷺ يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه. فلما انتهيت إلى الباب، وضع يده عليه، فدفعه. ثم قال: السلام عليكم. فقالت فاطمة: عليك السلام يا رسول الله.

قال: أدخل؟ قال: قالت: ادخل يا رسول الله.

قال: أدخل أنا ومن معي؟ قالت: يا رسول الله، ليس علي قناع.

فقال: يا فاطمة، خذي فضل ملحفتك، فقنعي به رأسك. ففعلت، ثم قال: السلام

عليكم. فقالت فاطمة: وعليك السلام يا رسول الله.

قال: أدخل؟ قال: قالت: نعم، يا رسول الله.

١. نفس المصدر، ح ٤.

٢. نفس المصدر، ح ٣.

٣. نفس المصدر، ح ٤.

٤. نفس المصدر، ح ٤.

٥. من المصدر.

قال: أنا ومن معي؟ قالت: ومن معك.

قال جابر: فدخل رسول الله ﷺ ودخلت، فإذا^(١) وجه فاطمة عليها السلام أصفر، كأنه بطن جراداة.

فقال رسول الله ﷺ: ما لي أرى وجهك أصفر؟ قال: يا رسول الله، الجوع! فقال ﷺ: اللهم مشيع الجوعة ودافع الضيعة، أشيع فاطمة بنت محمد.

قال جابر: فوالله لنظرت إلى الدم ينحدر من قصاصها، حتى عاد وجهها أحمر. فما جاءت بعد ذلك اليوم.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٢): وروي عن جرّاح المدائني قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن دار فيها ثلاث أبيات، وليس لهنّ حجر. قال: إنّما الإذن على البيوت. ليس على الدار إذن.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي الاستئذان والتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة، أو على تحية الجاهلية.

كان الرجل منهم إذا دخل بيتاً غير بيته، قال: «حيّتم صباحاً، وحيّتم مساء» ودخل. فربما أصاب الرجل مع امرأته [في لحاف]^(٣).

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤): متعلّق بمحذوف، أي أنزل عليكم. أو: قيل لكم هذا، إرادة أن تذكروا، وتعملوا بما هو أصلح لكم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾: يأذن لكم.

﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾: حتى يأتي من يأذن لكم.

فإنّ المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط، بل وعلى ما يخفيه الناس عادة. مع أنّ التصرف في ملك الغير بغير إذنه محظور واستثنى ما إذا عرض فيه حرق أو غرق، أو كان فيه منكر ونحوها.

٢. الفقيه ١٥٤/٣، ح ٦٧٧.

١. المصدر: وإذا.

٣. ليس في ن. وفي أ: في فراشه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): ثُمَّ أَدَبَ اللَّهُ ﷻ خلقه، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ» إلى قوله: «فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ». قال: معناه: فإن لم تجدوا فيها أحداً يأذن لكم، فلا تدخلوها حتى يُؤْذَنَ لكم.

﴿وَأَنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَازْجِعُوا﴾: ولا تُلْحُوا.

﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾: الرجوع أظهر لكم، عما لا يخلو الإلحاح والوقوف على الباب عنه، من الكراهة وترك المروءة. أو: أنفع لدينكم ودنياكم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٢): فيعلم ما تأتون وما تذرّون ممّا خوطبتم به، فيجازيكم عليه.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾: كالرُّبُط والخانات والحوانيت. ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾: استمتاع.

﴿لَكُمْ﴾: كالاستئذان من الحرّ والبرد، وإيواء الأمتعة والجلوس للمعاملة.

وذلك استثناء من الحكم السابق، لشموله البيوت المسكونة وغيرها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): ثُمَّ رَخَّصَ اللَّهُ تعالى فقال: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ». قال الصادق عليه السلام: هي الحمامات والخانات والأرحية، تدخلها بغير إذن.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾^(٤): وعيد لمن دخل مدخلاً لفساد، أو تطلع

على عورات.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾: أي ما يكون نحو محرّم.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾: إلّا على أزواجهم، أو ما ملكت أيمانهم.

ولمّا كان المستثنى منه كالشاذّ النادر - بخلاف الغضّ - أطلقه، وقيد الغضّ بحرف التبعيض.

١. تفسير القمي، ١٠٠/٢.

٢. تفسير القمي، ١٠١/٢.

وقيل^(١): حفظ الفروج هاهنا خاصة سترها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): وقوله ﷺ: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم». فإنه حدّثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله قال: كل آية في القرآن في ذكر الفروج فهو من الزنا، إلا هذه الآية؛ فإنها من النظر.

وفي من لا يحضره الفقيه^(٣): قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصية لابنه محمد بن الحنفية: وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرّم الله ﷻ عليه، فقال عزّ من قائل: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» فحرّم أن ينظر أحد إلى فرج غيره. وفي كتاب الخصال^(٤): عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما للرجل أن يرى من المرأة إذا لم تكن له^(٥) بمحرّم؟ قال: الوجه والكفين والقدمين. وفيه^(٦): وقال النبي ﷺ لأمر المؤمنين عليه السلام: يا عليّ، أوّل نظرة لك، والثانية عليك، لا لك.

وفيه أيضاً^(٧) فيما علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه: ليس في البدن شيء أقلّ شكراً من العين. فلا تعطوها سؤلها، فتشغلكم عن ذكر الله. إذا تعرّى الرجل نظر الشيطان إليه، وطمع فيه، فاستتروا. ليس للرجل أن يكشف ثيابه عن فخذه^(٨) ويجلس بين قوم. لكم أوّل نظرة إلى المرأة، فلا تتبعوها بنظرة أخرى، واحذروا الفتنة. إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه، فليأت أهله، فإنّ عند أهله مثل ما رأى. ولا يجعلنّ

١. أنوار التنزيل، ١٢٤/٢.

٢. تفسير القمي، ١٠١/٢.

٣. الفقيه ٣٨٢/٢، ح ١٦٢٧.

٤. الخصال ٣٠٢، ح ٧٨.

٥. المصدر: لم يكن لها.

٦. نفس المصدر ٣٠٦، ح ٨٤.

٧. نفس المصدر ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٣٧، من حديث أربعمائة.

٨. المصدر: فخذ.

للسيطان إلى قلبه سبيلاً. وليصرف بصره عنها. فإذا لم تكن له زوجة، فليصل ركعتين، ويحمد الله كثيراً، ويصلي على النبي ﷺ ثم يسأل^(١) الله من فضله. فإنه يبيح له برأفته وبرحمته^(٢) ما يغيثه.

عن جعفر بن محمد^(٣)، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: كل عين باكية يوم القيامة، إلا ثلاث أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غصت من محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله.

عن أبي عبد الله عليه السلام^(٤)، قال: أربعة لا يشبعن من أربعة: الأرض من المطر، والعين من النظر، الحديث.

عن الحسين بن علي^(٥)، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام الذي سأله عن المسائل في جامع الكوفة: أربعة لا يشبعن من أربعة، وذكر كالسابق.

عن أبي عبد الله عليه السلام^(٦) قال: قال رسول الله ﷺ: من سلم من نساء أمتي من أربع خصال، فلها الجنة: إذا حفظت ما بين رجليها، وأطاعت زوجها، وصلت خمسها، وصامت شهرها.

وفي قرب الإسناد للحميري^(٧): أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: سألت الرضا عليه السلام عن الرجل، أيحل له أن ينظر إلى شعر أخت امرأته؟ فقال: لا، إلا أن تكون من القواعد. قلت له: أخت امرأته والغريبة سواء؟ قال: نعم. قلت: فما لي النظر إليه منها؟ فقال: شعرها^(٨) وذراعها.

١. المصدر: ليسأل.

٢. ليس في المصدر.

٣. نفس المصدر ٩٨، ح ٤٦.

٤. نفس المصدر ٢٢١، ح ٤٧.

٥. نفس المصدر ٢٢٢، ح ٤٨.

٦. نفس المصدر ٢٢٤، ح ٥٤.

٧. قرب الإسناد، ١٦٠.

٨. كذا في كل النسخ، والظاهر «وجهها» بدل «شعرها» لما تقدّم من الرواية ولما يأتي من الروايات الأخر. أو المقصود منه النظر إلى شعرها في حالة أن يريد التزويج منها وبشرط أن يكون النظر إلى شعرها بدون تلذّذ كما ورد في الحديث عن الكافي ٣٦٥/٥، ج ٥. والله أعلم.

وقال ^(١): إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ مَرَّ بِامْرَأَةٍ مُحَرَّمَةٍ، وَقَدْ اسْتَتَرَتْ بِمَرْوَحَةٍ عَلَى وَجْهِهَا. فَأَمَاطَ المَرْوَحَةَ بِقَضِيئِهِ ^(٢) عَنْ وَجْهِهَا.

وَبِإِسْنَادِهِ ^(٣) إِلَى عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ الرَّجُلِ، مَا يَصْلَحُ لَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَحِلُّ لَهُ؟ قَالَ: الْوَجْهَ وَالْكَفَّ وَمَوْضِعَ السَّوَارِ. وَفِي الْكَافِي ^(٤): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي مُبْتَلَى بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ الْجَمِيلَةِ، يَعْجِبُنِي النَّظَرُ إِلَيْهَا. فَقَالَ لِي: يَا عَلِيُّ، لَا بَأْسَ إِذَا عَرَفَ اللَّهُ مِنْ نَيْتِكَ الصَّدَقَ. وَإِيَّاكَ وَالزَّيْنَى، فَإِنَّهُ يَمْحَقُ الْبِرْكَهَ وَيُهْلِكُ الدِّينَ.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ^(٥)، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّوْفَلِيِّ، عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا حَرَمَةَ لِنِسَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، أَنْ يُنْظَرَ إِلَى شَعُورِهِنَّ وَأَيْدِيهِنَّ.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ^(٦)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ مَرْوَكِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَرَى مِنَ الْمَرْأَةِ إِذَا لَمْ تَكُنْ مُحَرَّمًا؟ قَالَ: الْوَجْهَ وَالْكَفَّانِ وَالْقَدَمَانِ.

عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا ^(٧)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عُبَادِ بْنِ صَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: لَا بَأْسَ بِالنَّظَرِ إِلَى رُؤُوسِ أَهْلِ تَهَامَةٍ وَالْأَعْرَابِ وَأَهْلِ السَّوَادِ وَالْعُلُوجِ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا تُهَوِّا لَا يَتَنَهَوْنَ ^(٨). قَالَ: وَالْمَجْنُونَةُ وَالْمَغْلُوبَةُ عَلَى عَقْلِهَا. وَلَا بَأْسَ بِالنَّظَرِ إِلَى شَعْرِهَا وَجَسَدِهَا، مَا لَمْ يَتَعَمَّدَ ذَلِكَ.

٢. أَمَاطَ عَنْهُ الشَّيْءَ: أَبْعَدَهُ. وَالْفَضِيبُ: الْعَصَا.

٤. الْكَافِي ٥٤٢/٥، ح ٦.

٦. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ٥٢١، ح ١.

١. نَفْسُ الْمَصْدَرِ، ١٦٠.

٣. نَفْسُ الْمَصْدَرِ، ١٠٢.

٥. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ٥٢٤، ح ١.

٧. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ٥٢٤، ح ١.

٨. لَعَلَّ إِرْجَاعَ ضَمِيرِ الْمَذْكُورِ لِلتَّجَوُّزِ، أَوْ التَّغْلِيبِ. أَوْ الْمَرَادُ: أَنَّ رِجَالَهُمْ إِذَا تُهَوِّا عَنْ كَشْفِهِمْ وَأَمْرُوهُم بِسِتْرَتِهِمْ لَا يَتَنَهَوْنَ وَلَا يَأْتَمُرُونَ.

علي بن إبراهيم^(١)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن [أبي]^(٢) أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجل يريد أن يتزوج المرأة، أينظر إليها؟ قال: نعم؛ إنما يشتريها بأعلى الثمن.

علي بن إبراهيم^(٣)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان و حفص بن البختري، كلهم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا بأس بأن ينظر الرجل^(٤) إلى وجهها ومعاصمها، إذا أراد أن يتزوجها.

أبو علي الأشعري^(٥)، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن الحسن [بن علي]^(٦) السري قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الرجل يريد أن يتزوج المرأة، يتأملها وينظر إلى حلقها^(٧) وإلى وجهها؟ قال: لا بأس بأن ينظر الرجل إلى المرأة، إذا أراد أن يتزوجها، ينظر إلى حلقها^(٨) وإلى وجهها.

عده من أصحابنا^(٩)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن عبدالله بن الفضل، عن أبيه، عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أينظر الرجل إلى المرأة، يريد تزويجها، فينظر إلى شعرها ومحاسنها؟ قال: لا بأس بذلك، إذا لم يكن متلذذاً.

محمد بن يحيى^(١٠)، عن أحمد وعبدالله ابني محمد، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عبدالله، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن المملوك، يرى شعر مولاته؟ قال: لا بأس.

علي بن إبراهيم^(١١)، عن أبيه، عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن

١. نفس المصدر ٣٦٥، ح ١.

٢. من المصدر.

٣. نفس المصدر، ح ٢.

٤. ليس في المصدر.

٥. نفس المصدر، ح ٣.

٦. ليس في المصدر.

٧. المصدر: خلفها.

٨. المصدر: خلفها.

٩. نفس المصدر، ح ٥.

١٠. نفس المصدر ٥٣١، ح ١.

١١. نفس المصدر، ح ٣.

ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المملوك يرى شعر مولاته وساقها؟ قال: لا بأس.

محمد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن يونس ابن عمار ويونس^(٢) بن يعقوب، جميعاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يحل للمرأة أن ينظر عبدها إلى شيء من جسدها، إلا إلى شعرها، غير متعمد لذلك.

وفي رواية أخرى: لا بأس أن ينظر إلى شعرها، إذا كان مأموماً.

﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾: أنفع لكم، أو أظهر لما فيه من البعد عن الريبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٣): لا يخفى عليه إجماله أبصارهم، واستعمال سائر حواسهم، وتحريك جوارحهم، وما يقصدون بها. فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون.

وفي الكافي^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام قال: استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة، وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن. فنظر إليها وهي مقبلة. فلما تجاوزت نظر إليها ودخل في زقاق^(٥) قد سمّاه ببني فلان. فجعل^(٥) ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة، فشق وجهه.

فلما مضت المرأة، نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره^(٦). فقال: والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وآله ولأخبرته.

قال: فأتاه. فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: ما هذا؟! فأخبره. فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون».

٢. ليس في س، أ.

٤. الزقاق: السكة.

١. نفس المصدر، ح ٤.

٣. الكافي ٥٢١/٥، ح ٥.

٥. م: وجعل.

٦. المصدر: صدره وثوبه. وفي س، أ، م، بدلها: «وجهه».

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾: فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهنّ النظر إليه من الرجال.

﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: بالتستر، أو بالتحفظ عن الزنا.

وتقديم الغضّ، لأنّ النظر يريد الزنا.

وفي أصول الكافي^(١): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حدّثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً قال فيه عليه السلام بعد أن قال: إنّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم، وقسمه عليها، وفرّق فيها: وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرّم الله عليه، وأن يعرض عمّا نهى الله عنه، ممّا لا يحلّ له. وهو عمله، وهو من الإيمان. فقال: تبارك وتعالى: «قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم». فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم، وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه أن ينظر إليه. وقال: «وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ» من أن تنظرا أحدهنّ إلى فرج أختها، وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها.

وقال: كلّ شيء في القرآن من حفظ الفرج، فهو من الزنا، إلّا هذه الآية، فإنّها من النظر.

وفي جوامع الجامع^(٢): وعن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعنده ميمونة. فأقبل ابن أمّ مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب. فقال: احتجبا. فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمى لا يبصرنا؟! فقال: أفعميّا وإن أنتما؟! ألستما تبصرانه؟! ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: الظاهر أنّ المراد بزینتهنّ ما يزيّنهنّ. وهو مجموع الحلّي والثياب ومواضعها. فالمعنى: ولا يبدين زينتهنّ إلّا ما ظهر منها، وهو الحلّي والثياب. فالمحرّم إبداء مواضع الحلّي والثياب، والمحلّ إبداءهما.

وفي الكافي^(١): أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد والحسن^(٢) بن سعيد، عن القاسم بن عروة، عن عبدالله بن بكير، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: «إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» قال: الزينة الظاهرة، الكحل والخاتم.

الحسين بن محمد^(٣)، عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان بن مسلم، [عن أبي بصير]^(٤) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: «وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا». قال: الخاتم والمسكة وهي القلب^(٥).

وفي جوامع الجامع^(٦): فالظاهرة لا يجب سترها، وهي الثياب - إلى قوله: - وعنهم عليه السلام: الكفان والأصابع.

وفي مجمع البيان^(٧): وفي تفسير علي بن إبراهيم: الكفان والأصابع. وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» فهي الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكف والسوار. والزينة ثلاث: زينة للناس، وزينة للمحرم، وزينة للزوج. فأما زينة الناس، فقد ذكرناها. وأما زينة المحرم، فموضع القلادة فما فوقها، والدمليج^(٩) وما دونه، والخلخال وما أسفل منه. وأما زينة الزوج، فالجسد كله.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: ستراً لأعناقهن.

﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: كرّره للتأكيد لبيان [من يحل له الإبداء، ومن لا يحل له.

﴿إِلَّا لِبُتُولِهِنَّ﴾: فإنهم المقصودون بالزينة. ولهم أن ينظروا إلى^(١٠) جميع بدنهن،

حتى الفرج.

١. الكافي ٥٢١/٥، ح ٣.

٢. المصدر، ن: الحسين.

٣. نفس المصدر، ح ٤.

٤. من المصدر.

٥. القلب: السوار يكون نظماً واحداً.

٦. جوامع الجامع، ٣١٤-٣١٥.

٧. مجمع البيان، ١٣٨/٤.

٨. تفسير القمي، ١٠١/٢.

٩. الدملج: سوار يحيط بالعقد.

١٠. ما بين المعقوفتين ليس في أ.

وفي الكافي^(١): «عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى^(٢) عَنْ ابْنِ محبوب، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ^(٣) عَنِ الْفَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ^(٤) قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الذَّرَاعَيْنِ مِنَ الْمَرْأَةِ، أَهْمَا مِنَ الزَّيْنَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ». قَالَ: نَعَمْ. وَمَا دُونَ الْخِمَارِ مِنَ الزَّيْنَةِ، وَمَا دُونَ السَّوَارِينِ.

وفي مجمع البيان^(٥)، «إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ» أَيُ أَزْوَاجِهِنَّ. يَبْدِينَ مَوَاضِعَ زِينَتِهِنَّ لَهُمْ، اسْتِدْعَاءَ لِمِيلِهِمْ، وَتَحْرِيكَاً لَشَهْوَتِهِمْ. فَقَدْ رَوِيَ أَنَّهُ عليه السلام لَعَنَ السَّلْتَاءَ مِنَ النِّسَاءِ وَالْمَرْهَاءِ. فَالسَّلْتَاءُ الَّتِي لَا تَخْتَضِبُ. وَالْمَرْهَاءُ الَّتِي لَا تَكْتَحِلُ. وَلَعَنَ عليه السلام الْمُسَوِّفَةَ وَالْمُفْسَلَةَ^(٦). فَالْمُسَوِّفَةُ الَّتِي إِذَا دَعَاها زَوْجُهَا إِلَى الْمُبَاشَرَةِ، قَالَتْ: سَوْفَ أَفْعَلُ. وَالْمُفْسَلَةُ، هِيَ الَّتِي إِذَا دَعَاها، قَالَتْ: أَنَا حَائِضٌ؛ وَهِيَ غَيْرُ حَائِضٍ.

﴿أَوْ أَبَائِهِمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَمَلَهُمْ﴾ وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحْرَمُ عَلَيْهِمْ نِكَاحُهُمْ، فَهَمُ ذَوُو مُحَارِمٍ لَهُمْ بِالْأَسْبَابِ وَالْأَنْسَابِ. وَيَدْخُلُ أَجْدَادُ الْبُعُولَةِ فِيهِ، وَإِنْ عَلَوْا، وَأَحْفَادُهُمْ، وَإِنْ سَفَلُوا. يَجُوزُ الزَّيْنَةُ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِدْعَاءٍ لَشَهْوَتِهِمْ. وَيَجُوزُ لَهُمْ تَعَمُّدُ النَّظَرِ مِنْ غَيْرِ تَلَذُّذٍ.

﴿أَوْ نِسَائِهِمْ﴾: يَعْنِي الْمُؤْمَنَاتِ، فَإِنَّ الْكَافِرَاتِ لَا يَتَحَرَّجْنَ عَنْ وَصْفِهِنَّ لِلرِّجَالِ. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: الْمَرَادُ بِهَا الْإِمَاءُ.

وفي مجمع البيان^(٧): «أَوْ نِسَائِهِنَّ» يَعْنِي النِّسَاءَ الْمُؤْمَنَاتِ. وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَتَجَرَّدَ^(٨) لِيَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ مَجُوسِيَّةٍ، إِلَّا إِذَا كَانَتْ أُمَةً. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» أَيُ مِنَ الْإِمَاءِ.

عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ وَمُجَاهِدٍ وَالْحَسَنِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالُوا^(٩): وَلَا يَحِلُّ لِلْعَبْدِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَعْرِ مَوْلَاةٍ.

٢-٤. من المصدر.

٦. س، أ، م، ن: المفصلة.

٨. المصدر: يتجرّدن.

١. الكافي ٥٢٠/٥-٥٢١، ح ١.

٥. مجمع البيان، ١٣٨/٤.

٧. مجمع البيان، ١٣٨/٤.

٩. نفس المصدر والموضع.

وقيل ^(١): معناه العبيد والإماء. وروي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام.

قال الجبائي ^(٢): أراد مملوكاً لهم ^(٣)، لم يبلغ مبلغ الرجال.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه ^(٤): وروى حفص بن البختري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا ينبغي للمرأة أن تنكشف بين يدي اليهودية والنصرانية؛ فإنهن يصفن ذلك لأزواجهن.

﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْزِقِ مِنَ الرِّجَالِ﴾: أي أولي الحاجة إلى النساء. وهم الشيوخ الهرم.

وقيل ^(٥): البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم، ولا يعرفون شيئاً من أمور النساء.

وقرأ ^(٦) ابن عامر وأبو بكر: «غير» بالنصب، على الحال.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٧): وأما قوله تعالى: «أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْزِقِ مِنَ الرِّجَالِ» فهو الشيخ [الكبير] ^(٨) الغاني الذي لا حاجة له في النساء.

وفي مجمع البيان ^(٩): «أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْزِقِ مِنَ الرِّجَالِ». اختلف في معناه. فقيل: التابع، الذي يتبعك لينال من طعامك، ولا حاجة له في النساء. وهو الأبله المولى عليه. عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبیر. وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام.

وفي الكافي ^(١٠): حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن عبد الرحمن بن أبي عبدالله قال: سألته عن أولي الإربة من الرجال؟ قال: الأحمق المولى عليه، الذي لا يأتي النساء.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. المصدر: له.

٤. الفقيه ٣٦٦٣، ح ١٧٤٢.

٥ و٦. أنوار التنزيل، ١٢٥/٢.

٧. تفسير القمي، ١٠٢/٢.

٨. من المصدر.

٩. مجمع البيان، ١٣٨/٤.

١٠. الكافي ٥٢٣/٥، ح ٢.

الحسين بن محمد^(١)، عن معلى بن محمد؛ وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القَدَّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: كان بالمدينة رجلان، يُسمَّى أحدهما هيث^(٢) والآخر مانع. فقالا لرجل - ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع -: إذا افتتحتم الطائف إن شاء الله تعالى، فعليك^(٣) بابة غيلان الثقفية، فإنها شموع نجلاء مبتلة هيفاء شبناء. إذا جلست تثنت، وإذا تكلمت غنت. تقبل بأربع وتدبر بثمان^(٤). بين رجليها مثل القدر.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لأراكما من أولي الإربة من الرجال! فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وآله فغرب بهما^(٥) إلى مكان يقال له «العرايا». فكانا يتسوفان في كل جمعة.

﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾: لعدم تمييزهم. من الظهور بمعنى الإطلاع. أو: لعدم بلوغهم حد الشهوة. من الظهور بمعنى الغلبة.

والطفل وُضع موضع الجمع، اكتفاءً بدلالة الوصف.

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾: لتقعقع خلخالها، ليعلم أنها ذات خلخال؛ فإن ذلك يورث ميلاً في الرجال.

وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة، وأدل على المنع من رفع الصوت.

وقيل^(٦): معناه: ولا تضرب المرأة برجلها إذا مشت، لتبين^(٧) خلخالها، أو يُسمع صوته.

١. نفس المصدر، ح ٣. ٢. هيث: رجل مُخُنْتُ، نغاه رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: عليكم.

٤. الشُّمُوعُ: اللعوب الطروب. النجلاء: واسعة العينين مع حسن. المبتلة: التي لم يركب بعض لحمها بعضاً، ولا يوصف به الرجل. الهيف - بالتحريك -: ضمير البطن ورقة الخاصرة. الشَّبَب - محرّكة -: عذوبة في الأسنان. التثني رد بعض الشيء على بعض.

والمراد بالأربع: اليدان والرجلان. وبالثمان اليدان والرجلان مع الكتفين والإليتين. وإقبالها بأربع كناية عن سرعتها في الإتيان وقبولها الدعوة، وإدبارها بثمان كناية عن بطئها وبأسها من حاجتها فيها.

٥. غَرَبَ بهما: أي يقدما ونخاهما.

٦. مجمع البيان، ١٣٨/٤.

٧. المصدر: لتبين.

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً إِنَّهُ السَّمُوتُونَ﴾: إذ لا يخلو أحد منكم من تفريط سيما في الكف [عن الشهوات].

وقيل ^(١): توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية. فإنه - وإن جُب بالإسلام - لكن يجب الندم عليه، والعزم على الكف ^(٢) عنه كلما يتذكر. ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ ^(٣): بسعادة الدارين.

وفي مجمع البيان ^(٤): وفي الحديث أنه ﷺ قال: أيها الناس، توبوا إلى ربكم، فإنني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة. أورده مسلم في الصحيح. والمراد بالتوبة، الانقطاع إلى الله.

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾: لما نهى عما عسى أن يفضي إلى السفاح المخل النسب، المقتضي للإلغة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء النوع، بعد الزجر عنه مبالغة فيه، أمر بالنكاح الحافظ له. والخطاب للأولياء.

و«أَيَامَى»: مقلوب «أَيَامٍ» كيتامى ^(٥)، جمع أيم. وهو العزب ذكراً كان أو أنثى، بكرةً أو ثيباً.

والمعنى: تزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له، من أحرار رجالكم ونسائكم. وهذا أمر نذوب واستحباب.

وفي مجمع البيان ^(٦): وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: من أحب فطرتي، فليستن بسنتي. ومن سنتي النكاح.

وقال ﷺ ^(٧): يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة ^(٨) فليتزوج. فإنه أغض

١. أنوار التنزيل، ١٢٥/٢.

٢. ما بين المعقوفين ليس في س وأ.

٣. مجمع البيان، ١٣٨/٤.

٤. لأنه مقلوب «يتامى».

٥. مجمع البيان، ١٣٩/٤ - ١٤٠.

٦. مجمع البيان، ١٣٩/٤ - ١٤٠.

٧. الباءة: النكاح، الجماع.

للبر، وأحصن للفرج. ومن لم يستطع، فعليه بالصوم. فإنه له وجاء^(١).
وروى عطاء بن السائب^(٢)، عن سعيد بن جبير قال: لقيني ابن عباس في حجة حجها. فقال: هل تزوجت؟ قلت: لا. قال: فتزوج.
قال: فلقيني في العام المقبل. فقال: هل تزوجت؟ قلت: لا. فقال: اذهب وتزوج. فإن خير هذه الأمة كان أكثرها نساءً. يعني النبي ﷺ.
وعن أبي هريرة^(٣) قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، للقيت الله بزوجة. سمعت رسول الله ﷺ يقول: شرار موتاكم^(٤) عزابكم.
وقال ﷺ^(٥): من أدرك له ولد، وعنده ما يزوجه، فلم يزوجه، فأحدث، فالإثم بينهما.

وعن أبي أمامة^(٦)، عن النبي ﷺ: أربع لعنهم الله من فوق عرشه، وأمنت عليه ملائكته: الذي يحصر^(٧) نفسه، فلا يتزوج ولا يتسرى، لثلاً يولد له. والرجل يتشبه بالنساء، وقد خلقه الله ذكراً. والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها [الله] أنثى. ومضلل الناس، يريد الذي يهزأ بهم، يقول للمسكين: هلم أعطك. فإذا جاء، يقول: ليس معي شيء. ويقول للمكفوف: اتق الدابة، وليس بين يديه شيء. والرجل يسأل عن دار القوم، فيضلله.

وفي الكافي^(٨): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي القداح قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ركعتان يصليهما المتزوج، أفضل من سبعين ركعة يصليهما الأعزب.

١. الوجاء: أن ترض أنثى الفحل رضاً شديداً يذهب بشهوة الجماع. أراد: أن الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الوجاء.
٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. المصدر: شراركم.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. س، ن: يحضر.

٧. الكافي ٣٢٨/٥، ح ١.

٨. من المصدر.

عَدَّة من أصحابنا^(١)، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

علي بن محمد بن بندار^(٢)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الجاموراني، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن كليب بن معاوية الأسدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من تزوج، أحرز نصف دينه.

وفي حديث آخر: فليتق الله في النصف الآخر، أو الباقي.

وعنه^(٣)، عن محمد بن علي، عن عبد الرحمان^(٤) بن خالد، عن محمد الأصم^(٥)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ردّال موتاكم العزّاب.

علي بن إبراهيم^(٦)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا لقي يوسف عليه السلام أخاه، قال: يا أخي، كيف استطعت أن تتزوَّج^(٧) النساء بعددي؟ قال: أبي أمرني؛ قال: إن استطعت أن تكون لك ذرّية، تثقل الأرض بالتسبيح، فافعل.

وفي كتاب الخصال^(٨): قال رسول الله ﷺ: أربع من سنن المرسلين: العطر، والنساء، والسواك، والحناء.

وفي عيون الأخبار^(٩)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من أخباره المجموعة: وبإسناده قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: للمرأة عشر عورات. فإذا زوّجت^(١٠)، سُتِرَتْ لها عورة. وإذا ماتت، تُسْتَر^(١١) عوراتها كلّها.

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر، ح ٢.

٣. نفس المصدر ٣٢٩، ح ٣.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: محمد.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: محمد بن الأصم. وفي رجال النجاشي ٩٨٢: محمد بن خالد الأصم.

٦. نفس المصدر، ح ٤.

٧. المصدر: تزوّج.

٨. الخصال ٢٤٢، ح ٩٣.

٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٣٨٢، ح ١١٦.

١٠. ن: تزوّجت.

١١. المصدر: سُتِرَتْ.

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: وزوجوا المستورين من عبيدكم وولائدكم^(١).

وخصصهم، لأن إحصانهم دينهم والاهتمام بشأنهم، أهم.

وقيل^(٢): المراد: الصالحون للنكاح، والقيام بحقوقه.

وقيل^(٣): معنى الصلاح هاهنا الإيمان.

﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: رد لما عسى أن يمنع النكاح. والمعنى:

لا يمنع فقر الخاطب أو المخطوبة من النكاح، فإن في فضل الله، غنية عن المال، فإنه غادر ورائح.

ففي الكافي^(٤): عنه، عن الجاموراني، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن

محمد بن يوسف التميمي، عن محمد بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال

رسول الله ﷺ: من ترك التزويج مخافة العيلة، فقد أساء ظنه بالله ﷻ. إن الله ﷻ يقول:

«إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ».

علي بن إبراهيم^(٥)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن حريز، عن

وليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من ترك التزويج مخافة العيلة، فقد أساء الظن

بالله.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٦): روي عن محمد بن أبي عمير، عن حريز، عن

الوليد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من ترك التزويج مخافة الفقر، فقد أساء الظن بالله ﷻ.

إن الله يقول: «إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ».

ففي الكافي^(٧): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبي عبد الله

الجاموراني، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن عبد المؤمن^(٨)، عن إسحاق بن

١. الولائد - جمع الوليدة -: الأمة.

٣. مجمع البيان، ٤/ ١٤٠.

٥. نفس المصدر، ح ١.

٧. الكافي، ٥/ ٣٣٠، ح ٤.

٢. أنوار التنزيل، ٢/ ١٢٥.

٤. الكافي، ٥/ ٣٣٠-٣٣١، ح ٥.

٦. من لا يحضره الفقيه، ٢٤٣/ ٢٤٣، ح ١١٥٣.

٨. المصدر: المؤمن.

عَمَّارُ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْحَدِيثُ الَّذِي يَرَوِيهِ النَّاسُ حَقٌّ؟ أَوْ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ، فَأَمَرَهُ بِالتَّزْوِيجِ. فَفَعَلَ. ثُمَّ أَتَاهُ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ، فَأَمَرَهُ بِالتَّزْوِيجِ. حَتَّى أَمَرَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: نَعَمْ، هُوَ حَقٌّ. ثُمَّ قَالَ: الرِّزْقُ مَعَ النِّسَاءِ وَالْعِيَالِ.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ^(١)، عَنْ أَحْمَدَ وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنِي مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ. فَقَالَ: تَزَوِّجْ. فَتَزَوَّجَ، فَوُسِّعَ عَلَيْهِ.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ^(٢) [عَنْ أَبِيهِ] ^(٣)، عَنْ صَالِحِ بْنِ السَّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ. فَقَالَ لَهُ: تَزَوِّجْ. فَقَالَ الشَّابُّ: إِنِّي لَا أُسْتَحْيِي أَنْ أَعُودَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله. فَلَحَقَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: إِنَّ لِي بَتًّا وَسِيمَةً ^(٤). فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، فَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

فَأَتَى الشَّابَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، عَلَيْكُمْ بِالْبَاهِ ^(٥).

عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ بَنْدَارٍ ^(٦) وَغَيْرُهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ ابْنِ فَضَّالٍ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ الْقَدَّاحِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ زَوْجَةٌ؟ فَقَالَ: لَا.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَأَنْتَ بَتٌّ لَيْلَةً وَلَيْسَتْ لِي زَوْجَةٌ. ثُمَّ قَالَ: رَكْعَتَانِ يَصْلِيهِمَا رَجُلٌ مَتَزَوِّجٌ، أَفْضَلُ مِنْ رَجُلٍ أَعْزَبٌ، يَقُومُ لَيْلَةً وَيَصُومُ نَهَارَهُ. ثُمَّ أَعْطَاهُ أَبِي سَبْعَةَ دَنَانِيرٍ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: تَزَوِّجْ بِهِذِهِ.

١. نفس المصدر، ح ٢.

٢. نفس المصدر، ح ٣.

٣. من المصدر.

٤. الوسيمة: الحسنة الوجه.

٥. الباه: النكاح، الجماع.

٦. نفس المصدر ٣٢٩، ح ٦.

ثُمَّ قَالَ أَبِي: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اتَّخَذُوا الْأَهْلَ، فَإِنَّهُ أَرْزَقَ لَكُمْ.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: ذُو سَعَةٍ لَا تَنْفَدُ نِعْمَتُهُ، إِذْ لَا تَنْتَهِي قُدْرَتُهُ.

﴿عَلِيمٌ﴾ (٣): يَبْسُطُ الرِّزْقَ وَيَقْدِرُ (١)، عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ.

وَفِي الْكَافِي (٢) بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَاصِمِ بْنِ حَمِيدٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ. فَأَمَرَهُ بِالتَّزْوِيجِ.

قَالَ: فَاسْتَدْتَّ بِهِ الْحَاجَةَ. فَأَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ. فَقَالَ لَهُ: اشْتَدَّتْ بِي الْحَاجَةُ. قَالَ: فَفَارِقْ.

ثُمَّ أَتَاهُ. فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ. فَقَالَ: أَثْرَيْتُ وَحَسَنَ حَالِي. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي أَمَرْتُكَ بِأَمْرَيْنِ أَمَرَ اللَّهُ بِهِمَا. قَالَ اللَّهُ ﷻ: «وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ». وَقَالَ (٣): «إِنْ يَتَفَرَّقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ».

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّكَافُؤَ الَّذِي اشْتَرَطَ فِي التَّزْوِيجِ، هُوَ التَّكَافُؤُ فِي أَصْلِ الْإِيمَانِ، وَلَا يُشْتَرَطُ التَّكَافُؤُ فِي سِوَاهِ.

فَفِي الْكَافِي (٤): عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَوَّجَ مَقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ ضَبَاعَةَ بِنْتَ الزَّيْبِرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ. وَإِنَّمَا زَوَّجَهُ لِتَضَعِ الْمَنَاكِحَ، وَلِيَتَأَسَّوْا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ أَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ.

عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا (٥)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَوَّجَ مَقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ ضَبَاعَةَ بِنْتَ الزَّيْبِرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا زَوَّجَهَا الْمَقْدَادَ، لِتَضَعِ الْمَنَاكِحَ،

١. أَيِ يَضِيقُ.

٢. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ٣٣١، ح ٦.

٣. النِّسَاءُ / ١٣٠.

٤. الْكَافِي ٣٤٤/٥، ح ١.

٥. نَفْسُ الْمَصْدَرِ، ح ٢.

وليتأسوا برسول الله ﷺ ولتعلموا أن أكرمكم عند الله أتقاكم. وكان الزبير أخا عبد الله وأبي طالب لأبيهما وأمهما.

وفي تهذيب الأحكام^(١): علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن عبد الله، عن محمد بن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ زوج ضبيعة بنت الزبير بن عبدالمطلب من مقداد بن الأسود. فتكلمت في ذلك بنوهاشم. فقال رسول الله ﷺ: إني إنما أردت أن تتضع المناكح. ويستحب أن يختار من النساء ما تدل عليه الأخبار:

ففي كتاب معاني الأخبار^(٢)، بإسناده إلى محمد بن طلحة^(٣) الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: سمعت أبي يحدث عن أبيه، عن جده عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: إياكم وخضراء الدمن!^(٤) قيل: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء^(٥).

حدثنا^(٦) محمد بن موسى بن المتوكل عليه السلام قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم الكرخي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن صاحبتني هلكت وكانت لي موافقة، وقد هممت أن أتزوج. فقال: انظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرك وأمانتك. فإن كنت لابد فاعلاً، فبكراً تُنسب إلى الخير وإلى حسن الخلق.

ألا إن النساء خُلِقن شتى فممنهن الغنيمة والغرام
وممنهن الهلال إذا تجلّى لصاحبه وممنهن الظلام
فمن يظفر بصالحهن يسعد ومن يغيب فليس له انتقام

١. تهذيب الأحكام ٣٩٥/٧، ح ١٥٨١. ٢. معاني الأخبار ٣١٦، ح ١.

٣. المصدر: «أبي طلحة». ويمكن أن يكون هو الصحيح. انظر: جامع الرواة ٤٩/٢.

٤. الدمن - جمع دمنة - وهي ما تدمته الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها؛ أي تلبده في مراضها، فرُبما نبت فيها الثِّبَات الحسن النضير.

٥. المصدر: سوء.

٦. نفس المصدر ٣١٧-٣١٨، ح ١.

وهن ثلاث: فامرأة ولود ودود، تعين زوجها على دهره لدنياه ولآخرته، ولاتعين الدهر عليه. وامرأة عقيم، لا ذات جمال ولا خلق، ولاتعين زوجها على خير. وامرأة صحابة ولأجة همّازة^(١)، تستقل الكثير، ولا تقبل اليسير.

وفي كتاب الخصال^(٢)، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن الحسين قال: قال رسول الله ﷺ: النساء أربع: جامع مجمع، وربيع مربع، وكرب مقمع، وغُل قَمِل^(٣). وبإسناده^(٤)، إلى زيد بن ثابت، قال رسول الله ﷺ: يا زيد، تزوّجت؟ قال: قلت: لا. قال: تزوّج، تستعف مع عفتك. ولا تتزوّجن خمساً. قال زيد: من هن يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تتزوّجن شهيرة، ولا لهبرة، ولا نهبرة، ولا هيدرة، ولا لفوتا. فقال زيد: يا رسول الله، ما عرفت ممّا قلت شيئاً، وإنّي بأمرهنّ لجاهل. فقال رسول الله ﷺ: أأستم عرباً؟! أمّا الشهيرة، فالزرقاء البذيئة، وأمّا اللهبرة، فالطويلة المهزولة، وأمّا النهبرة، فالقصيرة الدميمة، وأمّا الهيدرة، فالعجوزة المدبرة. وأمّا اللفوت، فذات الولد من غيرك.

وبإسناده^(٥)، إلى عبد الأعلى مولى آل سالم^(٦)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: تزوّجوا الأبقار؛ فإنهنّ أطيب شيء أفواهاً، وأدرّ شيء أخلاقاً وأفتح شيء أرحاماً. أما علمتم أنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتّى بالسقط. يظلّ محببناً^(٧) على

١. الصحابة: شديدة الصياح. والولّاجة: كثيرة الدخول والخروج. والهمّازة: العيابة والطعانة.

٢. الخصال ٢٤١/١ ح ٩٢.

٣. قال الصدوق بعد ذكر الحديث: جامع مجمع؛ أي كثيرة الخير مخصصة. وربيع مربع؛ أي التي في حجرها ولد وفي بطنها آخر. وكرب مقمع؛ أي سيئة الخلق مع زوجها، وغُل قَمِل؛ أي هي عند زوجها كالغُل القَمِل؛ وهو غُل من جلد يقع فيه القمل فيأكله، فلا يُتَهيأ له أن يُحكّ منه شيء. وهو مثل للعرب.

٤. الخصال ٣١٦/١ ح ٩٨.

٥. التوحيد ٣٩٥، ح ١٠، كما نقله عنه في نور الثقلين ٦٠٠/٣، ح ١٥٣. وما وجدنا الخبر في الخصال.

٦. نور الثقلين: سام.

٧. المحببني، بالهمز وتركه: المتغضّب المستبطن للشيء. وقيل: هو الممتنع امتناع طلبه، لامتناع إباء.

باب الجنة، فيقول الله ﷻ له: ادخل الجنة. فيقول: لا، حتَّى يدخل أبواي قبلي. فيقول الله ﷻ لملك من الملائكة: انتني بأبويه. فيأمر بهما إلى الجنة، فيقول: هذا بفضل رحمتي لك.

ويستحب تزويج المسلم:

ففي كتاب الخصال^(١)، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر ﷺ قال: ثلاثة يستظلون بظل عرش الله [يوم القيامة]^(٢) يوم لا ظل إلا ظله: رجل زوج أخاه المسلم، أو أخدمه، أو كتم له سرّاً.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً﴾: قيل^(٣): أي وليجتهد في العفة وقمع الشهوة، الذين لا يجدون أسباب النكاح.

﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: فيجدوا أسبابه.

وفي الكافي^(٤): أبو علي الأشعري، عن بعض أصحابه، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله ﷺ في هذه الآية، قال: يتزوجوا حتَّى يغنيهم الله من فضله.

فعلى هذه الرواية، الاستعفاف طلب العفة بالتزوج. ومعنى «لا يجدون نكاحاً» ما يُنكح به من المهر والنفقة، فليتزوجوا بما في الذمة حتَّى يغنيهم الله من فضله.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ﴾: المكتابة.

وهو أن يقول الرجل لمملوكه: «كاتبتك على كذا». من الكتاب؛ لأن السيّد كتب على نفسه عتقه إذا أدّى المال. أو لأنّه ممّا يكتب لتأجيله. أو من الكتّب، بمعنى الجمع؛

⇒ وقال ابن منظور في اللسان: «المحبطى» الممتلى غضباً. والنون والهمزة والألف والباء زوائد للإلحاق. إلى أن قال: والمحبطى: اللازق بالأرض. (نقل من تعاليق تفسير نور الثقلين).

١. الخصال ١٤١، ح ١٦٢. ٢. ليس في المصدر.
٣. أنوار التنزيل، ١٢٥/٢. ٤. الكافي ٣٣١/٥، ح ٧.

لأنَّ العوض يكون فيه منجماً بنجوم^(١) يُصَمِّمُ بعضها إلى بعض .
﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ : عبدًا كان أو أمة . والموصول مع الصلة مبتدأ خبره :
﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ : أو مفعول لمضمر هذا تفسيره . والفاء لتضمُّنه معنى الشرط . وهذا
أمر ندب واستحباب عند معظم الفقهاء .
وقيل^(٢) : أمر حتم وإيجاب ، إذا طلبه العبد ، [وعلم فيه الخير .
والمكاتبه ضربان : مطلق ومشروط .
فالمشروط أن يقول لعبده في حال الكتابة : متى عجزت عن أداء ثمنك ، كنت^(٣)
مردوداً في الرقِّ . فإن كان كذلك ، جاز له ردُّه في الرقِّ عند العجز .
والمطلق ينتق منه عند العجز بحساب ما أذى من المال ، ويبقى مملوكاً بحساب ما
بقي عليه ، ويرث ويورث بحساب ما عُتِقَ منه .
﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ : صلاحاً وقدرة على اكتساب المال .
قيل^(٤) : ولا يستحب أن يكتب إذا لم يقدر على ذلك ، ويذهب ويسأل الناس ،
ويطعم مولاه أو ساخ أيديهم .
وفي من لا يحضره الفقيه^(٥) : روى العلاء^(٦) ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي
عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال : الخير أن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله .
ويكون بيده عمل يكتسب به ، أو يكون له حرفة .
وفي تهذيب الأحكام^(٧) : الحسين بن سعيد ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد ، عن
الحلي ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ : ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ . قال :
كاتبوهم إن علمتم لهم مالاً .

١ . النجوم - جمع نجم - : الوقت المعين لأداء دين أو عمل .

٢ . مجمع البيان ، ١٤٠/٤ . ٣ . ما بين المعقوفين ليس في أ .

٤ . مجمع البيان ١٤٠/٤ . نقل عنه بالمعنى . ٥ . الفقيه ٧٨٣ ، ح ٢٧٨ .

٦ . م : العلاء بن زيد . ن : العلاء بن رزين . ٧ . تهذيب الأحكام ، ٢٦٨/٨ ، ح ٩٧٥ .

وفي الكافي^(١): أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «إِنْ عَلِمْتُمْ خَيْرًا». قال: إِنْ عَلِمْتُمْ دِينًا وَمَالًا^(٢).

أقول: والمراد إِنْ عَلِمْتُمْ دِينًا، وجواز تحصيل مال. وكذا ما رواه^(٣) بإسناده إلى محمد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام: قال: سألته عنها؟ قال: الخير إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ عِنْدَهُ مَالًا.

علي بن إبراهيم^(٤)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام. قال: كَاتَبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّ لَهُمْ مَالًا.

يدل على ما ذكرنا ما رواه محمد بن يعقوب^(٥)، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن أخيه الحسن، عن زرعة، عن سماعة قال: سألت عليه السلام عن العبد يكتبه موله، وهو يعلم أنه ليس له قليل ولا كثير^(٦). قال: يكتبه إِنْ كَانَ^(٧) يسأل الناس. ولا يمنعه المكاتبه من أجل أن ليس له مال. فإن الله يرزق بعضهم من بعض. والمؤمن معان. ويقال: المحسن معان.

﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾: قيل^(٨): أمر للموالي كما قبله بأن يبذلوا لهم شيئاً من أموالهم. وفي معناه حظ شيء من مال الكتابة.

وقيل^(٩): ندب لهم إلى الإنفاق عليهم، بعد أن يؤدّوا ويُعتقوا.

وقيل^(١٠): أمر لعامة المسلمين بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة.

ومن قال إنه خطاب للموالي، فأكثرهم على أن الأمر للوجوب. واختلفوا في قدر

١. الكافي ١٧٨/٦، ح ١٠.

٣. نفس المصدر ١٨٦-١٨٧، ح ٧.

٥. نفس المصدر، ح ١١.

٧. المصدر: ولو كان.

٢. المصدر: مالاً ودينًا.

٤. نفس المصدر ١٨٧، ح ٩.

٦. المصدر: يعلم أنه لا يملك قليلاً ولا كثيراً.

٨-١٠. أنوار التنزيل، ١٢٦٢.

ما يجب، فقيل ^(١): يكفي أقل ما يتموّل.

وقيل ^(٢): يُحْطّ الرابع. وقيل ^(٣): الثالث.

وفي الكافي ^(٤): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن العلاء بن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في قوله ﷺ: «فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم». قال: تضع عنه من نجومه التي لم تكن تريد أن تنقصه منها، ولا تزيد فوق ما في نفسك. فقلت: كم؟ فقال: وضع أبو جعفر عليه السلام عن مملوك ^(٥) ألفاً من ستة آلاف.

وبإسناده ^(٦) عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام قال: سألت عن قول الله ﷻ: «وآتوهم من مال الله الذي آتاكم»؟ قال: الذي أضمرت أن تكاتبه عليه، لا تقول: أكاّتبّه بخمسة آلاف، وأترك له ألفاً، ولكن انظر إلى الذي أضمرت عليه، فأعطه.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه ^(٧) وروى عن القاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام سألت عن قول الله ﷻ: «وآتوهم من مال الله الذي آتاكم»؟ قال: سمعت أبي يقول: لا يكاتبه على الذي أراد أن يكاتبه، ثم يزيد عليه، ثم يضع عنه. ولكنّه يضع عنه ممّا نوى أن يكاتبه عليه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٨): ومعنى قوله «وآتوهم من مال الله الذي آتاكم» قال: إذا كاتبتهم تجعل لهم من ذلك شيئاً.

وفي مجمع البيان ^(٩): من قال إنّه خطاب للسادة، اختلفوا في قدر ما يجب. فقيل: يتقدّر بربع المال، عن الثوري. وروي ذلك عن علي عليه السلام. والأظهر أنّ الأمر للسندب، كما في أصل الكتاب. واختلاف الأخبار، محمول على اختلاف مراتب الكمال.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. الكافي ١٨٩/٦، ح ١٧.

٣. المصدر: مملوكه.

٤. نفس المصدر ١٨٦-١٨٧، ح ٧.

٥. من لا يحضره الفقيه ٧٨٣، ح ٢٨٠.

٦. تفسير القمي، ١٠٢/٢.

٧. مجمع البيان، ١٤٠/٤.

﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ﴾: على الزنا.

قيل ^(١): كانت لعبد الله بن أبي سئ جوار يكرههن على الزنا، وضرب عليهن الضرائب. فشكا بعضهن إلى رسول الله ﷺ فنزلت.

﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تعففاً.

شرط للإكراه، فإنه لا يوجد بدونه. وإن جعل شرطاً للنهي، لم يلزم من عدمه جواز الإكراه، لجواز أن يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه.

وإيثار «إن» على «إذا»، لأن إرادة التحصن من الإمام كالشاذ النادر.

﴿لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: كسبهن وبيع أولادهن.

﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ﴾: يجبرهن.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٢): لهن.

قيل ^(٢): أوله، إن تاب. ويؤيد الأول ما في مصحف ابن مسعود: «من بعد إكراههن لهن غفور رحيم».

قيل ^(٣): ولا يرد عليه أن المكره غير آئمة، فلا حاجة إلى المغفرة. لأن الإكراه لا ينافي المؤاخاة بالذات. ولذلك حرم على المكره القتل، وأوجب عليه القصاص.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٤): قال: كانت العرب وقريش يشترون الإمام، ويضعون عليهن الضريبة الثقيلة، إذهن زنين واكتسبن. فنهاهم الله عن ذلك، فقال: «ولا تكرهوا» إلى قوله تعالى: «غفور رحيم» أي لا يؤاخذهن الله تعالى بذلك إذا أكرهن عليه. وفي رواية أبي الجارود ^(٥): عن أبي جعفر عليه السلام قال: هذه الآية منسوخة نسختها «فإن أتبن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب» ^(٦).

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾: يعني الآيات التي بُيِّنَتْ في هذه السورة،

وأوضحت فيها الأحكام والحدود.

٤. تفسير القمي، ١٠٢/٢.

٦. النساء / ٢٥.

١-٣. أنوار التنزيل، ١٢٦/٢.

٥. نفس المصدر والموضع.

وقرأ ابن عامر والكسائي وحفص^(١) بالكسر، لأنها واضحات تصدّقها الكتب المتقدّمة والعقول المستقيمة، من بين بمعنى تبيين، أو لأنها بينت الأحكام والحدود. ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: وأخباراً من الذين مضوا من قبلكم وقصصاً لهم، وشبهاً عن حالهم بحالكم لتعتبروا بها.

وقيل^(٢): قصّة عجيبة مثل قصصهم. وهي قصّة عائشة، فإنّها كقصّة يوسف ومريم. ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣): يعني ما وعظ به في تلك الآيات. وتخصيص المتّقين، لأنّهم المتنفّعون بها.

وقيل^(٤): المراد بالآيات، القرآن. والصفات المذكورة، صفاته. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: قيل^(٥): النور في الأصل كيفيّة تدركها الباصرة أولاً، وبوساطتها سائر المبصرات، كالكيفيّة الفائضة من النيران على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما.

وهو - بهذا المعنى - لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف - كقولك: زيد كرم؛ أي ذو كرم - أو على تجوّز، بمعنى: «منور السماوات والأرض» وقد قرئ به. فإنّه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار، أو بالملائكة والأنبياء [والأوصياء]^(٥). أو: مدبرهما. من قولهم للرئيس الفائق في التدبير: «نور القوم» لأنّهم يهتدون به في الأمور.

أو: موجدهما. فإنّ النور ظاهر بذاته، مظهر لغيره. وأصل الظهور هو الوجود؛ كما أنّ أصل الخفاء هو العدم. والله سبحانه وتعالى موجود بذاته، موجد لما عداه. أو: الذي به تدرك أو يدرك أهلها. من حيث أنّه يُطلق على الباصرة، - لتعلّقها به، أو لمشاركتها له في توقّف الإدراك عليه - ثمّ على البصيرة، لأنّها أقوى إدراكاً؛ فإنّها تدرك نفسها وغيرها من الكلّيات والجزئيات، الموجودات والمعدومات، وتغوص في

٣. نفس المصدر، ١٢٧.

٥. ليس في المصدر.

١ و٢. أنوار التنزيل، ١٢٦/٢.

٤. نفس المصدر، ١٢٧.

بواطنها، وتتصَّرف فيها بالتركيب والتحليل. ثم إنَّ هذه الإدراكات ليست لذاتها، وإلاَّ لما فارقتها. فهي إذن من سبب يفيضها عليها، وهو الله ﷻ ابتداءً، أو بتوسط^(١) من الملائكة والأنبياء، ولذلك سمَّوا نوراً. ويقرب منه قول ابن عباس: معناه هادي من فيهما، فهم بنوره يهتدون. فإضافته إليهما، للدلالة على سعة إشراقه. أو: لاشتغالهما على الأنوار الحسيَّة والعقليَّة، وقصور الإدراكات البشريَّة عليهما وعلى المتعلِّق بهما والمدلول لهما^(٢).

وفي كتاب التوحيد^(٣): حدَّثنا أبي ﷺ قال: حدَّثنا سعد بن عبدالله، عن يعقوب بن يزيد، عن العباس بن هلال، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله ﷻ «الله نور السماوات والأرض». فقال: هادي لأهل السماوات^(٤) وهادي لأهل الأرض. ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: [صفة نوره العجيبة الشأن.

وأضافته إلى ضميره سبحانه دليل على أنَّ إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره. قيل^(٥): «مثل نوره»^(٦) الَّذِي هدى به المؤمنين، وهو الإيمان في قلوبهم. وفي مجمع البيان^(٧): وكان أبي يقرأ: «مثل نور من آمن به». وقيل^(٨): «مثل نوره» الَّذِي هو القرآن في القلب. وقيل^(٩): عني بالنور محمداً ﷺ. وأضافه إلى نفسه، تشريفاً له. وقيل^(١٠): نوره الأدلَّة الدالَّة على توحيده وعدله، الَّتِي هي في الظهور والوضوح مثل النور.

وقيل^(١١): النور هنا الطاعة. أي مثل طاعة الله في قلب المؤمن. ﴿كَيْمَشْكُورَةٍ﴾: كصفة مشكاة.

٢. أنوار التنزيل، ٢/١٢٧.
٤. المصدر: السماء.
٦. ما بين المعقوفين ليس في أ.

١. المصدر: بتوسط.
٣. التوحيد ١٥٥، ح ١.
٥. مجمع البيان، ٤/١٤٢.
٧-١١. نفس المصدر، ١٤٢-١٤٣.

قيل ^(١): إِنَّهَا روميةٌ معرّبة.

وقال الزجاج ^(٢): يجوز أن يكون عربيّة، لأنّ في الكلام مثل لفظها شكوة، وهي قرية صغيرة. فعلى هذا تكون مفعلة منها. وأصلها مشكوة، فقلبت الواو ألفاً، لتحركها وانفتاح ما قبلها.

قيل ^(٣): وهي الكوة الغير النافذة في الحائط، يوضع عليها زجاجة، ثمّ يكون المصباح خلف تلك الزجاجة. ويكون للكوة باب آخر، يوضع المصباح فيه.

وقيل ^(٤): المشكاة، القنديل الذي فيه الفتيلة.

وقيل ^(٥): الأنوبة في وسط القنديل.

﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾: وأصله من الصبح بمعنى البياض، والأصبح: الأبيض. وهو

السراج.

﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾: في قنديل من الزجاج.

وفائدة اختصاص الذكر، لأنّه أصفى الجواهر، فالمصباح فيه أضوء.

﴿ الزُّجَاجَةُ كَانَتْهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾: مضيء متلألئ مثل كوكب، كالزهرة في صفائه

وزهرته.

منسوب إلى الدرّ. أو فعيل - كمريق - من الدرء، فإنّه يدفع الظلام بضوئه، أو بعض

ضوئه بعضاً من لمعانه، إلّا أنّه قُلبت همزته ياءً.

وقرأ حمزة وأبو بكر ^(٦) على الأصل.

﴿ يَوْقُدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾: أي ابتداء ثقب المصباح من شجرة الزيتون

المتكاثر نفعه، بأن رويت ذبالبته ^(٧) بزيتها.

وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة، ثمّ إبدال الزيتون عنها، تفخيم لشأنها.

٣-٥. نفس المصدر، ١٤٣.

٦. الذبالة: الفتيلة التي تُسرج.

١ و٢. نفس المصدر، ١٤٢.

٦. أنوار التنزيل، ١٢٧/٢.

وقرأ نافع وابن عامر وحفص^(١) بالياء والبناء للمفعول من أوقد، وحمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء. كذلك على إسناده إلى الزجاج [بحذف المضاف].
وقرئ^(٢): «توقد» بمعنى تتوقد، و«يوقد» بحذف التاء.

﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾: تقع الشمس عليها حيناً دون حين، بل بحيث تقع عليها طول النهار؛ كالتي تكون على قلة أو صحراء واسعة، فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى. أو: لا نابتة في شرق المعمورة وغربها، بل في وسطها وهو الشام، فإن زيتونه أجود الزيتون. أو: لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً، فتحرقها، أو في مفيأة تغيب عنها دائماً، فتتركها نيئاً.

وفي الحديث^(٣): لا خير في شجرة ولا في نبات في مفيأة، ولا خير فيهما في مضحى.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار، لتلألؤه وفرط وبيصه^(٤).

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾: متضاعف.

فإن نور المصباح، زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته.

وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه:

«الأول»^(٥) أنه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات، في جلاء مدلولها، وظهور ما تضمنته من الهدى، بالمشكاة المنعوتة.

«الثاني»^(٦) أنه تشبيه للهدى، من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس

١ و٣. نفس المصدر والموضع.

١. ليس في ن.

٤. وبص البرق ونحوه: لمع وبرق. س، أ، م: وميضه.

٥ و٦. أنوار التنزيل، ١٢٨/٢.

وخيالاتهم بالمصباح. وإنما ولي الكاف المشكاة، لاشتمالها عليه. وتشبيهه به، أوفق من تشبيهه بالشمس.

«الثالث»^(١) أنه تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم، بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها. ويؤيده قراءة أبي: «مثل نور المؤمن».

«الرابع»^(٢): أنه تمثيل لما منح الله به عباده، من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي ينوط بها المعاش والمعاد. وهي: الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس. والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت. والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية. والمفكرة، وهي التي تؤلف المعقولات، لتستنتج منها علم ما لم يعلم. والقوة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت، المختصة بالأنبياء والأولياء المعنوية بقوله^(٣) تعالى: «ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا» بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية، وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت.

فإن الحساسة كالمشكاة، لأن محلها كالكوئ ووجهها إلى الظاهر، لا تدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات.

والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب، وضبطها للأنوار العقلية، وإنارتها بما تشتمل عليه من المعقولات.

والعاقلة كالمصباح، لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية.

والمفكرة بالشجرة المباركة، لتأديتها إلى ثمرات لانهاية لها.

والزيتونة المشمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح، التي لا تكون شرقية ولا غربية،

لتجردها عن اللواحق الجسمية، أو لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين.

١. أنوار التنزيل، ١٢٨/٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. الشورى / ٥٢.

والقوة القدسية كالزيت، فإنها لصفاتها وشدة ذكائها، تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكير ولا تعليم.

«الخامس»^(١) أنه تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك. فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة. ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات، بحيث تتمكن من تحصيل النظريات. فتصير كالزجاجة متلألأة في نفسها قابلة للأنوار. وذلك التمكن، إن كان بفكر واجتهاد، فكالشجرة الزيتونة. وإن كان بالحدس، فكالزيت. وإن كان بقوة قدسية فكالتالي يكاد زيتها يضيء؛ لأنها تكاد تعلم، ولو لم تتصل بملك الوحي والإلهام، الذي مثله النار من حيث أن العقول تشتعل عنه. ثم إذا حصل بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت، كان كالمصباح. فإذا استحضرتها، كان نوراً على نور.

«السادس»^(٢) أنه مثل ضربه الله لمحمد ﷺ. والمشكاة صدره. والزجاجة قلبه. والمصباح فيه النبوة. «لا شرقية ولا غربية» أي لا يهودية ولا نصرانية. «توقد من شجرة مباركة» هي شجرة النبوة، وهي إبراهيم عليه السلام. يكاد نور محمد ﷺ يتبين^(٣) للناس، ولو لم يتكلم به. كما أن الزيت يكاد يضيء. «ولو لم تمسه نار» أي لم تصبه النار.

«السابع»^(٤) أن المشكاة إبراهيم عليه السلام. والزجاجة إسماعيل. والمصباح محمد ﷺ. ويُسمى سراجاً في موضع آخر^(٥). «من شجرة مباركة» يعني إبراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه. «لا شرقية ولا غربية» لا نصرانية [ولا يهودية؛ لأن النصارى]^(٦) تصلّي إلى المشرق، واليهود تصلّي إلى المغرب. «يكاد زيتها يضيء» أي يكاد محاسن محمد ﷺ تظهر قبل أن يوحى إليه. «نور على نور» أي نبي من نسل نبي.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. مجمع البيان، ١٤٣/٤.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. المصدر: يبين.

٥. ليس في أ.

٦. أي في الآية ٤٦ من سورة الأحزاب.

«الثامن»^(١) أَنَّ المشكاة عبدالمطلب. والزجاجة عبدالله. والمصباح هو النبي. «لا شرقية ولا غربية» بل مكية، لأن مكة وسط الدنيا.

وفي كتاب التوحيد^(٢): إيسناده عن العباس بن هلال، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله ﷻ: «الله نور السماوات والأرض»؟ فقال: هادٍ لأهل السماء، وهادٍ لأهل الأرض^(٣).

وفي رواية البرقي: هدى من في السماوات، وهدى من في الأرض^(٤). وقد روي عن الصادق عليه السلام^(٥) أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «الله نور السماوات والأرض» مثل نوره كمشكاة فيها مصباح». فقال: هو مثل ضربه الله لنا. فالنبي والأئمة عليهم السلام دلالات الله وآياته التي يهتدى بها إلى التوحيد ومصالح الدين وشرائع الإسلام والسنن والفرائض^(٦). ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وتصديق ذلك ما حدثنا به إبراهيم بن هارون الهيتي^(٨) بمدينة السلام قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج قال: حدثنا الحسين بن أيوب، عن محمد بن غالب، عن علي بن الحسين، [عن الحسن]^(٩) بن أيوب، عن الحسين بن سليمان، عن محمد بن مروان الذهلي^(١٠)، عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «الله نور السماوات والأرض». قال: كذلك الله ﷻ.

قال: قلت: «مثل نوره». قال: محمد ﷺ.

-
١. نفس المصدر والموضع.
 ٢. التوحيد ١٥٥، ح ١.
 ٣. من المصدر.
 ٤. نفس المصدر والموضع. وأورد الشيخ الصدوق رضوان الله عليه بياناً مفضلاً ذيل الخبر. راجع التوحيد ١٥٥-١٥٧.
 ٥. نفس المصدر ١٥٧، ح ٢.
 ٦. م، ن: يهdy.
 ٧. المصدر: والفرائض والسنن.
 ٨. التوحيد ١٥٧-١٥٨، ح ٣.
 ٩. من المصدر. وانظر أيضاً جامع الرواة ١٩٠/١.
 ١٠. كذا في جامع الرواة ١٩٠/٢. وفي م: الذهلي.

قلت: «كمشكاة». قال: صدر محمد ﷺ^(١).

قلت: «فيها مصباح»؟ قال: فيه نور العلم، يعني النبوة.

قلت: «المصباح في زجاجة». قال: علم رسول الله ﷺ إلى قلب علي عليه السلام.

قلت: «كأنها». قال: لأي شيء تقرأ كأنها؟ قلت: فكيف، جعلت فداك؟ قال: «كأنه كوكب دري»^(٢).

قلت: «يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية». قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام^(٣) لا يهودي ولا نصراني.

قلت: «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار»؟ قال: يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمد، من قبل أن ينطق به.

قلت: «نور على نور». قال: الإمام في أثر الإمام.

وبإسناده^(٤) إلى عيسى بن راشد، عن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام في قوله ﷺ:

«كمشكاة فيها مصباح» قال: المشكاة نور العلم في صدر النبي ﷺ. «المصباح في زجاجة». الزجاجة صدر علي عليه السلام. صار علم النبي ﷺ إلى صدر علي عليه السلام. [علم النبي علياً عليه السلام]^(٥). «الزجاجة كأنها كوكب دري توقد من شجرة مباركة». قال: نور العلم^(٦).

«لا شرقية ولا غربية». قال: لا يهودية ولا نصرانية. «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار». قال: يكاد العالم من آل محمد [يتكلم بالعلم قبل أن يسأل]. «نور على نور» يعني إماماً مؤيداً بنور العلم والحكمة، في أثر إمام من آل محمد^(٧). وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة. فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله ﷻ خلفاءه في أرضه وحججه على

١. ليس في م.

٢. تذكير الضمير، باعتبار تأويل الزجاجة بقلب أمير المؤمنين عليه السلام. (من هامش المصدر).

٣. المصدر: ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٤. ليس في المصدر.

٥. نفس المصدر ١٥٨، ح ٤.

٦. ما بين المعقوفتين ليس في أ.

٧. ليس في المصدر.

خلقه. لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم.

وبإسناده إلى جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة» فالمشكاة صدر النبي صلى الله عليه وآله ^(١). «فيها مصباح». والمصباح هو العلم. «في زجاجة». والزجاجة أمير المؤمنين عليه السلام وعلّم نبي الله ^(٢) عنده.

وفي الكافي ^(٣): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن إسحاق بن جرير قال: سألتني امرأة [منّا] ^(٤) أن أدخلها على أبي عبدالله عليه السلام. فاستأذنت لها، فأذن لها. فدخلت ومعها مولاة لها. فقالت له: يا أبا عبدالله، قول الله تعالى: «زيتونة لا شرقية ولا غربية» ما عنى بهذا؟ فقال لها: أيتها المرأة، إنّ الله تعالى لم يضرب الأمثال للشجر ^(٥). إنّما ضرب الأمثال لبني آدم.

محمد بن يحيى ^(٦)، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن إسحاق بن جرير مثله. والحديثان طويلان، أخذت منهما موضع الحاجة.

وفي روضة الكافي ^(٧): علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن علي بن حمّاد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال في حديث طويل: ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي. وهو قول الله تعالى: «الله نور السماوات والأرض». يقول: أنا هادي السماوات والأرض. مثل العلم الذي أعطيته، وهو نوري الذي يهتدى به، مثل المشكاة فيها المصباح. والمشكاة، قلب محمد صلى الله عليه وآله النور الذي فيه العلم.

وقوله: «المصباح في زجاجة» يقول: إنّني أريد أن أقبضك، فأجعل الذي عندك عند الوصي، كما يُجعل المصباح في الزجاجة «كأنّها كوكب دري» فأعلمهم فضل الوصي.

١. المصدر: صدر نبي الله.

٢. المصدر: علم النبي.

٣. الكافي ٩١/٣، ح ٣.

٤. من المصدر.

٥. المصدر: للشجرة.

٦. نفس المصدر ٥٥١/٥، ح ٢.

٧. نفس المصدر ٣٨٠/٨ - ٣٨١، ح ٥٧٤.

«توقد من شجرة مباركة». فأصل الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام. [وهو قول الله ﷻ ^(١)]: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد» ^(٢) وهو قول الله ﷻ ^(٣): «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذَرِيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

«لا شرقية ولا غربية». يقول: لستم بيهود، فتصلوا قبل المغرب. ولا نصارى، فتصلوا قبل المشرق. وأنتم على ملة إبراهيم صلى الله عليه. وقد قال الله ﷻ ^(٤): «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين».

وقوله «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء». بقول: مثل أولادكم الذين يولدون منكم، مثل الزيت الذي يُعصر من الزيتون. وفي أمالي الصدوق رحمته الله ^(٥) بإسناده إلى الصادق عليه السلام حديث طويل، يقول فيه: أنا فرع من فروع ^(٦) الزيتون، وقنديل من قناديل بيت ^(٧) النبوة، وأديب السفرة، وربيب الكرام البررة، ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور، وصفو الكلمة الباقية في عقب المصطفين إلى يوم الحشر ^(٨).

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾: لهذا النور الثاقب.

﴿مَنْ يَسْأَلْ﴾: فإن الأسباب دون مشيئته لاغية؛ إذ بها تمامها.

١. هود / ٧٣.

٢. ليس في أ.

٣. آل عمران / ٣٣ - ٣٤.

٤. آل عمران / ٦٧.

٥. أمالي الصدوق ٤٩٠، ح ٩.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: فرع.

٧. ليس في م.

٨. في هامش نسخة «م»: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ رحمته الله، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ [عَنْ] عَلِيِّ عليه السلام قَالَ: الْمُؤْمِنُ مَنْ يَنْقَلِبُ (المصدر: يَنْقَلِبُ) فِي خَمْسَةٍ مِنَ النُّورِ؛ مَدْخُلُهُ نَوْرًا، وَمَخْرَجُهُ نَوْرًا، وَعَمَلُهُ نَوْرًا، وَكَلَامُهُ نَوْرًا إِلَى [فِي] الْمَصْدَرِ: «وَمَنْظَرُهُ» مَكَانٌ «إِلَى». يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى نَوْرٍ. مِنَ الْخِصَالِ (٢٧٧/١)، ح ٢٠.

وفي الحديث السابق المنقول عن الروضة^(١) - متصلاً بقوله: مثل الزيت الذي يُعصر من الزيتون - قوله: «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء» يكادون أن يتكلموا بالنبوة، ولو لم ينزل عليهم ملك.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾: إدناءً للمعقول من المحسوس، توضيحاً وبياناً.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢): معقولاً كان أو محسوساً، ظاهراً كان أو خفياً.

وفيه وعد ووعد لمن تدبرها، ولمن لم يكثر بها.

وفي أصول الكافي^(٣): علي بن محمد ومحمد بن الحسين^(٤)، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شُمون، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن عبد الله القاسم، عن صالح بن سهل الهمداني، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة» فاطمة عليها السلام. «فيها مصباح» الحسن. «المصباح في زجاجة» الحسين. «الزجاجة كأنها كوكب دري» فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا. «توقد من شجرة مباركة» إبراهيم عليه السلام. «زيتونة لا شرقية ولا غربية»: لا يهودية، ولا نصرانية. «يكاد زيتها يضيء» يكاد العلم ينفجر بها. «ولو لم تمسسه نار». «نور على نور» إمام منها بعد إمام. «يهدي الله لنوره من يشاء» يهدي الله للأئمة عليهم السلام من يشاء. «ويضرب الله الأمثال للناس». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة. واستسمع تتمته عند قوله تعالى: «أو كظلمات» إلى آخره^(٥) إن شاء الله تعالى.

وبإسناده^(٦) إلى يعقوب بن سالم، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، وفيه: إن الله تعالى بعث إلى أهل البيت عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله من يعزيهم. فسمعوا صوته، ولم يروا شخصه. فكان في تعزيته: جعلكم أهل بيت نبية. واستودعكم علمه. وأورثكم كتابه. وجعلكم تابوت علمه، وعصا عزه. وضرب لكم مثلاً من نوره.

١. الكافي ٣٨١/٨، ح ٥٧٤.

٢. الكافي ١٩٥/١، ح ٥.

٣. المصدر: الحسن.

٤. النور / ٤٠.

٥. نفس المصدر ٤٤٥-٤٤٦، ح ١٩.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنَا حميد بن زياد، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام في هذه الآية: «الله نور السماوات والأرض» قال: بدأ بنور نفسه. «مثل نوره» مثل هداه في قلب المؤمن. «كمشكاة فيها مصباح». والمشكاة جوف المؤمن. والقنديل قلبه. والمصباح، النور الذي جعله الله في قلبه. «توقد من شجرة مباركة». قال: الشجرة، المؤمن. «زيتونة لا شرقية ولا غربية». قال: على سواء الجبل. «لا غربية» أي لا شرق لها. و«لا شرقية» أي لا غرب لها. إذا طلعت الشمس، طلعت عليها. وإذا غربت^(٢)، غربت عليها. «يكاد زيتها يضيء» يكاد النور الذي جعله الله في قلبه يضيء، وإن لم يتكلم. «نور على نور» فريضة على فريضة، وسنة على سنة. «يهدي الله لنوره من يشاء» يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء. «ويضرب الله الأمثال للناس». فهذا مثل ضربه الله للمؤمن. ثم قال: فالمؤمن يتقلب في خمسة من النور: مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور.

قلت لجعفر ابن محمد عليه السلام: جعلت فداك، يا سيدي^(٣) إنهم يقولون: مثل نور الرب. قال: سبحان الله! ليس لله مثل. قال الله^(٤): «فلا تضربوا الله الأمثال». قال علي بن إبراهيم عليه السلام^(٥) في قول الله تعالى: «الله نور السماوات والأرض» إلى قوله تعالى: «والله بكل شيء عليم». فإنه حَدَّثَنِي أبي، عن عبدالله^(٦) بن جندب قال كتبت: إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن تفسير هذه الآية. فكتب إلي الجواب: أما بعد، فإنَّ محمدًا عليه السلام كان أمين الله في خلقه. فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله كنَّا أهل البيت ورثته. فنحن أمناء الله في أرضه. عندنا علم المنايا والبلايا، وأنساب العرب، ومولد

١. تفسير القمي، ١٠٣/٢.

٢. المصدر: غربت الشمس.

٣. من المصدر.

٤. النحل / ٧٤.

٥. تفسير القمي، ١٠٤/٢ - ١٠٥.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: حَدَّثَنِي أبو عبدالله.

الإسلام. وما من فئة تضلّ مائة به وتهدي مائة^(١) به، إلا ونحن نعرف سائقها وقائدها وناعقها. وإنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق. وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم. أخذ الله ﷻ علينا وعليهم الميثاق. يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا. ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة.

نحن الآخذون^(٢) بحجزة نبينا. ونبيّنا الآخذ^(٣) بحجزة ربّنا. والحجزة النور. وشيعتنا آخذون بحجرتنا. من فارقتنا هلك، ومن تبعنا نجا. والمفارق لنا والجاحد لولايتنا كافر. ومتّبعا وتابع أوليائنا مؤمن. لا يحبّنا كافر ولا يبغضنا مؤمن. فمن^(٤) مات وهو يحبّنا، كان حقّاً على الله أن يبعثه معنا.

نحن نور لمن تبعنا، وهدي لمن اهتدى بنا. ومن لم يكن منا، فليس من الإسلام في شيء. بنا فتح الله الدين، وبنا يختمه وبنا أطعمكم الله عشب الأرض. وبنا أنزل الله قطر السماء. وبنا آمنكم الله ﷻ من الغرق في بحركم، ومن الخسف في برّكم. وبنا نفعمكم^(٥) الله في حياتكم، وفي قبوركم، وفي محشركم، وعند الصراط، وعند الميزان، وعند دخولكم الجنان.

مثّلنا في كتاب الله ﷻ كمثّل مشكاة، والمشكاة في القنديل. فنحن المشكاة فيها مصباح.

المصباح محمّد رسول الله ﷺ. «المصباح في زجاجة» من عنصرة طاهرة. «الزجاجة كأنّها كوكب دريّ توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية» لا دعيّة ولا مُنكرة. «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار» القرآن. «نور على نور» إمام بعد إمام. «يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكلّ شيء عليم». فالنور على صلوات الله عليه. يهدي الله لولايتنا من أحبّ، وحقّ على الله أن يبعث وليّنا،

١. هكذا في المصدر. وفي نور الثقلين نقلاً عنه: مائة. وفي النسخ: بأية.

٢. المصدر: آخذون.

٣. المصدر: أخذ.

٥. س، أ: ينفعمكم.

٤. المصدر: ومن.

مشرقاً وجهه، منيراً برهانه، ظاهرة عند الله حجته. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال أبو علي الطبرسي: روي عن الرضا عليه السلام أنه قال: نحن المصباح في المشكاة^(٢). وهو محمد عليه السلام. «يهدي الله لنوره من يشاء» يهدي الله لولايتنا من أحب.

وفيه أيضاً^(٣): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا الحسين بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمان قال: حدّثنا أصحابنا أنّ أبا الحسن عليه السلام كتب إلى عبد الله بن جندب قال: قال لي علي بن الحسين عليه السلام: إنّ مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة، والمشكاة في قنديل. فنحن «المشكاة فيها مصباح». والمصباح محمد عليه السلام. «المصباح في زجاجة». نحن الزجاجة. «توقد من شجرة مباركة» علي. «زيتونة» معروفة. «لا شرقية ولا غربية» لا منكورة ولا دعية. «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور» القرآن «على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكلّ شيء عليم» بأن يهدي من أحب إلى ولايتنا.

﴿فِي بُيُوتٍ﴾: متعلّق بما قبله. أي كمشكاة كائنة في بعض بيوت، أو توقد في بعض بيوت هذه صفتها. فيكون تقييداً للممثل به بما يكون تحبيراً ومبالغة فيه. فإنّ قناديل المساجد تكون أعظم. أو تمثيلاً لصلاة المؤمنين - أو أبدانهم - بالمساجد. ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة؛ إذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة.

أو بما بعده، وهو «يسبح» وفيها تكرير مؤكّد، لا بـ «بذكر». لأنّه من صلة «أن» فلا يعمل فيما قبله.

أو بمحذوف، مثل: سبّحوا في بيوت.

٢. المصدر: نحن المشكاة فيها المصباح.

١. تأويل الآيات، ٣٥٧/١-٣٥٨، ج ١.

٣. نفس المصدر ٣٦٠، ج ٦.

قيل ^(١): المراد بها المساجد. ويعضده قول النبي ﷺ: المساجد بيوت الله في الأرض. وهي تضيء لأهل السماء، كما تضيء النجوم لأهل الأرض.

وقيل ^(٢): إنها أربع مساجد لم بينها الأنبياء: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، ومسجد بيت المقدس، بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة، ومسجد قباء، بناهما رسول الله ﷺ.

وقيل ^(٣): هي بيوت الأنبياء. وروي ذلك مرفوعاً أنه سئل النبي ﷺ: لمّا قرأ الآية: أي بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء. فأبوكّر، فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها بيت علي وفاطمة؟ قال: نعم، من أفاضلها.

ويعضد هذا القول، قوله ^(٤): «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»، وقوله ^(٥): «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت»، والأحاديث الآتية.

والتنكير في البيوت للتعظيم.

﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾: بالتعظيم ورفع القدر من الأرجاس، والتطهير من المعاصي والأدناس.

وقيل ^(٦): المراد برفعها، رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى.

والأولى الحمل على الأعمّ منهما، ومن الرفع بالبناء.

﴿وَيَذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾: عام فيما يتضمّن ذكره؛ حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه.

قيل ^(٧): يُتلى فيها كتابه.

وقيل ^(٨): يذكّر فيها أسماؤه الحسنی.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٩): حدّثنا محمد بن همام قال: حدّثنا جعفر بن محمد

٤. الأحزاب / ٣٣.

١-٣. مجمع البيان، ١٤٤/٤.

٦-٨. نفس المصدر والموضع.

٥. هود / ٧٣.

٩. تفسير القمي، ١٠٣/٢-١٠٤.

ابن مالك قال: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الرَّبِيعِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ مَنْخَلٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ ﷺ: «فِي بَيْوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمَهُ» قَالَ: هِيَ بَيْوتُ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَيْتُ عَلِيٍّ مِنْهَا.

وَفِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ لِابْنِ شَهْرَ أَشُوبٍ ^(١): أَبُو حَمْزَةَ الثَّمَالِيُّ فِي خَبَرٍ: لَمَّا كَانَتِ السَّنَةُ الَّتِي حَجَّ فِيهَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام وَلَقِيَهِ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، أَقْبَلَ النَّاسَ يَتَنَالَوْنَ ^(٢) عَلَيْهِ.

فَقَالَ عِكْرَمَةُ: مِنْ هَذَا؟ عَلَيْهِ سِيمَاءُ زَهْرَةِ الْعِلْمِ، لِأَجْرَبَتِهِ. فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ، وَأَسْقَطَ فِي يَدَيَّ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، وَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، لَقَدْ جَلَسْتَ مَجَالِسَ كَثِيرَةٍ بَيْنَ يَدَيَّ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ، فَمَا أَدْرَكْنِي مَا أَدْرَكْنِي أَنْفًا! فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: وَيْلَكَ يَا عَبِيدَ أَهْلِ الشَّامِ! إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيَّ «بَيْوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ».

وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ^(٣) فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ لِجَمِيعِ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام الْمَنْقُولَةِ عَنْ الْجَوَادِ عليه السلام ^(٤): خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَارًا، فَجَعَلَكُمْ بَعْرَشَهُ مُحَدِّقِينَ؛ حَتَّى مَنْ عَلَيْنَا بِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ «فِي بَيْوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ».

وَفِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ ^(٥)، فِي بَابِ اتِّصَالِ الْوَصِيَّةِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عليه السلام بِإِسْنَادِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عليه السلام حَدِيثَ طَوِيلٍ، وَفِيهِ يَقُولُ عليه السلام: إِنَّمَا الْحَجَّةُ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ، لِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ ^(٦): «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا». فَالْحَجَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلُ

١. المناقب، ١٨٢/٤.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٧٩/٢، ح ١.

٣. بل عن الإمام أبي الحسن علي بن محمد النقي الهادي عليه السلام.

٤. كمال الدين ٢١٨، ح ٢.

٥. النساء ٥٤.

٦. أي يجتمعون عليه من كل ناحية.

بيوتات الأنبياء حتى تقوم الساعة؛ لأن كتاب الله ينطق بذلك، ووصية الله^(١) جرت بذلك، في العقب من البيوت التي رفعها الله تبارك وتعالى على الناس. فقال: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه». وهي بيوتات الأنبياء والرسل والحكماء وأئمة الهدى.

وفي روضة الكافي^(٢): أبان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه»^(٣). قال: هي بيوت النبي ﷺ. وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس عليه السلام: قال محمد بن الحسن بن علي، عن أبيه قال: قال: حدثنا أبي، عن محمد بن عبد الحميد، عن محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله ﷻ: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه». قال: بيوت محمد رسول الله ﷺ ثم بيوت علي عليه السلام منها.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿٥﴾ ﴿رِجَالٌ﴾: ينزهونه، أو يصلون له فيها بالغدوات والعشايا.

والغدو مصدر أطلق للوقت. ولذلك حسن اقتراحه بالآصال، وهو جمع أصيل. وقرئ^(٥): «والإيصال»، وهو الدخول في الأصيل.

وقرأ ابن عامر وعاصم^(٦): «يُسَبِّحُ» بالفتح، على إسناده إلى إحدى الظروف الثلاثة ورفع «رجال» بما يدل عليه.

وقرئ^(٨) بالتاء مكسوراً^(٩)، لتأنيث الجمع. ومفتوحاً على إسناده إلى أوقات الغدو.

﴿لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً﴾: لا تشغلهم معاملة رابحة.

﴿وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾: مبالغة^(١٠) بالتعميم بعد التخصيص، إن أريد به مطلق

١. س، أم، ن: وصيته.
 ٢. الكافي ٣٣١/٨، ح ٥١٠.
 ٣. من نسخة ن.
 ٤. تأويل الآيات ٣٦٢/١، ح ٩.
 ٥. المصدر: أبو بكر.
 ٦. أنوار التنزيل، ١٢٩/٢.
 ٧. أي مكسور الباء التحتانية.
 ٨. أنوار التنزيل، ١٢٩/٢.
 ٩. أي مكسور الباء التحتانية.
 ١٠. من نسخة م.

المعاوضة، أو بإفراد ما هو الأهم من قسمي التجارة. فإنَّ الرِّيحَ يتحقَّق بالبيع، ويَتَوَقَّع بالشراء.

وقيل ^(١): المراد بالتجارة: الشراء؛ فإنَّه أصلها ومبدؤها.

وقيل ^(٢): الجلب، لأنَّه الغالب فيها. ومنه يقال: تجر فلان في كذا: إذا جلبه.

وقيل ^(٣): وفيه إيماء بأنَّهم تجار.

﴿وَأَقَامِ الصَّلَاةَ﴾: عَوَّضَ فِيهِ الْإِضَافَةُ مِنَ التَّاءِ الْمَعْوِضَةُ عَنِ الْعَيْنِ السَّاقِطَةِ بِالْإِعْلَالِ. كقوله:

وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا

﴿وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةَ﴾: مَا يَجِبُ إِخْرَاجُهُ مِنَ الْمَالِ لِلْمُسْتَحَقِّينَ.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: مَعَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ.

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ^(٤): تَضَطَّرَبُ وَتَتَغَيَّرُ مِنَ الْهَوْلِ. أَوْ: تَتَقَلَّبُ أَحْوَالُهَا، فَتَفْقَهُ الْقُلُوبُ مَا لَمْ تَكُنْ تَفْقَهُ، وَتَبْصُرُ الْأَبْصَارُ مَا لَمْ تَكُنْ تَبْصُرُ. أَوْ: تَتَقَلَّبُ «القلوب» مِنْ تَوَقُّعِ النِّجَاةِ وَخَوْفِ الْهَلَاكِ، وَ«الأبصار» مِنْ أَيْ نَاحِيَةٍ يُؤْخَذُ بِهِمْ وَيُوتَى كِتَابُهُمْ.

وفي أصول الكافي ^(٥): عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: وَصَلَ اللَّهُ طَاعَةَ وَلِيِّ أَمْرِهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَطَاعَةَ رَسُولِ طَاعَتِهِ ^(٦). فَمَنْ تَرَكَ طَاعَةَ وَلَاةِ الْأَمْرِ، لَمْ يَطِعِ اللَّهَ وَلَا رَسُولَهُ. وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِمَا أُنْزِلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تعالى ^(٧): «خَذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ».

وَالْتَمَسُوا الْبُيُوتَ الَّتِي «أَذَنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ». فَإِنَّهُ يَخْبِرُكُمْ ^(٨) أَنَّهُمْ «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا

١- ٤. نفس المصدر والموضع.

٤. الكافي ١/ ١٨٢، ح ٦.

٥. أنشأ عليه السلام إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» النِّسَاءُ / ٥٩.

٧. المصدر: أَخْبِرْكُمْ.

٦. الأعراف / ٣١.

تقلَّب فيه القلوب والأبصار». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن عقيل الخزاعي: أنَّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان إذا حضر الحرب، يوصي المسلمين بكلمات فيقول: تعاهدوا الصلاة. وحافظوا عليها. واستكثروا منها. وقد عرف حقَّها من طرقها^(٢). وأكرم بها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع، ولا قرّة عين من مال ولا ولد. يقول الله تعالى: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

محمد بن يحيى^(٣)، عن أحمد بن [محمد، عن علي بن الحكم، عن أسباط بن سالم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسألنا عن عمر بن] ^(٤) مسلم ما فعل. فقلت: صالح، ولكنّه ترك ^(٥) التجارة.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: عمل الشيطان - ثلاثاً -.. أما علم أنَّ رسول الله عليه السلام اشترى عيراً أتت من الشام، فاستفضل فيها ما قضى دينه، وقسم في قرابته؟! يقول الله عليه السلام: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» إلى آخر الآية. يقول القصّاص: إنَّ القوم لم يكونوا يتجرون! كذبوا، ولكنهم لم يكونوا يدعون الصلاة في مواقيتها^(٦). وهو أفضل ممَّن حضر الصلاة ولم يتجر.

عدّة من أصحابنا^(٧)، عن سهل بن زياد، عن الحسين بن بشّار، عن رجل رفعه في قول الله عليه السلام: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» قال: هم التجّار الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. إذا دخل مواقيت الصلاة، أدوا إلى الله حقّه فيها.

١. الكافي ٣٦٥-٣٧، ح ١.

٢. أي أتى بها ليلاً. من الطُّروق؛ بمعنى: الإتيان بالليل؛ أي واظب عليها في الليالي. وقيل: جعلها دأبه

وصنعه. قاله العلامة المجلسي عليه السلام. ٣. نفس المصدر، ٧٥، ح ٨.

٤. ما بين المعقوفتين ليس في أ. ٥. المصدر: قد ترك.

٦. ن والمصدر: ميقاتها. ٧. نفس المصدر ١٥٤، ح ٢١.

عَدَّة من أصحابنا^(١)، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام لقتادة من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامه البصري.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة! إن الله تعالى خلق خلقاً من خلقه، فجعلهم حجباً على خلقه. فهم أوتاده في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه. اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه.

قال: فسكت قتادة طويلاً. ثم قال: أصلحك الله؛ والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس^(٢)، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم، ما اضطرب قدامك!

فقال له أبو جعفر عليه السلام: أتدري أين أنت؟ بين يدي «بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة». فأنت ثم، ونحن أولئك.

فقال له قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك. والله ما هي بيوت حجارة ولا طين. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي نهج البلاغة^(٣): قال عليه السلام بعد أن ذكر الصلاة وحث عليها المؤمنين: الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرّة عين من ولد ولا مال. يقول الله سبحانه: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة».

وفيه أيضاً^(٤): من كلام له عليه السلام عند تلاوته «يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» وإن للذكر لأهلاً، أخذوه من الدنيا بدلاً. فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه. يقطعون به أيام الحياة^(٥). ويهتفون بالزواج عن

٢. كذا في المصدر، وفي النسخ: وقد أمهم ...

٤. نفس المصدر ٣٤٢-٣٤٣، الخطبة ٢٢٢.

١. نفس المصدر ٢٥٦/٦، ح ١.

٣. نهج البلاغة ٣١٧، الخطبة ١٩٩.

٥. أ: الحياة الدنيا.

محارم الله في أسمع الغافلين. ويأمرون بالقسط، ويأتمرون به. وينهون عن المنكر ويتناهون عنه. كأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة، وهم فيها، فشاهدوا ما وراء ذلك. فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه. وحَقَّت القيامة عليهم عداتها. فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا حتَّى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمعون.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(١): وروي عن روح بن عبد الرحيم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» قال: كانوا أصحاب تجارة. فإذا حضرت الصلاة، تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة، وهم أعظم أجراً ممَّن لا يتجر.

﴿لَيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾: متعلِّق بِـ«يَسْبَح» أو «لاتلهيهم» أو «يخافون».

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: أحسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة.

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: أشياء لم يعدهم على أعمالهم ولم تخطر ببالهم.

﴿وَاللَّهُ يَزُودُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢): تقرير للزيادة، وتنبيه على كمال القدرة

ونفاذ المشيئة وسعة الإحسان.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدَّثنا محمد بن همام، عن

محمد بن إسماعيل، عن عيسى بن داود قال: حدَّثنا الإمام موسى بن جعفر، عن

أبيه عليه السلام في قول الله ﷻ: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها

بالغدو والآصال» قال: بيوت آل محمد: علي، وفاطمة، والحسن والحسين، وحمزة،

وجعفر عليه السلام.

قلت: «بالغدو والآصال». قال: الصلاة في أوقاتها. قال: ثم وصفهم الله تعالى فقال:

«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً

تتقلب فيه القلوب والأبصار». قال: هم الرجال لم يخلط الله معهم غيرهم.

ثم قال: «ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله». قال: ما اختصهم به من المودة والطاعة المفروضة، وصير مأواهم الجنة. «والله يرزق من يشاء بغير حساب».

وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره^(١) ما رواه عن أبيه، عن عبدالله بن جندب قال:

كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن تفسير هذه الآية: «الله نور السماوات والأرض» إلى قوله: «والله بكل شيء عليم». فأجابني: نزلت هذه الآية فينا، والله ضرب لنا المثل^(٢).

وعندنا علم المنايا والبلايا، وأسباب الغيب^(٣)، ومولد الإسلام. وما من فئة تضل مائة^(٤) وتهدي مائة، إلا وعندنا علم قائدها وسائقها^(٥) وتابعها^(٦) إلى يوم القيامة.

[وقوله: «كمشكاة فيها مصباح» الكوة التي فيها السراج يضيء بها البيت. فكذلك مثل آل محمد في الناس. أضاء الله بهم الدنيا والدين. والدليل على أن هؤلاء هم آل محمد، وأن هذا المثل لهم، قوله تعالى: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» إلى قوله: «بغير حساب»]^(٧).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾: والذين كفروا، حالهم على ضد ذلك. فإن أعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله، يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب؛ وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة، فيظن أنه ماء يسرب - أي يجري - والشعاع يرتفع بين السماء والأرض، كالماء ضحوة النهار. والآن يرفع الشخص الذي فيه.

والبقية: بمعنى القاع، وهو: الأرض المستوية. وقيل^(٨): جمع كجار وجيرة.

١. تفسير القمي، ١٠٤/٢.

٢. جاء في المصدر، بدل العبارة الأخيرة: فكتب إلي الجواب: أما بعد؛ فإن محمداً كان أمين الله في خلقه.

فلما قبض النبي ﷺ كنا أهل البيت ورثته. فنحن أمناء الله في أرضه.

٣. المصدر: وأنساب العرب.

٤. المصدر: مائة به. وفي س وم: بأية.

٥. المصدر: ونحن نعرف سائقها وقائدها.

٦. المصدر: وناعقها.

٧. ما بين المعقوفتين، ليس في المصدر.

٨. أنوار التنزيل، ١٢٩/٢.

وقرى^(١): «بقيعات» كديمات في ديمة.

﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾: أي العطشان.

وتخصيصه لتشبيه الكافر به، في شدة الخيبة عند ميسس الحاجة.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾: جاء ما توهمه ماءً، أو موضعه.

﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾: مما ظنه.

﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾: عقابه أو زبانيته. أو: وجده محاسباً إياه.

﴿فَوْفَاهُ حِسَابُهُ﴾: استعراضاً أو مجازاة.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٢): لا يشغله حساب عن حساب.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا

جعفر عليه السلام عن هذه الآية؟ فقال: «والَّذِينَ كَفَرُوا» بنو أمية. «أعمالهم كسراب بقيعة

يحسبه الظمان ماءً». و «الظمان» نعثل^(٤). فينطلق بهم، فيقول: أوردكم الماء. «حتى إذا

جاء لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب».

وفي مجمع البيان^(٥): وسئل أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يحاسبهم في حالة واحدة؟

فقال: كما يرزقهم في حالة واحدة.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾: عطف على «كسراب». و «أو» للتخيير. فإن أعمالهم لكونها لاغية

لا منفعة لها، كالسراب. ولكونها خالية عن نور الحق، كالظلمات المتراكمة من لجج

البحر والأمواج والسحاب. أو للتنوع. فإن أعمالهم، إن كانت حسنة، فكالسراب؛ وإن

كانت قبيحة، فكالظلمات. أو للتقسيم باعتبار وقتين. فإنها كالظلمات في الدنيا،

والسراب في الآخرة.

﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾: عميق. منسوب إلى اللجّ، وهو معظم الماء.

﴿يَغْشَى الْبَحْرَ﴾: يغشى البحر.

١. أنوار التنزيل، ١٢٩/٢.

٢. تأويل الآيات ٣٦٤/١-٣٦٥، ح ١٢.

٤. مجمع البيان، ١٤٦/٤.

٣. يعني الثالث.

﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾: أي أمواج مترادفة متراكمة.

﴿مِنْ فَوْقِهِ﴾: من فوق الموج الثاني.

﴿سَحَابٌ﴾: غطى النجوم، وحجب أنوارها. والجملة صفة أخرى للبحر.

﴿ظُلُمَاتٌ﴾: أي هذه ظلمات.

﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: وقرأ ابن كثير^(١): «ظلمات» بالجر، على إبدالها من الأولى،

أو بإضافة السحاب إليها.

﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾: وهي أقرب ما يرى إليه.

﴿لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا﴾: لم يقرب أن يراها، فضلاً أن يراها. كقول ذي الرمة:

إذا غيّر النأي^(٢) المحبين لم يكد رسيس^(٣) الهوى من حب مية^(٤) يبرح

والضماير للواقع في البحر، وإن لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾: ومن لم يقدّر له الهداية، ولم يوفقه لأسبابها.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(٥): خلاف الموفق الذي له نور على نور.

وفي أصول الكافي^(٦): علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن

محمد بن الحسن بن شمعون، عن عبدالله بن عبدالرحمان الأصم، عن عبدالله بن

القاسم، عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبدالله عليه السلام في قوله ﷻ: «الله نور

السموات والأرض» - إلى قوله - قلت: «أو كظلمات»؟ قال: الأول وصاحبه. «يغشاها

موج» الثالث. «من فوقه موج ظلمات» الثاني. «بعضها فوق بعض» معاوية لعنه الله

وفتن بني أمية. «إذا أخرج يده» المؤمن في ظلمة فتنتهم، «لم يكد يراها ومن لم يجعل

الله له نوراً». إماماً من ولد فاطمة عليها السلام «فما له من نور» إمام يوم القيامة.

٢. أي التبعّد.

١. أنوار التنزيل، ١٣٠/٢.

٣. الرسيس: بدء الشيء، أو بقیته وأثره.

٤. مية: اسم امرأة ذكرها الشاعر، إمّا لحبه لها، أو ذكرها مجرداً عن ذلك.

٥. الكافي ١/١٩٥، ح ٥.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الصَّائِفِ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «أَوْ كَظُلُمَاتٍ» فُلَانٌ وَفُلَانٌ «فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ» يَعْنِي نَعْتَلُ «مَنْ فَوْقَهُ مَوْجٌ» طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ. «ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» مَعَاوِيَةُ وَيَزِيدُ وَفَتْنُ بَنِي أُمَيَّةَ. «إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ» فِي ظُلْمَةٍ فَتَنْتَهُمْ «لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا» يَعْنِي إِمَامًا مَنْ وَلَدَ فَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ» فَمَا لَهُ مِنْ إِمَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَمْشِي بِنُورِهِ. [يَعْنِي^(٢)] كَمَا فِي قَوْلِهِ^(٣) تَعَالَى: «يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ». قَالَ: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ، حَتَّى يَنْزِلُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَمْهُورٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ الْحَكِيمِ بْنِ حِمْرَانَ^(٥) قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ». قَالَ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ. «مَنْ فَوْقَهُ مَوْجٌ». قَالَ: أَصْحَابُ الْجَمَلِ وَصَفَيْنَ وَالنَّهْرَوَانَ. «مَنْ فَوْقَهُ سَحَابٌ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ». قَالَ: بَنُو أُمَيَّةَ. «إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ» يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ظُلُمَاتِهِمْ «لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا» أَيِ إِذَا نَطَقَ بِالْحُكْمَةِ بَيْنَهُمْ، لَا يَقْبَلُهَا^(٦) مِنْهُ أَحَدٌ، إِلَّا مَنْ أَقَرَّ بِوَلَايَتِهِ، ثُمَّ بِإِمَامَتِهِ. «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا» فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ «أَيِ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ إِمَامًا فِي الدُّنْيَا، فَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نُورٍ، إِمَامًا يَرْشُدُهُ وَيَتَّبِعُهُ إِلَى الْجَنَّةِ».

وفي أصول الكافي^(٧) مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ السَّيَّارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نَابَتَةَ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ:

١. تفسير القمي، ١٠٦/٢.

٢. من المصدر.

٣. الحديد / ١٢.

٤. تأويل الآيات ٣٦٥/١، ح ١٥.

٥. المصدر، ونسخة م ون: الحكم بن حمران. أ: الحكيم بن عمران.

٦. الكافي ٦٢٤/٢ - ٦٢٥، ح ٢١.

٧. م، أ، ن: لم يقبلها.

وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ وَأَكْرَمَ أَهْلَ بَيْتِهِ، مَا مِنْ شَيْءٍ يَطْلُبُونَهُ، مِنْ حَرَزٍ، أَوْ حَرَقٍ، أَوْ غَرَقٍ، أَوْ سَرَقٍ، أَوْ إِفْلَاتٍ دَابَّةٍ مِنْ صَاحِبِهَا، أَوْ ضَالَّةٍ، أَوْ أَبَقٍ^(١)، إِلَّا وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ. فَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ، فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ.

قال: فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن الأبَق. فقال: اقرأ: «أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج» إلى قوله: «فمن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور». فقرأ^(٢) الرجل، فرجع إليه الأبَق. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٣): وروي عن أبي جميلة، عن عبدالله بن أبي يعفور، عن أبي عبدالله ﷺ قال: اكتب للأبَق في ورقة أو في قرطاس: «بسم الله الرحمن الرحيم. يد فلان مغلوله إلى عنقه. إذا أخرجها لم يكدرها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. ثم لقها واجعلها بين عودين. ثم ألحقها في كوة بيت مظلم، في الموضع الذي كان يأوي فيه.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلم علماً يشبه المشاهدة في اليقين والثبوت بالوحي والاستدلال؛ لأن ما ذكر في الآية، لا يرى بالأبصار، وإنما يعلم بالأدلة.

والخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين.

﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ينزه ذاته عن كل نقص وآفة أهل السماوات والأرض.

و«مَنْ» لتغليب العقلاء، أو للملائكة والنقلان، بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال. ﴿وَالطَّيْرُ﴾: على الأول، تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر. ولذلك قيدها بقوله:

٢. المصدر: فقالها.

١. الأبَق: العبد الهارب.

٣. الفقيه ٨٨٣-٨٩، ح ٣٣١.

﴿صَافَاتٍ﴾: فَإِنْ إعطاء الأجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافّة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط، حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره.

﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾: أي قد علم الله دعاءه وتنزيهه، اختياراً أو طبعاً؛ لقوله:

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^(١): أو علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل إلى النفع، على وجه يخصه بحال من علم ذلك.

مع أنه لا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءً وتسبيحاً - كما ألهمها علوماً دقيقة في أسباب تعيשה - لا يكاد يهتدي إليه العقلاء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): حَدَّثَنِي أَبِي، عن بعض أصحابه يرفعه إلى الأصمغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إِنَّ اللَّهَ مُلَكَّأٌ فِي صُورَةِ الدِّيكِ الْأَبْلَجِ^(٣) الْأَشْهَبِ بَرَاتْنَهُ^(٤) فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وعرفه تحت العرش. له جناحان: جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب. فأما الجناح الَّذِي فِي الْمَشْرِقِ^(٥)، فَمِنْ ثَلْجٍ. وَأَمَّا الْجَنَاحُ الَّذِي فِي الْمَغْرِبِ^(٦)، فَمِنْ نَارٍ.

فكلما حضر وقت الصلاة، قام [الديك]^(٧) على براتنه، ورفع عرفه تحت^(٨) العرش. ثم أمال أحد جناحيه على الآخر، يصفق بهما، كما يصفق الديك^(٩) في منازلكم. فلا الَّذِي مِنَ الثَّلْجِ يَطْفِئُ النَّارَ، وَلَا الَّذِي مِنَ النَّارِ يَذِيبُ الثَّلْجَ. ثم ينادي بأعلى صوته: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ^(١٠) أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَنَّ وَصِيَّهُ خَيْرُ

١. تفسير القمي، ١٠٦/٢.

٢. المصدر: الأملح.

٣. براتن: جمع برثن، وهو من السباع والطيور بمنزلة الأصابع من الإنسان.

٤. المصدر: بالمشرق.

٥. المصدر: بالمغرب.

٦. من المصدر.

٧. المصدر: من تحت.

٨. المصدر: تصفّق الديكة.

٩. ليس في المصدر.

الوصيين. سُبُوح قَدُوس رَبِّ الملائكة والروح».

فلا يبقى في الأرض ديك إلا أجابه. وذلك قوله ﷺ: «والطير صفات كل قد علم صلاته وتسبيحه».

وبإسناده^(١) إلى إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام: ما من طير يصاد في بر ولا بحر^(٢)، ولا يصاد شيء من الوحش، إلا بتضييعه التسبيح.

وفي كتاب التوحيد^(٣)، بإسناده إلى الأصغر بن نباتة، قال: جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، والله، إن في كتاب الله ﷻ لآية قد أفسدت عليّ قلبي، وشككتني في ديني.

فقال له عليه السلام: ثكلتك أمك وعدمتك، وما تلك الآية؟ قال: قول الله ﷻ: «والطير صفات كل قد علم صلاته وتسبيحه».

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن الكواء، إن الله تبارك وتعالى خلق الملائكة في صور شتى. ألا إن الله تبارك وتعالى ملكاً في صورة ديك أبلغ أشهب، برائته في الأرض السابعة السفلى، وعرفه مثنى تحت العرش. وله جناحان: جناح في المشرق، وجناح في المغرب. واحد من نار، والآخر من ثلج. فإذا حضر وقت الصلاة، قام على برائته، ثم رفع عنقه من تحت العرش، ثم صفق بجناحيه، كما تصفّق الديوك في منازلكم. فلا الذي من النار يذيب الثلج، ولا الذي من الثلج يطفئ النار. فينادي: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً سيد النبيين، وأن وصيه سيد الوصيين، وأن الله سُبُوح قَدُوس رَبِّ الملائكة والروح».

قال: فصفّق^(٤) الديكة بأجنحتها في منازلكم. [فلا يبقى على وجه الأرض ديك إلا أجابه بنحو قوله. وهذا]^(٥) معنى قوله: «والطير صفات كل قد علم صلاته وتسبيحه»

٢. المصدر: في البر ولا في البحر.

١. نفس المصدر، ١٠٧.

٤. المصدر: فتصفّق. م. فتصفّق.

٣. التوحيد ٢٨٢، ح ١٠.

٥. في المصدر، بدل ما في المعقوفتين: فتجيبه عن قوله تعالى وهو.

من الديكة في الأرض.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(١): وقال أبو جعفر عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ ﷻ ملكاً على صورة ديك أبيض. رأسه تحت العرش، ورجلاه في تخوم الأرض السابعة. له جناح في المشرق، وجناح في المغرب. لا تصيح الديوك حتّى يصيح. فإذا صاح، خفق بجناحيه. ثم قال: «سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله العظيم الذي ليس كمثل شيء». قال: فيجيبه الله ﷻ فيقول: لا يحلف بي كاذباً، من يعرف ما تقول.

وروي^(٢) أن فيه نزلت: «والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه».

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فإنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والأفعال، من حيث إنها ممكنة واجبة الانتهاء إلى الواجب.

﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣): مرجع الجميع.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً﴾: يسوقه.

ومنه: البضاعة المزجاة؛ فإنها يزجها كل أحد.

﴿ثُمَّ يُولَفُ بَيْنَهُ﴾: بأن يكون قرعاً^(٤)، فيضمّ بعضه إلى بعض. وبهذا الاعتبار صحّ

«بينه»، إذ المعنى بين أجزائه.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّاماً﴾: متراكماً بعضه على بعض.

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾: المطر.

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: من فتوقه. جمع «خلل» كجبال في جبل.

وقرئ^(٥): من خلله.

وفي كتاب الإهليلجة^(٥): قال الصادق عليه السلام في كلام طويل، يذكر فيه الرياح: وبها

١. من لا يحضره الفقيه ٣٠٦/١، ح ١٣٩٨. ٢. نفس المصدر، ح ١٣٩٩.

٣. القَزْعُ: قطع السحاب المتفرقة في السماء. ٤. أنوار التنزيل، ١٣٠/٢.

٥. راجع: بحار الأنوار ١٩١/٣. فقد أورد العلامة المجلسي رحمته الله في هذا الجزء من البحار، خبر المفضل بن عمر المشتهر بالإهليلجة بتمامه.

يتألف المفترق، وبها يتفرق الغمام المطبق، حتّى ينسط في السماء كيف يشاء مدبره. «فيجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله»^(١) بقدر معلوم، لمعاش مفهوم وأرزاق مقسومة وأجال مكتوبة.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: من الغمام. وكلّ ما علاك، فهو سماء.

﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾: قيل^(٢): أي من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها.

﴿مِنْ بَرَدٍ﴾: بيان للجليل. والمفعول محذوف. أي ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد برداً. ويجوز أن تكون «من» الثانية أو الثالثة للتبويض، واقعة موقع المفعول.

وقيل^(٣): المراد بالسماء المظلمة. وفيها جبال من برد، كما في الأرض جبال من حجر. وليس في العقل قاطع يمنعه.

والتفسير الأول، بناء على ما هو المشهود من أنّ الأبخرة إذا تصاعدت ولم تحلّها حرارة، فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك، اجتمع وصار سحاباً. فإن لم يشتدّ البرد، تقاطر مطراً. وإن اشتدّ، فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها، نزل ثلجاً، وإلا نزل برداً. وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً، فينقبض وينعقد سحاباً، وينزل منه المطر أو الثلج.

ثم قال المتكلّمون منهم ومن يحذو حذوهم من الحكماء^(٤): وكلّ ذلك لا بدّ وأن يستند إلى إرادة الواجب الحكيم، لقيام الدليل على أنّها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالتها وأوقاتها. وإليه أشار بقوله^(٥):

﴿فَيَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ﴾: والضمير للبرد.

وفي كتاب التوحيد^(٦) حديث طويل عن النبي ﷺ يذكر فيه عظمة الله ﷻ. قال عليه

١. الروم / ٤٨.

٢. أنوار التنزيل، ١٣٠/٢.

٣. أنوار التنزيل، ١٣١/٢.

٤. ما بين المعقوفين ليس في المصدر.

٥. أنوار التنزيل، ١٣١/٢.

٦. التوحيد ٢٧٦-٢٧٧، ح ١.

بعد أن ذكر الأرضين السبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والهواء والثرى بمن فيه ومن عليه عند السماء كحلقة في فلاة قِي^(١): وهذا والسماء الدنيا ومن فيها ومن عليها عند التي فوقها، كحلقة في فلاة قِي. وهذا وهاتان السماء عند الثالثة، كحلقة في فلاة قِي. وهذه الثلاث ومن فيهنّ ومن عليهنّ عند الرابعة، كحلقة في فلاة قِي. حتّى انتهى إلى السابعة. وهذه السبع ومن فيهنّ ومن عليهنّ، عند البحر المكفوف عن أهل الأرض، كحلقة في فلاة قِي. والسبع والبحر المكفوف^(٢) عند جبال البرد، كحلقة في فلاة قِي. ثم تلا هذه الآية: «وينزل من السماء من جبال فيها من برد».

وفي روضة الكافي^(٣): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن صفوان، عن خلف بن حمّاد، عن الحسين بن زيد الهاشمي، عن أبي عبد الله عليه السلام عن النبي ﷺ مثله.

وفيه أيضاً^(٤): علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: حدّثني أبو عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبي عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله ﷻ جعل السحاب غرابيل للمطر. هي تذيب البرد، حتّى يصير ماءً لكي لا يضرّ به شيئاً يصيبه. والذي ترون فيه من البرد والصواعق، نعمة من الله ﷻ يصيب بها من يشاء من عباده. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي الكافي^(٥): محمّد بن يحيى، عن عمران بن موسى، عن علي بن أسباط، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: البرد لا يؤكل؛ لأنّ الله ﷻ يقول: «يصيب به من يشاء». ﴿يَكَادُ سَنًا بَرْقُهُ﴾: ضوء برقه.

وقرئ^(٦) بالمدّ بمعنى العلوّ، وبإدغام الدال في السين. و«بَرْقُهُ» بضمّ الباء وبفتح

١. القِي: القفر من الأرض.

٢. م: وهذه السبع والديك والصخرة والحوت والبحر المظلم والثرى السبع والبحر المكفوف.

٣. الكافي ١٥٣/٨ - ١٥٥، ح ١٤٣.

٤. نفس المصدر ٢٤٠، ح ٣٢٦.

٥. الكافي ٣٨٨/٦، ح ٣.

٦. أنوار التنزيل، ١٣١/٢.

الراء. وهو جمع برقه - وهي المقدار من البرق - كالغرفة. وبضمها للإتباع.
﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ (١٥): بأبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة: وذلك أقوى دليل
على كمال القدرة؛ من حيث إنه توليد الضد من الضد.

وقرئ^(١): «يذهب» على زيادة الباء.

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾: بالمعاقبة بينهما، أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر، أو
بتغيير أحوالهما بالحرّ والبرد والنور والظلمة، أو بما يعم ذلك.
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما تقدّم ذكره.

﴿لَعِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٦): لدلالته على وجود الصانع القديم، وكمال قدرته
واحاطة علمه ونفاذ مشيئته، وتنزّهه على الحاجة، وما يفضي إليها لمن يرجع إلى
بصيرة.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾: حيوان يدب على الأرض.

وقرأ حمزة والكسائي^(٢): «خالق كل دابة» بالإضافة.

﴿مِنْ مَاءٍ﴾: هو جزء مادّته. أو: ماء مخصوص، وهو النطفة.

قيل^(٣): فيكون تنزيلاً للغالب منزلة الكلّ، إذ من الحيوانات ما يتولد لا من النطفة.

وقيل^(٤): «من ماء» متعلّق بـ«دابة»، وليس صلة بـ«خلق»^(٥).

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾: كالحية.

١-٤. أنوار التنزيل ١٣١/٢.

٥. في هامش نسخة «م»: لا ريب في أن كونه من ماء صنعه دابة وجه وجيه حلّ في المذاق لا غبار عليه. وفيه
تخلّص من التخصيص بمنفصل، لكنّ الذي يسبق إلى الذهن أوّل وهلة كونه متعلّقاً بخلق وإثما يستحسن
الذوق تعلّقه بمحذوف بعد التنبيه عليه وهذا من جملة ما يمثل به للظواهر إذا أريد تفسير معنى الظاهر
فيستل إلى الظاهر تعلّقها بالفعل المذكور أو المحذوف، وقد كتبنا في هذه السورة على قوله تعالى «ولولا إذ
سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً» (النور/ ١٢) ومن التراكيب ما يحتمل أمرين كلّ منهما
يسبق إلى الذهن ولكنّ السامع قد لا يتعظّن إلا أحدهما مثل أناديك يا موجود في كلّ مكان لعلّك تسمع
دعائي. «في كلّ مكان» يصحّ تعلّقه بموجود وأناديك وكلّ منهما صحيح، والإنصاف أن الأوّل أظهر لأنّ يا
موجود وحدها ليس لها موقع إلا بتدقيق النظر.

وَأِنَّمَا سَمِيَ الزَّحْفَ مَشْيًا، عَلَى الاستعارة أو المشاكلة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾: كالإنس والطير.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾: كالنعم والوحش.

ويندرج فيه ما له أكثر من أربع؛ كالعناكب. [فان اعتمادها إذا مشت على أربع]
وتذكير الضمير لتغليب العقلاء. والتعبير بـ«من» عن الأصناف ليوافق التفصيل الجملة.
والترتيب لتقديم ما هو أعرف في القدرة.

﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: مِمَّا ذُكِرَ وَمِمَّا لَمْ يُذْكَرْ، بسيطاً ومركباً، على اختلاف الصور
والأعضاء والهيئات والحركات والطباع والقوى والأفعال، مع اتحاد العنصر بمقتضى
مشيئته.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١): فيفعل ما يشاء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وقوله ﷻ «والله خلق كل دابة من ماء»؛ أي من مني.
«فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع
يخلق الله ما يشاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». قال: يمشي على رجلين الناس، وعلى
بطنه الحيات، وعلى أربع البهائم. وقال أبو عبد الله عليه السلام: ومنهم من يمشي على أكثر من
ذلك.

وفي مجمع البيان^(٢): قال البلخي: إِنَّ الْفَلَّاسَةَ تَقُولُ^(٣): كُلُّ مَا لَهُ قَوَائِمُ كَثِيرَةٌ، فَإِنْ
اعتماده إذا سعى على أربعة قوائم فقط. وقال أبو جعفر عليه السلام: ومنهم من يمشي على أكثر
من ذلك.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾: للحقائق بأنواع الدلائل.

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: بالتوفيق للنظر فيها، والتدبر لمعانيها.

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤): هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بالجنة.

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ﴾ : قيل ^(١) : نزلت في بشر المنافق . خاصم يهودياً ، فدعاه إلى كعب بن الأشرف ، وهو يدعو إلى النبي ﷺ .

وقيل ^(٢) : في مغيرة بن وائل . خاصم علياً عليه السلام في أرض ، فأبى أن يحاكمه إلى الرسول ﷺ .

﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ : أي وأطعنا لهما .

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّى ﴾ : بالامتناع عن قبول حكمه .

﴿ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ : بعد قولهم هذا .

﴿ وَمَا أَوْلَتْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) : إشارة إلى القائلين بأسرهم . فيكون إعلاماً من الله بأن جميعهم - وإن آمنوا بلسانهم - لم تؤمن قلوبهم ^(٤) . أو إلى الفريق منهم . وسلب الإيمان عنهم لتوليهم . والتعريف فيه للدلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم ، وهم المخلصون في الإيمان والثابتون عليه .

﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ : أي ليحكم النبي ﷺ . فإنه الحاكم ظاهراً والمدعو إليه . وذكر الله تعالى لتعظيمه ، والدلالة على أن حكمه في الحقيقة حكم الله .

﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ^(٥) : فاجأ فريق منهم الإعراض ، إذا كان الحكم ^(٦) عليهم ، لعلمهم بأنك لا تحكم لهم . وهو شرح للتولي ومبالغة فيه .

﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ : أي الحكم ، لا عليهم .

﴿ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ ^(٧) : متقادين ، لعلمهم بأنه يحكم لهم .

و«إليه» صلة لـ «يأتوا» أو لـ «مذعنين» . وتقديمه للاختصاص .

﴿ أَفَبِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ : كفر ، أو ميل إلى الظلم .

﴿ أَمْ أَرْثَابُوا ﴾ : بأن رأوا منك تهمة ، فزال ثقتهم وبقينهم بك .

﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴾ : في الحكومة .

١ . أنوار التنزيل ، ١٣١/٢ .

٢ . نفس المصدر والموضع .

٣ . ن : لم يؤمنوا بقلوبهم .

٤ . س ، أ ، م ، ن : الحق .

﴿بَلْ أَوْلِيكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٥): إضراب عن القسمين الأخيرين، لتحقيق القسم الأول. ووجه التقسيم أن امتناعهم إما لخلل فيهم، أو في الحاكم. والثاني إما أن يكون محققاً عندهم، أو متوقفاً، وكلاهما باطل. لأن منصب نبوته وفطر أمانته تمنعهم. فتعين الأول. وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف. والفصل لنفي ذلك من غيرهم، سيما المدعو إلى حكمه.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٦): على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل، للتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره لما لا ينبغي.

وقرئ^(١): «قول» بالرفع. «وليحكم» على البناء للمفعول. وإسناده إلى ضمير مصدره، على معنى ليفعل الحكم.

وفي مجمع البيان^(٢): وحكى البلخي أنه كانت بين علي عليه السلام وعثمان منازعة في أرض اشتراها من علي عليه السلام فخرجت فيها أحجار. فأراد ردها بالعيب. فلم يأخذها، فقال: بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الحكم بن أبي العاص: إن حاكمته إلى ابن عمه، حكم^(٣) له، فلا تحاكمه إليه. فنزلت الآيات. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام أو قريب منه.

وروي عن علي عليه السلام^(٤) أنه قرأ «قول المؤمنين» بالرفع. «وأولئك هم المفلحون» أي الفائزون بالثواب، الظافرون بالمراد.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام^(٥) أن المعني بالآية أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: فيما يأمرانه، أو في الفرائض والسنن.

﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾: على ما صدر عنه من الذنوب.

١. أنوار التنزيل، ١٣٢/٢.

٢. مجمع البيان، ١٥٠/٤.

٣. المصدر: يحكم.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر والموضع.

﴿وَيَتَّقِهِ﴾: فيما بقي من عمره.

وقرأ يعقوب وقالون^(١) عن نافع، بلا ياء. وأبو عمرو وأبو بكر بسكون الهاء. وحفص بسكون القاف، فشَبَّهَ تَقَهُ بكَتَفٍ وَخُفَّفَ. [والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق]^(٢).

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٣): بالنعيم المقيم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَمَّدِيِّ^(٥)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، أُعْطِيَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام وَعُثْمَانَ أَرْضًا؛ أَعْلَاهَا لِعُثْمَانَ، وَأَسْفَلُهَا لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَام. فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام لِعُثْمَانَ: إِنَّ أَرْضِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِأَرْضِكَ، فَاشْتَرِ مِنِّي أَوْ بَعْنِي. فَقَالَ لَهُ: أَنَا أَبِيعُكَ.

فاشترى منه عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَام. فقال له أصحابه: أَيُّ شَيْءٍ صَنَعْتَ؟ بَعْتَ أَرْضَكَ مِنْ عَلِيٍّ؟! وَأَنْتَ لَوْ أَمْسَكَتَ عَنْهُ الْمَاءَ، مَا أَنْبَتَتْ أَرْضُهُ شَيْئًا، حَتَّى يَبِيعَكَ بِحُكْمِكَ.

قال: فَجَاءَ عُثْمَانُ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام وَقَالَ لَهُ: لَا أَجِيزُ الْبَيْعَ. فَقَالَ لَهُ: بَعْتَ وَرَضِيتَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لَكَ. قَالَ: فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ رَجُلًا. قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ عُثْمَانُ: هُوَ ابْنُ عَمِّكَ؛ وَلَكِنْ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرَهُ. فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام: لَا أَحَاكِمُكَ إِلَى غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِيُّ شَاهِدٌ عَلَيْنَا. فَأَبَى ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ: «هُمْ الْمَفْلُحُونَ».

وقال أيضاً^(٥): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمِيدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

١. أنوار التنزيل، ١٣٢/٢.

٢. من المصدر.

٣. تأويل الآيات، ٣٦٧/١، ح ١٨.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: جعفر بن عبدالمهدي.

٥. نفس المصدر ٣٦٧-٣٦٨، ح ١٩.

المحمدي، عن كثير بن عيش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين» إلى قوله: «وهم معرضون». قال: إنها نزلت في رجل اشترى من علي بن أبي طالب عليه السلام أرضاً. ثم ندم، وندمه أصحابه. فقال لعلي عليه السلام: لا حاجة لي فيها. فقال له: قد اشتريت ورضيت! فانطلق أخاصمك إلى رسول الله ﷺ. فقال له أصحابه: لا تخاصمه إلى رسول الله ﷺ.

فقال: انطلق [أخاصمك] ^(١) إلى أبي بكر وعمر. أيهما شئت كان بيني وبينك. قال علي عليه السلام: لا والله! ولكن إلى رسول الله ﷺ بيني وبينك. فلا أرضى بغيره. فأنزل الله هذه الآيات: «ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا» إلى قوله: «وأولئك هم المفلحون».

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): قوله ﷻ: «ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا» إلى قوله: ^(٣) «وما أولئك بالمؤمنين» فإنه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان ^(٤). وذلك أنه كان بينهما منازعة في حديقة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: نرضى ^(٥) برسول الله ﷺ. فقال عبد الرحمان بن عوف لعثمان: لا تحاكمه إلى رسول الله ﷺ فإنه يحكم له عليك، ولكن حاكمه إلى ابن شبة اليهودي.

فقال عثمان لأمر المؤمنين عليه السلام: لا أرضى إلا بابن شبة اليهودي! فقال ابن شبة لعثمان: تأتمنون محمداً رسول الله ﷺ على وحي السماء، وتتهمونه في الأحكام؟! فأنزل الله ﷻ على رسوله: «وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم» إلى قوله: «أولئك هم الظالمون». ثم ذكر أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: «إنما كان قول

٢. تفسير القمي، ١٠٧/٢.

٤. المصدر: والثالث.

١. من المصدر.

٣. ليس في أ.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ترضى.

المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم» إلى قوله تعالى: «وأولئك هم الفائزون».

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: إنكار للامتناع عن حكمه.

﴿لَيْنِ أَمْرَتَهُمْ﴾: بالخروج عن ديارهم وأموالهم.

﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾: جواب لـ «أقسموا» على الحكاية.

﴿قُلْ لَا تَقْسِمُوا﴾: على الكذب.

﴿طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾: أي المطلوب منكم طاعة معروفة، لا اليمين للطاعة النفاقية

المنكرة. أو: طاعة معروفة أمثل منها. أو: لتكن طاعة.

وقرئت^(١) بالنصب، على أطيعوا طاعة.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٢) بإسناده إلى عبدالله بن عجلان، قال: ذكرنا

خروج القائم عند أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: وكيف لنا أن نعلم ذلك؟ فقال: يصبح

أحدكم وتحت رأسه صحيفة عليها مكتوب: «طاعة معروفة».

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣): فلا يخفى عليه سرائركم.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية، مبالغة

في تبييتهم.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾: على محمد ﷺ.

﴿مَا حُمِّلَ﴾: من التبليغ.

﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾: من الامتثال.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وقوله ﷺ: «قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن

تولّوا فإنما عليه ما حُمِّلَ». قال: ما حُمِّلَ النبي ﷺ من النبوة. «وعليكم ما حُمِّلْتُمْ» من

الطاعة.

وفي أصول الكافي^(١): بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام خطبة طويلة في وصف النبي صلى الله عليه وآله وفيها: وأدّى ما حُمِّل من أثقال النبوة.

أبو علي الأشعري^(٢)، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن أبي نجران، عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معاشر قراء القرآن، اتقوا الله تعالى في ما حُمِّلكم من كتابه. فإني مسؤول وإنكم مسؤولون. إني مسؤول عن تبليغ الرسالة، وأما أنتم فتسألون عما حُمِّلتم من كتاب الله وستي.

﴿وَأَنْ تُطِيعُوهُ﴾: في حكمه.

﴿تَهْتَدُوا﴾: إلى الحق.

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: التبليغ الموضح لما كُلِّفتم به، وقد أدّى، وإنما بقي ما حُمِّلتم. فإن أدبتم فلکم، وإن توليتم فعليكم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا محمد بن همام، عن محمد بن إسماعيل، عن عيسى بن داود النجار، عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالصَّبْرِ. وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ مِنَ الْعَهْدِ الَّتِي أَخَذَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي عِلِّيٍّ وَمَا بَيَّنَّ لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ مِنْ فَرْضِ طَاعَتِهِ. فَقُولْهُ تَعَالَى: «وَأَنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» أَيِ وَإِنْ تُطِيعُوا عَلِيًّا تَهْتَدُوا. «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ». هكذا نزلت.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: خطاب للرسول والأمة، أو له ولمن معه. و«من» للبيان.

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: ليجعلنهم خلفاء، متصرفين في الأرض تصرف

٢. نفس المصدر ٦٠٦/٢، ح ٩.

١. الكافي ٤٤٥/١، ح ١٧.

٣. تأويل الآيات ٣٧٨/١، ح ٢٠.

الملوك في ممالكهم.

وهو جواب قسم مضمّر، تقديره: «وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم». أو الوعد في تحقّقه مُنزل منزلة القسم.

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: يعني بني إسرائيل؛ استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابة.

وفي أصول الكافي^(١): الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الوشاء، عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم». قال: هم الأئمة.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٢) بإسناده إلى سدير الصيرفي، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: «وأما إبطاء نوح عليه السلام فإنه لما استنزل^(٣) العقوبة على قومه من السماء، بعث الله تبارك وتعالى جبرئيل^(٤) الروح الأمين معه سبع نويات. فقال: يا نبي الله، إنّ الله تبارك وتعالى يقول لك: إنّ هؤلاء خلانقي وعبادي، لست أبيدهم بصاعقة من صواعقي، إلّا بعد تأكيد الدعوة والزام الحجّة. فعاود اجتهدك في الدعوة لقومك. فأبى مثيبك عليه. واغرس هذا النوى، فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها - إذا أثمرت - الفرج والخلاص. فبشّر بذلك من أتبعك من المؤمنين. فلما نبتت الأشجار، وتأزّرت^(٥) وتسوّقت وتغصّنت وأثمرت، وزها الثمر^(٦) عليها

١. الكافي ١/١٩٣-١٩٤، ح ٣.

٢. كمال الدين ٣٥٥-٣٥٧، ح ٥٠.

٣. المصدر: استنزلت.

٤. ليس في المصدر.

٥. المؤازرة: أن يقوّي الزرع بعضه بعضاً فيلتفّ. وتسوّقت: أي قوي ساقها. وتغصّنت: أي كثرت وقويت أغصانها. وزهو الثمرة: احمرارها واصفرارها.

٦. المصدر: الثمر.

بعد زمان طويل، استنجز من الله ﷻ العدة. فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس نوى تلك الأشجار، ويعاود الصبر والاجتهاد، ويؤكد الحجة على قومه.

فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به. فارتد منهم ثلاثمائة رجل، وقالوا: لو كان ما يدعيه نوح حقاً، لما وقع في وعد ربه خلف!

ثم إن الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كل مرة، بأن يغرسها مرة بعد أخرى إلى أن غرسها سبع مرات. فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتد منه طائفة بعد طائفة إلى أن عاد إلى نيف وسبعين رجلاً. فأوحى الله تبارك وتعالى عند ذلك إليه، وقال: يا نوح، الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك، حين صرح الحق عن محضه وصفا للأمر والإيمان من [١] الكدر، بارتداد كل من كانت طينته خبيثة. فلو أنني أهلك الكفار، وأبقيت من قد ارتد من الطوائف التي كانت آمنت بك، لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين - الذين أخلصوا التوحيد من قومك واعتصموا بحبل نبوتك - بأن أستخلفهم في الأرض، وأمكن لهم دينهم، وأبدل خوفهم بالأمن، لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشرك [٢] من قلوبهم.

وكيف يكون الاستخلاف والتمكين، وبدل الخوف بالأمن [٣] مني لهم، مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا، وخبت طينتهم وسوء سرائرهم التي كانت نتائج النفاق وسنوح [٤] الضلالة؟! فلو أنهم تسنموا مني الملك الذي أرى [٥] المؤمنين وقت الاستخلاف، إذا أهلك أعداءهم، [لنشقوا] [٦] روائح صفائه، ولاستحكمت سرائر نفاقهم، واثارت خبال [٧] ضلالة قلوبهم، ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة، وحاربوهم على

١. من المصدر.

٢. المصدر: الشك.

٣. كذا في المصدر. وفي جميع النسخ: وبدل الأمن.

٤. أي الظهور.

٥. المصدر: أوتي.

٦. من المصدر.

٧. أي الجنون والفساد. نقلناه من نور الثقلين ٦١٨/٣، ح ٢١٩ عن المصدر. وفي المصدر حبال. وفي النسخ: حبال.

طلب الرئاسة والتفرّد بالأمر والنهي .

وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر في المؤمنين، مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب؟! كلاً! فاصنع الفلك بأعيننا ووحينا .

قال الصادق عليه السلام: وكذلك القائم . فإنه تمتدّ أيام غيبته، ليصرح الحقّ عن محضه، ويصفو الإيمان من الكدر، بارتداد كلّ من كانت طبيئته خبيثة، من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق، إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم صلوات الله عليه .

قال المفضّل: فقلت: يا ابن رسول الله، فإنّ هذه النواصب تزعم أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ عليه السلام .

فقال: لا يهدي الله قلوب الناصبة! متى كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله، متمكناً بانتشار الأمن في الأمة وذهاب الخوف من قلوبها وارتفاع الشكّ من صدورها، في عهد واحد من هؤلاء، وفي عهد عليّ، مع ارتداد المسلمين والفتن التي تشور في أيامهم، والحروب التي كانت تنشب بين الكفّار وبينهم .

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول - بعد ذكر معائب الثلاثة وإمهال الله إياهم -: كلّ ذلك لتتمّ النظرة التي أوجهاها الله تبارك وتعالى لعدوّه إبليس إلى أن يبلغ الكتاب أجله، ويحقّق القول على الكافرين، ويقترب الوعد الحقّ الذي بيّنه الله^(٢) في كتابه، بقوله: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم» .

وذلك إذا لم يبق من الإسلام إلّا اسمه، ومن القرآن إلّا رسمه، وغاب صاحب الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك، لاشتغال الفتنة على القلوب، حتّى يكون أقرب الناس إليه أشدّهم عداوة له . وعند ذلك يؤيّد الله بجنود لم تروها، ويظهر دين نبيّه ﷺ على

يديه، على الدين كله ولو كره المشركون.

﴿وَلْيَمَكِّنْ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾: - وهو الإسلام - بالتقوية والتثبيت.

﴿وَلْيَبْذُلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾: من الأعداء.

﴿أَمْنًا﴾: منهم.

قيل^(١): وكان رسول الله ﷺ وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين. ثم هاجروا إلى المدينة، وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه. حتى أنجز الله وعده. فأظهرهم على العرب كلهم، وفتح لهم بلاد الشرق والمغرب.

وفي مجمع البيان^(٢): «ولْيَبْذُلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا». قيل: معناه: ولْيَبْذُلْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ فِي الدُّنْيَا، أَمْنًا فِي الْآخِرَةِ. ويعضده ما روي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ - حَاكِيًا عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: إِنِّي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدٍ وَاحِدٍ بَيْنَ خَوْفَيْنِ وَلَا بَيْنَ أَمْنَيْنِ. إِنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا، أَمَنَتَهُ فِي الْآخِرَةِ. وَإِنْ أَمَنَنِي فِي الدُّنْيَا، أَخَفْتَهُ^(٣) فِي الْآخِرَةِ.

واختُلف^(٤) في الآية. والمروني عن أهل البيت عليه السلام أَنَّهَا فِي الْمَهْدِيِّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ. وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام أَنَّهُ قَرَأَ الْآيَةَ، وَقَالَ: هُمْ - وَاللَّهُ - شِيعَتُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، يَفْعَلُ اللَّهُ ذَلِكَ لَهُمْ عَلَى يَدَيِ رَجُلٍ مِنَّا. وَهُوَ مَهْدِي هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَهُوَ الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَلِيَّ رَجُلٌ مِنْ عَتَرَتِي، اسْمُهُ اسْمِي، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا^(٥)، كَمَا كُنْتُ ظَلَمًا وَجَوْرًا.

وروي^(٦) مثل ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام. فعلى هذا يكون المراد من «الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، النبي وأهل بيته صلوات الله^(٧) عليهم.

وفي جوامع الجامع^(٨): قال عليه السلام: زويت^(٩) لي الأرض، فأريت مشارقها ومغاربها.

١. أنوار التنزيل، ١٣٣/٢.

٢. مجمع البيان، ١٥٢/٤.

٣. المصدر: خوفته.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. المصدر: عدلاً وقسطاً.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. المصدر: الرحمن.

٨. جوامع الجامع، ٣١٨.

وسيلف ملك أمتي ما زوي لي منها.

وروى المقداد^(١١) عنه عليه السلام أنه قال: لا يبقى على الأرض^(١٢) بيت مدر ولا وير، إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل. إما أن يعزهم الله، فيجعلهم من أهلها. وإما أن يذلهم، فيدينون لها.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١٣): قال محمد بن يعقوب عليه السلام^(١٤): روى الحسين بن [محمد، عن] ^(١٥) معلى بن محمد، عن الوشاء، عن عبدالله بن سنان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: «وعد الله الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ». قال: نزلت في علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليه السلام. «وليمكنهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون». قال: عني به ظهور القائم عليه السلام.

﴿يَعْبُدُونِي﴾: حال من «الَّذِينَ» لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد. أو استئناف بيان المقتضى للاستخلاف والأمن.

﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾: حال من الواو. أي يعبدونني غير مشركين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٥): وقوله: «وعد الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» نزلت في القائم من آل محمد عليه وعلى آباءه السلام.

وفي مصباح شيخ الطائفة رحمته الله^(١٦) زيارة للحسين عليه السلام مروية عن أبي عبدالله عليه السلام وفيها:

٩. زوى الشيء: جمعه.

١٠. نفس المصدر والموضع.

١١. المصدر: وجه الأرض.

١٢. تأويل الآيات ٣٦٨-٣٦٩، ح ٢١.

١٣. المصدر: «محمد بن العباس». وذكر في هامشه أن صدر الحديث موجود في الكافي ١٩٣/١، ح ٣، ولم

يوجد الحديث بتمامه في الكافي.

١٤. ليس في أ.

١٥. مصباح المتجهد، ٧٢٧.

١٦. تفسير القمي، ١/١٤.

اللهم وضاعف صلواتك ورحمتك وبركاتك على عترة نبيك الضائعة الخائفة المستذلة، بقية الشجرة الطيبة الزاكية المباركة. واعل اللهم كلمتهم. وأفلح حجتهم^(١). واكشف البلاء والأواء^(٢) وحنادس^(٣) الأباطيل والغم عنهم. وثبت قلوب شيعتهم وحزبك على طاعتهم ونصرتهم وموالاتهم. وأعنهم، وامنهم الصبر على الأذى فيك.

واجعل لهم أياماً مشهودة وأوقاتاً محمودة مسعودة، توشك منها فرجهم، وتوجب فيها تمكينهم ونصرتهم كما ضمنت لأولائك في كتابك المنزل. فإنك قلت، وقولك الحق: «وعد الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُم الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا».

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: ومن ارتد، أو كفر هذه النعمة.

﴿يَعْدُ ذَلِكَ﴾: بعد الوعد، أو حصول الخلافة.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤): الكاملون في فسقهم؛ حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات، أو كفروا تلك النعمة العظيمة.

وفي أصول الكافي^(٥) بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: ولقد قال الله ﷻ في كتابه لولاية الأمر من بعد محمد ﷺ خاصة: «وعد الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» إلى قوله «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ». يقول: أستخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيكم، كما استخلفت^(٦) وصاة آدم من بعده، حتى يُبعث النبي الذي يليه.

«يعبدونني لا يشركون بي شيئاً»، يقول: يعبدونني بإلإيمان بأن لا نبي^(٧) بعد

١. فليح بحجته: أحسن الإدلاء بها فغلب خصمه. ٢. الأواء: الشدة والبلاء.

٣. الحنادس - جمع الحندس -: الليل المظلم. ٤. الكافي ٢٥٠/١ - ٢٥١، ح ٧.

٥. ن والمصدر: استخلف. ٦. المصدر: بالإيمان لا نبي.

محمد ﷺ. فمن قال غير ذلك، «فأولئك هم الفاسقون».

فقد مكن ولادة الأمر بعد محمد ﷺ^(١) بالعلم، ونحن هم. فأسألونا، فإن صدقناكم فأقروا. وما أنتم بفاعلين! والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كشف المحجة^(٢) لابن طائوس رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه: فأما الآيات اللواتي في قریش، فهي قوله - إلى قوله: - والثانية: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات» إلى قوله: «هم الفاسقون».

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ﴾: في سائر ما أمركم به.

ولا يبعد عطف ذلك على «أطيعوا الله». فإن الفاصل وعد على الأمور به، فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول ﷺ للتأكيد وتعليق الرحمة بها، أو بالمندرجة هي فيه، بقوله:

﴿لَمَلَكُمْ تَرْحُمُونَ﴾^(٣): كما علق به الهدى.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: لا تحسبن - يا محمد - الكفار، معجزين الله عن إدراكهم وإهلاكهم.

وفي الأرض صلة «معجزين».

وقرأ ابن عامر وحمزة^(٤) بالياء، على أن الضمير فيه لمحمد ﷺ. والمعنى كما هو في القراءة بالتاء، أو «الذين كفروا» فاعل، والمعنى: ولا يحسبن الكفار في الأرض أحداً معجزاً^(٥) الله، فيكون «معجزين في الأرض» مفعوليه. أو: لا يحسبوهم معجزين. فحذف المفعول الأول، لأن الفاعل والمفعولين لشيء واحد، فاكفني بذكر اثنين عن الثالث.

﴿وَمَا وَاهُمُ النَّارُ﴾: عطف عليه من حيث المعنى. كأنه قيل: الذين كفروا ليسوا

١. ما بين المعقوفتين ليس في ن.

٢. كشف المحجة، ١٧٥.

٣. أنوار التنزيل، ١٣٣/٢.

٤. المصدر: يعجز.

معجزين ، ومأواهم النار. لأنَّ المقصود من النهي عن الحسبان ، تحقيق نفى الإعجاز .
﴿ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴾^(٣) : المأوى الَّذِي يصيرون إليه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ : رجوع إلى تنمّة الأحكام السالفة ، بعد الفراغ من الآيات الدالّة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيرها ، والوعد عليها ، والوعيد على الإعراض عنها . والمراد به خطاب الرجال والنساء ، وغلب فيه الرجال .

قيل^(١) : إنَّ غلام أسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته ، فنزلت .
وقيل^(٢) : أرسل رسول الله ﷺ مدلج بن مرو الأنصاري - وكان غلاماً - وقت الظهيرة ، ليدعو عمر . فدخل وهو نائم ، وقد انكشف عنه ثوبه . فقال عمر : لوددت أن الله ﷻ نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا ، أن لا يدخلوا هذه الساعات علينا إلا بإذن . ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ ، فوجده وقد أنزلت هذه الآية .

﴿ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْبِسُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ﴾ : والصبيان الَّذِينَ لم يلبسوا من الأحرار . فعبر عن البلوغ بالاحتلام ، لأنّه أقوى دلالة .

﴿ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ﴾ : في اليوم واللييلة .

﴿ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ﴾ : [لأنّه وقت القيام من المضاجع ، وطرح ثياب النوم ، ولبس ثياب اليقظة . ومحله النصب ، بدلاً من «ثلاث مرّات» . أو الرفع ، خبراً لمحذوف] ^(٣) . أي هي من قبل صلاة الفجر .

﴿ وَحِينَ تَضُمُونَ ثِيَابَكُمْ ﴾ : أي ثيابكم التي لليقظة للقليلة .

﴿ مِنَ الظَّهِيرَةِ ﴾ : بيان للحين .

﴿ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْمِشَاءِ ﴾ : لأنّه ^(٤) وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف .

﴿ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾ : أي هي ثلاث أوقات يختل فيما تستركم .

٣ . ما بين المعفوتين ليس في أ .

١ و٢ . أنوار التنزيل ، ١٣٤/٢ .

٤ . ليس في م .

ويجوز أن يكون مبتدأ، وخبره ما بعده. وأصل العورة: الخلل. ومنها: أعور المكان، ورجل أعور.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر^(١) بالنصب، بدلاً من «ثلاث مرّات». وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): وأما قوله: «يا أيّها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم» إلى قوله «ثلاث عورات لكم» قال: إنّ الله تبارك وتعالى نهى أن يدخل أحد في هذه الثلاثة الأوقات على أحد؛ لا أب، ولا أخت، ولا أمّ، ولا خادم إلا بإذن. والأوقات^(٣) بعد طلوع الفجر، ونصف النهار، وبعد العشاء الآخرة. ثم أطلق بعد هذه الثلاثة الأوقات، فقال: «ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهنّ طوافون عليكم بعضكم على بعض».

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾: بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان. وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان في نسخها؛ لأنّه في الصبيان وممالك المدخول عليه، وتلك في الأحرار البالغين.

﴿طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ﴾: أي هم طوافون.

استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان، وهو المخالطة وكثرة المداخلة. وفيه دليل على تعليل الأحكام. وكذا في الفرق بين الأوقات الثلاثة وغيرها، بأنّها عورات.

وفي الكافي^(٤): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه؛ ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، جميعاً عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جرّاح المدائني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ليستأذن الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات» كما أمركم الله ﷻ ومن بلغ الحلم، فلا يلج على أمّه، ولا على أخته، ولا على خالته، ولا على ما سوى

٢. تفسير القمي، ١٠٨/٢.

١. نفس المصدر.

٤. الكافي ٥٢٩/٥، ح ١.

٣. المصدر: وهذه الأوقات.

ذلك، إلا يأذن. فلا تأذنوا، حتى يسلموا. والسلام طاعة الله ﷻ.

وقال أبو عبدالله عليه السلام: ليستأذن عليك خادمك إذا بلغ الحلم في ثلاث عورات إذا دخل في شيء منهن، ولو كان بيته في بيتك. قال: وليستأذن عليك بعد العشاء التي تسمى العتمة، وحين تصبحون، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة. إنما أمر الله ﷻ بذلك للخلوة، فإنها ساعة غرة^(١) وخلوة.

عدة من أصحابنا^(٢)، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ: «الذين ملكت أيمانكم». قال: هي خاصة في الرجال دون النساء.

قلت: فالنساء يستأذن^(٣) في هذه الثلاث ساعات؟ قال: لا، ولكن يدخلن ويخرجن.

«والذين لم يبلغوا الحلم منكم». قال: من أنفسكم. قال: عليهم استئذان، كاستئذان من قد بلغ في هذه الثلاث ساعات.

محمد بن يحيى^(٤)، عن أحمد بن محمد^(٥)؛ وعدة من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبدالله، جميعاً عن محمد بن عيسى، عن يوسف بن عقيل، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم». ومن بلغ الحلم منكم، فلا يلج على أمه، ولا على أخته، ولا على ابنته، ولا على من سوى ذلك، إلا يأذن. ولا يأذن لأحد حتى يسلم. فإن السلام طاعة الرحمان.

١. الغرة: الغفلة في اليقظة.

٢. نفس المصدر، ح ٢.

٣. ن: ليستأذن.

٤. نفس المصدر ٥٣٠، ح ٣.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: محمد بن أحمد.

عَدَّة من أصحابنا^(١)، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن خلف بن حمّاد، عن ربعي بن عبدالله، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». قيل: من هم؟ فقال: المملكون من الرجال والنساء، والصبيان الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا، يَسْتَأْذِنُونَ عَلَيْكُمْ عِنْدَ هَذِهِ الثَّلَاثِ عَوْرَاتٍ: مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ - وَهِيَ الْعَتَمَةُ - وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، وَمِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ. ويدخل مملوككم وغلما نكم من بعد هذه الثلث عورات، بغير إذن إن شاؤوا.

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمته الله^(٢) بإسناده إلى الزهري، أنّه سمع سهل بن سعد الساعدي يقول: أطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلى الله عليه وآله ومعه عليه السلام مَذْرَى^(٣) يحكّ بها رأسه. فقال: لو أنّي أعلم أنّك تنظر، لطعنت به في عينك، إنّما جعل الاستئذان من أجل النظر. ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: بعضكم طائف على بعض. أو: يطوف بعضهم على بعض.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين.

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: أي الأحكام.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم.

﴿حَكِيمٌ﴾^(٤): فيما شرع لكم.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: الَّذِينَ بَلَغُوا مِنْ قَبْلِهِمْ فِي الْأَوْقَاتِ كُلِّهَا.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٥): كرّره تأكيداً ومبالغة في الأمر

بالاستئذان.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾: العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل.

٢. أمالي الطوسي، ١٢/٢.

١. نفس المصدر، ح ٤.

٣. المَذْرَى: خشبة ذات أصابع.

﴿اللاتي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: لا يطمعن فيه لكبرهن.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: أي الثياب الظاهرة، كالجلباب. والفاء

فيه، لأن اللام في «القواعد» بمعنى اللاتي، أو لوصفها بها.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان، في

جواب مسائله في العلل: وحرم النظر إلى شعور النساء المحجوبات بالأزواج وإلى

غيرهن من النساء، لما فيه من تهيج^(٢) الرجال وما يدعو التهيج إليه من الفساد،

والدخول فيما لا يحل [ولا يجمل]^(٣). وكذلك ما أشبه الشعور، إلا الذي قال الله تعالى:

«والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير

متبرجات بزينة» أي غير الجلباب. فلا بأس بالنظر إلى شعور مثلهن.

وفي الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن أبي

حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «القواعد من النساء، ليس عليهن جناح أن يضعن

ثيابهن». قال: تضع الجلباب وحده.

عدة من أصحابنا^(٥)، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علاء بن رزين،

عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: «والقواعد من النساء اللاتي

لا يرجون نكاحاً» ما الذي يصلح لهن أن يضعن من ثيابهن؟ قال: الجلباب.

علي بن إبراهيم^(٦)، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن أبي

عبد الله عليه السلام أنه قرأ: «أن يضعن من ثيابهن». قال: الجلباب والخمار، إذا كانت المرأة

مستنة.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾: غير مظهرات زينة مما أمرن بإخفائه في قوله: «ولا يبدین

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٩٦/٢، ح ١.

٢. المصدر: تهيج.

٣. الكافي ٥٢٢/٥، ح ٢.

٤. المصدر: أبي جعفر.

٥. نفس المصدر ٥٢٢، ح ٣.

٦. نفس المصدر، ح ٤.

زینتھن»^(١).

وأصل التبرج: التكلف في إظهار ما يخفى - من قولهم: سفينة بارجة: لا غطاء عليها. والبرج: سعة العين، بحيث يُرى بياضها محيطاً بسوادها كله، لا يغيب منه شيء - إلا أنه خُصَّ بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): وقوله «القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة» قال: نزلت في العجائز اللاتي قعدن^(٣) من المحيض والتزويج، أن يضعن النقاب^(٤). ثم قال: «وأن يستعفن خیر لهن» أي لا يظهرن للرجال.

وفي مجمع البيان^(٥): «غير متبرجات بزينة». وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: للزوج ما تحت الدرع. وللابن والأخ ما فوق الدرع. ولغير ذي محرم، أربعة أثواب: درع وخمار وجلباب وإزار.

﴿وَأَن يَسْتَغْفِنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾: من الوضع؛ لأنه أبعد من التهمة.

وفي الكافي^(٦): عده من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن الجاموراني، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن عمرو بن جبير العزمي^(٧)، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فسألته عن حق الزوج على المرأة، فخبّرها. ثم قالت: فما حقها عليه؟ قال: يكسوها من العري، ويطعمها من الجوع، وإذا أذنبت غفر لها. فقالت: فليس لها شيء غير هذا؟ قال: لا. قالت: لا والله، لا تزوجت أبداً. ثم ولّت. فقال النبي ﷺ: ارجعي. فرجعت. فقال: إن الله ﷻ يقول: «وأن يستعفن خير لهن». ﴿وَاللّٰهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم.

٢. تفسير القمي، ١٠٨/٢.

١. النور / ٣١.

٤. المصدر: الثياب.

٣. المصدر: قد يشن.

٦. الكافي ٥١١/٥، ح ٢.

٥. مجمع البيان، ١٥٥/٤.

٧. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٦١٨/١. وفي النسخ: العذري.

﴿عَلِيمٌ﴾^(٦): بما في قلوبكم.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: قيل^(١):

نفي لما كانوا يتحرّجون من مؤاكلة الأصحاء، حذراً من استقذارهم أو أكلهم من بيت من يدفع إليهم المفتاح، ويبيع لهم التبسط فيه إذا خرج إلى الغزو. وخلفهم على المنازل، مخافة أن لا يكون ذلك من طيبة قلب^(٢)، أو من إجابة من يدعوهم إلى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم، فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كالأعمى عليهم.

وقيل^(٣): نفي للخرج عنهم في القعود عن الجهاد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ: «ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج»: وذلك أن أهل المدينة قبل أن يسلموا، كانوا يعتزلون الأعمى والأعرج والمريض (أن يأكلوا معهم)^(٥) وكانوا لا يأكلون معهم. وكان الأنصار فيهم تيه^(٦) وتكرّم، فقالوا: إن الأعمى لا يبصر الطعام، والأعرج لا يستطيع الزحام على الطعام، والمريض لا يأكل كما يأكل الصحيح. فعزلوا لهم طعامهم على ناحية، وكانوا يرون عليهم في مؤاكلتهم جناحاً. وكان الأعمى والأعرج والمريض يقولون: لعلنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم. فاعتزلوا من مؤاكلتهم.

فلما قدم النبي ﷺ سألوه عن ذلك. فأنزل الله ﷻ: «ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً».

﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾: قيل^(٧): من بيوت أزواجكم وعيالككم،

وبيت المرأة كبيت الزوج.

٢. المصدر: عن طيب قلب.

٤. تفسير القمي، ١٠٨/٢.

٦. التيه: التكبر.

١. أنوار التنزيل، ١٣٥/٢.

٣. أنوار التنزيل، ١٣٥/٢.

٥. ليس في المصدر.

٧. مجمع البيان، ١٥٦/٤.

وقيل ^(١): من بيوت أولادكم، لأن بيت الولد كبيته؛ كقوله ﷺ: أنت ومالك لأبيك. وقوله: إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه ^(٢).

﴿أَوْ بِيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بِيُوتِ خَالَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ﴾: قيل ^(٣): وما يكون تحت أيديكم وتصرفكم، من ضيعة أو ماشية، وكالة أو حفظاً. وقيل ^(٤): بيوت الممالك.

وقيل ^(٥): إذا ملك الرجل المفتاح، فهو خازن. فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير.

وقيل ^(٦): هو الرجل يؤلى طعام غيره يقوم عليه، فلا بأس أن يأكل منه.

والمفتاح: جمع مفتح، وهو: ما يفتح به.

وقرئ: مفتاحه.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: أو بيوت صديقكم، فإنهم أرضى بالتبسط في أموالهم وأسْرَ به.

وهو يقع على الواحد والجمع، كالخليط.

رفع الحرج عن الأكل من بيت صديقه بغير إذن، إذا كان عالماً بأنه يطيب نفسه بذلك. والصديق، هو الذي صدقك عن مودته.

وقيل ^(٧): هو الذي يوافق باطنه باطنك، كما وافق ظاهره ظاهره.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً﴾: مجتمعين أو متفرقين.

قيل ^(٨): نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة، كانوا يستحرجون أن يأكل الرجل

وحده.

وقيل ^(٩): في قوم من الأنصار. إذا نزل بهم ضيف، لا يأكلون إلا معه، أو في قوم

تحرّجوا عن الاجتماع على الطعام، لاختلاف الطبائع في القذارة والنهمة.

٤ و٦. مجمع البيان، ١٥٦/٤.

٧. مجمع البيان، ١٥٦/٤.

٩. أنوار التنزيل، ١٣٥/٢.

٤-١. أنوار التنزيل، ١٣٥/٢.

٦. أنوار التنزيل، ١٣٥/٢.

٨. أنوار التنزيل، ١٣٥/٢.

والأقوال متقاربة، فالحمل على العموم أولى.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قال علي بن إبراهيم في قوله تعالى: «أن تأكلوا من بيوتكم» إلى قوله: «أو أشتاتاً»: فإنها نزلت لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار، وأخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين طلحة والزبير، وبين سلمان وأبي ذر، وبين المقداد وعمار، وترك أمير المؤمنين عليه السلام.

فاغتم من ذلك غمّاً شديداً، وقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، لم لا تواخ بيني وبين أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: يا علي، ما حبستك إلا لنفسك. أما ترضى أن تكون أخي وأنا أخوك؟! وأنت أخي في الدنيا والآخرة. وأنت وصي ووزير. وخليفتي في أمّتي، تقضي ديني وتنجز عدااتي، وتتولى غسلي^(٢) ولا يليه غيرك. وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لابيّ بعددي. فاستبشر أمير المؤمنين صلوات الله عليه بذلك. فكان بعد ذلك إذا بعث رسول الله ﷺ أحداً من أصحابه في غزاة أو سرية، يدفع الرجل مفتاح بيته إلى أخيه في الدين، فيقول له: خذ ما شئت وكُل ما شئت. فكانوا يمتنعون من ذلك، حتّى ربّما فسد الطعام في البيت. فأنزل الله: «ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً». يعني إن حضر صاحبه أو لم يحضر، إذا ملكتم مفاتيحه.

وفي الكافي^(٣): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن رجل لابنه مال، فيحتاج الأب. قال: يأكل منه. فأما الأم، فلا تأكل منه إلا قرصاً على نفسها.

عده من أصحابنا^(٤)، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن علي بن جعفر، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: سألت عن الرجل يأكل من مال ولده. قال: لا، إلا أن يضطر إليه، فيأكل منه بالمعروف. ولا يصلح للولد أن يأخذ من مال والده شيئاً إلا بإذن والده.

٢. المصدر: علي غسلي.

٤. نفس المصدر، ح ٢.

١. تفسير القمي، ١٠٩/٢.

٣. الكافي ١٣٥/٥، ح ١.

سهل بن زياد^(١)، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر صلوات الله عليه قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: أنت ومالك لأبيك.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: وما أحبّ له أن يأخذ من مال ابنه، إلا ما احتاج إليه ممّا لا بدّ له منه. إنّ الله لا يحبّ الفساد.

أبو عليّ الأشعري^(٢) عن الحسن بن عليّ الكوفي، عن عيسى^(٣) بن هشام، عن عبد الكريم، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام في الرجل يكون لولده مال، فأحبّ أن يأخذ منه. قال: فليأخذ، وإن كانت أمّه حيّة، فما أحبّ أن تأخذ منه شيئاً إلا قرضاً على نفسها.

سهل بن زياد^(٤)، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الرجل يحتاج إلى مال ابنه؟ قال: يأكل منه ما شاء من غير سرف.

وقال: في كتاب عليّ صلوات الله عليه: إنّ الولد لا يأخذ من مال والده شيئاً إلا بإذنه، والوالد يأخذ من مال ابنه ما شاء. وله أن يقع على جارية ابنه، إذا لم يكن الابن وقع عليها. وذكر أنّ رسول الله ﷺ قال لرجل: أنت ومالك لأبيك.

محمد بن يحيى^(٥)، عن عبد الله بن محمد، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاء، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يحلّ للرجل من مال ولده؟ قال: قوته بغير سرف، إذا اضطرّ إليه.

قال: فقلت له: فقول رسول الله ﷺ للرجل الذي أتاه فقَدَم أباه، فقال له: «أنت ومالك لأبيك»؟ فقال له: إنّما جاء بأبيه^(٦) إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا أبي

١. نفس المصدر، ح ٣. ٢. نفس المصدر، ح ٤.

٣. كذا في رجال النجاشي ٨٠٨، وفي المصدر: عيسى.

٤. نفس المصدر ١٣٥-١٣٦، ح ٥. ٥. نفس المصدر ١٣٦، ح ٦.

٦. م: به.

وقد ظلمني ميراثي من أُمِّي. فأخبره الأب أنه قد أنفق عليه وعلى نفسه. فقال: «أنت ومالك لأبيك». ولم يكن عند الرجل شيء. أو كان^(١) رسول الله ﷺ يحبس الأب للابن؟!

أبو علي الأشعري^(٢)، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن محمد الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: «ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم» إلى آخر الآية. قلت: ما يعني بقوله: «أو صديقكم»؟ قال: هو - والله - الرجل، يدخل بيت صديقه، يأكل بغير إذنه.

عده من أصحابنا^(٣)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن صفوان، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «أو ما ملكتم مفاتيحه أو صديقكم». قال: هؤلاء الذين سمى الله ﷻ في هذه الآية، يأكل بغير إذنهم من التمر والمأدوم. وكذلك تطعم المرأة من منزل زوجها بغير إذنه. فأما ما خلا ذلك من الطعام، فلا.

عده من أصحابنا^(٤)، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للمرأة أن تأكل وأن تصدق. وللصديق أن يأكل من منزل أخيه ويتصدق.

وفي جوامع الجامع^(٥) عن الصادق عليه السلام: من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة، بمنزلة النفس والأب والأخ والابن.

وفي الكافي^(٦)، محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن القاسم بن عروة، عن عبد الله بن بكير، عن زرارة قال: سألت أحدهما عليه السلام عن هذه الآية: «ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم» الآية. قال: ليس

١. نفس المصدر ٢٧٧/٦، ح ١.

١. المصدر: أفكان.

٢. نفس المصدر، ح ٣.

٣. نفس المصدر ٢٧٧، ح ٢.

٤. الكافي ٢٧٧/٦، ح ٤.

٥. جوامع الجامع، ٣١٩.

عليكم جناح فيما أطعمت^(١) أو أكلت ممّا ملكت مفاتحه ما لم تفسده.

عليّ بن إبراهيم^(٢)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «أو ما ملكتم مفاتحه». قال: الرجل يكون له وكيل يقوم في ماله، فيأكل بغير إذنه.

وفي مجمع البيان^(٣): «أن تأكلوا من بيوتكم». وقيل: معناه من بيوت أولادكم. ويدلّ عليه قوله عليه السلام: أنت ومالك لأبيك. وقوله عليه السلام: إن أطيب ما يأكل المرء من^(٤) كسبه، وأنّ ولده من كسبه.

وفي محاسن البرقي^(٥): عنه، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حسين بن مختار، عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﷻ: «ليس عليكم جناح» الآية. [قال: ياذن وبغير إذن]^(٦).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾: من هذه البيوت.

﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٧): أبي عبد الله عليه السلام قال: حدّثنا سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني^(٨) قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: «فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم» الآية. فقال: هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل، ثم يردّون عليه، فهو سلامكم^(٩) على أنفسكم.

﴿تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: ثابتة بأمره^(١٠)، مشروعة من لدنه.

ويجوز أن تكون «من» صلة للتحية، فإنّه طلب الحياة، وهي عنده تعالى. وانتصابها

١. المصدر: طعمت.

٢. نفس المصدر، ح ٥.

٣. مجمع البيان، ١٥٦/٤.

٤. المصدر: ما يأكل المؤمن.

٥. المحاسن ٤١٥-٤١٦، ح ١٧١.

٦. ليس في م.

٧. معاني الأخبار ١٦٢-١٦٣، ح ١.

٨. من م.

٩. م: من أمره.

١٠. م: سلام.

بالمصدر، لأنها بمعنى التسليم.

﴿مَبَارَكَةٌ﴾: لأنها يرجى بها زيادة الخير والثواب.

﴿طَيِّبَةٌ﴾: تطيب بها نفس المستمع.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: يقول: إذا دخل الرجل منكم بيته، فإن كان فيه أحد، يسلم عليهم. وإن لم يكن فيه أحد، فليقل: السلام علينا من عند ربنا. يقول الله تعالى: «تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ». وقيل^(٢): إذا لم ير الداخل بيتاً أحداً فيه، يقول: السلام عليكم ورحمة الله، يقصد به الملكين اللذين عليه شهود.

وفي جوامع الجامع^(٣): وصفها بالبركة والطيب، لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجو^(٤) بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق. ومنه قوله عليه السلام: سلم على أهل بيتك، يكثر خير بيتك.

وفي كتاب الخصال^(٥)، فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمائة باب: إذا دخل أحدكم منزلاً^(٦)، فليسلم على أهله، يقول: السلام عليكم. فإن لم يكن له أهل، فليقل: السلام علينا من ربنا وليقرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله، فإنه ينفي الفقر. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾: كثره ثلاثاً لمزيد التأكيد وتفخيم الأحكام المختتمة به. وفصل الأولين بما هو المقتضى لذلك، وهذا بما هو المقصود منه. فقال:

﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلُونَ﴾^(٧): أي الحق والخير في الأمور.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي الكاملون في الإيمان.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: من صميم قلوبهم.

﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾: كالجمعة والأعياد والحرب والمشاورة في

٢. نفس المصدر.

٤. المصدر: يُرجى.

٦. المصدر: منزله.

١. تفسير القمي، ١٠٩/٢.

٣. جوامع الجامع، ٣١٩.

٥. الخصال، ٦٢٦، ح ١٠.

الأمر.

ووصف الأمر بالجمع، للمبالغة.

وقرئ^(١): «أمر جميع».

﴿لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾: يستأذنوا رسول الله ﷺ فيأذن لهم.

واعتباره في كمال الإيمان، لأنه كالمصدق لصحته، والمميز للمخلص فيه عن المنافق؛ فإن ديدنه التسلل والفرار. ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس الرسول ﷺ بغير إذنه. ولذلك أعاده مؤكداً على أسلوب أبلغ، فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: فإنه يفيد أن المستأذن، مؤمن لامحالة، وأن الذهاب بغير إذن ليس كذلك.

﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: ما يعرض لهم من المهام.

وفيه أيضاً مبالغة وتضييق للأمر.

﴿فَأَنْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾: تفويض للأمر إلى رأي الرسول ﷺ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): قال علي بن إبراهيم عليه السلام في قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» إلى قوله تعالى: «حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ»: فإنها نزلت في قوم كانوا إذا جمعهم رسول الله ﷺ لأمر من الأمور، في بعث يبعثه أو في حرب قد حضرت يتفرقون بغير إذنه. فنهاهم الله ﷻ عن ذلك.

وقوله ﷻ: «فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَنْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ» قال: نزلت في حنظلة بن أبي عيش. وذلك أنه تزوج في الليلة التي كان^(٣) في صبيحتها حرب أحد، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يقيم عند أهله. فأنزل الله ﷻ هذه الآية: «فَأَنْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ».

فأقام عند أهله، ثم أصبح وهو جنب. فحضر القتال واستشهد. فقال رسول

٢. تفسير القمي، ١١٠/٢.

١. أنوار التنزيل، ١٣٦/٢.

٣. ليس في المصدر. وفي م: كانت.

الله ﷻ: رأيت الملائكة تغسل حظلة بماء المزن، في صحائف فضة بين السماء والأرض. فكان يُسمَّى «غسيل الملائكة».

﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ﴾: بعد الإذن.

فإن الاستئذان - ولو لعذر - قصور لأنه تقديم لأمر الدنيا على أمر الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لفرط العباد.

﴿رَحِيمٌ﴾^(١): بالتستر عليهم.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾: [قيل^(١)]: لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضهم بعضاً^(٢) في جواز الإعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذن، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والمراجعة بغير إذنه محرمة.

وقيل^(٣): لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضهم بعضاً باسمه، ورفع الصوت به، والنداء وراء الحجرة؛ ولكن بلقبه المعظم - مثل: يا نبي الله، ويا رسول الله - مع التوقير والتواضع وخفض الصوت.

وقيل^(٤): لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضهم على بعض، فلا تبالوا بسخطه؛ فإن دعاءه موجب.

وقيل^(٥): لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء [صغيركم كبيركم، يجيبه مرة ويرده أخرى؛ فإن دعاءه مستجاب.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ﷺ^(٦): وقوله ﷻ: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء»^(٧) بعضهم بعضاً. قال: لا تدعوا رسول الله ﷺ كما يدعو بعضهم بعضاً.

وفي رواية أبي الجارود^(٨)، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷻ: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضهم بعضاً»، يقول: لا تقولوا «يا محمد» ولا «يا أبا القاسم»؛

١ و٣. أنوار التنزيل، ١٣٦٢.

٤ و٦. نفس المصدر والموضع.

٧. ما بين المعقوفتين ليس في م.

٣. ليس في أ.

٦. تفسير القمي، ١١٠/٢.

٨. تفسير القمي، ١١٠/٢.

لكن قولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله.

وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب^(١): القاضي [أبو محمد الكرخي في كتابه، عن الصادق عليه السلام]: «^(٢) قالت فاطمة رضي الله عنها: لما نزلت «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً»، هبت رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقول له: يا أبه. فكنيت أقول: يا رسول الله. فأعرض عني مرة، أو ثنتين، أو ثلاثاً. ثم أقبل عليّ، فقال: يا فاطمة، إنها لم تنزل فيك، ولا في أهلك، ولا في نسلك. أنت منّي وأنا منك. إنما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكبر. قولي: يا أبه؛ فإنها أحيى للقلب، وأرضى للرب. ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ﴾: يخرجون قليلاً قليلاً من الجماعة. ونظير تسلل: تدرج وتدخل.

﴿لَوْ أَذَأَ﴾: ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض، حتى يخرج. أو: يلوذ بمن يؤذن له، فينطلق معه كأنه تابعه.

وانتصابه على الحال.

وقرئ^(٣) بالفتح.

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾: يخالفون أمره بترك مقتضاه، ويذهبون سمناً خلاف سمته. و«عن» لتضمنه معنى الإعراض. أو: يصدّون عن أمره دون المؤمنين. من خالفه عن الأمر: إذا صدّ عنه دونه.

وحذف المفعول، لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه. والضمير لله؛ فإن الأمر له في الحقيقة. أو للرسول؛ فإنه المقصود بالذكر.

﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: محنة في الدنيا.

﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٤): في الآخرة.

واستدل به على أن الأمر للوجوب. فإنه يدل على أن ترك مقتضى الأمر، مقتضى

٢. من المصدر.

١. المناقب، ٣/٣٢٠.

٣. أنوار التنزيل، ١٣٦٢.

لأحد العذابين. فَإِنَّ الأَمْرَ بالحذر عنه يدلُّ على خشية المشروط بقيام المقتضى له. وذلك يستلزم الوجوب.

وفي الكافي^(١): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَمْرِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: اشتريت إبلاً وأنا بالمدينة مقيم، فأعجبني إعجاباً شديداً. فدخلت على أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام فذكرتها له. فقال: ما لك وللإبل؟! أما علمت أَنَّها كثيرة المصائب؟! قال: فمن إعجابي بها أكريتها، وبعثت بها مع غلمان لي إلى الكوفة. قال: فسقطت كلها. فدخلت عليه، فأخبرته. قال: «فليحذر الَّذِينَ يخالفون عن أمره أَنْ تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): ثُمَّ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: «فليحذر الَّذِينَ يخالفون عن أمره أَنْ تصيبهم فتنة» [يعني بليّة]^(٣). «أو يصيبهم عذاب أليم». قال: القتل. وفيه أيضاً^(٤): قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «فليحذر الَّذِينَ يخالفون عن أمره» أي يعصون أمره، «أَنْ تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم».

وفي جوامع الجامع^(٥): وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام: يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانُ جَائِرٍ^(٦)، أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ فِي الْآخِرَةِ.

﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾: أَيُّهَا الْمَكْلَفُونَ، مِنَ الْمَخَالَفَةِ وَالْمُوَافَقَةِ وَالنَّفَاقِ وَالْإِخْلَاصِ.

وَأَمَّا أَكَّدَ عِلْمَهُ بِـ«قَدْ» لِتَأْكِيدِ الْوَعِيدِ.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَمُونَ إِلَيْهِ﴾: يَوْمَ يَرْجِعُ الْمُنَافِقُونَ إِلَيْهِ لِلْجَزَاءِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخُطَابُ أَيْضاً، مَخْصُوصاً بِهِمْ عَلَى طَرِيقِ الْإِلْتِفَاتِ.

١. الكافي ٥٤٣/٦، ح ٧.

٢. تفسير القمي، ١١٠/٢.

٣. ليس في ن.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. جوامع الجامع، ٣٢٠.

٦. المصدر: سلطاناً جائراً. وهذا يكون صحيحاً، إذا بقي الفعل على حالة البناء للفاعل. وما في المتن، ج:

البناء للمفعول، أقوى.

﴿فَيَبْئَهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾: من سوء الأعمال، بالتوبيخ والمجازاة عليه.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٤): لا يخفى عليه خافية.

سورة الفرقان

سورة الفرقان

مَكِّيَّة وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١)، بإسناده عن أبي الحسن عليه السلام قال: يا ابن عمّار، لا تدع قراءة سورة «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده». فإنّ من قرأها في كلّ ليلة، لم يعذّبه الله أبداً، ولم يحاسبه. وكان منزله في الفردوس الأعلى.

وفي مجمع البيان^(٢): أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ سورة الفرقان، بُعث يوم القيامة وهو مؤمن. «أنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور»^(٣).

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾: تكاثر خيره. من البركة، وهي كثرة الخير. أو: تزايد على كلّ شيء، وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. فإنّ البركة تتضمّن معنى الزيادة. وترتيبه على تنزيل القرآن، لما فيه من كثرة الخير، أو لدلالته على تعاليه. أو: دام. من بروك الطير على الماء. ومنه: البركة، لدوام الماء فيها. وهو لا يُستعمل إلّا الله، ولا يُتصرّف فيه.

والفرقان: مصدر فرق بين الشيئين: إذا فصل بينهما. سُمّي به القرآن، لفصله بين الحقّ والباطل بتقريره، أو المحقّ والمبطل بإعجازه، أو لكونه مفصّلاً بعضه عن بعض في الإنزال.

٢. مجمع البيان، ٤/ ١٥٩.

١. ثواب الأعمال ١٣٥-١٣٦، ح ١.

٣. الحجّ ٧.

وفي كتاب علل الشرائع^(١) بإسناده إلى [عبدالله بن] ^(٢) يزيد بن سلام أنه سأل رسول الله ﷺ فقال له: لم سمي الفرقان فرقاناً؟ قال: لأنه متفرق الآيات والسور، أنزلت في غير الألواح، وغيره - من الصحف والتوراة والإنجيل والزبور - أنزلت كلها جملة في الألواح والورق. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة^(٣).

وقرئ^(٤): «على عباده». وهم: الرسول ﷺ وأُمَّته. كقوله: «لقد أنزلنا إليكم»^(٥). أو: الأنبياء، على أن الفرقان اسم جنس للكتب السماوية.

﴿لِيَكُونَ﴾: العبد، أو الفرقان.

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: للجن والإنس.

﴿نَذِيرًا﴾^(٦): منذاراً. أو: إنذاراً. كالنكير بمعنى الإنكار.

وهذه الجملة وإن لم تكن معلومة، لكنّها لقوة دليلها، أُجريت مجرى المعلوم، وجُعِلت صلة.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بدل من الأول، أو مدح، مرفوع أو منصوب.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: كزعم النصارى.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: كقول الثنوية.

أثبت له الملك مطلقاً. ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه. ثم نبّه على ما يدلّ عليه، فقال:

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: أحدثه إحداثاً، مراعي فيه التقدير حسب إرادته؛ كخلقه الإنسان من موادّ مخصوصة وصور وأشكال معيّنة.

١. علل الشرائع ٤٧٠، ح ٣٣. ٢. ليس في المصدر.

٣. في هامش نسخة «م»: علي بن إبراهيم [عن أبيه] عن ابن سنان [عن] غيره عمّن ذكره، قال: سألت أبا عبدالله ﷺ عن القرآن والفرقان أمهما شيان أم شيء واحد؟ فقال ﷺ: القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به. أصول الكافي ٦٣٠/٢، ح ١١.

٤. أنوار التنزيل، ١٣٧/٢. ٥. الأنبياء ١٠.

﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(١): فَقَدَرَهُ وَهَيَّاهُ لِمَا أَرَادَ مِنْهُ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْأَفْعَالِ؛ كَتَهَيَّيَةِ الْإِنْسَانِ لِلإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ وَالنَّظَرِ وَالتَّدْبِيرِ وَاسْتِنْبَاطِ الصَّنَائِعِ الْمُتَنَوِّعَةِ وَمَزَاوِلَةِ الْأَعْمَالِ الْمُخْتَلِفَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. أَوْ: فَقَدَرَهُ لِلْبَقَاءِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

وَقَدْ يُطْلَقُ الْخَلْقُ لِمَجْرَدِ الْإِبْجَادِ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى وَجْهِ الْإِشْتِقَاقِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: وَأَوْجَدَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ فِي إِبْجَادِهِ، حَتَّى لَا يَكُونَ مُتَفَاوِتًا.

وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ^(٢)، بِإِسْنَادِهِ إِلَى حَمْدَانَ بْنِ سَلِيمَانَ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الرِّضَا عليه السلام أَسْأَلُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، أَمْخُلُوقَةٍ أَمْ غَيْرِ مَخْلُوقَةٍ. فَكَتَبَ عليه السلام: أَعْمَالُ الْعِبَادِ مَقْدَرَةٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ خَلْقِ الْعِبَادِ بِأَلْفِي عَامٍ.

وَفِيهِ^(٣)، فِي بَابِ مَا كَتَبَهُ الرِّضَا عليه السلام لِلْمَأْمُونِ مِنْ مُحَضِّصِ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ: وَإِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى خَلْقَ تَقْدِيرٍ، لَا خَلْقَ تَكْوِينٍ. وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. وَلَا نَقُولُ بِالْجَبْرِ وَالتَّفْوِيزِ.

وَفِيهِ^(٤)، عَنِ الرِّضَا عليه السلام بِإِسْنَادِهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ ﻻ يَخْلُقُ قَدَرَ الْمُقَادِيرِ، وَدَبَرَ التَّدَابِيرِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَلْفِي عَامٍ.

وَفِي كِتَابِ الْخِصَالِ^(٥) مَرْفُوعٌ إِلَى عَلِيِّ عليه السلام قَالَ: الْأَعْمَالُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: فَرَائِضُ، وَفَضَائِلُ، وَمَعَاصِي. فَأَمَّا الْفَرَائِضُ، فَبِأَمْرِ اللَّهِ وَبِرِضَا اللَّهِ وَبِقَضَاءِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَمَشِيتِهِ وَعِلْمُهُ ﻻ يَخْلُفُ. وَأَمَّا الْفَضَائِلُ، فَلَيْسَ^(٦) بِأَمْرِ اللَّهِ؛ وَلَكِنْ بِرِضَا اللَّهِ وَبِقَضَائِهِ^(٧) [وَيَقْدَرُ اللَّهُ] بِمَشِيتَةِ اللَّهِ وَبِعِلْمِ اللَّهِ. وَأَمَّا الْمَعَاصِي، فَلَيْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ؛ وَلَكِنْ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَبِقَدْرِ اللَّهِ وَبِمَشِيتِهِ وَبِعِلْمِهِ. ثُمَّ يَعَاقِبُ عَلَيْهَا.

١. عَيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا عليه السلام ١١٢/١، ح ٣٤. ٢. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ١٢٣/٢، ح ١.

٣. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ١١٦/١، ح ٣٩؛ وَج ٣٠/٢، ح ٤٤.

٤. الْخِصَالُ ١٦٨، ح ٢٢١. وَالْخَبَرُ فِي الْمَصْدَرِ مُسْتَد.

٥. الْمَصْدَرُ: فَلَيْسَتْ. ٦. الْمَصْدَرُ: بِقَضَاءِ اللَّهِ.

٧. مِنْ م.

عن الأعمش^(١)، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: هذه شرائع الدين -إلى أن قال عليه السلام -: وأفعال العباد مخلوقة، خلق تقدير، لا خلق تكوين. والله خالق كل شيء. ولا نقول بالجبر والتفويض.

وفي أصول الكافي^(٢): علي بن محمد بن عبدالله، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن علي بن إبراهيم الهاشمي، قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى. قلت: ما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل.

قلت: ما معنى قدّر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه.

قلت: ما معنى قضى؟ قال: إذا قضى، أمضاه. فذلك الذي لا مردّ له.

علي بن إبراهيم^(٣)، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمان، عن أبان، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: شاء وأراد وقدّر وقضى؟ قال: نعم. قلت: وأحب؟ قال: لا.

قلت: وكيف شاء وأراد وقدّر وقضى ولم يحب؟ قال: هكذا خرج إلينا.

الحسين^(٤) بن محمد^(٥) [عن معلى بن محمد^(٦)] قال: سئل العالم عليه السلام: كيف علم الله؟ قال: علم وشاء وأراد وقضى وقدّر^(٧) وأمضى. فأمضى ما قضى، وقضى ما قدّر. وقدّر ما أراد. فبعلمه كانت المشيئة. وبمشيئته كانت الإرادة. وبإرادته كان التقدير. ويتقدّره كان القضاء. وبقضائه كان الإمضاء. والعلم متقدّم على المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء.

فلله تبارك وتعالى البدء فيما علم، متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء. فإذا وقع القضاء بالإمضاء، فلا بدء.

٢. الكافي ١/١٥٠، ج ١.

٤. س، أ: الحسن.

٦. ليس في م.

١. نفس المصدر ٦٠٨، ح ٩.

٣. نفس المصدر، ح ٢.

٥. نفس المصدر ١٤٨-١٤٩، ح ١٦.

٧. المصدر: وقدّر وقضى.

فالعلم في المعلوم قبل كونه. والمشينة في المشاء قبل عينه. والإرادة في المراد قبل قيامه. والتقدير لهذه المعلومات، قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً.

والقضاء بالإمضاء، هو المبرم من المفعولات، ذوات الأجسام المدركات بالحواس، من ذوي لون وريح ووزن وكيل، ومادبّ ودرج من إنس وجنّ وطير وسباع، وغير ذلك ممّا يُدرك بالحواس. فله تبارك وتعالى فيه ^(١) البدء، ممّا لا عين له. فإذا وقع العين المفهوم المدرك، فلا بدء.

والله يفعل ما يشاء. فبالعلم علم الأشياء قبل كونها. وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها، وأنشأها قبل إظهارها. وبالإرادة ميّز أنفسها من ألوانها وصفاتها. وبالتقدير قدر أوقاتها، وعرف أولها وآخرها. وبالقضاء أبان للناس أماكنها، ودلّهم عليها. وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها. وذلك تقدير العزيز العليم.

وفي كتاب التوحيد ^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: لا حاجة به إلى شيء ممّا خلق، وخلقه جميعاً يحتاجون ^(٣) إليه. وإنّما خلق الأشياء من غير حاجة ولا سبب، اختراعاً وابتداعاً.

وبإسناده ^(٤) إلى عبد الرحمان العذرمي ^(٥)، [عن أبيه عبد الرحمان] ^(٦) بإسناده، رفعه إلى من قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قدّر الله المقادير، قبل أن يخلق السماوات والأرض، بخمسين ألف سنة.

وبإسناده ^(٧) إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله ﷻ قدّر المقادير، ودبّر التدابير، قبل أن يخلق آدم بألفي عام.

١. م: فيما علم.

٢. التوحيد ١٦٩ - ١٧٠، ح ٣.

٣. المصدر: محتاجون.

٤. نفس المصدر ٣٦٨، ح ٧.

٥. كذا في جامع الرواة ٤٥٣/١. وفي ن، المصدر العزمي.

٦. من المصدر.

٧. نفس المصدر ٣٧٦، ح ٢٢.

وبإسناده^(١) إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: أفعال العباد مخلوقة، خلق تقدير، لا خلق تكوين. ومعنى ذلك أن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً بمقاديرها قبل كونها.

وبإسناده^(٢) إلى عبد الأعلى، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، في آخره قال عليه السلام: الله خالق الأشياء [لا من شيء]^(٣) كان.

وفي كتاب علل الشرائع^(٤)، بإسناده إلى أبي إسحاق الليثي^(٥)، عن الباقر عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً. خلق الأشياء لا من شيء. ومن زعم أن الله ﷻ خلق الأشياء من شيء، فقد كفر. لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء، قديماً معه في أزليته وهويته، كان ذلك الشيء أزلياً. بل خلق الله ﷻ الأشياء كلها، لا من شيء.

وفي أصول الكافي^(٦) خطبة لأмир المؤمنين عليه السلام فيها: وكل صانع شيء، فمن شيء صنع. والله لا من شيء صنع ما خلق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): حدثني محمد بن عيسى، عن عبيد، عن يونس قال: قال الرضا عليه السلام: تدري ما التقدير؟ قلت: لا. قال: هو وضع الحدود، من الآجال والأرزاق والبقاء والفناء. تدري ما القضاء؟ قلت: لا. قال: هو إقامة العين. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾: لما تضمن الكلام إثبات التوحيد والنبوة، أخذ في الرد على المخالفين فيهما.

﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: لأن عبدتهم ينحتونهم، ويصورونهم.

١. نفس المصدر ٤١٦، ح ١٥.

٢. نفس المصدر ١٩٢، ح ٦.

٣. من المصدر.

٤. علل الشرائع ٦٠٧، ح ٨١.

٥. س، م، ن، المشي.

٦. الكافي ١٣٥/١، ح ١.

٧. تفسير القمي، ٢٤/١.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾: ولا يستطيعون.

﴿لَا نَفْسِهِمْ ضَرًّا﴾: دفع ضرر.

﴿وَلَا نَفْعًا﴾: ولا جلب نفع.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾^(٢): ولا يملكون إماتة أحد وإحياءه أولاً،

وبعثة ثانياً.

ومن كان كذلك، فبمعزل^(١) عن الألوهية، لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها.

وفيه تنبيه على أن الإله، يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا افْكٌ﴾: كذب مصروف عن وجهه.

﴿افْتَرَاهُ﴾: اختلقه.

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾: قيل^(٣): أي اليهود؛ فإنهم يلقون إليه أخبار الأمم، وهو

يعبر عنها بعبارة.

وقيل^(٣): جبر^(٤) ويسار وعداس. وقد سبق في قوله^(٥): «إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في

قوله ﷻ «إفك افتراه»، قال: الإفك الكذب. «وأعانه عليه قوم آخرون» يعنون أبا فكيهة

وحبراً وعداساً وعابساً مولى حويطب.

﴿فَقَدْ جَاؤُوا ظُلُمًا﴾: وهو جعل الكلام المعجز مختلفاً متلفاً من اليهود.

﴿وَوُورًا﴾^(٧): بنسبة ما هو بريء منه إليه.

وأتى وجاء، يُطلقان بمعنى فعل، فَيُعْدَيَانِ تعديته.

﴿وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: ما سطره المتقدمون.

﴿اَكْتَتَبَهَا﴾: كتبها لنفسه. أو: استكتبها.

٢. ليس في ن.

١. م: فيعزل.

٤. أنوار التنزيل، ١٣٨/٢.

٣. أنوار التنزيل، ١٣٨/٢.

٦. تفسير القمي، ١١١/٢.

٥. النحل/ ١٠٣.

وقرئ^(١) على البناء للمفعول، لأنه أمّي، وأصله: اكتتبها كاتب له. فحُذِف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير، فصار: اكتتبها إياه كاتب. ثم حُذِف الفاعل، وبُني الفعل للضمير، فاستتر فيه.

﴿فَمِى تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصِيلًا﴾^(٢): ليحفظها؛ فإنه أمّي لا يقدر أن يكرّر من الكتاب. أو: ليكتب.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لأنه أعجزكم عن آخركم، بفصاحته وتضمنه أخباراً عن مغيبات مستقبله وأشياء مكنونة، لا يعلمها إلا عالم الأسرار. فكيف تجعلونه أساطير الأولين؟!

﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣): فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون، مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصبّ عليكم العذاب صبّاً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): ثم حكى ﷺ أيضاً «وقال الذين كفروا إن هذا» يعني القرآن، «إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون»، قالوا: إن هذا الذي يقرؤه رسول الله ﷺ (٣) ويخبرنا به، إنما يتعلّمه من اليهود ويكتبه من علماء النصارى، ويكتب عن رجل يقال له ابن قبيطة وينقله عنه بالعادة والعشي، فحكى ﷺ (٤) قولهم ردّ عليهم. فقال جلّ ذكره: «وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه» إلى قوله: «بكرة وأصيلًا». فردّ الله ﷺ عليهم فقال: «قل» لهم يا محمد: «أنزله الله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيمًا». وقوله ﷺ: «أساطير الأولين اكتتبها»، فهو قول النضر بن الحارث بن علقمة بن كلفة.

﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ﴾: ما لهذا الذي يزعم الرسالة - وفيه استهانة وتهكم -

﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾: كما نأكل!

﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾: يطلب المعاش كما نمشي!

٢. تفسير القمي، ١١١/٢.

١. أنوار التنزيل، ١٣٨/٢.

٤. المصدر: فحكى الله.

٣. المصدر: يقرؤه محمد.

والمعنى: إن صحَّ دعواه، فما باله لم يخالف حاله ^(١) حالنا؟! وذلك لعمهم وقصور نظرهم على المحسوسات. فإنَّ تميّز الرسل عمّن عداهم، ليس بأمور جسمانيّة، وإنّما هو بأحوال نفسانيّة. كما أشار إليه بقوله ^(٢) تعالى: «إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهمك إله واحد».

﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَهُكَ فَكَيْفَ يُكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ^(٣) : ليعلم صدقه بتصديق الملك!؟

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ : فيستظهر به، ويستغني عن تحصيل المعاش!؟

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ : هذا على سبيل التنزل، أي إن لم يلق إليه كنز، فلا أقلَّ

أن يكون له بستان، كما للدهاقين والمياسير، فيتعيّش بريعه ^(٤).

﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ : وضع الظالمين موضع ضميرهم، تسجيلاً عليهم بالظلم فيما

قالوه.

﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ : ما تتبعون.

﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ^(٥) : سحر، فغلب على عقله.

وقيل ^(٦): ذاسحر، وهو الرئة، أي بشراً لملكاً.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٧) للطبرسيّ عليه السلام عن أبي محمّد الحسن العسكريّ عليه السلام أنّه قال:

قلت لأبي، عليّ بن محمّد عليه السلام: هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر اليهود والمشرّكين إذا

عابوه ويحاجّهم؟ قال: مراراً كثيرة. وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان قاعداً ذات يوم

بمكة، بفناء الكعبة. فابتدأ عبد الله بن أبي أميّة المخزومي، فقال: يا محمّد، لقد ادّعت

دعوى عظيمة، وقلت مقالاً هائلاً! زعمت أنّك رسول ربّ العالمين ^(٨)؛ وما ينبغي لربّ

١. ليس في م. ٢. الكهف / ١١٠.

٣. الرئيخ: فضل كلّ شيء. وفي الاقتصاد السياسي: الجزء الذي يؤدّي المستأجر إلى المالك من غلة الأرض مقابل استغلال قواها الطبيعيّة التي لا تقبل الهلاك.

٤. أنوار التنزيل، ١٣٩/٢. ٥. الاحتجاج، ٢٩/١ - ٣٠.

٦. المصدر: رسول الله.

العالمين وخالق الخلق أجمعين، أن يكون مثلك رسوله بشراً مثلنا؛ تأكل كما نأكل، وتمشي في الأسواق كما نمشي! فقال رسول الله ﷺ: اللهم أنت السامع لكل صوت، والعالم بكل شيء، تعلم ما قاله عبادك. فأنزل الله عليه: يا محمد «وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام» إلى قوله: «مسحوراً».

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: أي قالوا فيك الأقوال الشاذة، واخترعوا لك الأحوال النادرة.

﴿فَضْلُوا﴾: عن الطريق الموصل إلى معرفة خواص النبي ﷺ، والمميز بينه وبين المتنبّي، فخبطوا خبط عشواء.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾^(١): إلى القدح في نبوتك، أو إلى الرشد والهدى.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ ابْنِ سَنَانٍ^(٣)، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ مَنْحَلِ بْنِ جَمِيلِ الرَّقِيِّ^(٤)، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجَعْفِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: نَزَلَ جَبْرِئِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ هَكَذَا: «وَقَالَ الظَّالِمُونَ لَأَلْ مُحَمَّدٌ عليه السلام حَقَّهُمْ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضْلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا إِلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام». وَعَلِيٌّ عليه السلام هُوَ السَّبِيلُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ هَمَّامٍ^(٥)، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى^(٥)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام بِمِثْلِهِ. وَفِي شَرْحِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ^(٦): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ عليه السلام فِي تَفْسِيرِهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ السِّيَارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّيْرَفِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ

٢. المصدر: محمد بن سنان.

١. تفسير القمي، ١١١/٢ - ١١٢.

٤. نفس المصدر والموضع.

٣. المصدر: البرقي (الرقّي - ظ).

٦. تأويل الآيات، ٣٧١/١، ح ١.

٥. المصدر: محمد بن المستنير.

عليّ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ: «وَقَالَ الظَّالِمُونَ لَأَكُلَ مُحَمَّدٌ حَقَّهُمْ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا». يعنون محمداً ﷺ. فقال الله ﷻ لرسوله: «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضّلوا فلا يستطيعون إلى ولاية عليّ ﷺ سبيلاً». وعليّ هو السبيل.

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ ﴾: في الدنيا.

﴿ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾: ممّا قالوا. ولكن أخره إلى الآخرة، لأنّه خير وأبقى.

﴿ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾: بدل من «خيراً».

﴿ وَيَجْعَلُ لَكَ قَصُورًا ﴾ (١): عطف على محلّ الجزء.

وقراء (١) ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع؛ لأنّ الشرط إذا كان ماضياً، جاز في جزائه الجزم والرفع؛ كقوله:

وإن أتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم (٢)

ويجوز أن يكون استثناءً بوعده، ما يكون له في الآخرة.

وقرئ (٣) بالنصب على أنّه جواب بالواو (٤).

وفي كتاب الاحتجاج (٥) للطبرسي ﷺ متصلاً بقوله إلى قوله: «مسحوراً»: ثم قال الله تعالى: «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضّلوا فلا يستطيعون سبيلاً» ثم قال: يا محمد «تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنّات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً». فقال له رسول الله ﷺ: يا عبدالله، أما ما ذكرت من أنّي آكل الطعام كما تأكلون، وزعمت أنّه لا يجوز لأجل هذا أن أكون لله رسولاً؛ فإنّما الأمر لله، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو محمود. وليس لك ولا لأحد الاعتراض بلمّ وكيف. ألا

١. أنوار التنزيل، ١٣٩/٢.

٢. قوله: «خليل» من الخلّة وهي الفقر. ويقال: «مالي حرم» إذا كان لا يعطى منه.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. قوله: «وقرئ بالنصب على أنّه جواب بالواو» فشبّه الشرط والجزاء بالتمنّي في عدم تحقّق وقوعهما حال المشاركة. فكما يجوز نصب الفعل بعد التمني، كذلك بعد الجزء.

٥. الاحتجاج ٣٠١/١-٣٢. رواه عن الإمام العسكري، عن الإمام الهادي صلوات الله عليهما.

ترى أن الله كيف أفقر بعضاً وأغنى بعضاً؟! وأعزّ بعضاً وأذلّ بعضاً؟! وأصحّ بعضاً وأسقم بعضاً؟! وشرف بعضاً ووضع بعضاً؟! وكلّهم ممّن يأكل الطعام!

ثمّ ليس للفقراء أن يقولوا: لمّ أفقرتنا وأغنيهم؟! ولا للوُضعاء أن يقولوا: لمّ وضعتنا وشرفّتهم؟! ولا للزّمناء^(١) والضعفاء أن يقولوا: لمّ أزمّتنا وأضعفّتنا وصحّحتهم؟! ولا للأذلاء أن يقولوا: لمّ [أذللتنا وأعزّزتهم؟! ولا لقباح الصور أن يقولوا: لمّ أقبحتنا^(٢) وجملّتهم؟!]

بل إن قالوا ذلك، كانوا على ربّهم راذّين، وله في أحكامه منازعين، وبه كافرين. ولكان جوابه لهم: أنا الملك الخافض الرافع، المغني المفقر، المعزّ المذلّ، المصحّح المسقم. وأنتم العبيد، ليس لكم إلّا التسليم لي والانقياد لحكمي. فإن سلّمتم، كنتم عباداً مؤمنين^(٤). وإن أبيتم، كنتم بي كافرين، وبعقوباتي من الهالكين.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «أما قولك: «ما أنت إلّا رجل مسحور»، فكيف أكون كذلك، وقد تعلمون أنّي في صحّة التميّز والعقل فوقكم؟! فهل جرّبتُم عليّ - مذنّشأت إلى أن استكملت أربعين سنة - خزية، أو ذلّة، أو كذبة، أو خيانة، أو خطأ من القول، أو سفهاً من الرأي؟! أتظنّون أنّ رجلاً يعتصم طول هذه المدّة بحول نفسه وقوّتها، أو بحول الله وقوّته؟ وذلك ما قال الله: «انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلاً». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي إرشاد المفيد^(٥) بإسناده إلى الأصمغ بن نباتة، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله تعالى قصر^(٦) من ياقوت أحمر، لا يناله إلّا نحن وشيعتنا. وسائر الناس منه بريئون.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾: فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيويّة، وظنّوا أنّ الكرامة

٢. ليس في ن .

٤. أ: عباد الله المؤمنين .

٦. المصدر: قضياً .

١. المصدر: للزّمن .

٣. المصدر: قبحتنا .

٥. الإرشاد، ١٨ .

إنما هي بالمال، فقطعوا فيك لفقرك. أو: فلذلك كَذَّبوك، لا لما تمَحَلوا^(١) من المطاعن الفاسدة. أو: فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب، ويصدَّقونك بما وعد الله لك في الآخرة؟ أو: فلا تعجب من تكذيبهم إياك، فإنه أعجب منه.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾^(٢): ناراً شديدة الإسعار.

وقيل^(٣): هو اسم لجهنم، فيكون صرفه باعتبار المكان.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هَلَالٍ، عَنْ عَمْرِو^(٥) الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اثْنَا عَشْرَةَ سَاعَةً. وَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَشْرَفَ سَاعَةً مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً. وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تعالى: «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا».

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾: أي إذا كانت بمرأى منهم.

كقوله تعالى: «لَا تَرَىٰ نَارَهُمَا»، أي لا تتقاربان، بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى على المجاز. والتأنيث، لأنه بمعنى النار أو جهنم.

﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: هو أقصى ما يمكن أن يُرى منه.

وفي مجمع البيان^(٦): «إذا رأتهم من مكان بعيد»، أي مسيرة مائة عام. عن السدي والكلبي.

وقال أبو عبد الله عليه السلام^(٧): من مسيرة سنة.

﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾^(٨): صوت تغيط.

شبه صوت غليانها بصوت المغتاط وزفيره، وهو صوت يُسمع من جوفه.

٢. أنوار التنزيل، ١٣٩/٢.

٤. المصدر: عمر.

٦. مجمع البيان، ١٦٣/٤.

١. تمَحَل: احتال.

٣. تفسير القمي، ١١٢/٢.

٥. مجمع البيان، ١٦٣/٤.

قيل^(١): إِنَّ الحَيَاةَ، لَمَّا لَمْ تَكُنْ مُشْرُوطَةً [عندنا]^(٢) بالبنية، أمكن أن يخلق الله فيها حياة، فترى وتتغَيَّظ وتزفر. وهذا بناء على مذهب الأشاعرة.

وقيل^(٣): إِنَّ ذَلِكَ لِرَبَانِيَّتِهَا، فَتُسَبَّ إِلَيْهَا عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا﴾: فِي مَكَانٍ.

و«مِنْهَا» بَيَانٌ تَقَدَّمَ، فَصَارَ حَالًا.

﴿ضَيِّقًا﴾: لَزِيَادَةِ الْعَذَابِ؛ فَإِنَّ الْكَرْبَ مَعَ الضَّيْقِ وَالرُّوحَ مَعَ السَّعَةِ. وَلِذَلِكَ وَصَفَ

اللَّهُ الْجَنَّةَ بِأَنَّهُ عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ^(٤).

وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٥): «وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا». وَفِي الْحَدِيثِ: قَالَ ﷺ فِي هَذِهِ

الآيَةِ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمْ يُسْتَكْرَهُونَ فِي النَّارِ، كَمَا يُسْتَكْرَهُ الْوَتْدُ فِي الْحَائِطِ.

﴿مُقَرَّنِينَ﴾: قُرُنْتُ أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بِالسَّلَاسِلِ.

﴿دَعَوْا هُنَالِكَ﴾: فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ.

﴿ثُبُورًا﴾^(٦): هَلَاكًا. أَيْ يَتِمَتُونَ الْهَلَاكَ وَيَنَادُونَهُ، فَيَقُولُونَ. يَأْتِثُورًا تَعَالِ، فَهَذَا

حِينُكَ!

﴿لَا تَدْعُوا النَّيُّومَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾: أَيْ يَقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ.

﴿وَإِذَا دُعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾^(٧): لِأَنَّ عَذَابَكُمْ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا ثُبُورٌ لَشِدَّتِهِ. أَوْ

لَأَنَّهُ يَتَجَدَّدُ؛ كَقَوْلِهِ^(٨) تَعَالَى: «كَلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

الْعَذَابَ». أَوْ لِأَنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ، فَهُوَ فِي كُلِّ وَقْتٍ ثُبُورٌ.

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^(٩): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ

دَرَّاجٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ الْخَلْقَ، أَمَطَرَ السَّمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ

أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَاجْتَمَعَتِ الْأَوْصَالُ وَنَبَتَ اللَّحُومُ.

٢. من المصدر .

٤. آل عمران / ١٣٣، والحديد / ٢١ .

٦. النساء / ٥٦ .

١. أنوار التنزيل، ١٣٩/٢ .

٣. نفس المصدر والموضع .

٥. مجمع البيان، ١٦٣/٤ .

٧. تفسير القمي، ٢٥٣/٢ .

وقال: أتى جبرئيل رسول الله ﷺ فأخذ بيده، وأخرجه إلى البقيع. فأنتهى به إلى قبر. فصوّت بصاحبه، فقال: قم يا ذن الله! فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية، يمسح التراب عن وجهه، وهو يقول: الحمد لله، والله أكبر. فقال جبرئيل: عد يا ذن الله! ثم انتهى به إلى قبر آخر، فقال: قم يا ذن الله! فخرج منه رجل مسودّ الوجه، وهو يقول: يا حسرتاه! يا ثبوراه! ثم قال له جبرئيل: عد إلى ما كنت فيه يا ذن الله. فقال: يا محمّد، هكذا يُحشرون يوم القيامة. فالمؤمنون يقولون هذا القول. وهؤلاء يقولون ما ترى.

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمته ^(١) بإسناده إلى كثير بن طارق قال: سألت زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام عن قول الله تعالى «لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً». فقال زيد: يا كثير، إنك رجل صالح ولست بمتهم. وإنّي أخاف عليك أن تهلك. إنّ كلّ إمام جائر، فإنّ أتباعهم إذا أمر بهم إلى النار، نادوا باسمه، فقالوا: يا فلان، يا من أهلكنا، هلمّ الآن، فحلّصنا ممّا نحن فيه! ثمّ يدعون بالويل والثبور. فعندها يقال لهم: «لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً».

قال زيد: حدّثني أبي، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنت يا عليّ، وأصحابك في الجنّة. [أنت يا عليّ، وأصحابك في الجنّة] ^(٢). وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٣): «وإذا ألقوا منها»، أي فيها «مكاناً ضيقاً مقرّنين». قال: مقيدّين بعضهم مع بعض. «دعوا هنالك ثبوراً».

«قُلْ أَذَلِكْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ»: الإشارة إلى العذاب. والاستفهام والتفضيل والترديد، للتقريع مع التهكّم. أو إلى الكنز والجنّة، والراجع إلى الموصول محذوف.

وإضافة الجنّة إلى الخلد للمدح، أو للدلالة على خلودها، أو التمييز عن جنّات الدنيا.

٢. ليس في م.

١. أمالي الشيخ، ١٣٨/١.

٣. تفسير القمي، ١١٢/٢.

﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾: في علم الله أو اللوح، أو لأن ما وعده الله في تحققه كالواقع.

﴿جَزَاءً﴾: على أعمالهم بالوعد،

﴿وَمَصِيرًا﴾^(٥): ينقلبون إليه.

ولا يمنع كونها جزاء لهم، أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم، مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب، لأنهم في مقابلتهم.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾: ما يشاؤون من النعيم.

ولعله تقصرهم كل طائف على ما يليق برتبته من النعيم؛ إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك شيئاً مما يدركه الكامل^(٦) بالتشهي. وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة.

﴿خَالِدِينَ﴾: حال من أحد ضمايرهم.

﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾^(٧): الضمير في «كان» لـ «ما يشاؤون». والوعد:

الموعود. أي كان ذلك موعوداً، حقيقة بأن يسأل ويطلب. أو مسؤولاً، سأله الناس في دعائهم: «رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رِسْلِكَ»^(٨)، أو الملائكة بقولهم: «رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ»^(٩).

وما في «على» من معنى الوجوب، لامتناع الخلف في وعده. ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز فإن تعلق الإرادة بالموعود، مقدم على الوعد الموجب للإنجاز.

﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ﴾: للجزاء.

وقرئ^(٤) بكسر الشين.

وقرأ^(٥) ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يعم كل معبود سواه. واستعمال «ما» إما لأن وضعه

١. من أنوار التنزيل ١٤٠/٢. وفي النسخ بدلها: والكل.

٢. آل عمران / ١٩٤. ٣. غافر / ٨.

٤ و ٥. أنوار التنزيل، ١٤٠/٢.

أعمّ. ولذلك يُطلق لكلّ شبح يُرى ولا يعرف. أو لأنّه أُريد به الوصف؛ كأنّه قيل: ومعبودهم. أو لتغليب الأصنام، تحقيراً. أو اعتباراً لغلبة عبّادها. أو يخصّ الملائكة وعزيراً والمسيح، بقرينة السؤال والجواب. أو الأصنام، يُنطقها الله أو تتكلّم بلسان الحال؛ كما قيل في كلام الأيدي والأرجل.

﴿فَيَقُولُ﴾: أي للمعبودين. وهو على تلوين الخطاب.

وقرأ^(١) ابن عامر بالنون.

﴿وَأَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (٧): لإخلالهم الصحيح،

واعراضهم عن المرشد النصيح.

وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة. وأصله: «أأضللتم أم ضلّوا»، فغيّر النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال، وهو المتولّي للفعل دونه، لأنّه لاشبهة فيه، وإلاّ لما توجه العتاب. وحذف صلة «ضلّ» للمبالغة.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾: تعجباً ممّا قيل لهم، لأنّهم إمّا ملائكة، أو أنبياء معصومون، أو

جمادات لا تقدر على شيء. أو إشعاراً بأنّهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده. فكيف يليق بهم إضلال عبّيده. أو تنزيهاً لله عن الأنداد.

﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا﴾: يصحّ لنا.

﴿أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: للعصمة، أو لعدم القدرة. فكيف يصحّ لنا أن

ندعو غيرنا أن يتولّى أحداً دونك؟!

وقرئ^(٢): «أن نتخذ»، على البناء للمفعول. من اتّخذ الذي له مفعولان. كقوله

تعالى^(٣): «واتخذ الله إبراهيم خليلاً». ومفعوله الثاني «من أولياء». و«من» للتبعية. وعلى الأوّل، مزيدة لتأكيد النفي.

﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ﴾: بأنواع النعم وطول أعمارهم بعد موت الأنبياء، فاستغفروا في الشهوات.

﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾: المنزل على الأنبياء.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾^(٣١): هالكين فاسدين.

مصدر وُصِفَ به. ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع. أو جمع بائر كعائذ وعود.
﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾: التفات إلى العبد بالاحتجاج والإلزام، على حذف القول. والمعنى: قد كذبكم المعبودون.

﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾: في قولكم: إنهم آلهة، وهؤلاء أضلونا.

والباء بمعنى «في»، أو مع المجرور بدل من الضمير.

وعن ابن كثير^(١) بالياء، أي كذبوكم بقولهم سبحانه ما كان ينبغي لنا.

﴿فَمَا يَسْطِيعُونَ﴾: أي المعبودون.

وقرأ^(٢) حفص بالتاء على خطاب العابدين.

﴿صَرَفًا﴾: دفعاً للعذاب عنكم.

وقيل^(٣): حيلة، من قولهم «إنه ليتصرف» أي يحتال.

﴿وَلَا نَضُرَّ﴾: يعينكم عليه.

﴿وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ﴾: أيها المكلفون.

﴿نَذِقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾^(٤): أي النار.

والشرط، وإن عم كل من كفر أو فسق، لكنه في اقتضاء الجزاء، مقيد بعدم المزاحم وفاقاً، وهو التوبة والإحباط بالطاعة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾: أي
إلا رسلاً إنهم. فحذف الموصوف لدلالة «المرسلين» عليه. وأقيمت الصفة مقامه،

كقوله ^(١) تعالى: «وما منّا إلّا له مقام معلوم». ويجوز أن تكون حالاً اكتفى فيها بالضمير. وهو جواب لقولهم: «ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق». وإذا قرئ: «يُمَشُّون» كان معناه تمشيهم حوائجهم، أو الناس. وفي مجمع البيان ^(٢): «وروي عن عليّ عليه السلام: «يُمَشُّون في الأسواق» بضمّ الباء وفتح الشين المشدّدة.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ : أيها الناس.

﴿لِبَعْضٍ فَتْنَةً﴾ : ابتلاء.

ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء، والمرسلين بالمرسل إليهم. ومناصبتهم لهم العداوة وإيذائهم لهم. وهو تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وآله على ما قالوه بعد نقضه ^(٣).

﴿اتَّضَرُّوْنَ﴾ : علة للجعل. والمعنى: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة، لنعلم أيكم يصبر. نظيره قوله ^(٤): «ليبلوكم أيكم أحسن عملاً».

﴿وَكَانَ رَيْكُ بَصِيرًا﴾ ^(٥) قيل ^(٦): بمن يصبر، أو بالصواب، فيما يتبلى به وغيره.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٧): قال محمّد بن العباس عليه السلام: حدّثنا محمّد بن همام، عن محمّد بن إسماعيل العلويّ، عن عيسى بن داود [النّجار] ^(٨) قال: حدّثني مولاي أبو الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام وأغلق عليه وعليهم الباب، وقال: يا أهلي وأهل الله، إنّ الله تعالى يقرأ عليكم السلام، وهذا جبرئيل معكم في البيت، يقول: [إنّ الله تعالى يقول:] ^(٩) «إني قد جعلت عدوكم لكم فتنة، فما تقولون؟ قالوا: نصبر يا رسول الله! لأمر الله وما نزل من قضائه حتّى نقدم على الله تعالى

١. الصافات / ١٦٤.

٢. مجمع البيان: ١٦٢/٤.

٣. الملك / ٢.

٤. ع، أ، س: تقضهم.

٥. تأويل الآيات، ٣٧٢/١، ح ٣.

٦. أنوار التنزيل، ١٤١/٢.

٧. ليس في م.

٨. من المصدر.

ونستكمل جزيل ثوابه . فقد سمعناه يعد الصابرين الخير كله .

فيكى رسول الله ﷺ حتى سمع نحيبه ^(١) من خارج البيت . فنزلت هذه الآية : « وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً » أنهم سيصبرون ؛ أي سيصبرون ^(٢) كما قالوا صلوات الله عليهم .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ﴾ : لا يأملون .

﴿ لِقَاءَنَا ﴾ : بالخير ؛ لكفرهم بالبعث . أو : لا يخافون لقاءنا بالشر ، على لغة تهامة وهذيل يضعون الرجاء موضع الخوف إذا كان معه جحد ؛ لأن من رجا شيئاً خاف فوته . فإنه إذا لم يخف كان يقيناً . ومن خاف شيئاً رجا للخلاص منه . فوضع أحدهما موضع الآخر .

﴿ لَوْلَا ﴾ : هَلَا .

﴿ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ ﴾ : فيخبروننا بصدق محمد ﷺ .

وقيل ^(٣) : فيكونون رسلاً إلينا .

﴿ أَوْ نَرَى رَبَّنَا ﴾ : فيأمرنا بتصديقه واتّباعه .

﴿ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ : حيث طلبوا إنزال الملائكة عليهم ، كما على الأنبياء ، واعتقدوا الله شيئاً يجوز رؤيته مثلهم .

﴿ وَعَتَوْا ﴾ : وتجاوزوا الحد في الظلم .

﴿ عَتَوْا كِبِيراً ﴾ ^(٤) : بالغاً أقصى مراتبه ؛ حيث عاينوا المعجزات القاهرة ، فأعرضوا عنها .

واللام جواب قسم محذوف . وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم .

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ ﴾ : ملائكة الموت أو العذاب .

١ . كذا في المصدر . وفي النسخ : نعيجه . ٢ . س ، أم ، ن : يصبرون .

٣ . أنوار التنزيل ، ١٤١/٢ .

و«يوم» نُصِيبُ بِأَذْكَرٍ، أو بما دَلَّ عليه.

﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ : فَإِنَّهُ بِمَعْنَى : يَمْنَعُونَ الْبُشْرَى ، أو يَعْدُمُونَهَا .

و«يومئذ» تكرير، أو خبر. و«للمجرمين» تبیین، أو خبر ثانٍ، أو ظرف لما يتعلّق به

اللام، أو لـ «بشرى»، إن قُدِّرَتْ مَنْوَنَةٌ غَيْرُ مَبْنِيَّةٍ مَعَ «لا» فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ .

و«للمجرمين» إِمَّا عَامٌّ يَتَنَاوَلُ حُكْمَهُ حُكْمُهُمْ مِنْ طَرِيقِ الْبَرْهَانِ - وَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ

الْبُشْرَى لِعَامَّةِ الْمُجْرِمِينَ حِينَئِذٍ، نَفْيِ الْبُشْرَى بِالْعَفْوِ وَالشَّفَاعَةِ فِي وَقْتٍ آخَرَ - وَإِمَّا

خَاصٌّ، وَضِعَ مَوْضِعَ ضَمِيرِ «هُمْ» تَسْجِيلاً عَلَى جُرْمِهِمْ، وَإِشْعَاراً بِمَا هُوَ الْمَانِعُ

لِلْبُشْرَى، وَالْمَوْجِبُ لِمَا يَقَابِلُهَا .

﴿وَيَقُولُونَ حَبِيراً مَحْجُوراً﴾ (٣١) : عَطَفَ عَلَى الْمَدْلُولِ ؛ أَيْ وَيَقُولُ الْكُفْرَةُ حِينَئِذٍ

هَذِهِ الْكَلِمَةُ، اسْتِعَاذَةً وَطَلَباً مِنْ اللَّهِ أَنْ يَمْنَعَ لِقَاءَهُمْ . وَهِيَ مِمَّا كَانُوا يَقُولُونَ عِنْدَ لِقَاءِ

عَدُوِّ وَهْجُومِ مَكْرُوهِه .

أو يقولها الملائكة، بمعنى : حَرَاماً مُحَرَّمَاً عَلَيْكُمُ الْجَنَّةَ ، أو الْبُشْرَى .

وقرئ^(١) : «حُجْرًا» ؛ بِالضَّمِّ . وَأَصْلُهُ الْفَتْحُ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا اخْتَصَّ بِمَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ^(٢)

غُيِّرَ ، كَقَعْدِكَ^(٣) وَعَمْرُكَ . وَلِذَلِكَ لَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ ، وَلَا يَظْهَرُ نَاصِبُهُ . وَوَصَفَهُ بِـ «مَحْجُورًا»

لِلتَّأْكِيدِ ؛ كَقَوْلِهِمْ : مَوْتٌ مَائِتٌ .

﴿وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَثْثُورًا﴾ (٣٢) : أَيْ وَقَصَدْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا

فِي كُفْرِهِمْ مِنَ الْمَكَارِمِ - كَقَرِي الضَّيْفِ وَصَلَةِ الرَّحِمِ وَإِعَانَةِ الْمَلْهُوفِ - فَأَحْبَطْنَاهُ لِفَقْدِ

مَا هُوَ شَرْطُ اعْتِبَارِهِ .

١ . أنوار التنزيل ، ١٤٢/٢ .

٢ . قوله : «غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا اخْتَصَّ بِمَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ» وَهُوَ مَوْضِعُ لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَهْجُومِ الْمَكْرُوهِ ... الْخ . غُيِّرَ

«حَجَرًا» لِمَا ذُكِرَ ، وَلَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ وَلَا يَظْهَرُ نَاصِبُهُ لِلْإِشْعَارِ بِتَغْيِيرِهِ عَنْ حَالَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ ؛ وَالْمُرَادُ مِنْ عَدَمِ

التَّصَرُّفِ : أَنَّهُ لَا يَسْتَعْمَلُ إِلَّا مَنْصُوباً عَلَى الْمَصْدَرِ .

٣ . المصدر : كَقَدِكَ .

وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم، فقدم إلى أسيانهم، فمزقها وأبطلها، ولم يُبق لها أثراً.

والهباء: غبار يُرى في شعاع الشمس، يطلع من الكوة. من الهبوة، وهي الغبار. و«منثوراً» - أي مفرقاً - صفته. شبه به عملهم المحبط بالهباء، في حقارته وعدم نفعه، ثم بالمنثور منه في انتشاره - بحيث لا يمكن نظمه - أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها. أو مفعول ثالث، من حيث إنه كالخبر بعد الخبر؛ كقوله ^(١): «كونوا قردة خاسئين».

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): «وأما قوله ﷺ: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» فإنه حَدَّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يبعث الله ﷺ يوم القيامة قوماً بين أيديهم نور كالقباطي ^(٣)، ثم يقول له: كن هباءً منثوراً. ثم قال: أما والله يا أبا حمزة، إنهم كانوا ليصومون ويصلون؛ ولكن كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام، أخذوه. وإذا ذُكر ^(٤) لهم شيء من فضل أمير المؤمنين عليه السلام أنكروه. قال: والهباء المنثور، هو الذي تراه يدخل البيت في الكوة مثل شعاع الشمس.

وفي علل الشرائع ^(٥)، بإسناده إلى أبي إسحاق الليثي، عن الباقر عليه السلام حديث طويل، يقول فيه أبو إسحاق بعد أن قال: وأجد من أعدائكم ومن ناصبيكم ^(٦) من يكثرون الصلاة ومن الصيام، ويخرج الزكاة ويتابع بين الحج والعمرة ويحض ^(٧) على الجهاد. ويأثر على البر وعلى صلة الأرحام ^(٨). ويقضي حقوق إخوانه. ويواسيهم من ماله.

١. البقرة / ٦٥، الأعراف / ١٦٦. ٢. تفسير القمي، ١١٢/٢ - ١١٣.

٣. القباطي: جمع القبطية - بضم القاف وقد تُكسر -: ثياب من كان تنسج بمصر منسوبة إلى القبط. (من هامش نور الثقلين ٩/٤).

٤. المصدر: عرض.

٥. علل الشرائع ٦٠٦ - ٦٠٧، ح ٨١. ٦. المصدر: «وناصبيكم» بدل «من ناصبيكم».

٧. المصدر: يحرض. ٨. ن: الرحم.

وَيَتَجَنَّبُ شَرْبَ الْخَمْرِ وَالزَّنا وَاللُّوَاطِ وَسَائِرَ الْفَوَاحِشِ . وَأَرَى النَّاصِبَ - عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِمَّا وَصَفْتَهُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ - لَوْ أُعْطِيَ أَحَدُ [هَمْ] ^(١) مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ذَهَبًا وَفِضَّةً ، أَنْ يَزُولَ عَنْ مَحَبَّةِ الطَّوَاعِيَةِ وَمَوَالَتِهِمْ إِلَى مَوَالَتِكُمْ مَا فَعَلَ وَلَا زَالَ وَلَوْ ضُرِبَتْ خِيَاشِيمُهُ ^(٢) بِالسُّيُوفِ فِيهِمْ ، وَلَوْ قُتِلَ فِيهِمْ ، مَا ارْتَدَعَ وَلَا رَجَعَ . وَإِذَا سَمِعَ أَحَدُهُمْ مَنَقِبَةً لَكُمْ وَفَضْلًا ، اشْمَأَزَّ مِنْ ذَلِكَ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَرُبِّي كَرَاهَةً ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، بَغْضًا لَكُمْ وَمَحَبَّةً لَهُمْ ! ^(٣)

قال : فتبسّم الباقر عليه السلام ثم قال ^(٤) : يَا إِبْرَاهِيمَ ، هِنَاهُنَا هَلَكْتَ الْعَامِلَةُ النَّاصِبَةِ : «تَصَلِّيْ نَارًا حَامِيَةً تَسْقِي مِنْ عَيْنِ آنِيَةٍ» ^(٥) . وَمِنْ ذَلِكَ قَالَ ﷺ : «وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا» .

وفي بصائر الدرجات ^(٦) : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ ، عَنْ مَنْصُورِ [الْبَزْجِ] ^(٧) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَإِذَا كَانَ يَوْمَ عَرْفَةَ ، هَبَطَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : «وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا» .

فقلت : جعلت فذاك ؛ أعمال من هذه ؟

فقال : أعمال مبغضينا ومبغضي شيعتنا .

وفي أصول الكافي ^(٨) : ابْنُ أَبِي عَمِيرٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ : «وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمَلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا» .

١ . من المصدر .

٣ . م : لغيركم .

٥ . الغاشية / ٤ - ٥ . وقيلهما : «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ» .

٦ . بصائر الدرجات ٤٤٦ ، الجزء ٩ ، الباب ٤ ، ح ١٥ .

٧ . من المصدر .

٢ . الخياشيم - جمع الخيشوم - أقصى الأنف .

٤ . م : وقال .

٨ . الكافي ٨١/٢ ، ح ٥ .

قال: أما والله أن كانت أعمالهم أشدَّ بياضاً من القبايطي، ولكن كانوا إذا عرض لهم حرام^(١) لم يدعوه.

وفي الكافي^(٢): علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله [تعالى]: «وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» قال: أن كانت أعمالهم لأشدَّ بياضاً من القبايطي، فيقول الله [تعالى]^(٣) لها: كونِي هباءً. وذلك أنهم كانوا إذا شرع لهم الحرام، أخذوه.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾: قيل^(٤): مكاناً^(٥) يُسْتَقَرُّ فِيهِ مِنْ أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ للتجالس والتحدث.

﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾^(٦): قيل^(٧): مكاناً يرد^(٨) إليه للاسترواح بالأزواج والتمتع بهنَّ، تجوزاً له من مكان القيلولة على التشبيه. أو لأنه لا يخل من ذلك غالباً، إذ لا نوم في الجنة، وفي «أحسن» رمز إلى ما يترتب به مقيلم من حسن الصور وغيره من المحاسن. ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان، إشارة إلى أنَّ مكانهم وزمانهم أطيب ما يُتَخَيَّلُ مِنَ الْأَمَكَةِ وَالْأَزْمَنَةِ. والتفضيل، إما لإرادة الزيادة مطلقاً، أو بالإضافة إلى ما للمترفين في الدنيا.

وفي الكافي^(٩): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان؛ وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر والحسن بن علي، جميعاً عن أبي جميلة مفضل بن صالح، عن جابر عن عبدالأعلى؛ وعلي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى^(١٠)، عن يونس، عن إبراهيم بن^(١١) عبدالأعلى، عن سويد بن غفلة، قال: قال

-
- | | |
|--------------------|---------------------------|
| ١. المصدر: الحرام. | ٢. الكافي ١٢٦/٥، ح ١٠. |
| ٣. ليس في أ. | ٤. أنوار التنزيل، ١٤٢/٢. |
| ٥. المصدر: مكان. | ٦. أنوار التنزيل، ١٤٢/٢. |
| ٧. المصدر: يؤوى. | ٨. الكافي ٢٣١/٣-٢٣٢، ح ١. |
| ٩. ليس في أ. | ١٠. المصدر: عن. |

أمير المؤمنين عليه السلام: إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، مثَّل له ماله وولده وعمله. فإلتفت إلى ماله، فيقول: والله، إنِّي كنت عليك لحريصاً^(١) شحيحاً. فما لي عندك؟ فيقول: خذ مِنِّي كفك.

قال: فإلتفت إلى ولده، فيقول: والله إنِّي كنت لكم محبباً [وإنِّي كنت لكم محامياً]^(٢) فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤذيك إلى حفرتك، نواريك فيها.

قال: فإلتفت إلى عمله، فيقول: والله، إنِّي كنت فيك لزهداً وإن كنت عليّ لثقيلاً. فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك؛ حتَّى أعرض أنا وأنت على ربك. قال: فإن كان لله ولياً، أناه أطيب الناس ريحاً، وأحسنهم رياشاً، وأحسنهم منظرأً^(٣) فيقول: أبشر بروح وريحان وجنة نعيم، ومقدمك خير مقدم. فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح. ارتحل من الدنيا إلى الجنة. وإنه ليعرف غاسله، ويناشد حامله أن يعجِّله.

فإذا أدخل قبره، أناه ملكا القبر، يجزآن أشعارهما، ويخذآن الأرض بأقدامهما. أصواتهما كالرعد القاصف. وأبصارهما كالبرق الخاطف. فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي. وديني الإسلام. ونبيي محمد ﷺ. فيقولان له: تبتك الله فيما تحب وترضى. وهو قول الله ﷻ^(٤): «يثبت الله الَّذِينَ آمَنُوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة».

ثم يفسحان له في قبره مدَّ بصره. ثم يفتحان له باباً إلى الجنة. ثم يقولان له: نم قريح العين، نوم الشاب الناعم! فإن الله ﷻ يقول: «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفيه دلالة على أنَّ المستقرَّ والمقيل في القبر، و«يومئذ» يوم دخوله.

١. المصدر: حريصاً.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: أحسنهم منظرأً وأحسنهم رياشاً.

٤. إبراهيم / ٢٧.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً». قبلنا - والله أعلم - أنه إذا استوى أهل النار إلى النار، لينطلق بهم قبل أن يدخلوا النار، فيقال لهم: ادخلوا إلى ظل ذي ثلاث شعب من دخان النار^(٢). فيحسبون أنها الجنة. ثم يدخلون النار أفواجاً، وذلك نصف النهار. وأقبل أهل الجنة فيما اشتبهوا من التحف حتى يأتوا^(٣) منازلهم في الجنة نصف النهار. فذلك قول الله ﷻ: «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً».

وفي مجمع البيان^(٤): روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا ينتصف ذلك اليوم^(٥)، حتى يقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ﴾: أصله تشقق، فحذفت التاء وأدغمها^(٦) ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب.

﴿بِالْغَمَامِ﴾: قيل^(٧): بسبب طلوع الغمام منها. وهو الغمام المذكور في قوله^(٨): «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة».

وقيل^(٩): المعنى تشقق السماء وعليها الغمام^(١٠). كما يقال: ركب الأمير^(١١) بسلاحه وخرج بشيابه؛ أي وعليه سلاحه وثيابه.

﴿وَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾^(١٢): في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد.

وقرأ^(١٣) ابن كثير: «وننزل».

٢. مضمون قوله تعالى في سورة المرسلات / ٣٠.

٤. مجمع البيان، ١٦٧/٤.

٦ و ٧. أنوار التنزيل، ١٤٣/٢.

٩. مجمع البيان، ١٦٧/٤.

١١. س، أ: الإمام.

١. تفسير القمي، ١١٣/٢.

٣. المصدر: يعطوا.

٥. المصدر: لا ينتصف النهار من يوم القيامة.

٨. البقرة / ٢١٠.

١٠. المصدر: غمام.

١٢. أنوار التنزيل، ١٤٣/٢.

وقرئ^(١): «ونزلت»، «وأنزل» [«ونزل»]^(٢)، «ونزل الملائكة»^(٣) بحذف نون الكلمة.
 ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾: الثابت له. لأن كل ملك يبطل يومئذ، ولا يبقى إلا ملكه، فهو الخبر. و«للمرحمن» صلته، أو تبیین. و«يومئذ» معمول الملك، لا «الحق» لأنه متأخر. أو صفة^(٤)، والخبر «يومئذ» أو «للمرحمن».
 ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾^(٥): شديداً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا محمد بن الحسن بن علي، عن أبيه الحسن، عن أبيه، علي بن أسباط، قال: روى أصحابنا في قول الله تعالى ﴿الْمَلِكُ﴾^(٧) يومئذ الحق للمرحمن. قال: إن الملك للمرحمن اليوم، وقبل اليوم، وبعد اليوم. ولكن إذا أقام القائم عليه السلام لم يُعبد إلا الله تعالى.
 ﴿وَيَوْمَ يَمْضَى الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾: من فرط الحسرة.

قيل^(٨): عَضُّ اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها، كناية عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما.

وقيل^(٩): يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين، ثم تنبتان. ولا يزال هكذا؛ كلما نبتت يده، أكلها ندامة على ما فعل.
 والمراد بالظالم الجنس.

وقيل^(١٠): عقبه بن أبي معيط. كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وآله. فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ضيافته. فأبى أن يأكل طعامه، حتى ينطق بالشهادتين. ففعل. وكان أبي بن خلف صديقه. فعاتبه وقال: صبات؟! فقال: لا، ولكن أبي أن لا يأكل^(١١) من طعامي وهو في

١. أنوار التنزيل، ١٤٣/٢.

٢. من المصدر.

٣. قوله: «نزل الملائكة» بضم اللام، وكان أصله «نزل الملائكة» بنصب الملائكة، حذف النون وضم النون الباقية.

٤. قوله: «صفة» أي فالحق صفة الملك، والخبر ما ذكر.

٥. تأويل الآيات (٣٧٢/١)، ح ٤.

٦. المصدر: الملك بالطاعة.

٧. أنوار التنزيل، ١٤٣/٢.

٨. مجمع البيان، ١٦٧/٤.

٩. أنوار التنزيل، ١٤٣/٢.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: يأكل.

بيتي. فاستحييت منه، فشهدت له. فقال: لا أَرْضِي منك إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُ فَتَطْأَ قَفَاهُ، وَتَبْرُقَ فِي وَجْهِهِ.

فوجده ساجداً في دار الندوة. ففعل ذلك^(١). فقال ﷺ: لا أَلْقَاكَ خَارِجاً مِنْ مَكَّةَ، إِلَّا عَلَوْتَ رَأْسَكَ بِالسَّيْفِ. فَأَسْرَ يَوْمَ بَدْرٍ. فَأَمَرَ عَلِيّاً بِقَتْلِهِ^(٢). وطعن ﷺ أُمَيَّيًّا بِأَحَدٍ فِي الْمُبَارَاةِ. فَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ وَمَاتَ.

وقال الضَّحَّاكُ^(٣): لَمَّا بَرَقَ عَقِبُهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَادَ بِزَاقِهِ فِي وَجْهِهِ، فَأَحْرَقَ خَدَيْهِ. فَكَانَ أَثَرُ ذَلِكَ فِيهِ، حَتَّى مَاتَ.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾^(٤): طريقاً إِلَى النِّجَاةِ، أَوْ: طريقاً وَاحِداً - وَهُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ - وَلَمْ تَتَشَعَّبْ بِي طَرُقِ الضَّلَالَةِ.

وَفِي شَرْحِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ^(٥): رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ﷺ بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي الْخَطَّابِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ، مَا كُنْتُ فِي كِتَابِهِ حَتَّى قَالَ: «يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَاناً خَلِيلاً». وَإِنَّمَا هِيَ فِي مَصْحَفِ عَلِيٍّ: يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ الثَّانِي خَلِيلاً. وَسَيُظْهِرُ يَوْمًا.

وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَمْهُورٍ^(٦)، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمَ يَعْصَى الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَاناً خَلِيلاً». قَالَ: يَقُولُ الْأَوَّلُ لِلثَّانِي.

﴿يَا وَيْلَتِي﴾: وَقُرِئَ^(٧) بِالْيَاءِ، عَلَى الْأَصْلِ.

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَاناً خَلِيلاً﴾^(٨): يَعْنِي مَنْ أَضْلَهَ.

وَفَلَانٌ كُنَايَةٌ عَنِ الْأَعْلَامِ. كَمَا أَنَّ هُنَا كُنَايَةً عَنِ الْأَجْنَاسِ.

١. فِي جَمِيعِ النُّسخِ بَعْدَهَا: وَأَخَذَ رَحِمَ دَابَّةٍ [دَابَّتِهِ - ع] فَأَلْقَاهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ.

٢. الْمَصْدَرُ: فَقَتَلَهُ.

٣. مَجْمَعُ الْبَيَانِ، ١٦٦/٤.

٤. تَأْوِيلُ الْآيَاتِ ٣٧٤/١، ح ٨.

٥. نَفْسُ الْمَصْدَرِ، ح ٩.

٦. أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ، ١٤٣/٢.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمد السيارى، عن محمد بن خالد، عن حماد، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قوله عليه السلام: «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً». يعني علي بن أبي طالب.

وبالإسناد المذكور^(٢) عن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن محمد بن فضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عليه السلام: «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» يعني علي بن أبي طالب عليه السلام.

وجاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام بيان لذلك. قال العالم عليه السلام عن أبيه، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من عبد ولا أمة أعطى بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام في الظاهر ونكثها في الباطن وأقام على نفاقه، إلا وإذا جاءه ملك الموت لقبض روحه، تمثّل له إبليس وأعوانه، وتمثّلت له النيران وأصناف عقاربها لعينيه وقلبه ومقاعده من مضايقتها. وتمثّل له أيضاً الجنان ومنازله فيها، لو كان بقي على إيمانه ووفى ببيعته. فيقول له ملك الموت: انظر إلى ملك^(٣) الجنان التي لا يقادر على سرائها وبهجتها وسرورها إلا الله رب العالمين، كانت معدّة لك. فلو كنت بقيت على ولايتك لأخي محمد رسول الله صلى الله عليه وآله كان إليها مصيرك يوم فصل القضاء. ولكن نكثت وخالفت، فتلك النيران وأصناف عذابها وزبانياتها وأفاعيها الفاغرة أفواهاها وعقاربها الناصبة أذنانها وسباعها الشائلة مخالباها وسائر أصناف عذابها، هو لك وإليها مصيرك.

فعند ذلك يقول: «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» وقبلت ما أمرني به والتزمت من موالاته علي^(٤) ما ألزمني.

١. تأويل الآيات ٣٧٣/١، ح ٥. ٢. نفس المصدر، ح ٦.

٣. تفسير الإمام عليه السلام ٤٤: تأويل الآيات ٣٧٣/١. ٤. المصدر: تلك.

٥. ع: من موالاته على.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾: قيل^(١): عن ذكر الله أو كتابه، أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة.

﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾: إذ تمكنت منه.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام لبعض الزنادقة - وقد قال: ثم وارى أسماء^(٣) من اغترت وفتن خلقه وضل وأضل. وكنت عن أسمائهم في قوله: «يوم يعص الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني». فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء؟ :-

ولم يكن عن أسماء الأنبياء تبجراً^(٤) وتعذراً، بل تعريفاً لأهل الاستبصار. إن الكناية عن أسماء ذوي الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن، ليست من فعله تعالى وإنها من فعل المتغيرين والمبدلين الذين جعلوا القرآن عضيضين واعتاضوا الدنيا من الدين.

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾: يعني الخليل المضل. أو إبليس؛ لأنه حمله على ضلالته ومخالفة الرسول. أو كل من تشيطان من جن وإنس.

﴿لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾^(٥): بواله، حتى يؤذيه إلى الهلاك، ثم يتركه ولا ينفعه. فعول من الخذلان.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): حدثنا محمد بن همام قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مالك، عن محمد بن حمدان، عن محمد بن سنان، عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله عن قول الله تعالى^(٧) «وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ» قال: الغمام أمير المؤمنين عليه السلام. وقوله «يوم يعص الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع

١. أنوار التنزيل، ١٤٣/٢.

٢. الاحتجاج ٢٤٥/١ و٢٤٩.

٣. البحر: العيب.

٤. المصدر: اسم.

٥. الفرقان ٢٥.

٦. تفسير القمي ١١٣/٢ بتقديم وتأخير.

الرسول سبيلاً». قال أبو جعفر عليه السلام: يقول: «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً» علياً ولياً. «يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلاً» يعني الثاني. «لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني» يعني الولاية. «وكان الشيطان» وهو الثاني «للإنسان خذولاً».

وفي روضة الكافي ^(١) خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة، يقول فيها عليه السلام: «في مناقب لو ذكرتها، لعظم بها الارتفاع، فطال لها الاستماع. ولئن تقمّصها ^(٢) دوني الأشقيان ^(٣)، ونازعاني فيما ليس لهما بحق، وركبها ضلالة واعتقادها جهالة، فلبس ما عليه وردا. ولبس ما لأنفسهما مهّداً. يتلاعنان في دورهما ويتبرأ كل واحد ^(٤) منهما من صاحبه. يقول لقرينه إذا التقيا: «يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين» ^(٥) فيجيبه الأشقي على رثوة ^(٦): «يا ليتني لم أتخذك خليلاً لقد أضللتني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً».

فأنا الذكر الذي عنه ضلّ، والسبيل الذي عنه مال، والإيمان الذي به كفر، والقرآن الذي إيّاه هجر، والدين الذي به كذب، والصراف الذي عنه نكب ^(٧).

وفي تفسير العياشي ^(٨): عن داود بن فرقد، عمّن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو قرئ القرآن كما أنزل، لألفيتنا فيه مسمين.

عن إبراهيم بن عمر ^(٩)، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ في القرآن ما مضى، وما يحدث، وما هو كائن. كانت فيه أسماء الرجال، فألقيت. وأنما الاسم الواحد منه في

٢. أي لبسها كالقميص.

٤. من المصدر.

١. الكافي ٢٧/٨ - ٢٨، ح ٤.

٣. كناية عن الأول والثاني.

٥. الزخرف / ٣٨.

٦. الرثاء: البذاة. ومن اللباس: البالي (من هاشم نورالثقلين ١٢/٤).

٧. أشار عليه السلام إلى آيات عديدة: «وقال الرسول يا رب إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» (الفرقان / ٣٠)،

«كلّ بل تكذبون بالدين» (الانفطار / ٩) «وإنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لئكون» (المؤمن /

٧٤).

٨. تفسير العياشي ١٣/١، ح ٤.

٩. نفس المصدر ١٢، ح ١٠.

وجوه^(١) لا تحصى. يعرف ذلك الرصاة.

وفي مجمع البيان^(٢): وقال أبو عبد الله عليه السلام: ليس رجل من قريش، إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان تقوده إلى جنة أو تسوقه إلى نار. تجري في من بعده. إن خيراً فخير. وإن شراً فشر.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ يومئذ، أو في الدنيا بئناً إلى الله:

﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾: قريشاً^(٣).

﴿اتَّخِذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٤): بأن تركوه وصدّوا عنه. أو هجروا ولغوا فيه إذا

سمعوه^(٥). أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين. فيكون أصله: مهجوراً فيه، فحُذِفَ الجار. ويجوز أن يكون بمعنى الهجر.

وفي عيون الأخبار^(٦)، في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنه سمعها من الرضا عليه السلام مرة بعد مرة وشيئاً بعد شيء: فإن قال^(٧): فلم أمروا بالقراءة في الصلاة؟ قيل: لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً، وليكون محفوظاً، فلا يضمحل ولا يُجهل.

وفي أصول الكافي^(٨): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي عن السكوني، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس - وذكر حديثاً، وفيه يقول ﷺ: - فإذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع

١. ليس في أ. ٢. مجمع البيان، ١٦٦/٤.

٣. في هامش نسخة «م»: ينبغي في نظري أن يكون المراد بالقوم قريشاً وحدهم بل المناسب في النظر - والله أعلم - الأعم ومعناه أنهم اتَّخَذُوا القرآن وحملوه وصدّوا به، لكن كلّ ذلك في الظاهر وكان في الواقع ونفس الأمر مهجوراً لأنهم لا يعملون به وأقصى مراتب قبولهم له أن يعملوا بما وافق غرضهم وتبادلوا منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

٤. «وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه». فصلت/ ٢٦.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٠٥/٢، ح ١. ٦. ن: قالوا.

٧. الكافي ٥٩٨/٢ - ٥٩٩، ح ٢.

مشفّع وماحل مصدّق. ومن جعله أمامه، قاده إلى الجنّة. ومن جعله خلفه، ساقه إلى النار. هو الدليل، يدلّ على خير سبيل. وهو كتاب، فيه تفصيل وبيان وتحصيل: وهو الفصل ليس بالهزل. وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم. ظاهره أنيق وباطنه عميق. له نجوم وعلى نجومه نجوم. لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائب. فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة. ودليل على المغفرة لمن عرف الصفة.

محمد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام قال رسول الله ﷺ: أنا أوّل وافد على العزيز الجبار يوم القيامة، وكتابه وأهل بيتي، ثمّ أمّتي ثمّ أسألهم: ما فعلتم بكتاب الله وبأهل بيتي؟ أبو علي الأشعري^(٢)، عن بعض أصحابه، عن الخشاب، رفعه، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لا والله، لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبداً، ولا إلى بني أمية أبداً، ولا في ولد طلحة والزبير أبداً. وذلك أنّهم نبذوا القرآن، وأبطلوا السنن، وعطلوا الأحكام.

وقال رسول الله ﷺ: القرآن هدى من الضلالة^(٣)، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة. وفيه كمال دينكم. وما عدل أحد من القرآن، إلّا إلى النار.

ابن أبي عمير^(٤)، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن يعقوب الأحمر، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ عليّ ديناً كثيراً، وقد دخلني ما كان القرآن يتفلّت^(٥) منّي. فقال أبو عبدالله عليه السلام: القرآن القرآن! إنّ الآية من القرآن والسورة، لتجيء يوم القيامة، حتّى

١. نفس المصدر ٦٠٠، ح ٤.

٢. نفس المصدر: ح ٨.

٣. نفس المصدر ٦٠٨، ح ٣.

٤. ن: الضلال.

٥. ع: ينفلت. وتفلّت الطائر من الصائد: تخلص. وكأنّه أراد أنّه نسي ما حفظه من القرآن من شدة ما دخله

من همّ الدّين (من هامش نورالقلبين ١٤/٤). وفي نسخة: ينفلت.

تصعد ألف درجة، يعني في الجنة. فتقول: لو حفظتني، لبلغت بك هاهنا.
أبو علي الأشعري^(١)، عن الحسن بن علي بن عبدالله، عن العباس بن عامر، عن
الحجاج الخشاب، عن أبي كههم^(٢) الهيثم بن عبدالله^(٣) قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن
رجل قرأ القرآن ثم نسيه. فرددت عليه ثلاثاً: أعليه فيه حرج؟ قال: لا.

علي^(٤)، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: القرآن عهد الله إلى
خلقه. فقد ينبغي للمسلم^(٥) أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية.
﴿وَكَذَلِكَ﴾: وكما جعلنا لك عدوًّا من مشركي قومك،

﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: من كفار قومهم، فاصبر كما صبروا.
والعدو يحتمل الواحد والجمع. والمعنى في جعله إياهم عدوًّا لأنبيائه، أنه تعالى
أمر الأنبياء أن يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى وترك ما ألفوه من دينهم ودين آبائهم،
وإلى ترك عبادة الأصنام وذمها. وكانت هذه أسباباً داعية إلى العداوة. فإذا أمرهم بها،
فقد جعلهم عدوًّا لهم.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا﴾: إلى طريق الحق وطريق قهرهم.
﴿وَنَصِيرًا﴾^(٦): لأوليائه في الدنيا والآخرة على أعدائهم.
وفي كتاب الاحتجاج^(٧) للطبرسي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه
يقول عليه السلام مجيباً لبعض الزنادقة:

وأما ما ذكرته من الخطاب الدال على تهجين النبي عليه السلام والإزاء به والتأنيب له - مع
ما أظهره الله تبارك وتعالى في كتابه من تفضيله إياه على سائر أنبيائه - فإن الله ﷻ «جعل
لكل نبيٍّ عدوًّا من المشركين» كما قال في كتابه.

٢. م: أبي كههم.

١. نفس المصدر، ح ٥.

٣. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٣٢٠/٢. وفي م: الهيثم بن حميد وفي س، أ: الهيثم بن عميد وفي سائر

٤. نفس المصدر ٦٠٩، ح ١.

النسخ: الهيثم بن عبيد.

٦. الاحتجاج، ٢٥٧/١.

٥. المصدر: للمرء المسلم.

وبحسب جلاله منزلة نبينا ﷺ عند ربّه، كذلك عظم محنته لعدوّه الذي عاذ منه في حال^(١) شقاقه ونفاقه، كلّ أذى ومشقّة لدفع نبوّته وتكذيبه إيّاه وسعيه في مكارِهِ، وقصده لنقض كل ما أبرمه واجتهاده، ومن ماله على كفره وعناده ونفاقه والحاده في إبطال دعواه وتغيير ملّته ومخالفة^(٢) سنّته.

فلم ير شيئاً أبلى في تمام كيده من تنفيرهم عن موالاته وصيّهِ وإيحاشهم منه، وصدّهم عنه وإغرائهم لعداوته^(٣) والقصد لتغيير^(٤) الكتاب الذي جاء به، وإسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل وكفر ذوي الكفر منه [وممن وافقه على ظلمه وبغيه وشركه]^(٥).

ولقد علم الله ذلك منهم، فقال^(٦): «إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا» إلى قوله ﷻ: «وَتَرَكُوا مِمَّا قَدَرُوا أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، وزادوا فيه ما ظهر تناكره وتنافره [وعلم الله أن ذلك يظهر ويبين، فقال: «ذلك مبلغهم من العلم»]^(٧). وانكشف لأهل الاستبصار عوارهم وإغراؤهم^(٨) والذي بدا في الكتاب من الإزراء على النبي ﷺ من فرية الملحدين.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾: أي أنزل عليه. كنخبره بمعنى أخبر. لنلّا يناقض قوله:

﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾: دفعة واحدة؛ كالكتب الثلاثة.

وهو اعتراض لا طائل تحته؛ لأنّ الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو متفرّقاً. مع أنّ للتفريق فوائد، منها ما أشار إليه بقوله:

﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: أي كذلك أنزلناه مفرّقاً، لتقوّي بتفريقه فؤادك على

١. ليس في المصدر.

٢. المصدر: مخالفته.

٣. المصدر: بعداوته.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: لتغير.

٥. من المصدر.

٦. فصلت / ٤٠.

٧. النجم / ٣٠.

٨. من المصدر.

حفظه وفهمه؛ لأنَّ حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى؛ حيث كان أُمِّيًّا، وكانوا يكتبون. فلو أُلقي عليه جملة تعني^(١) بحفظه. ولأنَّ نزوله بحسب الوقائع، يوجب مزيد بصيرة. ولأنَّه إذا نزل منجماً^(٢) وهو يتحدَّى بكلِّ نجم، فيعجزون عن معارضة زاد ذلك قوَّة قلبه. ولأنَّه إذا أتى به جبرئيل حالاً بعد حال، ثبت به فؤاده. ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ. إلى غير ذلك.

و«كذلك» صفة مصدر محذوف، والإشارة إلى إنزاله مفزقاً، فإنَّه المدلول عليه بقوله: «لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة». ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالاً، والإشارة إلى الكتب السابقة. واللام على الوجهين، متعلِّق بمحذوف.

﴿وَرَزَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾^(٣) وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء، على تودة وتمهل.

قل^(٤): في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين. وأصل الترتيل في الأسنان، وهو تفليجها.

وفي مجمع البيان^(٥): روي عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يا ابن عباس، إذا قرأت القرآن، فرتله ترتيلاً. قال: وما الترتيل؟ قال: بيَّنه تبييناً. ولا تنثره نثر الرمل^(٦). ولا تهذه هذه الشعر. فقرأوا عند عجائبه. وحرَّكوا به القلوب. ولا يكون هم أحدكم آخر السورة.

وفي أصول الكافي^(٧): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن سعيد^(٨)، عن واصل بن سليمان، عن أبي عبد الله بن سليمان^(٩) قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «ورتل القرآن ترتيلاً». قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بيَّنه تبياناً. ولا تهذه هذه الشعر.

٢. أي مقسّطاً. من نجم المال ونحوه: أذاه أقساطاً.

٤. مجمع البيان، ١٧٠/٤.

٦. الكافي، ٦١٤/٢، ح ١.

٨. ع، م، س: سلمان.

١. تعني الأمر: تحمله على مشقة.

٣. أنوار التنزيل، ١٤٤/٢.

٥. المصدر: الدقل.

٧. المصدر: علي بن معبد.

ولا تنثره نثر الرمل. ولكن أفرغوا^(١) قلوبكم القاسية. ولا يكن هم أحدكم آخر السورة^(٢).

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: سؤال عجيب - كأنه مثل في البطلان - يريدون به القدرح في نبوتك.

﴿الْإِجْتِنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: الدامخ له في جوابه.

﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾^(٣): وبما هو أحسن بياناً، أو معنى من سؤالهم. أو لا يأتونك بحال عجيبة يقولون: هلاً كانت هذه حاله إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن كشفاً لما بُعثت له.

﴿الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ﴾: أي مقلوبين أو مسحوبين إليها. أو متعلقة قلوبهم بالسفليات، متوجهة وجوههم إليها.

وفي مجمع البيان^(٤): روى أنس قال: إن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: إن الذي أمشاه على رجلين^(٥) قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة. أوردته البخاري في الصحيح.

١. المصدر: أفرغوا.

٢. في هامش نسخة «م»: ابن عيسى عن الحسن بن علي عن عبد الله بن البرقي وأبي أحمد، عن بعض اصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ينبغي للعبد إذا صلى أن يرثل في قراءته. فإذا مرّ بآية فيها ذكر الجنة وذكر النار، سأل الله الجنة، وتعوذ بالله من النار. وإذا مرّ بآية فيها أيها الناس، أو يا أيها الذين آمنوا يقول: ليبيك ربنا (التهذيب ١٢٤/٢، ح ٤٧١).

بيان: والترتيل حفظ الوقوف وبيان الحروف. كذا عن أمير المؤمنين عليه السلام من الوافي. والهذّة: سرعة القراءة أي لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ولا تفرّق كلماته بحيث لا يكاد يجتمع كذرات الرمل. (الوافي ٢٦٦/٢).

وفي حديث ابن مسعود: أهدأ كهذا الشعر ونثرأ أكثر الدقل بالنصب على المصدر والاستفهام الإنكاري. والدقل ردي الثمر ويابس وما ليس له اسم خاص فتراه لييبس ورداءه لا يجتمع. من الوافي (٢٦٦/٢).

٣. مجمع البيان، ١٧٠/٤. ٤. م: الرجلين. المصدر: رجله.

وروي عنه بطريق العامة أيضاً^(١) أنه قال ﷺ: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صَنَفٍ عَلَى الدَّوَابِّ، وَصَنَفٍ عَلَى الْأَقْدَامِ، وَصَنَفٍ عَلَى الْوُجُوهِ.

وهو ذمٌ منصوب أو مرفوع، أو مبتدأ خبره:

﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾: أي منزلاً ومصيراً.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢): أي ديناً وطريقاً من المؤمنين.

وقيل^(٣): المفضل عليه هو الرسول ﷺ. وعلى التقديرين، فمعنى التفضيل بحسب ما ظنوه من أنه والمؤمنين ضلالاً وشرّ المكان. كأنه قيل: إن حاملهم على هذه الأسئلة تحقيق مكانه وتضليل سبيله^(٤). ولا يعلمون حالهم، ليعلموا أنهم شرّ مكاناً وأضلّ سبيلاً.

ويحتمل أن يكون المعنى - والله أعلم - أولئك شرّ مكاناً وأضلّ سبيلاً من سائر الكفار، بناءً على ما سبق من الأخبار الدالة على أن المراد بهم منكرو الولاية.

ووصف السبيل بالضلال، من الإسناد المجازي للمبالغة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾^(٥): يؤازره في الدعوة وإعلاء الكلمة.

ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة؛ لأنّ المشاركين في الأمر، متآزران عليه.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾: يعني فرعون وقومه.

﴿فَدَمَرْنَاَهُمْ تَدْمِيراً﴾^(٦): أي فذهبنا إليهم، فكذبوهم، فدمرناهم.

فاتقصر على حاشيتي القصّة، اكتفاءً بما هو المقصود منها، وهو إلزام الحجة ببعثة الرسول، واستحقاق التدمير بالكذب والتعقيب بالحكم^(٧) لا الوقوع.

١ و ٢. أنوار التنزيل، ١٤٤/٢.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: تحقيق مكانهم وتضليل سبيلهم.

٤. أي باعتبار الحكم.

وقرئ^(١): «فدمرتهم».

وفي مجمع البيان^(٢): «فدمرائهم تدميراً» على التأكيد بالنون الثقيلة. روي ذلك عن علي عليه السلام.

وعنه: «فدمرائهم». وهذا كأنه أمر لموسى وهارون عليه السلام أن يدمرائهم.

﴿وَقَوْمَ نوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾: كذبوا نوحاً ومن قبله، أو نوحاً وحده. ومن كذب نبياً، فقد كذب جميع الأنبياء.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾: بالطوفان. وهو مجيء السماء بماء منهمر، وتفجر الأرض عيوناً، فالتقى الماء على أمر قد قدر^(٣).

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾: وجعلنا إغراقهم أو قصتهم.

﴿لِلنَّاسِ آيَةً﴾: عبرة.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾^(٤): يحتمل التعميم والتخصيص. فيكون وضعاً للظاهر، موضع المضر لهم تظليماً لهم.

﴿وَعَادُوا وَثُمُودٌ﴾: عطف على «هم» في «جعلناهم»، أو على الظالمين.

وقرئ^(٥): «ثمود» على تأويل القبيلة.

﴿وَأَصْحَابِ الرُّسِّ﴾: قيل^(٦): قوم كانوا يعبدون الأصنام. فبعث الله إليهم شعيباً،

فكذبوه. فبيناهم حول الرس - وهي البشر الغير المطوية^(٧) - فأنهارت، فحُسف بهم وديارهم.

وقيل^(٨): قرية بفلج اليمامة، وكان فيها بقايا ثمود. فبعث إليهم نبي، فقتلوه. فهلكوا.

١. أنوار التنزيل ١٤٤/٢. وفيه قرئ: «فدمرائهم». على التأكيد بالنون الثقيلة.

٢. مجمع البيان، ١٦٧/٤ - ١٦٩.

٣. إشارة إلى قوله تعالى في سورة القمر ١٢ - ١٣.

٤. أنوار التنزيل، ١٤٥/٢.

٥. أنوار التنزيل، ١٤٥/٢.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. أي الغير المبينة.

وقيل ^(١): الأخدود.

وقيل ^(٢): بشر بأنطاكية، قتلوا فيها حبيب النجار.

وقيل ^(٣): هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي. ابتلاههم الله بطير عظيم، كان فيها من كل لون. وسموها عنقاء، لطول عنقها. وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح ^(٤) أو صمخ ^(٥) تنقض على صبيانهم، فتخطفهم إذا أعوزها الصيد. ولذلك سُميت مغرباً. فدعا عليهم حنظلة. فأصابته الصاعقة. ثم إنهم قتلوه. فأهلكوا.

وقيل ^(٦): إنهم كذبوا نبيهم ورسوه، أي دسوه في بشر.

وفي عيون الأخبار ^(٧) بإسناده إلى [عبد السلام بن] ^(٨) صالح الهروي قال: حدثنا علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: أتى علي بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيام، رجل من أشراف تميم يقال له عمر ^(٩). فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن أصحاب الرس، في أي عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله تعالى إليهم رسولاً أم لا؟ وبماذا أهلكوا؟! فإني أجد في كتاب الله تعالى ذكرهم، ولا أجد خبرهم.

فقال له علي عليه السلام: لقد سألت ^(١٠) عن حديث ما سألتني عنه أحد قبلك. ولا يحدثك به أحد بعدي إلا عني. وما في كتاب الله تعالى آية، إلا وأنا [أعرفها و] ^(١١) أعرف تفسيرها، وفي أي مكان نزلت من سهل أو جبل، وفي أي وقت من ليل أو نهار. وإن هنا ^(١٢) لعلماً جماً. وأشار إلى صدره. ولكن طلابه يسير. وعن قليل تندمون لو فقدتموني ^(١٣).

١-٣. نفس المصدر والموضع.

٤. م. فح.

٥. س، أ، م، زنج. ن: زمخ. المصدر: دمخ.

٦. أنوار التنزيل، ١٤٥/٢.

٧. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٦٣/١-١٦٦، ح ١.

٨. من المصدر.

٩. م، ن، المصدر: عمرو.

١٠. المصدر: سألتني.

١١. من المصدر.

١٢. المصدر: هاهنا.

١٣. المصدر: يندمون لو فقدوني.

كان من قصّتهم - يا أخا تميم - أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر^(١)، يقال لها «شاه درخت» كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين، يقال لها «روشاب»^(٢) كانت أنبت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وأتوا سُموا أصحاب الرس، لأنهم رسّوا نبيّهم في الأرض، وذلك بعد سليمان بن داود عليه السلام .

وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر، يقال له^(٣) الرس من بلاد المشرق. وبهم سُمّي ذلك النهر. ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولأعذب منه، ولا قرى أكثر ولا أعمر منها. تسمّى إحداهنّ «آبان» والثانية «أذر» والثالثة «دي» والرابعة «بهمن» والخامسة «اسفندار» والسادسة «فروردين» والسابعة «أردي بهشت» والثامنة «خرداد» والتاسعة «مرداد» والعاشر «تير» والحادية عشرة «مهر» والثانية عشرة «شهر يور».

وكانت أعظم مدائنهم «إسفندار». وهي التي ينزلها ملكهم وكان يسمّى تركوذ^(٤) بن غابور بن يارش بن سار بن نمروذ بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام. وبها العين والصنوبر. وقد غرسوا في كلّ قرية منها، حبة من طلع تلك الصنوبر. فنبتت الحبة، وصارت شجرة عظيمة. وحرّموا ماء العين والأنهار، فلا يشربون منها ولا أنعامهم. ومن فعل ذلك قتلوه، ويقولون: هو حياة آلهتنا، فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها.

ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم. وقد جعلوا في كلّ شهر من السنة في كلّ قرية، عيداً يجتمع إليه أهلها. فيضربون على الشجرة التي بها كلة^(٥) من حرير، فيها من أنواع الصور. ثمّ يأتون بشيأة وبقر، فيذبحونها قرباناً للشجرة، ويشعلون فيها النيران بالحطب. فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقُتّارها^(٦) في الهواء،

١. المصدر: صنوبرة . ٢. المصدر: دوشاب .

٣. المصدر: لها . ٤. م. تركون. ن. تركوذ.

٥. الكلة: الستر الرقيق، أو غشاء رقيق يخاط كالبيت يُتوقّى به من البعوض .

٦. القُتّار: الدخان من المطبوخ .

وحال بينهم وبين النظر إلى السماء، خَرَوْا سَجْدًا للشجرة^(١) ويكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم.

فكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها، ويصيح من ساقها صياح الصبي: «إني^(٢) قد رضيت عنكم عبادي، فطيبوا نفساً وقرّوا عيناً». فيرفعون رؤوسهم عند ذلك. ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف، ويأخذون الدست بند. فيكون^(٣) على ذلك يومهم. ثم ينصرفون. وإنما سمّت العجم شهورها بأبّان ماه وآذرماه وغيرهما، اشتقاقاً من أسماء تلك القرى؛ لقول أهلها بعضهم لبعض: هذا عيد شهر كذا، وعيد شهر كذا. حتى إذا كان عيد [شهر]^(٤) قريتهم العظمى، اجتمع عليها صغيرهم وكبيرهم.

فضربوا عند الصنوبرة والعين، سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور له اثناعشر باباً، كلّ باب لأهل قرية منهم. ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق، ويقربون لها الذبائح، أضاعف ما قربوا للشجرة التي في قراهم. فيجيء إبليس عند ذلك، فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً، ويتكلّم من جوفها كلاماً جهورياً، ويعدّهم ويمنيهم بأكثر ممّا وعدتهم ومنتهم الشياطين كلّها. فيرفعون رؤوسهم من السجود، وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفكرون ولا يتكلّمون من الشرب والعزف. فيكونون على ذلك اثني عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة. ثم ينصرفون.

فلما طال كفرهم بالله ﷻ وعبادتهم غيره، بعث الله ﷻ إليهم نبياً من بني إسرائيل، من ولد يهوذا بن يعقوب. فلبث فيهم زماناً [طويلاً]^(٥) يدعوهم إلى عبادة الله ﷻ ومعرفته وربوبيّته، فلا يتبعونه.

فلما رأى شدة تماديهم في الغي والضلال، وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والنجاح، وحضر عيد قريتهم العظمى، قال: «يا ربّ، إنّ عبادك أبوا إلا تكذيبى والكفر

١. المصدر: خَرَوْا للشجرة سَجْدًا.

٢. المصدر: ويقول.

٣. المصدر: فيكونون.

٤. من المصدر.

٥. من المصدر.

بك. وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر، فأيس شجرهم أجمع. وأرهم قدرتك وسلطانك».

فأصبح القوم، وقد يبس شجرهم، فهاهم ذلك وفضع بهم، وصاروا فرقتين: فرقة قالت: سحر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم^(١) أنه رسول رب السماء والأرض إليكم، ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه. وفرقة قالت: لا، بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل، يعيها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها. فحجبت حسننها وبهاءها، لكي تغضبوا عليه^(٢) فتنتصروا منه.

فأجمع رأيهم على قتله. فاتخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه، ثم أرسلوها في قرار العين^(٣) إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى، مثل البرايخ^(٤). ونزحوا ما فيها من الماء. (ثم حفروا في قرارها بئراً ضيقة المدخل عميقة. فأرسلوا فيها نبيهم، وألقموا فاهها صخرة عظيمة. ثم أخرجوا الأنابيب من الماء)^(٥). وقالوا: نرجو الآن أن ترضى عنا آلهتنا، إذا رأنا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها، ودفناه تحت كبيرها يتشقى منه، فيعود لنا نورها ونضرتها^(٦) كما كان.

فبقوا عامة يومهم، يسمعون أنين نبيهم ﷺ وهو يقول: «سيدي، قد ترى ضيق مكاني وشدة كربى. فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي. وعجل بقبض روحي. ولا تؤخر إجابة دعوتي» حتى مات ﷺ.

فقال الله ﷻ لجبرئيل: «يا جبرئيل، أيطن عبادى هؤلاء الذين غرهم حلمي، وأمنوا مكري، وعبدوا غيري، وقتلوا رسولي، أن يقوموا الغضبي، ويخرجوا من سلطاني؟! كيف، وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي؟! وأني حلفت بعزتي لأجعلتهم عبرة ونكالا للعالمين».

٢. المصدر: لها.

١. المصدر: يزعم.

٤. البريخ: ما يعمل من الخرف، للبئر ومجاري الماء.

٣. المصدر: الأرض.

٦. المصدر: نضرتها.

٥. ليس في ن.

فلم يرعهم، وهم في عيدهم ذلك، إلا بريح عاصف شديد الحمرة. فتحيروا فيها وذكروا منها، وتضام بعضهم إلى بعض. ثم صارت الأرض من تحتهم حجر^(١) كبرت يتوقّد، وأظلمت سحابة سوداء. فألقت عليهم كالعقبة جمرات تلتهب، فذابت أبدانهم [في النار]^(٢)، كما يذوب الرصاص في النار. فنعوذ بالله تعالى ذكره من غضبه ونزول نعمته. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي نهج البلاغة^(٣): قال عليه السلام: أين أصحاب مدائن الرّس الذين قتلوا النّبيّين وأطفؤوا^(٤) سنن المرسلين، وأحيا سنن الجّبارين؟!

وفي الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن أبي حمزة وهشام وحفص، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه دخل عليه نسوة. فسألته^(٦) امرأةً منهنّ عن السحق. فقال: حدّها حدّ الزّاني. فقالت المرأة: ما ذكر الله ﷻ ذلك في القرآن! فقال: بلى. فقالت: وأين هو؟ قال: هنّ أصحاب الرّس.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت امرأة مع مولاة لها على أبي عبد الله عليه السلام فقالت: ما تقول في اللواتي مع اللواتي؟ قال: هنّ في النار. إذا كان يوم القيامة أتى^(٨) بهنّ، فألبسن جلباباً من نار وخفّين من نار وقناعاً من نار، وأدخل في أجوافهنّ وفروجهنّ أعمدة من نار^(٩)، وقذف بهنّ في النار. فقال: أليس هذا في كتاب الله؟ قال: نعم. قالت: أين هو؟ قال: قوله «وعاداً وثمود وأصحاب الرّس»، فهنّ الرّسيّات.

وفي أصول الكافي^(١٠): الحسين بن محمّد، عن معلي بن محمّد، عن محمّد بن علي

١. المصدر: كمعبر.

٢. من المصدر.

٣. نهج البلاغة ٢٦٣، الخطبة ١٨٢.

٤. س، أو: وأماتوا.

٥. الكافي ٢٠٢/٧، ح ١.

٦. م: فسألته.

٧. تفسير العمري، ١١٣/٢ - ١١٤.

٨. المصدر: يؤتى.

٩. المصدر: من النار.

١٠. الكافي ٣٤٩/١ - ٣٥٠، ح ٦.

قال: أخبرني سماعة بن مهران قال: أخبرني الكلبي النسابة، قال: صرت إلى منزل جعفر بن محمد عليه السلام فقرعت الباب. فخرج غلام له، فقال: أدخل يا أخا كلب، فوالله لقد أدهشني. فدخلت وأنا مضطرب. ونظرت، فإذا شيخ على مصلى بلا مرفقة ولا بردة^(١). فابتدأني بعد أن سلمت عليه. فقال لي: من أنت؟ فقلت في نفسي: يا سبحان الله! غلامه يقول لي بالباب: أدخل يا أخا كلب، ويسألني المولى من أنت. فقلت له: أنا الكلبي النسابة.

فضرب بيده على جبهته، وقال: كذب العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً. يا أخا كلب، إن الله ﷻ يقول: «وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً». أفتنسبها أنت؟ فقلت: لا، جعلت فداك. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَقُرُونًا﴾: وأهل أعصار.

قيل^(٢): القرن أربعون سنة.

وقيل^(٣): سبعون.

وقيل^(٤): مائة وعشرون سنة.

﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما ذكر.

﴿كَثِيرًا﴾^(٥): لا يعلمها إلا الله.

أي وأهلكنا أيضاً قروناً كثيراً بين عاد وثمود وأصحاب الرس، على تكذيبهم.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾: بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذاراً. فلما

أصروا، أهلكوا.

﴿وَكُلًّا بَيَّرْنَا تَبِيرًا﴾^(٦): فتننا تفتيتاً.

١. المرفقة: المتكأ والمخدة. والبردة: الجلث، وهو كل ما يُسَط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع.
٢. أنوار التنزيل، ١٤٥/٢.
٣. أنوار التنزيل، ١٤٥/٢.
٤. أنوار التنزيل، ١٤٥/٢.

ومنه: التبر، لفتات الذهب والفضة. و«كَلَّ» الأول منصوب، بما دلَّ عليه «ضرينا» كأذرننا. والثاني بـ«تَبَرْنَا» لأنه فارغ له.

في كتاب معاني الأخبار^(١): أبي الله قال: حَدَّثَنَا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد البرقي، عَمَّنْ ذكره، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ «وَكَلَّا تَبَرْنَا تَبِيرًا» يعني كَسَرْنَا تكسيراً. [قال: وهي بالنبطية]^(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): أَخْبَرَنَا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد، عن حفص^(٤) بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «وَكَلَّا تَبَرْنَا تَبِيرًا» يعني كَسَرْنَا تكسيراً. قال: هي لفظة^(٥) بالنبطية. ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾: يعني قريشاً، مَرَّوْا مراراً في متاجرهم إلى الشام. ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتَ مَطَرُ السَّوَاءِ﴾: يعني سدوم، عظمى قرى قوم لوط. أُمطرت عليها الحجارة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وأما القرية التي أُمطرت مطر السوء، فهي سدوم، قرية قوم لوط. أُمطر الله عليهم حجارة من سجيل^(٧)؛ يعني من طين.

﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها﴾: في مرار مرورهم، فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ شُورًا﴾^(٨): بل كانوا كفرة، لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة. فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا. فمرَّوا بها كما مرَّت بها ركائبهم. أو: لا يأملون نشوراً،

٢. من المصدر.

١. معاني الأخبار ٢٢٠، ح ١.

٤. المصدر: جعفر.

٣. تفسير القمي، ١١٤/٢.

٦. تفسير القمي، ١١٤/٢.

٥. ع: لغة.

٧. كما جاء في قوله تعالى في سورة هود / ٨٢، الحجر / ٧٤.

كما يأمله المؤمنون، طمعاً في الثواب. أو: لا يخافونه، على اللغة التهامية والهديلية.
﴿وَإِذَا رَأَوْكَ أَنْ يَنْخَذُوكَ لِأَهْزُوكَ﴾: ما يتخذونك إلا موضع هزء، أو مهزوء به.
﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(١): محكي بعد قول مضمّر. والإشارة للاستحقار.
واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم، يجعله صلة. وهم على غاية الإنكار
تهكم واستهزاء. ولولاه، لقالوا: أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولا؟!
﴿إِنْ كَادَ﴾: إنه كاد.

﴿لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾: ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد،
وكثرة ما يورد مما يسبق إلى الذهن أنها حجج ومعجزات.
﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾: ثبتنا عليها. واستمسكنا بعبادتها.
﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٢): وعيد لهم، وتنبية على
أنه لا يهملهم، وإن أهملهم.
﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾: بأن أطاعه.

وقدّم المفعول الثاني للعناية به. والاستفهام للتقرير والتعجيب.
﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾^(٣): حفيظاً، تمنعه عن الشرك والمعاصي، وحاله هذا.
والاستفهام للإنكار.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قال: نزلت في قريش. وذلك أنه ضاق عليهم
المعاش، فخرجوا من مكة وتفرقوا. فكان الرجل إذا رأى شجرة حسنة أو حجراً
حسناً، هواه فعبده. وكانوا ينحرون لها النعم ويلطخونها بالدم، ويسمونها سعد
صخرة.

وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنامهم، جاؤوا إلى الصخرة، فيمسحون بها الغنم
والإبل. فجاء رجل من العرب بإبل له يريد أن يمسح^(٢) بالصخرة إبله ويتبارك^(٣) عليها.

٢. المصدر: يتمسح .

١. تفسير القمي، ١١٤/٢ .

٣. المصدر: لإبله ويبارك.

فنفرت إبله، فتفرقت. فقال الرجل شعراً:

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فما نحن من سعد
وما سعد إلا صخرة مستوية من الأرض لا تهدي لغَي ولا رشد
ومرّ به رجل من العرب، والثعلب يبول عليه. فقال شعراً:

وربّ يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب
﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾: بل أتحسب.

﴿أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: فتجدي لهم الآيات أو الحجج، فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم.

وتخصيص الأكثر، لأنه كان منهم من آمن، ومنهم من عقل الحق وكابر استكباراً وخوفاً على الرئاسة.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾: في عدم انتفاعهم بقرع الآيات أذانهم، وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (١): من الأنعام؛ لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميّز من يحسن إليها ممّن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها وتتجنّب ما يضرّها، وهؤلاء ليسوا كذلك. ولأنّها إن لم تعتقد حقاً، ولم تكتسب خيراً، لم تعتقد باطلاً، ولم تكتسب شراً، بخلاف هؤلاء. ولأنّ جهالتها لا تضرّ بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدّي إلى هيج الفتن وصدّ الناس عن الحق. ولأنّها غير متمكّنة من طلب الكمال، فلا تقصير منها ولا ذمّ، وهؤلاء مقصّرون، مستحقّون لأعظم العقاب على تقصيرهم (٢).

وفي أصول الكافي (٣): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، رفعه عن محمد بن داود الغنوي، عن الأصبع بن نبّاة، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: فأما أصحاب المشأمة، فهم اليهود والنصارى. يقول الله (٤):

١. أنوار التنزيل، ١٤٦/٢.

٢. الكافي ٢٨٣/٢-٢٨٤، ح ١٦.

٣. البقرة ١٤٦/١٤٧.

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ»: يعرفون محمداً والولاية في التوراة والإنجيل، كما يعرفون أبناءهم في منازلهم. «وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ» أنك الرسول إليهم. «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ». فلما جحدوا ما عرفوا، ابتلاهم الله بذلك، فسلبهم روح الإيمان، وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح: روح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن. ثم أضافهم إلى الأنعام، فقال: «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ». لأن الدابة إنما تحمل روح القوة، وتعتلف بروح الشهوة، وتسير بروح البدن.

وفي روضة الكافي^(١): ابن محبوب، عن عبدالله بن غالب، عن أبيه عن سعيد بن المسيب، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إِنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي إِنْ كُنْتَ عَالِمًا عَنِ النَّاسِ، وَعَنْ أَشْبَاهِ النَّاسِ، وَعَنِ النَّسْنَسِ. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا حَسِينُ، أَجِبِ الرَّجُلَ. فَقَالَ الْحَسِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْلِهِ^(٢): «أَمَّا قَوْلُكَ: النَّسْنَسُ، فَهُمْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى جَمَاعَةِ النَّاسِ -». ثُمَّ قَالَ: «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الخصال^(٣)، عن أبي يحيى الواسطي، عمن ذكره، أنه قيل^(٤) لأبي عبدالله عليه السلام أترى هذا الخلق كله من الناس؟ فقال: ألق منهم التارك للسواك، والمترفع في موضع الضيق، والداخل فيما لا يعنيه، والمماري فيما لا علم له، والمستمرض^(٥) من غير علة، والمستشعث^(٦) من غير مصيبة، والمخالف على أصحابه في الحق، وقد اتفقوا عليه، والمفتخر^(٧) بآبائه، وهو خلو من صالح أعمالهم. فهو بمنزلة الخلنج^(٨)

١. الكافي ٢٤٤/٨، ح ٣٣٩.

٢. من المصدر.

٣. الخصال ٤٠٩، ح ٩.

٤. المصدر: قال.

٥. المصدر: والمستمرض.

٦. شعث الشعر: تغير وتلبّد، وأتسخ.

٧. المصدر: المفتخر يفتخر.

٨. الخلنج: شجر كالطرفاء، وزهره أبيض وأحمر وأصفر، وحبه كالخردل وخشبه تُصنع منها القصاع؛ كقوله: لبن البخت في قصاع الخلنج.

يقشر لحاء عن لحاء حتى يوصل إلى جوهريته . وهو كما قال الله تعالى : «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ : ألم تنظر إلى صنعه ؟

﴿ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ : كيف بسطه ؟ ! أو : ألم تنظر إلى الظل ، كيف مده ربك على القلب ؟

وقيل ^(١) : معناه : ألم تعلم ؟ فيكون من رؤية القلب .

وقيل ^(٢) : المراد الظل من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . وجعله ممدوداً عليه لأنه لا شمس معه . كما قيل في ظل الجنة ممدوداً ^(٣) إذا لم يكن معه الشمس .

وقيل ^(٤) : مد الظل من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها .

وقال أبو عبيدة ^(٥) : الظل ما نسخته الشمس ، وهو بالغداة . والفيء ما نسخ الشمس ، وهو بعد زوال الشمس . وسمي فيئاً ، لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦) : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷻ «ألم تر إلى ربك كيف مد الظل» . فقال : الظل ، ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ : ثابتاً ، من السكنى . أو : غير متقلص - من السكون - بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد .

وفي هذا إشارة إلى أنه قادر على تسكين الشمس ، حتى يبقى الظل ممدوداً ؛ بخلاف ما يقوله الفلاسفة .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ ^(٧) : أي على الظل دليلاً .

قيل ^(٨) : بمعنى أنه لولا الشمس ، لما عُرف الظل . ولولا النور ، لما عرفت الظلمة . وكل الأشياء تُعرف بأضدادها .

١ . مجمع البيان ، ١٧٢/٤ .

٢ . نفس المصدر والموضع .

٣ . إشارة إلى قوله تعالى في سورة الواقعة / ٣٠ . ٤ و ٥ . نفس المصدر والموضع .

٦ . مجمع البيان ، ١٧٣/٤ .

٧ . تفسير القمي ، ١١٥/٢ .

وقيل ^(١): جعلنا الشمس عليه دليلاً، بإذها بها إياه عند مجيئها.
 وقيل ^(٢): لأنّ الظلّ يتبع الشمس في طوله وقصره، كما يتبع السائر الدليل. فإذا ارتفعت الشمس، قصر الظلّ. وإذا انحطت الشمس، طال الظلّ.
 وقيل ^(٣): إنّ «على» هنا بمعنى «مع». فالمعنى: ثم جعلنا الشمس مع الظلّ دليلاً على وحدانيّتنا.

﴿ثُمَّ قَبْضَاهُ إِلَيْنَا﴾: أي أزلناه بإيقاع الشمس موقعه.
 لما عبّر عن إحداثه بالمدّ بمعنى التيسير، عبّر عن إزالته بالقبض إلى نفسه الذي هو في معنى الكفّ.
 ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾: قليلاً قليلاً، حسبما ترتفع الشمس، ليستظم بذلك مصالح الكون، ويتحصّل به ما لا يحصى من منافع الخلق.

«ثم» في الموضعين لتفاضل الأمور، أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها.
 وقيل ^(٤): مدّ الظلّ لما بني السماء بلا نير، ودحا الأرض تحتها. فألقت عليها ظلّها، ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحالة. ثم خلق الشمس عليه دليلاً، أي مسلطاً عليه مستتباً إياه، كما يستتبع الدليل المدلول أو دليل الطريق من يهديه. فإنّه يتفاوت بحركتها ويتحوّل بتحوّلها. «ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً» شيئاً فشيئاً، إلى أن تنتهي غاية نقصانه. أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة، بقبض أسبابه من الأجرام المظلمة والمظّل عليها.
 ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: شبه ظلامه باللباس في ستره.

﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: راحة للأبدان بقطع المشاغل. وأصل السبت، القطع. أو: موتاً؛ كقوله ^(٥): «وهو الذي يتوفاكم بالليل». لأنّه قطع الحياة. ومنه: المسبوت، للميت.
 ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ^(٦): ذا نشور؛ أي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش. أو بعث من النوم، بعث الأموات.

فيكون إشارة إلى أن النوم واليقظة، أنموذج للموت والنشور.

وعن لقمان ^(١) عليه السلام: يا بني، كما تنام فتوقظ، كذلك تموت فتُنشَر.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾: وقرأ ^(٢) ابن كثير على التوحيد، إرادة للجنس.

﴿بُشْرًا﴾: ناشرات للسحاب، جمع نشور.

وقرأ ^(٣) ابن عامر بالسكون، على التخفيف. وحزمة والكسائي به وبفتح النون، على أنه مصدر وُصف به. وعاصم «بُشْرًا» تخفيف بُشْر، جمع بشور، بمعنى مبشر.

﴿بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ﴾: يعني قدام المطر.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ^(٤): مطهراً ليطهركم. وهو اسم لما يُتَطَهَّر به؛ كالوضوء والوقود، لما يُتَوَضَّأ به ويوقد به.

وقيل ^(٥): بليغاً في الطهارة. وفعل، وإن غلب في المعنيين، لكنّه قد جاء للمفعول، كالصوب بمعنى المصبوب. وللمصدر، كالقبول. وللإسم، كالذنوب.

وقيل ^(٦): توصيف الماء به يكون إشعاراً بالنعمة فيه، وتتميماً للمنة فيما بعده. فإن الماء الطهور أهنا وأنفع ممّا خالطه ما يزيل طهوريته - وتبهيها على أن ظواهرهم لما كانت ممّا ينبغي أن يطهروها، فبواطنهم بذلك أولى.

﴿لِنُخَبِّئَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا﴾: بالنبات.

وتذكير «ميتاً»، لأن البلدة في معنى البلد. ولأنّه غير جار على الفعل - كسائر أبنية المبالغة - فأجري مجرى الجامد.

﴿وَنُفِثَ بِهِم مِّمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا﴾ ^(٧): قيل ^(٨): يعني أهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ^(٩) ولذلك نكر الأنعام والأناسي ^(١٠) وتخصيصهم لأن أهل المدن والقرى

٧. الحيا: المطر.

١-٦. أنوار التنزيل، ١٤٧/٢.

٨. قوله: «ولذلك نكر الأنعام والأناسي» أي لما كان أهل البوادي قليلين بالنسبة إلى أهل المدن والقرى، نكر الأنعام والأناسي لتدل على القلة، ووصفهم بالكثرة في حد ذاتهم لا ينافي القلة بالنسبة.

يقيمون بقرب الأنهار والمناقع^(١) فيهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء. وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء، فلا يعوزها الشرب غالباً، مع أن مساق هذه الآيات، كما هو للدلالة على عظم القدرة، فهو لتعداد أنواع النعمة. والأنعام قنبة الإنسان وعامة منافعهم. وعليّة معاشهم منوطة بها. ولذلك قدّم سقياها على سقيهم، كما قدّم عليها إحياء الأرض، فإنه سبب لحياتها وتعيشها.

وقرئ^(٢): «نسقيه» بالفتح وسقى وأسقى لغتان.

وقيل^(٣): أسقاه: جعل له سقياً. و«أناسي» بحذف ياء، وهو جمع إنسي أو إنسان، كضرايبي في ضربان. على أن أصله أناسين، فقلّبت النون ياء.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لَهُمْ﴾: قيل^(٤): صرّفنا هذا القول بين الناس، في القرآن وسائر

الكتب.

وقيل^(٥): أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطلّ وغيرهما، أو في الأنهار أو في المناقع.

﴿لِيَذْكُرُوا﴾: ليتفكروا وليعرفوا كمال القدرة وحقّ النعمة في ذلك ويقوموا

بشكره. أو ليعتبروا بالصّرف عنهم واليه.

﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾^(٦): إلّا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَکَبَعْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾^(٧): نبيّاً ينذر أهلها، فيخفّ عليك أعباء النبوة.

لكن قصرنا الأمر عليك، إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك وتفضيلاً لك على سائر الرسل. فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحقّ.

﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ﴾: فيما يريدونك عليه. وهو تهيج له وللمؤمنين.

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾: بالقرآن. أو: بترك طاعتهم الذي يدلّ عليه، «فلا تطع». والمعنى

١. المناقع: البحار. وفي م، ن والمصدر: المناقع.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر والموضع.

أنهم يجتهدون في إبطال حَقِّك، فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم.

﴿جِهَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٥): لأنَّ مجاهدة السفهاء بالحجج، أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف. أو لأنَّ مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم، مع عتوهم وظهورهم. أو لأنَّه جهاد مع كلِّ الكفرة، لأنَّه مبعوث إلى كافَّة القرى.

وفي مجمع البيان^(١): «وجاهدكم به» أي بالقرآن - عن ابن عباس - «جهاداً كبيراً» أي تاماً شديداً. وفي هذا دلالة على أنَّ من أجل الجهاد وأعظمه منزلة عند الله سبحانه جهاد المتكلمين في حلِّ شبه المبطلين وأعداء الدين. ويمكن أن يتأوَّل عليه قوله ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: خلاهما متجاورين متلاصقين؛ بحيث لا يتمازجان. من: مرج دابته: إذا خلاها.

﴿هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ﴾: قاعم للمعطش من فرط عذوبته. من: فرت الماء يفرت فروتاً، فهو فرات: إذا عذب.

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: بليغ الملوحة.

وقرئ^(٢): «ملح» على فعل. ولعلَّ أصله مالح، فحُفِّف؛ كبرد في بارد.

وفي الكافي^(٣): وفي رواية حمدان بن سليمان أنَّهما قالَا ﷺ: يا أبا سعيد، تأتي ما ينكر ولا يتنا في كلِّ يوم ثلاث مرَّات. إنَّ الله ﷻ عرض ولايتنا على المياه. فما قبل ولايتنا، عذب وطاب. وما جحد ولايتنا، جعله الله ﷻ مرّاً وملحاً أجاجاً.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾: حاجزاً من قدرته.

﴿وَحِجْراً مَخْجُوراً﴾^(٦): وتنافراً بليغاً، كأنَّ كلَّاً منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه.

وقيل ^(١): حدّاً محدوداً. وذلك كدجلة، تدخل البحر فتشقّه، فتجري في خلاله فراسخ لا يتغيّر طعمها.

وقيل ^(٢): المراد بالبحر العذب، النهر العظيم، مثل النيل. وبالبحر الملح، البحر الكبير. وبالبرزخ، ما يحول بينهما من الأرض، فتكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة، مع أنّ مقتضى طبيعة أجزاء كلّ عنصر، أن تضامّت وتلاصقت وتشابهت في الكيفيّة.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾: يعني الذي حمّره طينة آدم، أو جعله جزءاً من مادة البشر، لتجتمع وتسلس وتقبل الأشكال والهيئات بسهولة. أو: النطفة.

﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾: أي قسمه قسمين ذوي نسب - أي ذكوراً يُنسب إليهم - وذوات صهر - أي إناثاً يُصاهر بهنّ - كقوله ^(٣): «فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى».

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٤): حدّثني أبي، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال للأبرش: يا أبرش، هو كما وصف نفسه. كان عرشه على الماء، والماء على الهواء. والهواء لا يحدّ. ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات - إلى أن قال: - وكانت السماء خضراء [على لون الماء الأخضر] ^(٥) وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة. وهو بتمامه مذكور عند قوله تعالى: «كانتا رتقاً ففتقناهما».

حدّثني أبي ^(٦)، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن بريد العجلي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن قول الله ﷻ «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصِهْرًا». فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم من الماء العذب. وخلق زوجته من

٣. القيامة / ٣٩.

١ و ٢. أنوار التنزيل، ١٤٨/٢.

٥. من المصدر.

٤. تفسير القمي، ٦٩/٢ - ٧٠.

٧. نفس المصدر، ١١٤ - ١١٥.

٦. الأنبياء / ٣٠.

سنخه^(١). فبرأها من أسفل أضلاعه فجرى بذلك الضلع^(٢) بينهما سبب ونسب. ثم زوجه إياه، فجرى بينهما بسبب ذلك صهر. فذلك قوله: «نسباً وصهرًا». فالنسب - يا أبا بني عجل - ما كان [من نسب الرجال. والصهر ما كان من]^(٣) سبب النساء.

وفي الكافي^(٤): محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد؛ وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ وذكر كما في تفسير علي بن إبراهيم، إلّا أن في آخره: فالنسب - يا أبا بني عجل - ما كان بسبب الرجال. والصهر، ما كان بسبب النساء.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥) بإسناده إلى عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ألا وإني مخصوص في القرآن بأسماء. احذروا أن تغلبوا عليها، فتضلوا في دينكم. أنا الصهر. يقول الله ﷻ: «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهرًا». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(٦): حيث خلق من مادة واحدة، بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة. وجعله قسمين متقابلين. وربما يخلق من نطفة واحدة، توأمين ذكرًا وأنثى.

في أمالي شيخ الطائفة عليه السلام^(٧) بإسناده إلى أنس بن مالك، قال: ركب رسول الله ﷺ ذات يوم بغلته، فانطلق إلى جبل آل فلان. فنزل^(٨) وقال: يا أنس، خذ البغلة، وانطلق إلى موضع كذا وكذا، تجد علياً جالساً يسبح بالحصى فاقرأه مني السلام، واحمله على البغلة وآت به إلى^(٩).

قال أنس: فذهبت، فوجدت علياً كما قال رسول الله ﷺ فحملته على البغلة،

٢. ليس في أ.

١. سنخه: أصله.

٤. الكافي ٤٤٢/٥، ح ٩.

٣. ليس في م، ن.

٦. أمالي الشيخ، ٣١٩/١ - ٣٢١.

٥. معاني الأخبار ٥٩، ح ٩.

٨. من المصدر.

٧. ليس في المصدر.

وأُتيت^(١) به إليه. فلَمَّا بصر برَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢) قال: السلام عليك يا رَسُولَ اللَّهِ. قال: وعليك السلام يا أبا الحسن، اجلس^(٣). فَإِنَّ هَذَا مَكَانَ جُلُوسِ فِيهِ سَبْعُونَ [نَبِيًّا]^(٤) مرسلًا. ما جُلُوسَ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَأَنَا خَيْرُ مِنْهُ. وقد جُلُوسَ فِي مَوْضِعِ كُلِّ نَبِيٍّ أَخٍ لَهُ ما جُلُوسَ مِنَ الْإِخْوَةِ أَحَدٍ إِلَّا وَأَنْتَ خَيْرُ مِنْهُ.

قال أنس: فنظرت إلى سحابة قد أَظْلَمَتْهُمَا ودنت من رؤوسهما. فمَدَّ النَّبِيُّ ﷺ يده إلى السحابة، فتناول منها^(٥) عنقود عنب، فجعله بينه وبين علي. وقال: كُلْ يا أَخِي، هذه^(٦) هَدِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيْكَ.

قال أنس: قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَيَّ أَخُوكَ؟! قال: نعم، عَلَيَّ أَخِي. فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، صف لي كيف عَلَيَّ أَخُوكَ؟ قال: إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ مَاءً تَحْتَ الْعَرْشِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِثَلَاثَةِ آلَافِ عَامٍ. وَأَسْكَنَهُ فِي لَوْلُؤَةٍ خَضْرَاءٍ فِي غَامُضِ عِلْمِهِ، إِلَى أَنْ خَلَقَ آدَمَ. فَلَمَّا خَلَقَ^(٧) آدَمَ، نَقَلَ ذَلِكَ الْمَاءَ مِنَ اللَّوْلُؤَةِ، فَأَجْرَاهُ فِي صِلَبِ آدَمَ، إِلَى أَنْ قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ نَقَلَهُ إِلَى صِلَبِ شِيثَ.

فلم يزل ذلك الماء يُنْقَلُ^(٨) من ظهر إلى ظهر، حَتَّى صَارَ فِي [صِلَبِ]^(٩) عَبْدِ الْمُطَّلَبِ. ثُمَّ شَقَّهُ اللَّهُ ﷻ نِصْفَيْنِ. فَصَارَ نِصْفُهُ فِي [أَبِي]^(١٠) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، وَنِصْفٌ فِي أَبِي طَالِبٍ. فَأَنَا مِنْ نِصْفِ الْمَاءِ، وَعَلَيٌّ مِنَ النِّصْفِ الْآخَرِ. فَعَلَيُّ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا».

وفي روضة الواعظين^(١١) للمفيد رحمه الله: قال رسول الله ﷺ: خلق الله ﷻ نطفة بيضاء

٢. المصدر: فلَمَّا أَنْ بَصَرَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

٤. من المصدر.

٦. المصدر: فهذه.

٨. المصدر: يتنقل.

١١. روضة الواعظين، ٧١/١.

١. المصدر: فَأُتِيتُ.

٣. ليس في المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٧. المصدر: فلَمَّا أَنْ خَلَقَ.

٩ و ١٠. من المصدر.

مكونة. فقلها من صلب إلى صلب حتى نُقلت النطفة إلى صلب عبدالمطلب. فجعل نصفين، فصار^(١) نصفها في عبدالله، ونصفها في أبي طالب. فأنا من عبدالله، وعلي من أبي طالب. وذلك قول الله ﷻ: «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً».

وفي كتاب المناقب^(٢) لابن شهر آشوب: وخطب النبي ﷺ على المنبر في تزويج فاطمة خطبة رواها يحيى بن معين في أماليه وابن بطّة في الإبانة، بإسنادهما عن أنس بن مالك مرفوعاً، ورويناها عن الرضا عليه السلام فقال: الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع في سلطانه، المرغوب إليه فيما عنده، المرهوب من عذابه، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي^(٣) خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ.

إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً معترضاً، وشج^(٤) بها الأرحام، وألزمها الأنام. قال الله تعالى: «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً». ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي، وقد زوجتها إياه على أربعمائة^(٥) مثقال فضة. أرضيت يا علي؟ قال: رضيت يا رسول الله.

وفي مجمع البيان^(٦): قال ابن سيرين: نزلت في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام: زوج فاطمة علياً، فهو ابن عمه وزوج ابنته، فكان نسباً وصهراً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٧): قال محمد بن العباس: حدثنا علي بن عبدالله بن أسد عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن أحمد بن معمر الأسدي، [عن الحسن بن محمد الأسدي]^(٨) عن الحكم بن ظهير، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس قال:

٢. المناقب، ٣/٣٥٠.

١. المصدر: فصير.

٤. وشج: آلف وخلط.

٣. ليس في المصدر.

٦. مجمع البيان، ٤/١٧٥.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: مائة.

٨. من المصدر.

٧. تأويل الآيات ٣٧٧-٣٧٧، ح ١٣.

قوله ﷺ: «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً» نزلت في النبي وعلي صلى الله عليهما. زوج النبي ﷺ علياً ابنته وهو ابن عمه، فكان له نسباً وصهراً.

وقال أيضاً^(١): حدثنا عبدالعزيز بن يحيى، قال: حدثنا المغيرة بن محمد، عن رجاء بن سلمة، عن نائل بن نجيح، عن عمرو^(٢) بن شمر، عن جابر الجعفي، عن عكرمة، عن ابن عباس في هذه الآية قال: خلق الله آدم^(٣). وخلق نطفة من الماء، فمزجها بنوره. ثم أودعها آدم. ثم أودعها ابنه شيث، ثم أنونش^(٤)، ثم فتيان^(٥)، ثم أباً فأباً، حتى أودعها إبراهيم عليه السلام. ثم أودعها إسماعيل عليه السلام. ثم أمّاً فأماً وأباً فأباً، من طاهر الأصلاب إلى مطهرات الأرحام حتى صارت إلى عبدالمطلب. فانفرد^(٦) ذلك النور فرقتين: فرقة إلى عبدالله، فولد محمداً عليه السلام؛ وفرقة إلى أبي طالب، فولد علياً عليه السلام.

ثم ألف الله النكاح بينهما، فزوج الله علياً بفاطمة عليها السلام. فذلك قوله ﷺ: «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً».

وفي هذا المعنى ما رواه الشيخ أبو جعفر محمد بن جعفر الحائري^(٧) في كتابه «كتاب ما اتفق فيه من الأخبار في فضل الأئمة الأطهار»^(٨) حديثاً مسنداً يرفعه إلى مولانا علي بن الحسين عليه السلام قال: كنت أمشي خلف عمي الحسن وأبي الحسين عليهما السلام في بعض طرقات المدينة، وأنا يومئذ غلام قد ناهزت^(٩) الحلم، أوكدت. فلقيهما^(١٠) جابر بن عبدالله الأنصاري وأنس بن مالك وجماعة من قريش والأنصار. فسلم هناك جابر، حتى انكب على أيديهما وأرجلهما يقبلهما.

فقال له رجل من قريش، كان نسيباً لمروان: أتصنع هذا يا أبا عبدالله، وأنت في

١. نفس المصدر ٣٧٧/١، ح ١٤.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: معمر.

٣. س، أ، م، ن، المصدر: الله خلق آدم.

٤. ن، المصدر: انوش.

٥. المصدر: قتيان.

٦. المصدر: ففرق.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: «الجابري».

٨. كما نقل عنه في تأويل الآيات ٣٧٩/١ - ٣٨١، ح ١٦.

٩. أي دانيت وقاريت.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: فلقام.

سَنَك وموضعك من [صحبة] ^(١) رسول الله ﷺ ؟ وكان جابر قد شهد بدرًا. فقال له : إليك عني ! فلو علمت - يا أبا قريش - من فضلها ومكانهما ما أعلم ، لَقَبَلْتُ ما تحت أقدامهما من التراب .

ثم أقبل جابر على أنس ، فقال : يا أبا حمزة ، أخبرني رسول الله ﷺ فيهما بأمر ما ظننت أنه يكون في بشر . فقال له أنس : وما الذي أخبرك به يا أبا عبدالله ؟

قال علي بن الحسين : فانطلق الحسن والحسين ، ووقفت أنا أسمع محاورة القوم . فأنشأ جابر يحدث ، قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم في المسجد . وقد خَفَّ من حوله ، إذ قال لي : يا جابر ، ادع لي ابني حسناً وحسيناً . وكان شديد الكِلَف ^(٢) بهما . فانطلقت فدعوتهما . وأقبلت أحمل هذا مرّة وهذا مرّة ، حتّى جثته بهما .

فقال لي - وأنا أعرف السرور في وجهه لما رأى من حنوني عليهما : أتحبّهما يا جابر ؟ قلت : وما يمنعني من ذلك - فذاك أبي وأمي - ومكانهما منك مكانهما ؟! فقال : ألا أخبرك من فضلهما ؟ قلت : بلى ، فذاك أبي وأمي .

قال : إنّ الله تبارك وتعالى لما أحبّ أن يخلقني ، خلقني نطفة بيضاء [طَيِّبَة] ^(٣) فأودعها صلب آدم . فلم يزل ينقلها من صلب طاهر إلى رحم طاهرة ^(٤) ، إلى نوح وإبراهيم ثمّ كذلك إلى عبدالمطلب ، لم يصبني من دنس الجاهليّة شيء . ثمّ افترقت تلك النطفة شطرين : إلى [أبي] ^(٥) عبدالله ، وإلى أبي طالب . فولدني [أبي] ^(٦) عبدالله ، فختم الله بي النبوة . وولد عمّي أبو طالب عليّاً ، فختمت به الوصيّة .

ثمّ اجتمعت النطفتان منّي ومن علي وفاطمة ، فولدنا الجهر والجهيرة . فختم الله بهما أسباط النبوة ، وجعل ذريّتي منهما وأمرني بفتح مدينة - أو قال : مدائن - الكفر ،

١ . من المصدر .

٢ . أي شديد الروع . وفي بعض نسخ المصدر : شديد اللطف .

٣ . من المصدر .

٤ . المصدر : طاهر .

٥ و٦ . من المصدر .

وأقسم رَبِّي ليظهرنَّ منهما ذرِّيَّة طَيِّبَةً، تملأ الأرض عدلاً بعد ما ملئت جوراً. فهما طهران مطهران، وهما سيِّدا شباب أهل الجنة. طوبى لمن أحبَّهما وأباهما وأمتهما. وويل لمن عاداهم وأبغضهم.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: يعني الأصنام. أو كل ما عُبد من دون الله، إذ ما من مخلوق يستقلُّ بالنفع والضرر.

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيْرًا﴾ ﴿٥﴾: الظهير: المعين. فقيل ^(١): كان معيناً للشيطان على ربه بالمعاصي، أي كان شريكاً له بمعاصيه.

وقيل ^(٢): كان معيناً إله في معصية الشيطان لرَّبه، فإنَّ عبادة الأصنام مثلاً معاونة ^(٣) للشيطان في معصيته.

والمراد بـ«الكافر» الجنس. وقيل ^(٤): أبوجهل.

وقيل ^(٥): الظهير: المهيمن. أي كان الكافر على ربه مهيناً، لا وقع له عنده. من قولهم: ظهرت به: إذا نبذته خلف ظهره.

وفي بصائر الدرجات ^(٦): عبدالله بن عابر ^(٧) عن أبي عبدالله البرقي، عن الحسن ^(٨) بن عثمان، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ «وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيْرًا». قال: تفسيرها في بطن القرآن، يعني عليّ. هو ربه في الولاية [والطاعة] ^(٩) والرَّبُّ هو الخالق الَّذي لا يوصف.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(١٠): قال عليّ بن إبراهيم عليه السلام: وقد يُسمَّى الإنسان ربّاً بهذا الاسم لغة؛ كقوله ^(١١) تعالى: «اذكرني عند ربِّك». وكلّ مالك لشيء يُسمَّى ربه.

٣. ليس في م.

١ و٢. مجمع البيان، ١٧٥/٤.

٥. مجمع البيان ١٧٥/٤، أنوار التنزيل ١٤٨/٢ بتفاوت.

٤. أنوار التنزيل، ١٤٨/٢.

٧. سن، ن: جابر. م، المصدر: عامر.

٦. بصائر الدرجات ٩٧، ح ٥.

٩. من المصدر.

٨. المصدر: الحسين.

١١. يوسف / ٤٢.

١٠. تفسير القمي، ١١٥/٢.

ف قوله تعالى: «وكان الكافر على ربه ظهيراً». قال: «الكافر» الثاني. كان على أمير المؤمنين صلوات الله عليه ظهيراً.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٥٥): للمؤمنين والكافرين.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرسالة.

﴿مِنْ أَجْرِ إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾: [إلا فعل من شاء] (١).

﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٥٦): أن يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان

والطاعة.

صوره بصورة الأجر، من حيث إنه مقصود فعله. واستثناءه منه، قطعاً لشبهة الطمع، وإظهاراً لغاية الشفقة.

وقيل (٢): الاستثناء منقطع. معناه: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً، فليفعل.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾: في استكفاء شرورهم والإغناء عن

أجورهم. فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه، دون الأحياء الذين يموتون، فإنهم إذا ماتوا، ضاع من توكل عليهم.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾: ونزهه عن صفات النقصان، مثنياً عليه بأوصاف الكمال، طالباً

لمزيد الإنعام بالشكر على سوابغه.

﴿وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبٍ عَبَادِهِ﴾: ما ظهر منها وما بطن.

﴿خَبِيرًا﴾ (٥٧): فلا عليك إن آمنوا أو كفروا.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: في روضة الكافي (٣):

بإسناده إلى عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل خلق الخير يوم الأحد. وما كان ليخلق الشر قبل الخير. وفي يوم الأحد والاثنين، خلق الأرضين. وخلق أقواتها يوم الثلاثاء. وخلق السماوات يوم الأربعاء، ويوم الخميس. وخلق

أقواتها يوم الجمعة. وذلك قول الله ﷻ: «خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام».

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾: قد سبق الكلام فيه. ولعل ذكره زيادة تقرير، لكونه حقيقة بأن يتوكل عليه، من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف فيه. وتحريض على الثبات والتأني في الأمر. فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد، خلق الأشياء على تودة وتدريج.

و«الرحمن»، خبر للذي، إن جعلته مبتدأ، ولمحذوف، إن جعلته صفة للحي. أو بدل من المستكن في «استوى».

وقرئ^(١) بالجر صفة للحي.

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (٢٨): فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالماً يخبرك بحقيقته. وهو الله تعالى أو جبرئيل، أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه.

وقيل^(٢): الضمير للرحمن. والمعنى: إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب، ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم. وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ، والخبر ما بعده. والسؤال كما يُعدَّى بـ«عن» لتضمينه معنى التفيتش، يُعدَّى بالباء، لتضمينه معنى الاعتناء.

وقيل^(٣): إنه صلة خبيراً.

[وفي مجمع البيان^(٤): روي أن اليهود حكوا عن ابتداء خلق الأشياء بخلاف ما أخبر الله تعالى عنه. فقال سبحانه: «فاسأل به خبيراً»]^(٥).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾: لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى. أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره. ولذلك قالوا:

﴿تَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾: أي للذي تأمرنا، يعني تأمرنا بسجوده، أو لأمرنا لنا من غير عرفان.

وقيل ^(١): لأنه كان معرباً لم يسمعه.

وقرئ ^(٢): «ياأمرنا» بالياء، على أنه قول بعضهم لبعض. وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣): قوله ﷺ: «وإذا قيل لهم» إلى قوله: «وما الرحمن». قال: جوابه «الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان» ^(٤).

﴿وَزَادَهُمْ﴾: أي الأمر بالسجود للرحمن.

﴿نُفُوراً﴾ ^(٥): عن الإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾: يعني البروج الاثني عشر.

سُمِّيَتْ به - وهي القصور العالية - لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها. واشتقاقه من التبرج لظهوره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٥): في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «تبارك الذي جعل في السماء بروجاً» فالبروج، الكواكب. والبروج التي للربيع والصيف، الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة. والبروج التي للخريف ^(٦) والشتاء، الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي اثنا عشر برجاً. [والكواكب السيارة، هي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر] ^(٧).

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً﴾: يعني الشمس؛ كقوله ^(٨): «وجعل الشمس سراجاً».

وقرئ ^(٩): «سراجاً» وهي الشمس والكواكب الكبار.

١ و ٢. أنوار التنزيل، ١٤٩/٢. ٣. تفسير القمي، ١١٥/٢.
 ٤. الرحمن ١/ ٤. ٥. تفسير القمي، ١١٥/٢ - ١١٦.
 ٦. المصدر: وبروج الخريف. ٧. ليس في المصدر.
 ٨. نوح ١٦/. ٩. أنوار لتنزيل ١٤٩/٢ - ١٥٠.

﴿وَقَمراً مُنيراً﴾^(١): مضيئاً بالليل.

وقرى^(٢): «وقمراً» أي ذا قمر. وهو قمرء. ويحتمل أن يكون بمعنى القمر؛ كالرُّشد والرَّشد، والعُزْب والعَرَب.

وفي كتاب الإلهيلجة^(٣): قال الصادق عليه السلام في كلام طويل: «وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً» يسبحان في فلك، يدور بهما دائبين، يُطْلِعُهُمَا تارة^(٤) ويؤفلهما أخرى، حتّى تعرف عدّة الأيام^(٥) والشهور والسنين. وما يُستأنف من الصيف والربيع والشتاء والخريف، أزمنة مختلفة باختلاف الليل والنهار^(٦).

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: أي ذوي خلفه، يخلف كلّ منهما الآخر، بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه. فمن فاته عمل الليل، استدركه بالنهار. ومن فاته عمل النهار، استدركه بالليل. أو بأن يعتقبا؛ كقوله^(٧): «واختلاف الليل والنهار». وهي للحالة من خلف؛ كالركبة والجلسة.

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرْ﴾: أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه، فيعلم أن لا بدّ له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾^(٨): أن يشكر الله على ما فيه من النعم.

وقرأ^(٩) حمزة: «أن يذكر» من ذكر بمعنى تذكر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٠): حدّثني أبي عن صالح بن عقبة، عن جميل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال له رجل: جعلت فداك، يا ابن رسول الله، ربّما فاتتني صلاة الليل، الشهر والشهرين والثلاثة، فأقضيها بالنهار. أيجوز ذلك؟

٢. بحار الأنوار، ١٩١/٣.

١. نفس المصدر / ١٥٠.

٤. المصدر: في عليه الأيام.

٣. ن: مرة.

٥. المصدر: أزمنة مختلفة الأعمال، أصلها اختلاف الليل والنهار.

٧. أنوار التنزيل، ١٥٠/٢.

٦. الجاثية / ٥.

٨. تفسير القمي، ١١٩/٢.

قال: قرّة عين لك! والله قرّة عين لك! قالها ثلاثاً. إنّ الله يقول: «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه» الآية، فهو قضاء صلاة النهار بالليل، وقضاء صلاة الليل بالنهار. وهو من سرّ آل محمّد المكنون.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(١): قال الصادق عليه السلام: كلما فاتك بالليل، فاقضه بالنهار. قال الله تبارك وتعالى: «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً» يعني أن يقضي الرجل ما فاتته بالليل بالنهار^(٢). وما فاتته بالنهار بالليل^(٣). ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾: مبتدأ خبره: «أولئك يجزون الغرفة»^(٤) أو: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾: وإضافتهم إلى «الرحمن» للتخصيص والتفضيل، أو لأنهم الراسخون في عبادته، على أنّ «عباد» جمع عابد، كتاجر وتجار. ﴿هُوناً﴾: هينين. أو: مشياً هيناً. مصدر وُصِفَ به. والمعنى أنّهم يمشون بسكينة وتواضع.

وفي أصول الكافي^(٥): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، [عن ابن محبوب]^(٦)، عن محمّد بن النعمان، عن سلام، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَاً». قال: هم الأوصياء مخافة من عدوّهم^(٧). وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): قال محمّد بن العباس عليه السلام: حدّثنا الحسين بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس بن الفضيل^(٩) بن صالح، عن محمّد الحلبي، عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ: «وعباد الرحمن الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَاً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً». قال: هذه الآيات

١. من لا يحضره الفقيه ٣١٥/١، ح ١٤٢٨. ٢. م: في النهار.

٣. م: في الليل. ٤. الفرقان ٧٥.

٥. الكافي ٤٢٧/١، ح ٧٨. ٦. من المصدر.

٧. المصدر: من مخافة عدوّهم. ٨. تأويل الآيات ٣٨١/١، ح ١٧.

٩. المصدر: عن يونس عن المفضل.

للأوصياء، إلى أن يبلغوا «حسنت مستقراً ومقاماً»^(١).

وفي مجمع البيان^(٢): «الذين يمشون على الأرض هوناً». وقال أبو عبد الله عليه السلام: هو الرجل يمشي بسجيته التي جُبل عليها، لا يتكلف ولا يتبخر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدثنا أحمد بن [محمد بن] عيسى، عن ابن أبي نجران، عن حماد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً». قال: الأئمة عليه السلام «يمشون على الأرض هوناً» خوفاً من عدوهم.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٤): تسليماً منكم ومتاركة لكم، لا خير بيننا ولا شر. أو سداداً من القول، يسلمون^(٥) فيه من الإيذاء والإثم.

ولا ينافيه آية القتال لتنسخه، فإنَّ المراد هو الإغضاء عن السفهاء، وترك مقابلتهم في الكلام.

وفي مصباح الشريعة^(٦): قال الصادق عليه السلام في كلام طويل: ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلاَّ المقرَّبون من عباده، المتصلون بوحدايته. قال الله تعالى: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً».

وفي كتاب المناقب^(٧) لابن شهر آشوب: كان إبراهيم بن المهدي شديداً الانحراف عن أمير المؤمنين عليه السلام. فحدث المأمون يوماً فقال: رأيت علياً عليه السلام في النوم، فمشيت معه حتَّى جئنا قنطرة. فذهب يتقدَّمني لعبورها. فأمسكته وقلت له: إنَّما أنت رجل تدَّعي هذا الأمر بآمرة، ونحن أحقُّ به منك. فما رأيته بليغاً في الجواب. قال: وأي شيء قال لك؟ قال: ما زادني على أن قال: «سلاماً سلاماً». فقال المأمون: قد والله أجابك أبلغ

٢. مجمع البيان، ١٧٩/٤.

٤. من المصدر.

٦. مصباح الشريعة، ٧٣-٧٤.

١. الفرقان / ٧٦.

٣. تفسير القمي، ١١٦/٢.

٥. ن: ليسلمون.

٧. المناقب، ٢٧٠/٣-٢٧١.

جواب. قال: كيف؟ قال: عرفك أنك جاهل لاتجيب. قال الله تعالى: «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً».

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾^(١): في الصلاة.

وتخصيص البيوت، لأن العباد بالليل أحمز^(٢) وأبعد من الرياء. وتأخير القيام للروي^(٣). وهو جمع قائم، أو مصدر أجري مجراه.

وفي كتاب الخصال^(٤) عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: كل عين باكية يوم القيامة، إلا ثلاث أعين، عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله.

وفيه أيضاً^(٥)، عن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لاسهر إلا في ثلاث: متعبد بالقرآن، أو في طلب العلم، أو عروس تُهدى إلى زوجها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): عنه، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سليمان بن جعفر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله ﷻ: «وعباد الرحمن الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا». قال: هم الأنمة، يتقون في مشيهم.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٧): لازماً. ومنه: الغريم، لملازمته.

وهو إيدان بأنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق،

١. أي أشد.

٢. الروي - في علم العروض -: الحرف الذي يُبنى عليه القصيدة، وإليه تُنسب. يقال: قصيدة بائنة: إذا كان رويها الباء. والمقصود هنا الحرف الذي تنتهي به الآية.

٣. الخصال ٩٨/١، ح ٤٦.

٤. نفس المصدر ١١٢، ح ٨٨.

٥. تفسير القمي، ١١٦/٢.

وجلون من العذاب، مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم، لعدم اعتدادهم بأعمالهم، ووثوقهم على استمرار أحوالهم.

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾^(١٥): أي بثست مستقرًّا. وفيها ضمير مبهم، يفسره المميز. والمخصوص بالذم ضمير محذوف به تربط الجملة باسم «إِنَّ». أو: أحزنت، وفيها ضمير اسم «إِنَّ». و«مستقرًّا» حال أو تمييز.

والجملة تعليل للعلّة الأولى، أو تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾: لم يجاوزوا حدّ الكرم.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: ولم يضيّقوا تضيق الشحيح.

وقيل^(١٦): الإسراف، هو الإنفاق في المحارم. والتقتير منع الواجب.

وقرأ^(١٧) نافع^(١٨) وابن عامر: «ولم يَقْتُرُوا» بضمّ الياء، من أقر.

وقرئ^(١٩): بالتشديد. والكلّ واحد.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢٠): وسطاً وعدلاً. سُمي به لاستقامة الطرفين، كما سُمي

سواء لاستوائيهما.

وقرئ^(٢١) بالكسر. وهو ما يقام به الحاجة، لا يفضل عنها ولا ينقص. وهو خبر ثان

لـ«كان»، أو حال مؤكدة. ويجوز أن يكون الخبر و«بين ذلك» ظرفاً^(٢٢) لغوًّا.

وقيل^(٢٣): إنّه اسم «كان» لكثته مبني لإضافته إلى غير متمكّن. وهو ضعيف، لأنّه

بمعنى القوام. فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه.

١ و٢. أنوار التنزيل، ١٥٠/٢.

٣. النسخ: «الكوفيون ونافع». وهي خطأ لأنّ في المصدر ومجمع البيان (١٧٧/٤) نقلًا عن الكوفيين قرؤوا

بفتح الياء وضمّ التاء. ٤. لم نعر عليه في أي مصدر.

٥. أنوار التنزيل، ١٥٠/٢. ٦. ليس في المصدر.

٧. نفس المصدر، ١٥١.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا» يقول: ملازمًا لا يفارق. وقوله ﷺ: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا» والإسراف، الإنفاق في المعصية في غير حق. «ولم يقتروا» لم يبخلوا عن حق الله ﷻ «وكان بين ذلك قوامًا» القوام: العدل والإنفاق فيما أمر الله به.

وفي تفسير العياشي^(٢): عن الحلبي، عن بعض أصحابنا، عنه قال: قال أبو جعفر عليه السلام لأبي عبد الله عليه السلام: يا بني عليك بالحسنة بين السيئتين تمحوهما^(٣). قال: وكيف ذلك يا أبة؟ قال: مثل قوله: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا». فأسرفوا سيئة وأقتروا سيئة. «وكان بين ذلك قوامًا»: حسنة فعليك بالحسنة بين السيئتين. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

عن عبد الرحمن^(٤)، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله^(٥): «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ». قال: «الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا». نزلت هذه بعد هذه [هي الوسط]^(٦).

وفي كتاب الخصال^(٧): عن محمد بن عمرو^(٨) بن سعيد، عن بعض أصحابه، قال: سمعت العياشي وهو يقول: استأذنت الرضا عليه السلام في النفقة على العيال. فقال: بين المكروهين. قال: فقلت: جعلت فداك؛ لا والله ما أعرف^(٩) المكروهين. فقال: بلى، يرحمك الله. أما تعرف أن الله تعالى كره الإسراف وكره الإقتار، فقال: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا».

وفي أصول الكافي^(١٠): أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن

١. تفسير القمي، ١١٦/٢ - ١١٧.

٢. تفسير العياشي ٣١٩/٢، ح ١٧٩.

٣. ع: تمحوهما.

٤. نفس المصدر ١٠٦/١، ح ٣١٥.

٥. البقرة/٢١٩.

٦. من المصدر.

٧. الخصال ٥٤/١ - ٥٥، ح ٧٤.

٨. كذا في المصدر، ورجال النجاشي ١٠٠/١. وفي النسخ: عمر.

٩. ع: لأعرف.

١٠. الكافي ٥١١/٢، ح ٢.

فَصَّال، عن عبدالله بن إبراهيم، عن جعفر بن إبراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أربعة لا يستجاب لهم ^(١): رجل كان له مال فأفسده، فيقول: اللهم ارزقني. فيقال له: ألم أمرك بالاعتصام؟! ألم أمرك بالإصلاح؟! ثم قال: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي الكافي ^(٢): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن عامر بن خزيمة قال: جاء رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام فقال أبو عبدالله عليه السلام: اتق الله، ولا تسرف ولا تقتّر، ولكن بين ذلك قواماً. إن التبذير من الإسراف. قال الله ^(٣) تعالى: «ولا تبذر تبذيراً». والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

علي بن إبراهيم ^(٤)، عن أبيه؛ وعدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، جميعاً عن عثمان بن عيسى، عن إسحاق بن عبدالعزيز، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إنّنا نكون في طريق مكة، فنريد الإحرام، فنطلي ولا يكون معنا نخالة نتدلّك بها من النورة، فتندلّك بال دقيق. وقد دخلني من ذلك ما الله أعلم به. فقال: أمخافة الإسراف؟ قلت: نعم.

فقال: ليس فيما أصلح البدن إسراف. إنّني ربّما أمرت بالنقي ^(٥) فيلّت ^(٦) بالزيت، فأندلّك به، إنّما الإسراف فيما أفسد المال، وأضرّ بالبدن.

قلت: فما الإقتار؟ قال: أكل الخبز والملح، وأنت تقدر على غيره.

قلت: فما القصد؟ قال: الخبز واللحم واللبن والخلّ والسمن، مرّة هذا ومرّة هذا. عدّة من أصحابنا ^(٧)، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن القاسم بن محمد

١. المصدر: لاستجاب لهم دعوة.

٢. نفس المصدر ٥٠١/٣، ح ١٤.

٣. الاسراء ٢٦.

٤. نفس المصدر ٥٣/٤ - ٥٤، ح ١٠.

٥. النقي: الدقيق الجيد.

٦. يُلّت: يُخلط.

٧. نفس المصدر ٥٤، ح ١.

الجوهري، عن جميل بن صالح، عن عبد الملك بن عمرو الأحول قال: تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: «والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا». قال: فأخذ قبضة من حصي وقبضها بيده، فقال: هذه الإقتار الَّذِي ذكره الله في كتابه. ثم قبض قبضة أخرى، فأرخى كفّه كلّها، ثم قال: هذا الإسراف. ثم أخذ قبضة أخرى، فأرخى بعضها وأمسك بعضها، وقال: هذا القوام.

عنه^(١)، عن أبيه، عن محمد بن عمرو، عن عبد الله بن أبان، قال: سألت أبا الحسن الأول عليه السلام عن النفقة على العيال؟ فقال: ما بين المكروهين: الإسراف والإقتار.

أحمد بن محمد^(٢) [عن محمد^(٣) بن علي، عن محمد بن سنان، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله تعالى: «وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»، قال: القوام، هو المعروف «على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين»^(٤) على قدر عياله ومؤونتهم التي هي صلاح له ولهم. «لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها»^(٥).

عدّة من أصحابنا^(٦)، عن سهل بن زياد؛ وأحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن سنان، في قوله تبارك وتعالى: «والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا». فبسط كفّه، وفرّق أصابعه، وحنأها شيئاً.

وعن قوله^(٧) تعالى: «وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ». فبسط راحته وقال: هكذا. وقال: القوام ما يخرج من بين الأصابع، ويبقى في الراحة منه شيء.

علي بن إبراهيم^(٨)، [عن أبيه]^(٩)، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: دخل سفيان الثوري على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياباً بيضاً، كأنها غرقى البيض^(١٠).

-
١. نفس المصدر ٥٥، ح ٢.
 ٢. نفس المصدر ٥٦، ح ٨.
 ٣. من المصدر.
 ٤. البقرة / ٢٣٦.
 ٥. الطلاق / ٧.
 ٦. نفس المصدر، ح ٩.
 ٧. الإسراء / ٢٩.
 ٨. نفس المصدر، ح ٩.
 ٩. الغرقى: القشرة الملتزمة ببياض البيض. وقيل: البياض الَّذِي يؤكل.

فقال له: إن هذا اللباس ليس من ثيابك.

فقال له: اسمع مني، وع ما أقول لك؛ فإنه خير لك عاجلاً وأجلاً، إن أنت متّ على السنّة والحقّ، ولم تمت على بدعة. أخبرك أنّ رسول الله ﷺ كان في زمان مقفر جذب. فأما إذا أقبلت الدنيا، فأحقّ أهلها بها أبرارها لا فجّارها، ومؤمنوها لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارها.

فما أنكرت يا ثوري؟! فوالله إنني لمع ماترى، ما أتى عليّ منذ^(١) عقلت صباح ولا مساء، والله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعاً إلّا وضعته.

قال: وأتاه^(٢) قوم ممّن يظهر الزهد ويدعو الناس أن يكونوا معهم، على مثل الذي هم عليه من التقشّف. فقالوا له: إنّ صاحبنا حصر عن كلامك، ولم تحضره حجّة^(٣). فقال لهم: فهاتوا حججكم. فقالوا له: إنّ حججنا من كتاب الله.

فقال لهم: فأدلو بها، فإنّها أحقّ ما أتبع وعمل به. فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن قوم من أصحاب النبي ﷺ: «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»^(٤) فمدح فعلهم. وقال في موضع آخر: «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمّاً وأسيراً»^(٥) فنحن نكتفي بهذا.

فقال رجل من الجلساء: إنّنا رأيناكم تزهّدون في الأطعمة الطيّبة، ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم، حتّى تمتعوا أنتم منها.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: دعوا عنكم ما لا يئتنفع^(٦) به. أخبروني أيّها النفر، ألکم علم بناسخ القرآن من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، الذي في مثله ضلّ من ضلّ وهلك من هلك من هذه الأمة؟ فقالوا له: أو بعضه، فأما كلّ فلا.

فقال لهم: فمن هاهنا أتيتم؟ وكذلك أحاديث رسول الله. فأما ما ذكرت من إخبار

١. المصدر: مذ.

٢. المصدر: فأناه.

٣. المصدر: حججه.

٤. الحشر / ٩.

٥. الانسان، ٨.

٦. المصدر: تتفعون.

الله ﷻ إيانا في كتابه، عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعالهم، فقد كان مباحاً جائزاً، ولم يكونوا نهوا عنه، وثوابهم منه على الله ﷻ. وذلك أن الله جلّ وتقدّس أمر بخلاف ما عملوا به، فصار أمره ناسخاً لفعالهم. وكان نهى الله تبارك وتعالى رحمة منه للمؤمنين، ونظراً لكي لا يضروا بأنفسهم وعيالاتهم، منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة، الذين لا يصبرون على الجوع. فإن تصدّقت برغيفي ولا رغيف لي غيره، ضاعوا وهلكوا جوعاً.

ثم هذا ما نطق به الكتاب، ردّاً لقولكم ونهياً عنه مفروضاً من الله العزيز الحكيم. قال: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً». أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى قال غير ما أراكم تدعون الناس إليه من الأثرة على أنفسهم؟! وسمّي من فعل ما تدعون [الناس] ^(١)إليه مسرفاً، وفي غير آية من كتاب الله يقول ^(٢): «إنّه لا يحبّ المسرفين».

فنهاهم عن الإسراف، ونهاهم عن التقتير؛ ولكن أمر بين أمرين. لا يعطي جميع ما عنده، ثم يدعو الله أن يرزقه. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة. وفي مجمع البيان ^(٣): روي عن معاذ أنّه قال: سألت رسول الله ﷺ عن ذلك. فقال: من أعطى في غير حقّ، فقد أسرف. ومن منع عن حقّ، فقد قتر. وروي ^(٤)عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ليس في المأكول والمشروب سرف، وإن كثر ^(٥).

٢. الأنعام / ١٤١؛ والأعراف / ٣١.

١. من المصدر.

٤. مجمع البيان، ١٧٩/٤.

٣. مجمع البيان، ١٧٩/٤.

٥. في هامش نسخة «م»:

وفي أوائل الجزء العاشر من كتاب الوافي في باب إصلاح المال وتقدير العيش: ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ قال: ما من نفقة أحبّ إلى الله ﷻ من نفقة قصد، ويُبغض الإسراف إلا في الحجّ والعمرة فرحم الله مؤمناً كسب مليّاً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً. (الوافي، ١٦٣).

⇒ يه: عبيد بن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: يا عبيد، إن السرف يورث الفقر، وإن القصد يورث الغنى. (الفتحية ١٠٧/٣، ح ٤٤٦ والوافي ١٦٣).

يه: قال العالم عليه السلام ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر. (الفتحية ١٠٢/٣، ح ٤٠٩. والوافي ١٦٣).

يه: قال علي بن الحسين عليه السلام إن الرجل لينفق ماله في حق وإنه لمسرف. بيان: يعني يزيد من الإنفاق في الحق على قدر الضرورة. (الفتحية ١٠٢/٣، ح ٤١٠ والوافي ١٦٣).

يه: الأصمغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنه قال: للمسرف ثلاث علامات: يأكل ما ليس له، ويشرب ما ليس له، ويلبس ما ليس له (الفتحية ١٠٢/٣، ح ٤١١ والوافي ١٦٣).

يه: أبو هشام البصري، عن الرضا عليه السلام قال: من الفساد، قطع الدرهم والدينار وطرح النوى. (الفتحية ١٠٢/٣، ح ٤١٢. والوافي ١٧٣).

يه: سأل إسحاق بن عمار أبا عبدالله عليه السلام عن أدنى الإسراف. فقال: ثوب صونك تتبذله وفضل الإناء تهريقه، وقدفك النوى هكذا وهكذا. (الفتحية ١٠٣/٣، ح ٤١٣. والوافي ١٧٣).

كا: محمد، عن أحمد، عن الحسن بن علي، عن علي بن عقبة، عن إسحاق بن عمار مثله بأدنى تفاوت. (الكافي ٤٦٠/٦، ح ١، والوافي ١٧٣).

كا: محمد بن صالح بن عقبة عن سليمان بن صالح قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام ما أدنى ما يجيء من الإسراف، قال: ابتذالك ثوب صونك، الحديث على اختلاف ألفاظه (الكافي ٤٦٠/٦، ح ٢. والوافي ١٧٣).

من أواسط الجزء الحادي عشر من أجزاء الوافي في باب السكر (٤٨/٣).

كا: محمد، عن موسى بن الحسن، عن عبيد الخياط، عن عبدالعزيز عن ابن سنان، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لو أن رجلاً عنده ألف درهم ليس عنده غيرها، ثم اشترى بها سكرًا لم يكن مسرفاً. (الكافي ٣٣٤/٦، ح ٨).

يب: أحمد عمن أخبره، عن ابن طيفور المتطبب، قال: سألتني أبو الحسن عليه السلام أي شيء تركب؟ قلت: حماراً فقال: بكم ابتعته؟ قلت: بثلاثة عشر ديناراً. فقال: إن هذا هو السرف أن تشتري حماراً بثلاثة عشر ديناراً، وتدع برذوناً. قلت: يا سيدي، إن مؤنة البرذون أكثر من مؤنة الحمار. فقال: الذي يمؤن الحمار يمؤن البرذون أما تعلم أنه من ارتبط دابة متوقفاً به أمرنا، ويغيب به عدونا. وهو منسوب إلينا، أدر الله رزقه وشرح صدره وبلغه أمهه وكان عوناً على حوائجه. من أجزاء الحادي عشر من أجزاء الوافي في باب ارتباط المركوب (١١٠/٣) والكافي ٥٣٥/٦، ح ١. والتهذيب ١٦٣/٦، ح ٣٠٠.

كا: العدة عن سهل، عن الجاموراني، عن ابن أبي حمزة، عن سيف بن عميرة، عن إسحاق بن عمار، قال:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: أي حرّمها بمعنى حرّم قتلها.

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: متعلّق بالقتل المحذوف، أو بـ «لا يقتلون».

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: وفي مجمع البيان^(١)، وروى البخاري ومسلم في صحيحهما بالإسناد عن عبدالله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنوب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً، وهو خلقك.

قال: قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك، مخافة أن يطعم معك.

قال: قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني^(٢) حليلة جارك. فأنزل الله تصديقاً^(٣): «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» الآية.

واعلم أنّه تعالى نفى عنهم أمّهات المعاصي، بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات، إظهاراً لكمال إيمانهم، وإشعاراً بأنّ الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك، وتعرضاً للكفرة بإضداده. ولذلك عبّبه بالوعيد تهديداً لهم، فقال:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٤): جزاء إثم. أو إثمًا، بإضمار الجزاء.

وقرئ^(٥): «أَيَّامًا» أي شدائد. يقال: يوم ذو أيام، أي صعب.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): «أثام» وادّ من أودية جهنّم من صفر مذاب، قدّامها حرّة^(٧) في جهنّم يكون فيه من عبد غير الله تعالى ومن قتل النفس التي حرّم الله، ويكون فيه الزناة، ويضاعف لهم فيه العذاب.

⇒ قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يكون للمؤمن عشرة أقمص، قال: نعم. قلت: عشرون. قال: نعم. قلت: ثلاثون. قال: نعم ليس هذا من السرف. إنّما السرف، أن تجعل ثوب صونك ثوب بذلتك (الكافي ٤٤١/٦، ح ٤). بيان: البذلة بالكسر ما لا يصان من الثياب والثوب الخلق. وقد مضى في معنى آخر الحديث أخبار أخر في باب تقدير المعيشة من الوافي في باب كثرة اللباس من الجزء الحادي عشر (٩٥/٣).

١. نفس المصدر، ١٧٩/٤. ٢. المصدر: تزاني.

٣. المصدر: تصديقها. ٤. أنوار التنزيل، ١٥١/٢.

٥. تفسير القمي، ١١٦/٢. ٦. الحرّة: الأرض ذات أحجار سود.

وقيل ^(١): بأن يوقفه لأضداد ما سلف منه، أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثواباً.
وفي محاسن البرقي ^(٢): عنه، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أبيه، عن سليمان بن خالد قال: كنت في محملي ^(٣) أقرأ، إذ ناداني أبو عبدالله عليه السلام: اقرأ يا سليمان، فإننا في هذه الآيات التي في آخر تبارك ^(٤): «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له». فقال: هذه فينا. أما والله لقد وعظنا، وهو يعلم أننا لا نزن. اقرأ يا سليمان. فقرأت، حتى انتهيت إلى قوله: «إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات». قال: قف. هذه فيكم. إنه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله تعالى فيكون هو الذي يلي حسابه، فيوقفه على سيئاته شيئاً شيئاً. فيقول: عملت كذا في يوم كذا في ساعة كذا. فيقول: أعرف ^(٥) يا رب ^(٦)، حتى يوقفه على سيئاته كلها. كل ذلك يقول: أعرف. فيقول: سترتها عليك في الدنيا، وأغفرها لك اليوم. أبدلوها لعبدي حسنات. قال: فترفع صحيفته للناس. فيقولون: سبحان الله! أما كانت لهذا العبد سيئة واحدة؟ فهو قول الله تعالى: «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات».

وفي كتاب سعد السعود ^(٧) لابن طائوس رحمته الله نقلاً عن تفسير الكلبي، قال: لما جعل مطعم بن عيسى ^(٨) بن نوفل لغلامه وحشي إن هو قتل حمزة، أن يعتقه. فلما قتله وقدموا مكة، لم يعتقه.

فبعث وحشي وجماعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما يمنعنا من دينك، إلا أننا سمعناك تقرأ في كتابك أن من يدعو مع الله إلهاً آخر ويقتل النفس ويزني، يلق أثاماً ويخلد في العذاب. ونحن قد فعلنا هذا كله. فبعث إليهم بقوله: «إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً».

١. أنوار التنزيل، ١٥١/٢.

٢. المحاسن ١٧٠، ح ١٣٦.

٣. المصدر: محملي.

٤. أي آخر سورة الفرقان.

٥. م: اعترف.

٦. ن: ياربي.

٧. سعد السعود، ٢١١.

٨. المصدر: عدي.

فقالوا: نخاف أن لا نعمل صالحاً! فبعث إليهم: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»^(١).

فقالوا: نخاف أن لا ندخل في المشيئة. فبعث إليهم: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً»^(٢).

فجاؤوا وأسلموا. فقال النبي ﷺ لوحشي قاتل حمزة رضوان الله عليه: غيب وجهك عني، فإنني لا أستطيع النظر إليك. قال: فلقق بالشام، فمات في الخبر^(٣). هكذا ذكر الكلبي.

وفي عوالي اللثالي^(٤) عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، ونحو كبارها^(٥). فيقال: عملت يوم كذا وكذا، وهو يقرّ^(٦) ليس ينكر. وهو مشفق من الكبائر أن تجيء. فإذا أراد الله به خيراً، قال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة. فيقول: يا رب، لي ذنوب ما رأيته هاهنا! قال: ورأيت رسول الله ﷺ ضحك، حتى بدت نواجذه. ثم تلا: «وأولئك يبذل الله سيئاتهم حسناً».

وفي روضة الواعظين^(٧) للمفيد رحمه الله: وقال ﷺ: ما جلس قوم يذكرون الله إلا نادى بهم مناد من السماء: قوموا فقد بذل الله^(٨) سيئاتكم حسناً، وغفر لكم جميعاً.

١. النساء / ٤٨ و ١١٦.

٢. الزمر / ٥٣.

٣. المصدر: الخمر.

قال الحموي في المعجم: «الخبر» موضع على ستة أميال من مسجد سعد بن أبي وقاص وفيها قصور على طريق الحاج. انتهى.

أما في أسد الغابة: فإنه قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: مات وحشي في الخبر. أخرجه الثلاثة.

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب في ترجمته: وكان مغرمًا بالخمر. وفرض له عمر في ألفين، ثم ردها إلى ثلاثمائة بسبب الخمر.

٤. عوالي اللثالي ١٢٤/١، ح ١٥٦.

٥. المصدر: «قال: فتعرض عليه ويخبر عنه كبارها».

٦. المصدر: مقر.

٧. روضة الواعظين، ٣٩١/٢.

٨. المصدر: بذلت.

وفي بصار الدرجات^(١): أحمد بن محمد ويعقوب بن يزيد عن الحسن بن علي بن فضال عن أبي جميلة عن محمد الحلبي^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن ربّي وعدني في شيعة عليّ خصلة. قيل: يا رسول الله، وما هي؟ قال: المغفرة منهم لمن آمن واتقى، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولهم تُبدّل السيئات حسنات. وفي عيون الأخبار^(٣) في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة: وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة، تجلّى الله سبحانه لعبده المؤمن، فيقفه^(٤) على ذنوبه ذنباً ذنباً. ثم يغفر [الله] له، لا يُطلع الله على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا. ويستر عليه ما يكره أن يقف عليه أحد^(٥). ثم يقول لسيئاته: كوني حسنات.

وفي باب استسقاء المأمون بالرضا عليه السلام عنه^(٦) عليه السلام: قيل: يا رسول الله، هلك فلان، يعمل من الذنوب كيت وكيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بل قد نجا، ولا يختم الله تعالى عمله إلا بالحسن. وسيمحو الله عنه السيئات، ويبدّلها حسنات. إنّه كان مرّة يمرّ^(٨) في طريق، عرض له مؤمن قد انكشفت عورته، وهو لا يشعر. فسترها عليه، ولم يخبره بها، مخافة أن يخجل. ثم إن ذلك المؤمن عرفه في مهواه، فقال له: أجزل الله لك الثواب وأكرم لك المآب ولا ناقشك في الحساب. فاستجاب الله له فيه. فهذا العبد لا يختم الله له إلا بخير، بدعاء ذلك المؤمن.

فأنصّل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الرجل. فتاب وأتاب وأقبل على طاعة الله سبحانه. فلم

١. بصائر الدرجات ١٠٣ الجزء ٢، الباب ١٤، ح ١.

٢. المصدر: محمد بن الحلبي.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٨-٣٢، ح ٥٧.

٤. من المصدر.

٥. المصدر: فيوقفه.

٦. المصدر: ويستر عليه ولا يُطلع عليه أحداً.

٧. نفس المصدر ١٦٧/٢، ح ١.

٨. المصدر: يمرّ مرّة.

يأت عليه سبعة أيام، حتَّى أغير على سرح^(١) المدينة. فوجّه رسول الله ﷺ في آثارهم^(٢) جماعة، وذلك الرجل أحدهم، فاستشهد فيهم.

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمه الله^(٣) بإسناده إلى الرضا عليه السلام عن أبيه، عن جدّه، عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ حبنا أهل البيت يكفر الذنوب ويضاعف الحسنات. وإن الله ليتحمّل من محبينا^(٤) أهل البيت عليه السلام ما عليهم من مظالم العباد، إلّا ما كان منهم فيها على إضرار وظلم للمؤمنين. فيقول للسّيئات: كونى حسنة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٥): فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات.

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمه الله^(٦) بإسناده إلى محمد بن مسلم الثقفي قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن قول الله ﷻ: «فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً». فقال عليه السلام: يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة، حتّى يوقف بموقف الحساب. فيكون الله تعالى هو الذي يتولّى حسابه، لا يطلع على حسابه أحداً من الناس. فيعرفه بذنوبه^(٧) حتّى إذا أقرّ بسيئاته، قال الله ﷻ للكتابة^(٨): بدّلوها حسنات وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذ: ما كان لهذا العبد سيئة واحدة! ثمّ يأمر الله به إلى الجنّة. فهذا تأويل الآية، وهي في المذنبين من شيعتنا خاصّة.

وفي أصول الكافي^(٩): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا رفعه قال: إنّ الله ﷻ أعطى التائبين ثلاث خصال، لو أعطى خصلة منها جميع أهل السماوات والأرض، لنجوا بها. قوله ﷻ: «والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له

١. السرح: المال السائم.

٢. المصدر: أثرهم.

٣. أمالي الشيخ، ١٦٦/١.

٤. أمالي الشيخ، ٧٠/١ - ٧١.

٥. المصدر: ذنوبه.

٦. المصدر: لملائكته.

٧. الكافي ٤٣٢/٢ - ٤٣٣، ح ٥.

العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً.

محمّد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن علي، عن عبدالله بن إبراهيم، عن علي بن أبي^(٢) علي الهببي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ أربع من كنّ فيه، وكان من قرنه إلى قدمه ذنباً، بذلها الله ﷻ حسنات: الصدق، والحياء وحسن الخلق، والشكر.

وفي كتاب علل الشرائع^(٣) بإسناده إلى إسحاق القمي، قال: دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام، فقلت له: جعلت فداك؛ قد أرى المؤمن الموحد الذي يقول بقولي، ويدين بولايتكم^(٤)، وليس بيني وبينه خلاف، يشرب المسكر ويزني ويلوط. وآتبه في حاجة واحدة، فأصيبه معبس الوجه، كالح اللون، ثقيلاً^(٥) في حاجتي فيها. وقد رأى الناصب المخالف لما أنا عليه ويعرفني بذلك، فأتبه في حاجة. فأصيبه طلق الوجه، حسن البشر، مسرعاً^(٦) في حاجتي، فرحاً بها، يحب قضاءها، كثير الصلاة، كثير الصوم، كثير الصدقة يؤدّي الزكاة، ويستودع فيؤدّي الأمانة. قال: يا إسحاق، ليس تدرون من أين أوتيتم؟ قلت: لا والله - جعلت فداك - إلا أن تخبرني. فقال: يا إسحاق، إنّ الله ﷻ لما كان متفرّداً بالوحدانية، ابتدأ الأشياء لا من شيء. فأجرى الماء العذب على أرض طيبة طاهرة، سبعة أيام مع لياليها^(٧). ثم نضب الماء عنها، فقبض قبضة من صفاء^(٨) ذلك الطين، وهي طينتنا أهل البيت. ثم قبض قبضة من أسفل ذلك الطين، وهي طينة شيعتنا. ثم اصطفانا لنفسه.

فلو أنّ طينة شيعتنا تُركت كما تُركت طينتنا، لما زنا أحد منهم، ولا سرق ولا لاط،

١. نفس المصدر ١٠٧، ح ٧.

٣. علل الشرائع ٤٨٩ - ٤٩١، ح ١.

٥. من المصدر.

٧. المصدر: بلياليها.

٢. من المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ويدين الله بولايتكم.

٦. المصدر: متسرعاً.

٨. المصدر: صفوة.

ولا شرب الخمر، ولا ارتكب شيئاً^(١) ممّا ذكرت. ولكن الله ﷻ أجرى الماء المالح على أرض ملعونة، سبعة أيام ولياليها. ثمّ نضب الماء عنها. ثمّ قبض قبضة وهي طينة ملعونة من حمأ مسنون، وهي طينة خبال، وهي طينة^(٢) أعدائنا. فلو أنّ الله ﷻ ترك طينتهم كما أخذها، لم تروهم في خلق آدميين، ولم يقرّوا بالشهادتين، ولم يصوموا، ولم يصلّوا، ولم يذكّوا، ولم يحجّوا البيت، ولم تتروا أحداً منهم بحسن خلق. ولكنّ الله تبارك وتعالى جمع الطينتين: طينتكم وطينتهم، فخلطهما وعركهما عرك الأديم ومزجهما بالماءين.

فما رأيت من أخيك المؤمن من شرّ لفظ^(٣)، أو زنا، أو شيء ممّا ذكرت من شرب مسكر أو غيره، فليس من جوهريته ولا من إيمانه. إنّما هو بمسحة الناصب، اجترح هذه السيئات التي ذكرت.

وما رأيت من الناصب من حسن وجهه، وحسن خلق، أو صوم، أو صلاة، أو حجّ بيت، أو صدقة، أو معروف، فليس من جوهريته. إنّما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان، اكتسبها وهو اكتساب مسحة الإيمان.

قلت: جعلت فداك؛ فإذا كان يوم القيامة، فم؟ قال لي: يا إسحاق، لا يجمع الله الخير والشرّ في موضع واحد. إذا كان يوم القيامة، نزع الله ﷻ مسحة الإيمان منهم، فردّها إلى شيعتنا. ونزع مسحة الناصب. بجمع ما اكتسبوا من السيئات، فردّها على أعدائنا. وعاد كلّ شيء إلى عنصره الأوّل الذي منه كان ابتداء.

أما رأيت الشمس إذا هي بدت؟ ألا ترى لها شعاعاً زاجراً متصلاً بها أو بائناً منها؟ قلت: جعلت فداك، الشمس إذا هي غربت، بدا إليها الشعاع كما بدا منها. ولو كان بائناً منها، لما بدا إليها. قال: نعم يا إسحاق، كلّ شيء يعود إلى جوهره الذي منه بدا.

١. المصدر: ولا شرب المسكر ولا اكتسب شيئاً. ٢. ليس في م.

٣. من المصدر. وفي النسخ: لوط.

قلت: جعلت فداك، تؤخذ حسناتهم فتردّ إلينا، وتؤخذ سيئاتنا فتردّ إليهم؟ قال: إي، والله الذي لا إله إلا هو.

قلت: جعلت فداك، أخذتها من كتاب الله ﷻ؟ قال: نعم يا إسحاق.

قلت: أي مكان؟ قال لي: يا إسحاق، ما تملو هذه الآية: «أولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً»؟ فلم يبدّل الله سيئاتهم حسنات لهم. والله يبدّل لكم.

أبي ﷺ^(١) قال حدّثنا سعد بن عبدالله، عن محمّد بن أحمد، [عن أحمد بن محمّد]^(٢) السياريّ قال: حدّثني محمّد بن عبدالله بن مهران الكوفيّ قال حدّثني حنان بن سدير عن أبيه عن أبي إسحاق اللبّيثيّ، قال: قلت لأبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: يا ابن رسول الله ﷺ إني أجد من شيعتكم من يشرب الخمر، ويقطع الطريق، ويخيف السبل، ويزني ويلوط ويأكل الربا، ويرتكب الفواحش، ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة^(٣)، ويقطع الرحم، ويأتي الكبائر. فكيف هذا ولمّ ذلك؟

فقال: يا إبراهيم، هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟ قلت: نعم، يا ابن رسول الله، أخرى أعظم من ذلك. فقال: ما هو يا أبا إسحاق؟

قال: قلت: يا ابن رسول الله ﷺ وأجد من أعدائكم ومن ناصبيكم^(٤) من يكثر من [الصلاة ومن]^(٥) الصيام، ويخرج الزكاة، ويتابع بين الحجّ والعمرة، ويخصّ^(٦) على الجهاد، ويأثر على البرّ وعلى صلة الرحم^(٧)، ويقضي حقوق إخوانه ويواسيهم من ماله، ويجتنب^(٨) شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش. فمّمّ ذلك^(٩) ولمّ ذاك؟ فسره لي يا ابن رسول الله، وبرهنه وبَيّنه. فقد والله كثر فكري، وأسهر ليلي وضاق ذرعي.

١. نفس المصدر ٦٠٦-٦١٠، ح ٨١.

٢. من المصدر.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: ومناصبيكم.

٥. ليس في أ.

٦. المصدر: يحرص.

٧. المصدر: الأرحام.

٨. س، أ، المصدر: يتجنّب.

٩. المصدر: يحرص.

قال: فتبسّم الباقر صلوات الله عليه ثم قال: يا إبراهيم، خذ إليك بياناً شافياً فيما سألت وعلماً مكنوناً من خزائن علم الله وسرّه. أخبرني يا إبراهيم كيف تجد اعتقادهما؟

قلت: يا ابن رسول الله، أجد محبتكم وشيعتكم - على ما هم فيه ممّا وصفته من أفعالهم - لو أعطى أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة أن يزول عن ولايتكم ومحبتكم^(١) إلى موالاة غيركم وإلى محبتهم، ما زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيكم، ولو قُتل فيكم، ما ارتدع ولا رجع من محبتكم وولايتكم. وأرى الناصب - على ما هو عليه ممّا وصفته من أفعالهم - لو أعطى أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضّة أن يزول عن محبة الطواغيت وموالاتهم إلى موالاةكم، ما فعل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم، ولو قُتل فيهم، ما ارتدع ولا رجع. وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً، اشماز من ذلك، وتغيّر لونه، ورؤي كراهة^(٢) ذلك في وجهه، بغضاً لكم ومحبة لهم.

قال: فتبسّم الباقر عليه السلام: ثم قال: يا إبراهيم، هاهنا هلكت العاملة الناصبة «تصلني ناراً حامية تُسقى من عين أنية»^(٣). ومن ذلك قال عليه السلام: «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً». ويحك يا إبراهيم، أتدري ما السبب والقصة في ذلك، وما الذي قد خفي على الناس منه؟

قلت: يا ابن رسول الله، فبيّنه لي واشرحه وبرهنه.

قال: يا إبراهيم، إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً، خلق الأشياء لامن شيء ومن زعم أنّ الله ﷻ خلق الأشياء من شيء، فقد كفر، لأنّه كان ذلك الشيء [الذي خلق منه الأشياء، قديماً معه في أزليّته وهويّته وكان ذلك الشيء] ^(٤) أزليّاً. بل خلق ﷻ

١. هكذا في المصدر وفي النسخ: أن يزول عن ولايتكم لما فعل ولاعن محبتكم.

٢. المصدر: كراهية. ٣. الغاشية / ٣-٥.

٥. من المصدر.

٤. الفرقان / ٢٣.

الأشياء كلها لا من شيء فكان مما خلق الله ﷻ أرضاً طيبة. ثم فجر منها ماءً عذباً زلالاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت، فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام، حتى^(١) طبّقها وعمّها. ثم نصب ذلك الماء عنها، فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً، فجعله طين الأئمة عليهم السلام. ثم أخذ ثفل^(٢) ذلك الطين، فخلق منه شيعتنا. ولو ترك طينتكم يا إبراهيم - على حالها، كما ترك طينتنا، لكنتم ونحن شيئاً واحداً.

قلت: يا ابن رسول الله، فما فعل بطينتنا؟ قال: أخبرك يا إبراهيم. خلق الله ﷻ بعد ذلك أرضاً سبخة خبيثة متنتة. ثم فجر منها ماءً أجاباً أسناً^(٣) مالحاً. فعرض عليها ولايتنا أهل البيت، فلم تقبلها. فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام، حتى طبّقها وعمّها. ثم أخذ من ذلك الطين، فخلق منه الطغاة وأئمتهم، ثم مزجه بثلث طينتكم^(٤)، ولو ترك طينتهم على حالها ولم تُمزج بطينتكم، لم يشهدوا الشهادتين، ولا صلّوا، ولا صاموا، ولا زكّوا، ولا حجّوا، ولا أدّوا أمانة، ولا أشبهوكم في الصور. وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوّه مثل صورته.

قلت: يا ابن رسول الله، فما صنّع بالطينتين؟ قال: مُزج بينهما بالماء الأول والماء الثاني. ثم عرّكهما عرك الأديم. ثم أخذ من ذلك قبضة فقال: هذه إلى الجنة ولا أبالي. وأخذ قبضة أخرى، وقال: هذه إلى النار ولا أبالي. ثم خلط بينهما، فوقع من سنخ^(٥) المؤمن وطينته، على سنخ الكافر وطينته. ووقع من سنخ الكافر وطينته، على سنخ المؤمن وطينته.

فما رأيته من شيعتنا من زنا أو لواط، أو ترك صلاة أو صيام أو حجّ أو جهاد، أو خيانة، أو كبيرة من هذه الكبائر، فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مُزج فيه؛ لأنّ من سنخ الناصب وعنصره وطينته، اكتساب المأثم والفواحش والكبائر.

١. ليس في المصدر.

٢. الثفل: ما استقرّ تحت الماء من الكدر.

٣. الأسن: المتغير الطعم.

٤. سن، أم، ن: طينكم.

٥. السنخ: الأصل.

وما رأيت من الناصب من مواظبته على الصلاة والصيام والحجّ والزكاة^(١) والجهاد وأبواب البرّ، فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه؛ لأنّ من سنخ المؤمن وعنصره وطينته، اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم.

فإذا عُرِضَت هذه الأعمال كلّها على الله ﷻ قال: أنا الله^(٢) عدل لا أجور، ومنصف لا أظلم، وحكم لا أحيف. ولا أميل ولا أشطط. الحقوا الأعمال السيئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته، والحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته. ردّوها كلّها إلى أصلها. فإنّي أنا الله، لا إله إلّا أنا، عالم السرّ وأخفى. وأنا المطلّع على قلوب عبادي. لأحيف ولا أظلم، ولا ألزم أحداً إلّا ما عرفته منه قبل أن أخلقه.

ثمّ قال الباقر عليه السلام: يا إبراهيم، اقرأ^(٣) هذه الآية. قلت: يا ابن رسول الله، أيّة آية؟ قال: قوله تعالى: «قال معاذ الله أن نأخذ إلّا من وجدنا متاعنا عنده إنّنا إذا لظالمون»^(٤) هو في الظاهر ما تفهمونه. هو - والله - في الباطن هذا بعينه. يا إبراهيم، إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً.

ثمّ قال: أخبرني يا إبراهيم عن الشمس، إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان، أهو بائن من القرص؟ قلت: في حال طلوعه بائن. قال: أليس إذا غابت الشمس اتّصل ذلك الشعاع بالقرص حتّى يعود إليه؟ قلت: نعم قال: كذلك يعود كلّ شيء إلى سنخه وجوهره وأصله. فإذا كان يوم القيامة، نزع الله ﷻ سنخ الناصب وطينته، مع أثقاله وأوزاره من المؤمن، فيلحقها كلّها [بالناصر] وينزع سنخ المؤمن وطينته، مع حسناته وأبواب برّه واجتهاده من الناصب، فيلحقها كلّها^(٥) بالمؤمن. أفترى ها هنا ظلماً أو عدواناً؟ قلت: لا، يا ابن رسول الله.

٢. ليس في المصدر.

٤. يوسف ٧٩.

١. س، أ، المصدر: والزكاة والحج.

٣. المصدر: اقرأ يا إبراهيم.

٥. ليس في أ.

قال: هذا - والله - القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل البين. «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون»^(١). هذا يا إبراهيم «الحق من ربك ولا تكونن من الممترين»^(٢) هذا من حكم الملكوت.

قلت: يا ابن رسول الله، وما حكم الملكوت؟ قال: حكم الله وحكم أنبيائه، وقصة الخضر وموسى عليه السلام حين استصحبه. فقال: «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً»^(٣) أفهم يا إبراهيم واعقل. أنكر موسى على الخضر، واستفزع أفعاله حتى قال له الخضر: يا موسى، «ما فعلته عن أمري»^(٤) إنما فعلته عن أمر الله ﷻ. من هذا - ويحك يا إبراهيم! - قرآن يُتلى وأخبار تؤثر عن الله ﷻ. ومن ردّ منها حرفاً، فقد كفر وأشرك وردّ على الله ﷻ.

قال الليثي: فكأنني لم أعقل الآيات - وأنا أقرأها أربعين سنة - إلا ذلك اليوم. فقلت: يا ابن رسول الله، ما أعجب هذا! تؤخذ حسنات أعدائكم، فتردّ على شيعتكم، وتؤخذ سيئات محبيكم، فتردّ على مبغضيكم؟!

قال: إي، والله الذي لا إله إلا هو، فالق الحبة وبارئ النسمة، وفاطر الأرض والسماء، ما أخبرتك إلا بالحق، ولا أنبأتك إلا بالصدق^(٥). وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد. وإنّ ما أخبرتك موجود في القرآن كله.

قلت: هذا بعينه يوجد في القرآن؟ قال: نعم، يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن. أتحب أن أقرأ ذلك عليك؟ قلت: بلى، يا ابن رسول الله.

فقال: قال الله ﷻ: «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَلِيَحْمِلْنَ أُنْقَالَهُمْ وَأُنْقَالًا مَعَ أُنْقَالِهِمْ» الآية. أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله.

١. الأنبياء / ٢٣.

٢. اقتبس عليه من قوله تعالى في سورة البقرة / ١٤٧.

٣. الكهف / ٦٧ - ٦٨.

٤. الكهف / ٨٢.

٥. المصدر: وما أنبأتك إلا بالصدق.

٦. العنكبوت / ١٢ - ١٣.

قال: «ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون»^(١) أتحب أن أزيدك؟ قلت: بلى، يا ابن رسول الله.

قال: «فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً» يبدّل الله سيئات شيعتنا حسنات، ويبدّل الله حسنات أعدائنا سيئات. وجلال الله [ووجه الله]^(٢) إنّ هذا لمن عدله وإنصافه. لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه. وهو السميع العليم. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): روى الشيخ محمد بن يعقوب عليه السلام [عن عدّة من أصحابنا]^(٤)، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله سبحانه مثل لي أمّتي في الطين، وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلّها. فمرّ بي أصحاب الرايات، فاستغفرت لعلّي وشيعته. وإنّ ربّي وعدني في شعبة عليّ خصلة.

قيل: يا رسول الله، وما هي؟ قال: المغفرة لمن آمن منهم، ولم يغادر لهم صغيرة ولا كبيرة، إلّا غفرها لهم، ويبدّل السيئات حسنات.

وروى الشيخ أبو القاسم^(٥) جعفر بن [محمد بن]^(٦) قوليه عليه السلام بإسناده إلى رجاله، عن منيع، عن صفوان بن يحيى، عن صفوان بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أهون ما يكسب زائر الحسين عليه السلام في كلّ حسنة، ألف ألف حسنة والسيئة واحدة. وأين الواحدة من ألف ألف؟ ثمّ قال: يا صفوان، أبشر. إنّ الله ملائكة معها قضبان من نور. فإذا أراد الحفظة أن تكتب على زائر الحسين سيئة، قالت الملائكة للحفظة: كفي. فتكفّ. فإذا عمل حسنة، قالت: لها اكتبي. أولئك الذين يبدّل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفوراً رحيماً.

٢. ليس في المصدر.

١. النحل / ٢٥.

٤. من المصدر.

٣. تأويل الآيات ٣٨٣/١، ح ٢١.

٥. نفس المصدر ح ٢٢، كامل الزيارات ٣٣٠، ح ٥.

٦. من المصدر.

﴿وَمَنْ تَابَ﴾: عن المعاصي، بتركها والندم عليها.

﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾: يتلافى به ما فرط. أو: خرج عن المعاصي، ودخل في الطاعة.

﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾: يرجع إلى الله بذلك.

﴿مَتَاباً﴾ (١٧): مرضياً عند الله، ماحياً للعقاب، محضلاً للثواب. أو: يتوب متاباً إلى

الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم. أو: فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه، مرجعاً حسناً.

وهذا تعميم بعد تخصيص.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (١): وحَدَّثني أبي، عن جعفر وإبراهيم، عن أبي الحسن

الرضا ع قال: إذا كان يوم القيامة، أوقف الله ﷻ المؤمن بين يديه، وعرض عليه عمله.

فينظر في صحيفته. فأول ما يرى سيئاته.

فيتغير بذلك لونه، وترتعد فرائضه. ثم تُعرض عليه حسناته، فتفرح لذلك نفسه.

فيقول الله ﷻ: «بَدَلُوا سَيِّئَاتِهِمْ» (٢) حسنات وأظهروها للناس، فيبدل الله لهم. فيقول

الناس: أما كان لهؤلاء سيئة واحدة؟! وهو قوله تعالى: «يبدل الله سيئاتهم حسنات إلا

من تاب وأمن» إلى قوله: «فإنه يتوب إلى الله متاباً». يقول: لا يعود إلى شيء من ذلك

بإخلاص (٣) ونية صادقة.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: لا يقيمون الشهادة الباطلة. أو: لا يحضرون محاضر

الكذب. فإن مشاهدة الباطل شركة فيه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٤): قوله ﷻ: «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» قال: الغناء،

أو مجالسة أهل اللهو (٥).

وفي الكافي (٦): أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن أبي

١. تفسير القمي، ١١٧/٢.

٢. ليس في أ.

٣. المصدر: بالإخلاص.

٤. تفسير القمي، ١١٧/٢.

٥. المصدر: الغناء ومجالس اللهو.

٦. الكافي ٤٣١/٦، ح ٦.

أَيُّوبَ الْخَزَّازَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» قَالَ: الْغَنَاءُ.

عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^(١)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» قَالَ: هُوَ الْغَنَاءُ.

وَفِي جَوَامِعِ الْجَامِعِ^(٢): «لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» أَيُّ مَجَالِسِ الْفَسَاقِ، وَلَا يَحْضُرُونَ الْبَاطِلَ.

وَقِيلَ^(٣): هُوَ الْغَنَاءُ. وَرَوَى ذَلِكَ عَنِ السَّيِّدِينَ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَفِي مَوَاعِظِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ^(٤) عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّا كُمْ وَمَجَالِسَةُ الْخَطَّائِينَ! وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٥): «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ». قِيلَ: هُوَ الْغَنَاءُ. وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾: مَا يَجِبُ أَنْ يُلْقَى وَيُطْرَحَ،

﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٦): مُعْرِضِينَ عَنْهُ، مُكْرِمِينَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَالْخَوْضِ فِيهِ. وَمِنْ ذَلِكَ: الْإِغْضَاءُ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالصَّفْحُ عَنِ الذُّنُوبِ، وَالْكُنَايَةُ عَمَّا يُسْتَهْجَنُ التَّصْرِيحُ بِهِ.

وَفِي مُحَاسِنِ الْبَرَقِيِّ^(٧): عَنْهُ، عَنْ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَقْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: كُنْتُ فِي مَحْمَلِي^(٨) أَقْرَأُ، إِذْ نَادَانِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اقْرَأْ يَا سُلَيْمَانُ، فَإِنَّا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي فِي آخِرِ تَبَارَكَ^(٩) - إِلَى قَوْلِهِ: - قَالَ: ثُمَّ قَرَأْتُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ: «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا». فَقَالَ: هَذِهِ فِينَا.

١. نفس المصدر ٤٣٣، ح ١٣.

٢. جوامع الجامع، ٣٢٦.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. جوامع الجامع، ٣٢٦.

٥. المحاسن ١٧٠، ح ١٣٦.

٦. مجمع البيان، ١٨١/٤.

٧. يعني آخر سورة الفرقان.

٨. المصدر: محمل.

وفي مجمع البيان^(١): «وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً». وقيل: هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنّوا عنه. عن أبي جعفر عليه السلام.

وفي الكافي^(٢): سهل بن زياد، عن سعيد بن جناح، عن حماد، عن أبي أيوب الخزاز قال: نزلنا المدينة، فأتينا أبا عبد الله عليه السلام. فقال لنا: أين نزلتم؟ قلنا: على فلان صاحب القيان^(٣). فقال: «كونوا كراماً» فوالله ما علمنا ما أراد به، وظننا أنه يقول: تفضّلوا عليه. فعدنا إليه، فقلنا: إنّنا لا ندرى ما أردت بقولك. «كونوا كراماً»! فقال: أما سمعتم قول الله ﷻ في كتابه: «وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً».

وفي عيون الأخبار^(٤) بإسناده إلى محمد بن أبي عباد - وكان مشتهراً بالسمع وبشرب النبيذ - قال: سألت الرضا عليه السلام عن السماع؟ فقال: لأهل الحجاز رأي فيه، وهو في حيّز الباطل واللهو. أما سمعت الله ﷻ يقول: «وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً».

وفي أصول الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد، قال: حدّثنا أبو عمرو الزبيرى، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً يقول فيه عليه السلام: وفرض الله على السمع أن يتنزّه عن الاستماع إلى ما حرّم الله، وأن يعرض عمّا لا يحلّ له ممّا نهى الله ﷻ عنه والإصغاء إلى ما أسخط الله. فقال^(٦) في ذلك: «وقد نزل عليكم في الكتاب». إلى أن قال عليه السلام:

وقال: «وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً». فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان، أن لا يُصغى إلى ما لا يحلّ له. وهو عمله وهو من الإيمان.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: بالوعظ أو القراءة،

﴿لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾^(٧): لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصّرين

بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر، بل أكبوا عليها سامعين بأذان واعية، مبصرين بعيون

١. مجمع البيان، ١٨١/٤.

٣. القيان: جمع قينة: الجارية المغنّية.

٥. الكافي، ٣٥/٢، ح ١.

٢. الكافي، ٤٣٢/٦، ح ٩.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١٢٦/٢، ح ٥.

٦. النساء / ١٤٠. وانظر: الأنعام / ٦٨.

راعية. فالمراد من النفي، نفي الحال دون الفعل، كقولك: لا يلقاني زيد مسلماً.

وقيل ^(١): الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو.

وفي روضة الكافي ^(٢): علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن محمد بن زياد، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمْيَانًا» قال: مستبصرين، ليسوا بشكّاك.

وفي محاسن البرقي ^(٣): عنه، عن ابن فضال، عن علي بن عتبة، عن أبيه، عن سليمان بن خالد، قال: كنت في محملي ^(٤) أقرأ، إذ ناداني أبو عبد الله عليه السلام: اقرأ يا سليمان، فإنّ في هذه الآيات التي في آخر تبارك - إلى قوله -: ثم قرأت: «وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمْيَانًا»، فقال: هذه فيكم. إذا ذكرتم فضلنا، لم تشكّوا.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل. فإنّ المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله، سرّ بهم قلبه وقرّت بهم عينه، لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقّع لحوقهم به في الجنة.

و«من» ابتدائية أو بيانية؛ كقولك: رأيت منك أسداً.

وقرأ ^(٥) أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر: «وذريتنا».

وقرأ ابن عامر والحرميّان وحفص ويعقوب: «ذريّتنا» بالألف.

وتنكير الأعين، لإرادة تنكير القرّة تعظيماً. وتقليلها لأنّ المراد أعين المتّقين. وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم.

وفي محاسن البرقي ^(٦) متّصل بقوله: فضلنا لم تشكّوا: ثم قرأت «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ» إلى آخر السورة. فقال: هذه فينا.

٢. الكافي ١٧٨/٨، ح ١٩٩.

٤. المصدر: محمل.

٦. المحاسن ١٧٠، ح ١٣٦.

١. أنوار التنزيل، ١٥١/٢.

٣. المحاسن ١٧٠، ح ١٣٦.

٥. أنوار التنزيل، ١٥٢/٢.

﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٣٧): يقتدون بنا في أمر الدين، بإضافة العلم والتوفيق

للعمل.

وتوجيهه إماماً لدلالته على الجنس وعدم اللبس؛ كقوله^(١): «ثم يخرجكم طفلاً». أو لأنه مصدر في أصله، أو لأن المراد: واجعل كل واحد منا. أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم.

وقيل^(٢): جمع أم، كصائم وصيام، في معنى قاصدين لهم مقتدين بهم. وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال: قرئ عند أبي عبد الله عليه السلام: «والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً». فقال: قد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين أئمة. ف قيل له: كيف هذا يا ابن رسول الله؟ قال: إنما أنزل الله: «الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إماماً».

حدثنا محمد بن أحمد^(٤)، قال: حدثنا الحسن^(٥) بن محمد، عن حماد، عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً». قال: نحن هم أهل البيت. وروي غيره^(٦) أن «أزواجنا» خديجة. و«ذرياتنا» فاطمة عليها السلام. و«قرة أعين» الحسن والحسين عليهما السلام. «واجعلنا للمتقين إماماً» علي بن أبي طالب والأنمة^(٧) صلوات الله عليهم. انتهى.

وفي جوامع الجامع^(٨) عن الصادق عليه السلام في قوله: «واجعلنا للمتقين إماماً». فقال عليه السلام: إيانا عنى.

١. غافر / ٦٧.

٢. أنوار التنزيل، ١٥٢/٢.

٣. تفسير القمي، ١١٧/٢.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. م: الحسين.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. ليس في المصدر.

٨. ليس في المصدر.

وروي^(١) عنه عليه السلام أنه قال: هذه فينا.

وعن أبي بصير^(٢) قال: قلت: «واجعلنا للمتقين إماماً»، فقال عليه السلام: سألت ربك عظيماً! إنما هي: «واجعل لنا من المتقين إماماً».

وفي روضة الواعظين^(٣) للمفيد رحمته الله: قال رسول الله ﷺ: حُفَّت الجنة بالمكاره. وحُفَّت النار بالشهوات. قال الله تعالى لداود عليه السلام: حرام على كل قلب عالم محب للشهوات، أن أجعله إماماً للمتقين.

وفي كتاب المناقب^(٤) لابن شهر آشوب: أبو الفضل بن دكين^(٥)، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم بن البطين، عن سعيد بن جبير، في قوله تعالى: «والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا [وَذُرِّيَّاتِنَا، الآية]. قال: هذه الآية - والله - خاصة في أمير المؤمنين علي عليه السلام. كان أكثر دعائه يقول: «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا»^(٦) يعني فاطمة عليها السلام «وَذُرِّيَّاتِنَا» الحسن والحسين عليهما السلام «قَرَّةَ أَعْيُنٍ». قال أمير المؤمنين: والله، ما سألت ربي ولداً أنضير الوجه، ولا سألته ولداً حسن القامة، ولكن سألت ربي ولداً^(٧) مطيعين لله، خائفين وجلين منه، حتى إذا نظرت إليه، وهو مطيع لله، قَرَّتْ به عيني. قال: «واجعلنا للمتقين إماماً». قال: نقتدي بمن قبلنا من المتقين، فيقتدي المتقون بنا من بعدنا.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): قال محمد بن العباس رحمته الله: حَدَّثَنَا أحمد بن محمد بن سعيد، عن حريث بن عمر^(٩) الحارثي، عن إبراهيم بن الحكم، عن^(١٠) ظهير، عن أبيه، عن السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس قال: قوله «والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ

١. جوامع الجامع، ٣٢٦.

٢. جوامع الجامع، ٣٢٦.

٣. روضة الواعظين، ٤٢١/٢.

٤. المناقب، ٣٨٠/٣.

٥. المصدر: أبو نعيم الفضل بن دكين.

٦. ليس في أ.

٧. ليس في م.

٨. تأويل الآيات، ٣٨٤/١، ح ٢٤.

٩. المصدر: حريث بن محمد.

١٠. المصدر: بن.

أزواجنا» الآية، نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال ^(١): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَمَّدِيِّ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عِيَّاشٍ ^(٢)، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ سَلَّمَ: «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» أَي هِدَاةً يُهْتَدَى بِهَا. وَهَذِهِ لَأَلْ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً.

وقال أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ عليه السلام ^(٣): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ [نَصْرٍ] مَزَاحِمٍ ^(٤)، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ الْخُرَاسَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ الْكُوفِيِّ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، فِي قَوْلِ اللَّهِ سَلَّمَ: «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجَبْرِئِيلَ عليه السلام: «مَنْ أَزْوَاجُنَا؟» قَالَ: خَدِيجَةٌ. قَالَ: «وَذُرِّيَّاتُنَا؟» قَالَ: فَاطِمَةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا. قَالَ: «قُرَّةَ أَعْيُنٍ؟» قَالَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام. قَالَ: «وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا؟» قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، صَلَوةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾: أَعْلَى مَوَاضِعِ الْجَنَّةِ. وَهِيَ اسْمُ جَنْسٍ، أُرِيدَ بِهِ الْجَمْعُ - كَقَوْلِهِ ^(٥): «وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ» - وَلِلْقِرَاءَةِ بِهَا. وَقِيلَ ^(٦): هِيَ مِنْ أَسْمَاءِ الْجَنَّةِ.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْمَشَاقِّ، مِنْ مَضْضِ الطَّاعَاتِ وَرَفْضِ الشَّهَوَاتِ وَتَحَمُّلِ الْمَجَاهِدَاتِ.

﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ ^(٧): دَعَاءٌ بِالتَّعْمِيرِ ^(٨) وَالسَّلَامَةِ؛ أَيِ يَحْيِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ،

١. نفس المصدر ٣٨٤، ح ٢٥.

٣. نفس المصدر ٣٨٥، ح ٢٧.

٥. سبأ / ٣٧.

٦. أنوار التنزيل، ١٥٢/٢.

٧. قوله: «دعاء بالتعمير». ولعلَّ فائدة الدعاء بالتعمير، أنَّه قدر في علم الله أن بقاء أهل الجنة بسبب دعاء الملائكة، إذ مقصودهم من الدعاء إظهار حبِّهم لحياة المؤمنين ويقانهم في الجنة.

وَيَسْلَمُونَ عَلَيْهِمْ. أَوْ: يَحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَسْلَمُ عَلَيْهِ. أَوْ: تَبْقِيَةٌ دَائِمَةٌ وَسَلَامَةٌ مِنْ كُلِّ آفَةٍ.

وقرأ^(١) حمزة والكسائي وأبو بكر: «وَيَلْقَوْنَ» مِنْ لَقِي.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ.

﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾^(٢): مُقَابِلُ «سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا»^(٣) مَعْنَى، وَمِثْلُهُ إِعْرَابًا.

وَفِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ^(٤) لِابْنِ شَهْرَ أَشُوبٍ رحمته الله مَتَّصِلًا بِقَوْلِهِ: «فَيَقْتَدِي الْمُتَّقُونَ بِنَا مِنْ بَعْدِنَا». وَقَالَ اللَّهُ: «أَوَّلُكَ يَجْزُونَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا» يَعْنِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ عليهم السلام. «وَيَلْقَوْنَ فِيهَا حَتِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا».

﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُكُمْ رَبِّي﴾: مَا يَصْنَعُ بِكُمْ. مِنْ عَبَأَتْ الْجَيْشَ: إِذَا هَيَّأَتْهُ. أَوْ: لَا يَعْتَدُّ بِكُمْ،

﴿لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾: لَوْلَا عِبَادَتُكُمْ.

فَإِنَّ شَرَفَ الْإِنْسَانِ وَكَرَامَتَهُ بِالْمَعْرِفَةِ وَالطَّاعَةِ، وَإِلَّا فَهُوَ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ سَوَاءٌ.

وَقِيلَ^(٥): مَعْنَاهُ مَا يَصْنَعُ بِعَذَابِكُمْ، لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ مَعَهُ آلِهَةٌ.

و«مَا» إِنْ جُعِلَتْ اسْتِفْهَامِيَّةٌ، فَمَحَلُّهَا النِّصْبُ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ. كَأَنَّهُ قِيلَ: أَيُّ عِبَاءٍ يَعْأُ بِكُمْ.

وَفِي أُمَالِي شَيْخِ الطَّائِفَةِ رحمته الله^(٦) بِإِسْنَادِهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: أَرَبِعٌ لِلْمَرْءِ لَا عَلَيْهِ - إِلَى قَوْلِهِ -: - وَالِدَعَاءُ. فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى: «قُلْ مَا يَعْأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ».

وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٧): رَوَى الْعِيَّاشِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ بَرِيدٍ^(٨) بْنِ مَعَاوِيَةَ الْعَجَلِيِّ، قَالَ:

١. نفس المصدر والموضع.

٢. الفرقان / ٦٦.

٣. المناقب، ٣٨٠/٣.

٤. أنوار التنزيل، ١٥٢/٢.

٥. أمالي الشيخ، ١٠٨/٢.

٦. مجمع البيان، ١٨٢/٤.

٧. المصدر: يزيد.

قلت لأبي جعفر عليه السلام: كثرة القراءة أفضل أو كثرة الدعاء؟ ^(١) قال: كثرة الدعاء أفضل. وقرأ هذه الآية.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾: بما أخبرتكم به، حيث خالفتموه.

وقيل ^(٢): فقد قصرتم في العبادة، من قولهم: كَذَبَ القتال: إذا لم يبالغ فيه.

وقرئ ^(٣): «فقد كَذَبَ الكافرون» أي الكافرون منكم؛ لأنَّ توجَّه الخطاب إلى الناس

عامة، بما وُجد في جنسهم من العبادة والتكذيب.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ ^(٤): يكون جزاء التكذيب لازماً يحق بكم لا محالة. أو أثره

لازماً بكم حتى يكبكم في النار.

وإنما أضمر من غير ذكر، للتهويل والتنبيه على أنه ممَّا لا يكتننه الوصف.

وقيل ^(٥): المراد قتل يوم بدر، وأنه لوزم بين القتل لازماً.

وقرئ ^(٦): «لزاماً» بمعنى اللزوم؛ كالثبات والثبوت.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٧): في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في

قوله عليه السلام: «قل ما يعبا بكم ربِّي لولا دعاؤكم» يقول: ما يفعل ربِّي بكم. «فقد كَذَّبْتُمْ

فسوف يكون لازماً».

سورة الشعراء

سورة الشعراء

مَكِّيَّة، إِلَّا قوله: «والشعراء يتَّبِعهم الغاؤون» إلى آخرها^(١). وهي مائتان وست - أو سبع - وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(٢) بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سور الطواسين الثلاث^(٣) في ليلة الجمعة، كان من أولياء الله، وفي جواره^(٤) وكنفه. ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً. وأُعطي في الآخرة من الجنة حتَّى يرضى وفوق رضاه، وزوجه الله مائة [زوجة]^(٥) من الحور العين.

وفي مجمع البيان^(٦): أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ. من قرأ سورة الشعراء، كان له من الأجر عشر حسنات، بعدد من صدَّق بنوح وكذَّب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، وبعده من كذَّب بعيسى وصدَّق بمحمد ﷺ.

وروى أبو بصير^(٧) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة، وذكر مثل ما نقلنا من كتاب ثواب الأعمال سواء. وزاد بعد قوله: «من الحور العين»: وأسكنه الله في جنة عدن وسط الجنة، مع النبيين والمرسلين والوصيين الراشدين.

١. الشعراء / ٢٢٤-٢٢٦.

٢. يعني سورة الشعراء وسورة النمل وسورة القصص.

٣. من المصدر. ٤. في جوار الله.

٥. من المصدر. ٦. مجمع البيان، ١٨٣/٤.

٧. مجمع البيان، ١٨٣/٤.

وعن ابن عباس^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى. وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من [٢] تحت العرش. وأعطيت المفصل^(٣) نافلة. ﴿طسم﴾^(٤): قرأ^(٥) حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة، ونافع بين كراهة العدد إلى الياء المهروب منها. وأظهر نونه حمزة، لأنه في الأصل منفصل عما بعده.

وفي مجمع البيان^(٦): روي عن ابن الحنفية، عن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ: لما نزلت «طسم» قال: الطاء طور سيناء. والسين الإسكندرية. والميم مكة.

وقيل^(٧): الطاء شجرة طوبى. والسين سدرة المنتهى. والميم محمد ﷺ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): قال: «طسم» هو حروف^(٩) من حروف اسم الله الأعظم.

وفي كتاب معاني الأخبار^(١٠)، بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق عليه السلام: وأما «طسم» فمعناه: أنا الطالب السميع المبدئ المعيد.

وقد مرّ بعض معانٍ أخر لهذه الحروف.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^(١١): الظاهر إعجازه وصحته.

والإشارة إلى ما ليس بحاضر، لكنه متوقع فهو كالحاضر بحضور المعنى للنفس.

﴿لَمَلَّكَ بِأَخٍ نَفْسَكَ﴾: قاتل نفسك.

وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع، وهو عرق مستبطن الفقار. وذلك أقصى حدّ الذبح.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. ليس في م.

٣. المصدر: المفصلة.

٤. أنوار التنزيل، ١٥٣/٢.

٥. مجمع البيان، ١٨٤/٤.

٦. مجمع البيان، ١٨٤/٤.

٧. تفسير القمي، ١١٨/٢.

٨. المصدر: حرف.

٩. معاني الأخبار، ٢٢، ح ١.

وقرئ^(١): «باخع نفسك» بالإضافة.

و«لعل» للإشفاق. أي أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة.

﴿أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢): لئلا يؤمنوا، أو خيفة أن لا يؤمنوا.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾: دلالة ملجئة إلى الإيمان. أو: بليّة قاسرة

عليه.

﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٣): منقادين.

وأصله: فظّلوا لها خاضعين. فأقحمت الأعناق، لبيان موضع الخضوع، وترك

الخبر على أصله.

وقيل^(٤): لَمَّا وُصِفَتِ الأعناق بصفات العقلاء، أُجريت مجراهم.

وقيل^(٥): المراد بها الرؤساء أو الجماعات؛ من قولهم: «جاءنا عنق من الناس» لفوج

منهم.

وقرئ^(٦): «خاضعة». و«ظَلَّتْ» عطف على «ننزل» عطف وأكن على فأصدق، لأنه

لو قيل أنزلنا بدله لصحّ.

وفي إرشاد المفيد^(٧): وهب بن حفص، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام

يقول في قوله تعالى: «إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ»،

قال: سيفعل الله ذلك بهم. قلت: ومن هم؟ قال: بنو أمية وشيعتهم. قلت: وما الآية؟

قال: ركود الشمس ما بين زوال الشمس إلى وقت العصر، وخروج صدر وجهه في

عين الشمس، يُعرف بحسبه ونسبه. وذلك في زمان السفيناني. وعندها يكون بواره

وبوار قومه.

وفي الكافي^(٨): روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة له: ولو أراد الله ﷻ بأنبيائه

حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن البلدان ومغارس الجنان، وأن يحشر طير السماء ووحش الأرض معهم، لفعل. ولو فعل، لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحل الابتلاء. ولما وجب للقائلين أجور المبتلين. ولالحق المؤمنين ثواب المحسنين. ولازمت الأسماء أهاليها على معنى مبين. ولذلك لو أنزل الله من السماء آية، فظلت أعناقهم لها خاضعين. ولو فعل، لسقط البلوى عن الناس أجمعين. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي روضة الكافي^(١): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب الخزاز، عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: خمس علامات قبل قيام القائم عليه السلام: الصيحة، والسفاني، والخسفة^(٢)، وقتل النفس الزكية، واليماني.

فقلت: جعلت فداك، إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات، أنخرج معه؟ قال: لا. فلما كان من الغد، تلوت هذه الآية «إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين».

فقلت له: أي الصيحة؟ فقال: أما لو كانت، خضعت أعناق أعداء الله ﷻ.

وفي كتاب الغيبة^(٣) لشيخ الطائفة عليه السلام بإسناده إلى الحسن بن زياد الصيقل قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: إن القائم لا يقوم، حتى ينادي مناد من السماء، يُسمع الفتاة في خدرها، ويُسمع أهل المشرق والمغرب. وفيه نزلت هذه الآية: «إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قوله: «إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت

⇒ صبحي صالح) الخطبة ١٩٢ (القاسعة)، ص ٢٩١. الكافي ١٩٨/٤ ح ٢، باب ابتلاء الخلق واختيارهم

١. الكافي ٣١٠/٨ ح ٤٨٣.

بالكعبة.

٣. الغيبة للطوسي، ١١٠ - ١١١.

٢. المصدر: الخسف.

٤. تفسير القمي، ١١٨/٢.

أعناقهم لها خاضعين». فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: تخضع رقابهم - يعني بني أمية - وهي الصيحة من السماء باسم صاحب الأمر صلوات الله عليه.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(١): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زِيَادٍ بْنُ جَعْفَرِ الهمداني عليه السلام قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبُدٍ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرضا عليه السلام: لَا دِينَ لِمَنْ لَا وَرَعَ لَهُ. وَلَا أَيْمَانَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ. وَإِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْمَلَكُمُ بِالتَّقِيَّةِ.

فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى مَتَى؟ قَالَ: إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ^(٢). وَهُوَ يَوْمُ خُرُوجِ قَائِمَنَا. فَمَنْ تَرَكَ التَّقِيَّةَ قَبْلَ خُرُوجِ قَائِمَنَا، فَلَيْسَ مِنَّا.

فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَنْ الْقَائِمُ مِنْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ؟ قَالَ: الرَّابِعُ مِنْ وَلَدِي، ابْنُ سَيِّدَةِ الْإِمَاءِ. يَطْهَرُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَوْرٍ وَيَقْدَسُهَا مِنْ كُلِّ ظُلْمٍ. وَهُوَ الَّذِي يَشْكُ النَّاسَ فِي وَلَادَتِهِ. وَهُوَ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ قَبْلَ خُرُوجِهِ. فَإِذَا خَرَجَ، أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهِ، وَوُضِعَ مِيزَانُ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَا يَظْلَمُ أَحَدٌ أَحَدًا. وَهُوَ الَّذِي تَطَوَّى لَهُ الْأَرْضُ، وَلَا يَكُونُ لَهُ ظِلٌّ. وَهُوَ الَّذِي يَنَادِي مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ يَسْمَعُهُ جَمِيعُ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالْدُعَاءِ إِلَيْهِ يَقُولُ: أَلَا إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ قَدْ ظَهَرَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ، فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُ وَفِيهِ. وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تعالى: «إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ».

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ عليه السلام: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسَدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مَعْمَرِ الْأَسَدِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تعالى: «إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً

١. كمال الدين ٣٧١-٣٧٢، ح ٥.

٢. لَعَلَّهُ يُشِيرُ عليه السلام إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجَرِ ٣٨/ص، ٨١.

٣. تَأْوِيلُ الْآيَاتِ ٣٨٧١، ح ١.

فَظَلَّتْ أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ»، قال: هذه نزلت فينا وفي بني أمية. تكون لنا دولة تذلّ أعناقهم لنا بعد صعوبة وهوانٍ بعد عزّ.

وقال أيضاً^(١): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَنَّانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ». قال: نزلت في قائم آل محمد صلوات الله عليهم ينادي باسمه من السماء.

وقال أيضاً^(٢): حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، [عَنْ أَبِي بَصِيرٍ]^(٣) عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ». قال: يخضع^(٤) لها رقاب بني أمية. قال: ذلك بارز [عند زوال]^(٥) الشمس. قال: وذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام يبرز عند زوال الشمس وتُرَكَت الشمس على رؤوس الناس ساعة، حتّى يبرز وجهه، ويعرف الناس حسبه ونسبه. ثمّ قال: إنّ بني أمية ليختبئ الرجل منهم إلى جنب شجرة، فتقول: خلفي رجل من بني أمية، فاقتلوه!

وقال أيضاً^(٦): حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنْ مَعْلَى بْنِ خَنيسٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قال أمير المؤمنين عليه السلام: انتظروا الفرج في ثلاث.

قيل: وما هي؟ قال: اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفرقة في شهر رمضان.

فقيل له: وما الفرقة في شهر رمضان؟ قال: أما سمعتم قول الله تعالى في القرآن: «إِنْ

١. نفس المصدر، ح ٢.

٢. نفس المصدر ٣٨٦-٣٨٧، ح ٣.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: تخضع.

٥. من المصدر.

٦. نفس المصدر ٣٨٧، ح ٤.

نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين». قال: إنّه تخرج الفتاة من خدرها، ويستيقظ النائم، ويفزع اليقظان.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾: موعظة أو طائفة من القرآن.

﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: يوحى إليه إلى نبيه.

﴿مُحَدَّثٍ﴾: مجدّد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير.

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (٥): إلّا جدّدوا إعراضاً عنه وإصراراً على ما كانوا عليه.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾: أي بالذكر، بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدّى بهم إلى

الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمناً في قوله:

﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾: أي إذا مسّهم عذاب الله يوم بدر، أو يوم القيامة.

﴿أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦): من أنّه كان حقّاً أم باطلاً. وكان حقيقة بأنّ يصدّق

فيعظم قدره، أو يكذب فيستخفّ أمره.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾: أو لم ينظروا إلى عجائبها.

﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف.

﴿كَرِيمٍ﴾ (٧): محمود كثير المنفعة. وهو صفة لكلّ ما يُحمد ويرضى. وهنا هنا

يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمّن الدلالة على القدرة، وأن تكون مبيّنة منبهة على أنّه ما من نبت إلّا وله فائدة، إمّا وحده أو مع غيره.

و«كلّ» لإحاطة الأزواج. و«كم» لكثرتها.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾: إنّ في إنبات تلك الأصناف، أو في كلّ واحد.

﴿لَايَةٍ﴾: على أنّ مُنبئتها تامّ القدرة والحكمة، سايع النعمة والرحمة.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٨): لا يصدّقون ولا يعترفون به، عناداً وتقليداً

لأسلافهم، وهرباً من مشقّة التكليف.

وقال سيبويه^(١): «كان» هاهنا مزيدة.

﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْوٌ الْعَزِيزُ﴾: الغالب القادر على الانتقام من الكفرة.

﴿الرَّحِيمُ﴾^(٢): حيث أمهلهم. أو: «العزیز» في انتقامه ممن كفر، «الرحيم» لمن

تاب وأمن.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾: مقدّر باذکر. أو ظرف لما بعده.

﴿أَنْ أَنْتَ﴾: أي انت. أو: بأن انت.

﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣): بالكفر واستعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم.

﴿قَوْمٌ فَرَّغُونَ﴾: بدل من الأول. أو عطف بيان له. ولعلّ الاختصار على القوم، للعلم

بأن فرعون كان أولى بذلك.

﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾^(٤): استئناف أتبعه إرساله إليهم للإنذار، تعجباً من إفراطهم في الظلم

واجترائهم عليه.

وقرئ^(٥) بالتاء، على الالتفات إليهم، زجراً لهم وغضباً عليهم. وهم - وإن كانوا غيباً

حينئذ - أجزوا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم، من حيث إنه مبلّغه إليهم،

واستماعه مبدأ استماعهم، مع ما فيه من مزيد الحثّ على التقوى لمن تدبّره وتأمل

مورده.

وقرئ^(٦) بكسر النون، اكتفاءً بها عن ياء الإضافة. ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا

ناس اتّقون؛ كقوله: ألا يا اسجدوا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٧) ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ

إِلَيَّ هَارُونَ﴾^(٨): ربّ استدعاء ضمّ أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة:

خوف التكذيب، وضيق القلب انفعالاً عنه، وازدياد الحبسة في اللسان، بانقباض الروح

إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق؛ لأنها إذا اجتمعت مسّت الحاجة إلى معين

يَقْوِي قلبه وينوب منابه متى تعثره حبسة، حتَّى لا تختلَّ دعوته، ولا ينير حجَّته. وليس ذلك تعللاً منه وتوقفاً في تلقِّي الأمر، بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه.

وقرأ^(١) يعقوب: «ويضيق» و«لا ينطلق» بالنصب، عطفاً على «يكذبون». فيكونان من جملة ما خاف منه.

وفي مجمع البيان^(٢): قال الجبائي: لم يسأل موسى ذلك إلَّا بعد أن أذن الله له في ذلك. لأن الأنبياء لا يسألون الله إلَّا ما يؤذن لهم في مسألته.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾: أي دعوى ذنب. فحذف المضاف وسَمِّي باسمه. والمراد قتل القبطي. وهذا إنمَّا سمَّاه ذنباً على زعمهم. وهذا اقتصار قصته المبسوطة في مواضع.

﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٣): به، قبل أداء الرسالة.

وهو أيضاً ليس تعللاً. وإنمَّا هو استدفاع للبلية المتوقعة؛ كما أنَّ ذلك استمداد واستظهار في أمر الدعوة. وقوله:

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِأَيَاتِنَا﴾: إجابة له إلى الطلبتين يوعده لدفع بلائهم اللازم رده عن الخوف، وضم أخيه إليه في الإرسال. فالخطاب في «اذهبا» على تغليب الحاضر، لأنَّه معطوف على الفعل الذي يدلُّ عليه «كلَّا». كأنَّه قيل: ارتدع ياموسى عما تظنَّ، فاذهب أنت والذي طلبته.

﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾: يعني موسى وهارون وفرعون.

﴿مُسْتَمِعُونَ﴾^(٤): سامعون لما يجري بينكما وبينه، فأظهر كما عليه.

مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قومه استماعاً لما يجري وترقباً لإمداد أوليائه منهم، مبالغة في الوعد بالإعانة. ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء

١. نفس المصدر والموضع.

٢. مجمع البيان، ١٨٦/٤.

السمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات. وهو خبر ثانٍ، أو الخبر وحده. و«معكم» ظرف لغو^(١).

﴿فَاتَيْنَا فِرْعَوْنَ قَفْوَلًا إِنَّا رُسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢): قيل^(٣): أفرد الرسول، لأنه مصدر وُصف به، فإنه مشترك بين المرسل والرسالة. قال الشاعر:

لقد كَذَّبَ الواشون ما فَهْتُ عندهم بسرّ ولا أرسلتهم برسول
ولذلك ثَنَى تارة، وأفرد أخرى. أو لائتجاههما للأخوة. أو لوحدة المرسل والمرسل به. أو لأنه أراد أن كل واحد منا.

﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَايِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٤): أي أرسل، لتضمّن الرسول [معنى الإرسال المتضمن]^(٥) معنى القول. والمراد: خلّهم يذهبوا معنا إلى الشام.

﴿قَالَ﴾: أي فرعون لموسى، بعد ما أتياه فقال له ذلك:

﴿أَلَمْ تُزَيِّنْ لِي فِيْنَا﴾: في منازلنا.

﴿وَلِيدًا﴾: طفلاً سُمّي به لقربه من الولادة.

﴿وَلَبِثْتُ فِيْنَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ﴾^(٦): قيل^(٧): لبث فيهم ثماني عشرة سنة.

وقيل^(٨): أربعين سنة.

وقيل^(٩): لبث فيهم ثلاثين سنة. ثم خرج إلى مدين عشر سنين. ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة. ثم بقي بعد الغرق خمسين.

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾: يعني قتل القبطي. وبخه به معظماً إيّاه، بعد ما عدّد عليه نعمته.

وقرئ^(١٠): «فعلتك» بالكسر، لأنها كانت قتلة بالوكر.

﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١١): بنعمتي، حتّى عمدت إلى قتل خواصّي، أو ممّن

٢. أنوار التنزيل، ١٥٥/٢.

١. ليس في أ.

٤ و ٥. مجمع البيان، ١٨٦/٤.

٣. ليس في م.

٦ و ٧. أنوار التنزيل، ١٥٥/٢.

تَكْفُرْهُمْ الْآنَ؛ فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ يَعِيشُهُمْ بِالْتَقِيَّةِ. فهو حال من احدى التائين.
ويجوز أن يكون حكماً مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بإلهيته أو بنعمته، لما عاد
عليهم بالمخالفة. أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١)؛ وقوله ﷺ: «وإذ نادى ربك موسى أن انت القوم
الظالمين». فإنه حدثني أبي، عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبان بن عثمان، عن أبي
عبدالله ﷺ قال: لما بعث الله ﷺ موسى ﷺ إلى فرعون، أتى بابه، فاستأذن عليه. فلم
يؤذن له. فضرب بعصاه الباب. فاصطكت الأبواب، ففتحت. ثم دخل على فرعون،
فأخبره أنه رسول الله^(٢) وسأله أن يرسل معه بني إسرائيل. فقال له فرعون، كما حكى
الله ﷻ: «ألم نربك فينا وليداً» إلى آخر الآية.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذْ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾^(٣) قيل^(٤): أي من الجاهلين. وقد قرئ به.
والمعنى: من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه.

وقيل^(٥): من المخطئين، لأنه لم يتعمد قتله.

وقيل^(٦): من الذاهلين عما يؤول إليه الوكر، لأنه أراد به التأديب.

وقيل^(٧): من الناسين؛ من قوله^(٨): «أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا».

وقيل^(٩): من الضالين عن النبوة. أي لم يوح إليّ تحريم قتله^(١٠).

﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾: حكمة.

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١١) ردّ أولاً بذلك ما وبّخه به قدحاً في نبوته. ثم كرّ على

ما عدّ عليه من النعمة، ولم يصرح برده، لأنه كان صدقاً غير قاذح في دعواه؛ بل نبّه على
أنه كان في الحقيقة نعمة، لكونه مسبباً عنها، فقال:

﴿وَلِتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدَتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(١٢) أي وتلك التربية نعمة تمنّها

١. تفسير القمي، ١١٨/٢.

٢. المصدر: رسول رب العالمين.

٣-٦. أنوار التنزيل، ١٥٥/٢.

٧. البقرة / ٢٨٢.

٨ و٩. مجمع البيان، ١٨٧/٤.

عليّ ظاهراً. وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم، فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك.

وقيل ^(١): «تلك» إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة. و«أَنْ عَبَدْتَ» عطف ببيانها. والمعنى: تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنّها عليّ. وإنّما وَحَدَ الخطاب في «تَمَنُّها» وجمع فيما قبله، لأنّ المَنّة كانت منه وحده، والخوف والفرار منه ومن مثله.

وفي عيون الأخبار ^(٢)، في باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليه السلام بإسناده إلى عليّ بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون، وعنده الرضا عليه السلام. فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى.

قال: فما معنى قول موسى لفرعون: «فعلتها إذا وأنا من الضالّين»؟ قال الرضا عليه السلام: إنّ فرعون قال لموسى لما أتاه: «وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين» بي. قال موسى: «فعلتها إذا وأنا من الضالّين» عن الطريق بوقوعي [إلى مدينة من مدائنك] ^(٣) «ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربّي حكماً وجعلني من المرسلين». وقد قال الله ^(٤) تعالى لنبيه محمّد ﷺ: «ألم يجدك يتيماً فأوى» يقول: ألم يجدك وحيداً، فأوى إليك الناس؟ «ووجدك ضالّاً» يعني عند قومك. «فهدى» أي فهداهم إلى معرفتك. «ووجدك عائلاً فأغنى». يقول: أغناك بأن جعل دعاك مستجاباً.

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة ^(٥) بإسناده إلى المفصل بن عمر، عن أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إذا قام القائم عليه السلام

١. أنوار التنزيل، ١٥٥/٢.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٥٨/١-١٥٩، الباب ١٥، ح ١.

٣. ليس في ن. ٤. الضحى ٦/٨.

٥. كمال الدين ٣٢٨-٣٢٩، ح ١٠.

قال: «ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين». وفي شرح الآيات الباهرة^(١): ذكر الشيخ المفيد^(٢) في كتاب الغيبة، بإسناده عن رجاله، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إذا قام القائم، تلا هذه الآية مخاطباً للناس: «ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين»^(٣).

فمعنى قوله: «فوهب لي ربي حكماً»^(٤)، ذلك حقيق لأن الله تعالى [وهب له حكماً عاماً في الدنيا لم يهبه لأحد]^(٥) قبله، ولالأحد بعده، وعليه تقوم الساعة. وقوله: «جعلني من المرسلين»، على سبيل المجاز؛ أي جعلني من أوصياء سيد المرسلين وخاتم^(٦) أوصياء خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين، صلاة دائمة في كل عصر وكل حين، متواترة إلى يوم الدين.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧): أي لما سمع جواب ما طعن به فيه، ورأى أنه لم يرفع^(٨) بذلك، شرع في الاعتراض على دعواه. فبدأ في الاستفسار عن حقيقة المرسل.

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: عرفه بأظهر خواصه وأشاره، لما امتنع^(٩) تعريف الأفراد^(١٠) إلا بذكر الخواص والأفعال. واليه أشار بقوله:

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾^(١١): أي إن كنتم موقنين الأشياء محققين لها، علمتم أن هذه

١. تأويل الآيات ٣٣٨/١، ح ٥. ٢. راجع هامش المصدر، في أنه من المراد من المفيد.

٣. هنا انتهت الرواية. وملحقها من المصدر. ٤. ليس في م.

٥. ليس في أ.

٦. من أول خبر تأويل الآيات إلى هنا ساقطة من نسخة ع.

٧. لم يرفع: لم يكف ويرتدع.

٨. كذا في أنوار التنزيل ١٥٦/٢. وفي النسخ: وأشار لما امتنع.

٩. قوله: «الإفراد» هي البسائط إذ هي أفراد لا زوجية ولا تعدد في ذواتها.

الأجرام^(١) المحسوسة ممكنة، لتركبها وتعددها وتغير أحوالها، فلها مُبدئ واجب لذاته. وذلك المبدئ، لابد وأن يكون مبدئاً لساير الممكنات - ما يمكن أن يُحس بها، وما لا يمكن - وإلا لزم تعدد الواجب، أو استغناء بعض الممكنات عنه، وكلاهما محال. ثم ذلك الواجب، لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية، لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه، لاستحالة التركيب في ذاته.

وفي أصول الكافي^(٢)، في باب جوامع التوحيد، خطبة لأmir المؤمنين عليه السلام. وفيها يقول عليه السلام: الذي سُئِلَ الأنبياء عنه، فلم تصفه بحد ولا ببعض، بل وصفته بفعاله ودلت عليه بآياته.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾^(٣): جوابه؟! سألته عن حقيقته، وهو يذكر أفعاله! أو يزعم أنه رب السماوات، وهي واجبة متحركة لذواتها، كما هو مذهب الدهرية.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤): عدولاً إلى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله، ويشك في افتقاره إلى مصور حكيم. ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند المتأمل.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾^(٥): أسأله عن شيء، ويجيبني عن آخر! وسمّاه رسولاً على السخرية.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: تشاهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق، ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله، حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع، تنتظم به أمور الكائنات.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾^(٦): إن كان لكم عقل، علمتم أن لاجواب لكم فوق ذلك. لا ينهم أولاً. ثم لما رأى شدة شكيمتهم، خاشنهم وعارضهم بمثل مقالاتهم.

وفي كتاب علل الشرائع^(٧) بإسناده إلى ابن مسعود، قال: احتجوا في مسجد الكوفة، فقالوا: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة، كما نازع طلحة والزبير

٢. الكافي ١/١٤١، ح ٧.

١. ن: الأجسام.

٣. علل الشرائع ١/١٤٨-١٤٩، الباب ١٢٢، ح ٧.

وعائشة ومعاوية؟! فبلغ ذلك علياً عليه السلام. فأمر أن ينادى بالصلاة جامعة. فلما اجتمعوا، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: معاشر الناس، إنَّه بلغني عنكم كذا وكذا. قالوا: صدق أمير المؤمنين عليه السلام. قد قلنا ذلك.

قال: فإن لي بسنة الأنبياء أسوة فيما فعلت. قال الله تعالى في محكم كتابه^(١): «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة».

قالوا: ومن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: أولهم إبراهيم عليه السلام، إلى أن قال: ولي موسى عليه السلام أسوة إذ قال: «ففررت منكم لما خفتكم». فإن قلتم: إن موسى فر من قومه بلاخوف كان له منهم، فقد كفرتم. وإن قلتم: إن موسى خاف منهم، فالوصي أعذر.

﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^(٢) عدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع. وهذا ديدن المعاند المحجوج.

واستدل به على ادعائه الألوهية وإنكاره الصانع. وإن تعجبه بقوله: «ألا تسمعون»^(٣) من نسبة الربوبية إلى غيره. ولعله كان دهرياً، اعتقد أن من ملك قطراً وتولى أمره بقوة طالعة، استحقَّ العبادة من أهله.

واللام في «المسجونين» للعهد. أي ممن عرفت حالهم في سجوني. فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا، ولذلك جعل أبلغ من «الأسجنك».

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾^(٤) أي أتفعل ذلك، ولو جئت بك بشيء مبين صدق دعواي؟

يعني المعجزة؛ فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته، والدلالة على صدق مدعي نبوته. فالواو للحال ولها الهمزة بعد حذف الفعل.

﴿قَالَ فَأَنْتَ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٥) في أن لك بيّنة. أو: في دعواك. فإن مدعي النبوة، لا بد له من حجة.

﴿فَالْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (٣٧): ظاهر ثعبانيته.

واشتقاق الثعبان من: ثعبت الماء: إذا فجرته فانفجر.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (٣٨): روي (١) أن فرعون لما رأى الآية الأولى،

قال: فهل غيرها، فأخرج يده. قال: فما فيها؟ فأدخلها في إبطه ثم نزعها، ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٢): «قال موسى أو لو جئت بك بشيء مبين قال فرعون فانت به إن كنت من الصادقين فالقَى عصاه فإذا هي ثعبان مبين». فلم يبق أحد من جلساء فرعون إلا هرب. ودخل فرعون من الرعب ما لم يملك به نفسه. فقال فرعون: يا موسى، أنشدك بالله وبالرضاع، إلا ما كففتها عني. فكفها. ثم نزع يده «فإذا هي بيضاء للناظرين». فلما أخذ موسى عليه السلام العصا، رجع إلى فرعون نفسه وهم بتصديقه. فقام إليه هامان، فقال له: بينما أنت إله تُعبد، إذ صرت تابعاً لعبدا!

وفي كتاب الإحتجاج (٣) للطبرسي عليه السلام عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن يهودياً من يهود الشام وأخبارهم، قال لعلي عليه السلام: فإن موسى قد أعطي اليد البيضاء، فهل فعل بمحمد شيء من هذا؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا. إن نوراً كان يضيء عن يمينه حيثما جلس، وعن يساره أينما (٤) جلس، وكان يراه الناس كلهم.

قال له اليهودي: فإن هذا موسى بن عمران، قد أعطي العصا، وكانت تُحوّل ثعباناً؟ قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا. إن رجلاً كان يطالب أبا جهل بن هشام بدين ثمن جزور (٥) قد اشتراه. فاشتغل عنه، وجلس يشرب. فطلبه الرجل، فلم يقدر عليه. فقال له بعض المستهزئين: من تطلب؟ قال: عمرو بن

٢. تفسير القمي، ١١٩/٢.

٤. المصدر: حيثما.

١. أنوار التنزيل، ١٥٦/٢.

٣. الإحتجاج، ٢١٨-٢١٧/١.

٥. الجزو: الناقة التي تُنحر.

هشام - يعني أبا جهل - لي عليه دين . قال : فأدلك على من يستخرج منه الحقوق ؟ قال : نعم . فدلّه على النبي ﷺ . وكان أبو جهل يقول : ليست لمحمد إليّ حاجة ، فأسخر به وأردّه .

فأتى الرجل النبي ﷺ فقال له : يا محمد ، بلغني أنّ بينك وبين عمرو بن هشام حسن صداقة وأنا أستشفع بك إليه . فقام معه رسول الله ﷺ فأتى بابه ^(١) . فقال له : قم يا أبا جهل ، فأذ إلى الرجل حقّه . وإنّما كنّا أبا جهل ^(٢) ذلك اليوم . فقام مسرعاً ، فأذّى ^(٣) إليه حقّه .

فلما رجع إلى مجلسه ، قال له بعض أصحابه : فعلت ذلك فرقاً ^(٤) من محمد ؟ قال : ويحكم ! اعذروني . إنّه لما أقبل ، رأيت عن يمينه رجالاً بأيديهم ^(٥) حراب تتلأل ، وعن يساره ثعبانين تصطك أسنانهما ، وتلمع النيران من أبصارهما . ولو امتنعت لما آمن أن يبعجوا ^(٦) بالحراب بطني ، وتقضمني الثعبانان .

هذا أكبر ممّا أعطي موسى . [ثعبان بثعبان موسى] ^(٧) وزاد الله محمدًا ﷺ ثعباناً ، وثمانية أملاك ، معهم الحراب .

وفي مجمع البيان ^(٨) : « ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين » إليها ، أي وأخرج يده من كمّه أو جيبه ، على ما روي .

وفي أصول الكافي ^(٩) : أحمد بن مهراّن رحمه الله عن محمد بن عليّ ، عن الحسن بن منصور ^(١٠) ، عن أخيه ، قال : دخلت على الرضا عليه السلام في بيت داخل في جوف بيت ليلاً . فرفع يده . فكانت كأنّ في البيت عشرة مصابيح . واستأذن عليه رجل . فخلّ يده ، ثمّ أذن له .

١ . كذا في المصدر وفي النسخ : فأتى به .

٢ . المصدر : بأبي جهل .

٣ . المصدر : حتّى أذّى .

٤ . فرقاً : خوفاً .

٥ . المصدر : معهم .

٦ . بجمع يطنه بالسكين : شقّه .

٧ . ليس في المصدر .

٨ . مجمع البيان ، ٤ / ١٨٨ .

٩ . الكافي ١ / ٤٨٧ ، ح ٣ .

١٠ . ن : المحبوب .

﴿قَالَ لِلْمَلَاحِظَةِ﴾: مستقرين حوله. وهو ظرف وقع موقع الحال.

﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (١٤): فائق في علم السحر.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (١٥): بهر سلطان المعجزة،

حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم واثمارهم، وتنفيرهم عن موسى وإظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه.

﴿قَالُوا آجِهْ وَآخَاهُ﴾: قيل (١٦): أخر أمرهما.

وقيل (١٧): احبسهما.

وفي مجمع البيان (١٨) روي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل، قال: فلما رجع

موسى إلى امرأته، قالت: من أين جئت؟ قال: من عند رب تلك النار. فغدا إلى فرعون.

فوالله لكأنني أنظر إليه: طويل الباع، ذو شعر آدم، عليه جبة من صوف، عصاه في كفه

مربوط حقوه (١٩) بشريط، نعله من جلد حمار، شراكها من ليف.

فقال لفرعون: إن على الباب فتى يزعم أنه رسول رب العالمين. فقال فرعون

لصاحب الأسد: خلّ سلاسلها. وكان إذا غضب على رجل، خلّاها، ففقطعت. فخلّاها.

فقرع موسى الباب الأول، وكانت تسعة أبواب. فلما قرع الباب الأول، انفتحت له

الأبواب التسعة. فلما دخل، جعلن يبصبصن (٢٠) تحت رجله، كأنهن جراء (٢١).

فقال فرعون لجلسائه: رأيتم مثل هذا قط؟! فلما أقبل إليه، قال: «ألم نربك فينا

وليداً» إلى قوله: «وأنا من الضالين». فقال فرعون لرجل من أصحابه: قم، فخذ بيده.

وقال للآخر: اضرب عنقه. فضرب جبرئيل بالسيف، حتى قتل ستة من أصحابه. فقال:

خلّوا عنه.

قال: فأخرج يده، فإذا هي بيضاء، قد حال شعاعها بينه وبين وجهه. فألقى العصا،

١. أنوار التنزيل، ١٥٧/٢.

٢. أنوار التنزيل، ١٥٧/٢.

٣. مجمع البيان، ٢٥٣/٤.

٤. الحق: الخصر.

٥. بصبص الكلب بذنبه: حرّكه.

٦. الجراء: جمع الجرو: الصغير من الكلاب والأسود.

فإذا هي حية، فالتقمط الإيوان بلحيها. فدعاه أن ياموسى، أقلني إلى غد. ثم كان من أمره ما كان.

﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٥): شرطاً يحشرون السحرة.
﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ (٣٦): يفضلون عليه في هذا الفن. وقرئ^(١): «بكل ساحر».

﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣٧): لما وُقت به من ساعات يوم معين. وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ (٣٨): فيه، استبطاء لهم في الاجتماع، حثاً على مبادرتهم إليه.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (٣٩): لعلنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا.
والترجي باعتبار الغلبة المقضية للاتباع. ومقصودهم الأصلي أن لا يتبعوا موسى، لأن يتبعوا السحرة، فساقوا الكلام مساق الكناية [لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى]^(٢).

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (٤٠): قَالَ نَعَمْ وَإِنَّا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٤١): التزم لهم الأجر والقربة عنده، زيادة عليه إن غلبوا.
فـ«إذا» على ما يقتضيه من الجواب والجزاء.

وقرئ^(٣): «نعم» بالكسر. وهما لغتان.
﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٤٢): أي بعد ما قالوا له: «إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين»^(٤). ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه، بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة، توسلاً به إلى إظهار الحق.

﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٣): أقسموا بعزته

٢. ليس في ع. ن.

١. أنوار التنزيل، ١٥٧/٢.

٤. الأعراف / ١١٥.

٣. نفس المصدر.

على أنَّ الغلبة لهم، لفرط اعتقادهم في أنفسهم، وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): ثم قال فرعون للملأ حوله: «إنَّ هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون» إلى قوله تعالى: «الميقات يوم معلوم». فكان فرعون وهامان قد تعلَّما السحر، وأما غلبا الناس بالسحر، وادَّعى الربوبية بالسحر.

فلما أصبح، بعث في المدائن حاشرين، مدائن مصر كلها. وجمعوا ألف ساحر. واختاروا من الألف، مائة. ومن المائة، ثمانين. فقال السحرة لفرعون: قد علمت أنه ليس في الدنيا أسحر منا. فإن غلبنا موسى، فما يكون لنا عندك. «قال إنَّكم إذا لمَن المَقْرَبِينَ» عندي، أشاركم في ملكي. قالوا: فإن غلبنا موسى وأبطل سحرنا، علمنا أنَّ ما جاء به ليس من قبل السحر ولا من قبل الحيلة، وأما به وصدَّقناه. فقال فرعون: إن غلبكم موسى ﷺ صدَّقته أنا أيضاً معكم، ولكن أجمعوا كيدكم، أي حيلتكم.

قال: وكان موعدهم يوم عيد لهم. فلما ارتفع النهار من ذلك اليوم، وجمع فرعون الناس والسحرة. وكانت له قبة طولها في السماء ثمانون ذراعاً. وقد كانت كُسيَت بالحديد والفولاذ المصقول. فكانت إذا وقعت الشمس عليها، لم يقدر أحد أن ينظر إليها من لمع الحديد ووهج الشمس.

وجاء فرعون وهامان وقعدا عليها ينظران، وأقبل موسى ﷺ ينظر إلى السماء. فقالت السحرة لفرعون: إنَّا نرى رجلاً ينظر إلى السماء، ولن يبلغ سحرنا إلى السماء، وضمنت السحرة من في الأرض. فقالوا لموسى ﷺ: «إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين»^(٢) «قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فآلقوا حبالهم وعصيهم». فأقبلت تضطرب وصارت مثل الحيات، وهاجت. «وقالوا بعزة فرعون إنَّا لنحن الغالبون».

وفي جوامع الجامع ^(١): «وقالوا بعزة فرعون». أقسموا بعزة فرعون، وهي ^(٢) من أقسام الجاهلية. وفي الإسلام لا يصح الحلف إلا بالله تعالى أو بعض ^(٣) أسمائه وصفاته. وفي الحديث: لا تحلفوا إلا بالله. ولا تحلفوا بالله، إلا وأنتم صادقون.

وفي أصول الكافي ^(٤) بإسناده إلى محمد بن زيد الطبري قال: كنت قائماً على رأس الرضا عليه السلام بخراسان، وعنده عدة من بني هاشم، وفيهم إسحاق بن موسى بن عيسى العباسي. فقال: يا إسحاق، بلغني أن الناس يقولون إننا نزع من أن الناس عبيد لنا! لا وقربتي من رسول الله، ما قلته قط. ولا سمعته [من أحد] ^(٥) من آبائي قاله. ولا بلغني عن أحد من آبائي قاله. ولكني أقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، موال لنا في الدين. فليبلغ الشاهد الغائب.

﴿فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾: تتلغ.

وقرأ ^(٦) حفص: «تلقف» بالتخفيف.

﴿مَا يَأْكُونُ﴾ ^(٧) ما يقبلونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم، فيخيلون حبالهم وعصيتهم أنها حيات تسعى. أو: إفكهم، تسمية للمأفوك به مبالغة.

﴿فَالْقَى السَّحَرَةَ مَاجِدِينَ﴾ ^(٨) لعلمهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر.

وفيه دليل على أن منتهى السحر، تمويه وتزويق ^(٩)، يخيل شيئاً لا حقيقة له. وأن التبخر في كل فن نافع.

وإنما بدّل الخور بالإنقاء، ليشاكل ما قبله. ويدل على أنهم لما رأوا [ما رأوا] ^(١٠)، لم يتمالكوا أنفسهم، كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم، وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق.

١. جوامع الجامع، ٣٢٩.

٢. ن: وهو.

٣. المصدر: ببعض.

٤. الكافي ١٨٧/١، ح ١٠.

٥. ليس في المصدر.

٦. أنوار التنزيل، ١٥٧/٢.

٧. التزويق: التحسين والتزيين. وفي ن: تزوير.

٨. من أنوار التنزيل، ١٥٧/٢.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٧): بدل من «ألقى» بدل الاشتغال. أو حال بإضمار قد.

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^(١٨): إبدال للتوضيح ودفع التوهم، والإشعار على أن

الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السُّحْرَ﴾: فعلمكم شيئاً

دون شيء. ولذلك غلبكم أو أفوذككم^(١٩) على ذلك وتواطأتم عليه.

أراد به التلبس على قومه، كي لا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق.

وقرأ^(٢٠) حمزة والكسائي وأبو بكر وروح «أأمتهم» بهمزتين.

﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: وبال ما فعلتم، وقوله:

﴿لَأَقِطَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢١): بيان له.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾: لا ضرر علينا في ذلك.

﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾^(٢٢): بما توعدنا به، فإن الصبر عليه محاء للذنوب، موجب

للثواب والقرب من الله. أو: بسبب من أسباب الموت وقتلك أنفعها وأرجاها.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا﴾: لأن كنا.

﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢٣): من أتباع فرعون، أو من أهل المشهد.

والجملة في المعنى، تعليل ثانٍ لنفي الضير، أو تعليل للعلّة المتقدمة.

وقرئ^(٢٤): «إن كنا» على الشرط، لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة. أو على طريقة

المدلّ بأمره، نحو: «إن أحسنت إليك، فلا تنس حقّي».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢٥): «فألقي موسى عصاه، فذابت في الأرض مثل

الرصاص. ثم طلع رأسها وفتحت فاهها، ووضعت شذقها العليا على رأس قبة فرعون.

ثم دارت وأرخت شفتها السفلى والتقمت عَصِي السحرة وحبالهم. [وغلّب كلّهم]^(٢٦).

وانهزم الناس حين رأوها، وعظمها وهولها ممّا لم تر العين ولا وصف الواصفون مثله.

١. فوذككم؛ أي هادنكم.

٢. ٣. أنوار التنزيل، ١٥٨/٢.

٥. ليس في ن.

٤. تفسير القمي، ١٢٠/٢ - ١٢١.

قيل: فُقُتِلَ في الهزيمة من وطء الناس [بعضهم بعضاً]^(١) عشرة آلاف رجل وامرأة وصبي، ودارت على قبة فرعون.

قال: فأحدث فرعون وهامان في ثيابهما وشاب رأسهما، وعُشِيَ عليهما من الفزع، ومَرَّ موسى ﷺ في الهزيمة مع الناس. فناداه الله ﷻ: «خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى».

فرجع موسى ﷺ وَلَفَّ على يده عباء كانت عليه. ثُمَّ أَدْخَلَ يده في فمها، فإذا هي عصا كما كانت. فكان كما قال الله ﷻ: «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ» لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ. «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ».

فغضب فرعون عند ذلك غضباً شديداً، وقال: «آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ» يعني موسى ﷺ «الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ». فقالوا له كما حكى الله ﷻ: «لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ إِنَّا نَنْطُمِعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبَّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ».

فحبس فرعون من آمن بموسى ﷺ [في السجن]^(٢) حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ. فَأَطْلَقَ فرعون عنهم. فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى مُوسَى «أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ».

فخرج موسى ﷺ ببني إسرائيل ليقطع بهم البحر. وجمع فرعون أصحابه وبعث في المداثر حاشرين. وحشر الناس، وَقَدَّمَ مَقْدَمَتَهُ فِي سِتْمَاةِ أَلْفٍ، وَرَكِبَ هُوَ فِي أَلْفٍ أَلْفٍ، وَخَرَجَ كَمَا حَكَى اللَّهُ ﷻ.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾: وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحقّ وظهر لهم الآيات، فلم يزدوا إِلَّا عَتَوْاً وفساداً.

وقرأ^(٣) ابن كثير وابن نافع: «أَنْ أَسْرِ» بكسر النون ووصل الألف، من سرى.

وقرئ^(١): «أَنْ سِرَّ». من السير.

﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾^(٢): يتبعكم فرعون وجنوده.

وهو علة الأمر بالإسراء. أي أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين، كان لكم تقدم عليهم، بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر، بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر، فيدخلون مدخلكم، فأطبقه عليهم فأغرقهم.

﴿فَارْزُلْ فِرْعَوْنَ﴾: حين أخبر بسراهم.

﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾^(٣): العساكر ليتبعوهم.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾^(٤): على إرادة القول. وإنما استقلهم - وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً - بالإضافة إلى جنوده؛ إذ يُقَالُ أَنَّهُ خَرَجَ وَكَانَتْ مَقْدَمَتُهُ سِتْمَانَةً^(٥) ألف.

والشردمة: الطائفة القليلة. ومنها: ثوب شرازم: لما بلي وتقطع. و«قليلون» باعتبار أنهم أسباط، كل سبط منهم قليل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ: «الشردمة قليلون» يقول: عصابة قليلة.

وفي أصول الكافي^(٧) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول عليه السلام في آخره: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَقْوَاماً لَّجَهَنَّمَ وَالنَّارَ. فَأَمَرْنَا أَنْ نَبْلُغَهُمْ كَمَا بَلَّغْنَاهُمْ. وَاشْمَازُوا مِنْ ذَلِكَ، وَنَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ. وَرَدَّوهُ عَلَيْنَا، وَلَمْ يَحْتَمِلُوا، وَكَذَّبُوا بِهِ، وَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ! فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَنَسَاهُمْ ذَلِكَ.

ثم أطلق الله لسانهم ببعض الحق، فهم ينطقون وقلوبهم منكرة، ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته. ولولا ذلك، ما عُبد الله في أرضه. فأمرنا بالكف عنهم والستر

٢. م، ن: سبعمائة.

٤. الكافي ٤٠٢/١، ح ٥.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. تفسير القمي، ١٢٢/٢.

[والكتمان . فَاكْتُمُوا عَمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْكَفِّ عَنْهُ ، وَاسْتُرُوا عَمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالسُّتْرِ] ^(١) والكتمان عنه .

قال : ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ وَبَكَى وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشَرْدَمَةٌ قَلِيلُونَ . فَاجْعَلْ مَحْيَانَا مَحْيَاهُمْ ، وَمَمَاتِنَا مَمَاتِهِمْ . وَلَا تَسْلُطْ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا لَكَ فَتَفْجَعَنَا بِهِمْ . فَإِنَّكَ إِنْ فَجَعْتَنَا ^(٢) بِهِمْ ، لَمْ تُعَبِّدْ أَبَدًا فِي أَرْضِكَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَفَافِظُونَ﴾ ^(٣) : لَفَاعِلُونَ مَا يَغِيطُنَا .

﴿وَأَنَا لَجَمِيعٍ حَازِرُونَ﴾ ^(٤) : وَأَنَا لَجَمْعٍ مِنْ عَادَتِنَا الْحَذَرِ وَاسْتِعْمَالِ الْحَزْمِ فِي الْأُمُورِ .

أشار أولاً إلى عدم ما يمنع أتباعهم من شوكتهم ، ثُمَّ إِلَى تَحَقُّقِ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ فُرْطِ عِدَاوَتِهِمْ وَوُجُوبِ التَّيَقُّظِ فِي شَأْنِهِمْ حَتَّى عَلَيْهِ . أَوْ اعْتِذَارِ بِذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ ، كَيْ لَا يُظَنَّ بِهِ مَا يَكْسِرُ سُلْطَانَهُ .

وَقَرَأَ ^(٥) ابْنُ عَامِرٍ بِرَوَايَةِ ابْنِ ذَكْوَانَ وَالْكَوْفِيِّينَ : «حَازِرُونَ» . وَالْأَوَّلُ لِلثَّبَاتِ وَالثَّانِي لِلتَّجَدُّدِ .

وَقِيلَ ^(٦) : الْحَازِرُ ، الْمُوَدِّي فِي السِّلَاحِ . وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الْحَذَرِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَفْعَلُ حَذَرًا .

وَقُرِئَ : «حَادِرُونَ» ^(٧) بِالْدَالِ ؛ أَيْ أَقْوِيَاءُ ^(٨) .

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ : بِأَنَّا خَلَقْنَا دَاعِيَةَ الْخُرُوجِ بِهَذَا السَّبَبِ ، فَحَمَلْتُهُمْ عَلَيْهِ .

﴿مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ^(٩) : وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ^(١٠) : يَعْنِي الْمَنَازِلَ الْحَسَنَةَ وَالْمَجَالِسَ الْبَهِيَّةَ .

﴿كَذَلِكَ﴾ : مِثْلُ ذَلِكَ الْإِخْرَاجِ ، أَخْرَجْنَا . فَهُوَ مُصْدَرٌ . أَوْ : مِثْلُ ذَلِكَ الْمَقَامِ الَّذِي

١ . ليس في م . ٢ . المصدر : أفجعنا .

٥ . ليس في م .

١ . ليس في م . ٣ . أنوار التنزيل ، ١٥٨/٢ .

٦ . أنوار التنزيل ، ١٥٨/٢ .

كان لهم، على أنه صفة مقام. أو: الأمر كذلك. فيكون خبيراً لمحذوف.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٦) ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾: وقرئ^(١): فأتبعوهم.

﴿مُتْرَقِينَ﴾^(٦): داخلين في وقت شروق الشمس^(٢).

﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ﴾: تقاربا، بحيث رأى كل منهما الآخر.

وقرئ^(٣): «ترأت الفتنان».

﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾^(٦): لمُلاحقون.

وقرئ^(٤): «لمدركون» من: أدرك الشيء: إذا تابع ففني؛ أي إننا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم.

وفي الخرائج والجرائح^(٥): أن علياً عليه السلام قال: لما خرجنا إلى خيبر، فإذا نحن بوادي ملآن ماء. فقدّرناه فإذا هو أربعة عشر قامة. فقال الناس: يا رسول الله، العدو من ورائنا والوادي أمامنا، فكان كما قال أصحاب موسى: «إنّا لمدركون». فنزل عليه السلام ثم قال: اللهم إنك جعلت لكل مرسل علامة، فأرنا قدرتك. ثم ركب وعبرت الخيل والإبل، لاتندی حوافرها ولا أخفاها.

﴿قَالَ كَلَّا﴾: لن يدركوكم. فإن الله وعدكم الخلاص منهم.

﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾: بالخط والنصرة.

﴿سَيَهْدِينِ﴾^(٦): طريق النجاة منهم.

وتُقِل^(٧) أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى، فقال: أين أمرت؟ فهذا البحر أمامك، وقد غشيك آل فرعون! قال: أمرت بالبحر، ولعلي أؤمر بما أصنع.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾: القلزم^(٨) أو النيل.

﴿فَانْفَلَقَ﴾: أي فضرب فانفلق. وصار اثني عشر فرقا، بينها مسالك.

١. نفس المصدر، ١٥٩.

٣ و٤. نفس المصدر والموضع.

٦. أنوار التنزيل، ١٥٩/٢.

٢. ليس في م.

٥. الخرائج والجرائح، ٥٤/١، معجزة ٨٤.

٧. أي البحر الأحمر اليوم.

﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (١٣): كالجبل المنيف الثابت في مقرّه، فدخلوا في شعابها كلّ سبط في شعب^(١).

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٢): فلما قرب موسى ﷺ من البحر، وقرب فرعون من موسى، «قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال» موسى: «كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» أي سينجيني.

فدنا موسى ﷺ من البحر، فقال له: انفرق^(٣). فقال البحر له: استكبرت يا موسى أن تقول لي أن أنفرك^(٤) لك، ولم أعص الله ﷻ طرفة عين، وقد كان فيكم العاصي! فقال له موسى ﷺ: فاحذر أن تعصي! وقد علمت أن آدم ﷺ أُخرج من الجنة بمعصيته، [وإنما لئن إبليس بمعصيته]^(٥). فقال البحر: ربّي عظيم، مطاع أمره. ولا ينبغي لشيء أن يعصيه.

فقام يوشع بن نون، فقال لموسى ﷺ: يا نبيّ الله^(٦)، ما أمرك ربك؟ قال: بعبور البحر. فأقحم يوشع فرسه في الماء. وأوحى الله ﷻ إلى موسى ﷺ «أن اضرب بعصاك البحر»، فضربه فانفلق. «فكان كلّ فرق كالطود العظيم» أي كالجبل العظيم. فضرب له في البحر اثني عشر طريقاً. فأخذ كلّ سبط منهم في طريق. فكان^(٧) الماء قد ارتفع، وبقيت الأرض يابسة طلعت فيها الشمس، فبيست كما حكى الله ﷻ^(٨): [فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى].

ودخل موسى ﷺ وأصحابه البحر. وكان أصحابه^(٩) اثني عشر سبطاً. فضرّب الله ﷻ لهم في البحر اثني عشر طريقاً. فأخذ كلّ سبط في طريق، وكان الماء قد ارتفع على رؤوسهم مثل الجبال.

٢. تفسير القمي، ١٢١/٢ - ١٢٢.

٤. المصدر: انقلب.

٦. المصدر: يا رسول الله.

٨. طه / ٧٧.

١. الشعب: انفراج بين الجبلين.

٣. المصدر: انقلب.

٥. ليس في س، أ.

٧. م: وكان.

٩. ليس في ن.

فجزعت الفرقة التي كانت مع موسى ﷺ في طريقه . فقالوا : يا موسى ، أين إخواننا ؟ فقال لهم : معكم في البحر . فلم يصدّقوه . فأمر الله ﷻ البحر ، فصار طاقات ، حتّى كان ينظر بعضهم إلى بعض ويتحدّثون .

وأقبل فرعون وجنوده . فلمّا انتهى إلى البحر ، قال لأصحابه : ألا تعلمون أنّي ربّكم الأعلى ؟ قد فرج لي البحر . فلم يجسر أحد أن يدخل البحر ، وامتنعت الخيل منه لهول الماء .

فتقدّم فرعون ، حتّى جاء إلى ساحل البحر . فقال له منجّمه : لا تدخل البحر ، وعارضه . فلم يقبل منه وأقبل على فرس حصان . فامتنع الحصان أن يدخل الماء . فعطف عليه جبرئيل ﷺ وهو على ماديّانة ، فتقدمه ودخل . فنظر الفرس إلى الرمكة ^(١) فطلبها ، ودخل البحر ، واقتحم أصحابه خلفه . فلمّا دخلوا كلّهم ، حتّى كان آخر من دخل من أصحابه وآخر من خرج من أصحاب موسى ، أمر الله ﷻ الرياح ، فضربت البحر بعضه ببعض . فأقبل الماء يقع عليهم مثل الجبال .

وفي الكافي ^(٢) : محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، عن محمّد بن هشام ، عمّن أخبره عن أبي عبد الله ﷺ قال : إنّ قوماً ممّن آمن بموسى ﷺ قالوا : لو أتينا عسكر فرعون وكنا فيه ونلنا من دنياه . فإذا كان الذي نرجوه من ظهور موسى ﷺ صرنا إليه . ففعلوا .

فلمّا توجه موسى ﷺ ومن معه [إلى البحر] ^(٣) هاربين من فرعون ، ركبوا دوابّهم وأسرعوا في السير [ليلحقوا] ^(٤) بموسى ﷺ وعسكره ، فيكونوا معهم . فبعث الله ﷻ ملكاً ، فضرب وجوه دوابّهم ، فردّهم إلى عسكر فرعون . فكانوا في من غرق مع فرعون .

﴿ وَأَزَلَّنا ﴾ : وقرّنا .

١ . الرمكة : الفرس والبرذونة تتخذ للنسل .

٢ . الكافي : ١٠٩/٥ ، ح ١٣ .

٤ . من المصدر .

٣ . من المصدر .

﴿ثُمَّ الْآخَرِينَ﴾^(٦٦): فرعون وقومه؛ حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم.
 ﴿وَاتَّجَنَّا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾^(٦٧): بحفظ البحر على تلك الهيئة، إلى أن عبروا.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾^(٦٨): بإطباقه عليهم.
 ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾: وآية آية.
 ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٦٩): وما تنبه عليها أكثرهم، إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر، من القبط وبني إسرائيل، بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل. وقالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»^(١).

﴿وَأَنَّ رَيْكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنتقم من أعدائه.
 ﴿الرَّحِيمُ﴾^(٧٠): بأوليائه.
 ﴿وَأَنزَلْ عَلَيْهِمْ﴾: على مشركي العرب.
 ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٧١).
 ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾^(٧٢): سألهم، ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾^(٧٣): فأطالوا جوابهم بشرح أحوالهم معه تبجحاً به^(٢) وافتخاراً. و«نظّل» هاهنا، بمعنى ندوم.
 وقيل^(٣): كانوا يعبدونها بالنهار، دون الليل.
 ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم﴾: يسمعون دعاءكم. أو: يسمعونكم تدعون، فحذف ذلك للدلالة:

﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾^(٧٤): عليه.
 وقرئ^(٤) بضم الياء. أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم. ومجيئه مضارعاً، مع «إذ»

٢. تبجح: فرح وتباهى.
 ٤. نفس المصدر والموضع.

١. البقرة / ٥٥.
 ٣. أنوار التنزيل، ١٦٠/٢.

على حكاية الحال الماضية، استحضاراً لها.

﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ﴾: على عبادتكم لها.

﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾^(٧٦): من أعرض عنها.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٧٧): أضربوا عن أن يكون لهم سماع، أو

يتوقع منهم ضرر أو نفع، والتجأوا إلى التقليد.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾^(٧٨) ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾^(٧٩): فإنَّ القدم^(٨٠)

لايدلّ على الصحة، ولاينقلب به الباطل حقاً.

﴿فَأَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾: يريد أنهم أعداء لعابديهم، من حيث أنهم يتضررون من

جهتهم، فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه. أو أن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم،

وهو الشيطان. لكنّه صوّر الأمر في نفسه، تعريضاً لهم - فإنه أنفع في النصيح من

التصريح - وإشعاراً بأنّها نصيحة بدأ بها نفسه، ليكون أدعى إلى القبول.

وأفراد العدو لأنّه في الأصل مصدر، أو بمعنى النسب.

﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٨١): استثناء منقطع. أو متصل، على أن الضمير لكلّ معبود

عبدوه، وكان من آبائهم من عبد الله.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾^(٨٢): لأنّه يهدي كلّ مخلوق لما خلق له من أمور

المعاش والمعاد - كما قال^(٨٣): «والَّذي قدّر فهدى» - هداية مدرجة من مبدأ إيجاده إلى

منتهى أجله، يتمكّن بها من جلب المنافع ودفع المضارّ. مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان

هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم. ومنتهائها الهداية إلى طريق الجنة

والتنعم بلذائذها.

والفاء للسببية، إن جُعِل الموصول مبتدأ. وللعطف، إن جُعِل صفة «رَبِّ العالمين».

فيكون اختلاف النظم، لتقدّم الخلق واستمرار الهداية.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾^(٣): على الأول مبتدأ محذوف الخبر، لدلالة ما قبله عليه. وكذا اللذان بعده. وتكرير الموصول على الوجهين، للدلالة على أنَّ كلَّ واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم.

وفي كتاب المناقب^(١) لابن شهر آشوب: إبراهيم بن أدهم وفتح الموصلي، قال كلَّ واحد منهما: كنت أسبح في البادية مع القافلة، فعرضت لي حاجة. فتنحيت عن القافلة. وإذا^(٢) أنا بصبي يمشي، فقلت: سبحان الله! بادية بيداء وصبي يمشي! فدنوت منه، فسلمت^(٣) عليه. فردَّ عليَّ السلام: فقلت له: إلى أين؟ قال: أريد بيت ربِّي. فقلت: حبيبي إنَّك صغير، ليس عليك فرض ولا سنَّة! فقال: يا شيخ، ما رأيت من هو أصغر مني سنَّامات؟! فقلت: أين الزاد والراحلة؟ فقال: زادي تقواي، وراحلتي رجلاي، وقصدي مولاي. فقلت: ما أرى معك شيئاً من الطعام! فقال: يا شيخ، هل تستحسن^(٤) أن يدعوك إنسان إلى دعوة، فتحمل من بيتك الطعام؟! قلت: لا. قال: الَّذي دعاني إلى بيته، هو يطعمني ويسقين.

أقول: هذا الكلام طويل، وقد ذكر في أواسطه، أنَّ الصبي كان عليَّ بن الحسين عليه السلام.

﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(٥): عطف على «يطعمني ويسقين»، لأنَّه من روادفهما، [من حيث إنَّ الصحَّةَ والمرضَ في الأغلب يتبعان المأكول والمشروب. قيل^(٥): وإِنَّمَا لم ينسب المرض إليه، لأنَّ المقصود^(٦) تعديد النعم]^(٧). ولا ينتقض بإسناد الإمامة إليه. فإنَّ الموت من حيث إنَّه لا يحسَّ به، لا ضرر فيه. إِنَّمَا الضرر في مقدَّماته وهي المرض. ثمَّ إنَّه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحابَّ التي يُستحقَّر^(٨)

٢. أ، المصدر: فإذا.

٤. المصدر: يُستحسن.

٦. المصدر: مقصوده.

٨. المصدر: تستحقَّر.

١. المناقب، ١٣٧/٤.

٣. المصدر: وسلمت.

٥. أنوار التنزيل، ١٦٠/٢.

٧. ليس في م.

دونها الحياة الدنيوية، وخلاص من أنواع المحن والبليات^(١). ولأنَّ المرض في غالب الأمر، إنّما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه. وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر والصحة، إنّما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهراً. وذلك [بقدره العزيز الحكيم]^(٢).

أقول: لما كان عروض المرض قد يكون شراً، وهو ما يكون سبب عروضه الإنسان نفسه، نسبه إلى نفسه، وإن كان عروض المرض الذي أعطاه الله تعالى نعمة في الأغلب، كما يدلّ عليه عبارة الصحيفة السجادية وبعض الأخبار؛ بخلاف الشفاء، فإنّه على إطلاقه يكون منه تعالى فلذا ورد عبارة دالة على الاختصاص به تعالى.

وفي كتاب الخصال^(٣)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من ظهرت صحته على سقمه، فتعالج^(٤) بشيء فمات، فأنا إلى الله منه بريء.

وفي كتاب التوحيد^(٥) بإسناده إلى عبدالله بن مسعود، قال: بينا^(٦) نحن عند رسول الله ﷺ إذ تبسّم. فقلت له: مالك يا رسول الله؟ قال: عجبت من المؤمن وجزعه من السقم. ولو يعلم ما له في السقم من الثواب، لأحبّ أن لا يزال سقيماً، حتّى يلقي ربه ﷻ.

وفي الكافي^(٧) بإسناده إلى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: من مرض ثلاثاً، فلم يشك إلى أحد من عواده، أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه. فإن عافيته، عافيته ولا ذنب له. وإن قبضته، قبضته^(٨) إلى رحمتي. علي بن إبراهيم^(٩)، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام

١. المصدر: البلية.

٢. ليس في م.

٣. الخصال، ٢٦، ح ٩١.

٤. المصدر: فيعالج.

٥. التوحيد ٤٠٠-٤٠١، ح ٣.

٦. المصدر: بينما.

٧. الكافي ١١٥/٣، ح ١.

٨. ليس في س، أ.

٩. نفس المصدر، ح ٢.

قال: قال الله تبارك وتعالى: ما من عبد ابتليته ببلاء، فلم يشك إلى عواده، إلا أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه. فإن قبضته، قبضته إلى رحمتي. وإن عاش، عاش وليس له ذنب.

وبإسناده^(١) عن بشير الدهان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله ﷻ: أيما عبد ابتليته ببليّة، فكنتم ذلك عواده ثلاثاً، أبدلته لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، وبشراً خيراً من بشره. فإن أبقيته، أبقيته ولا ذنب له. وإن مات، مات إلى رحمتي.

وبإسناده^(٢) إلى [أحمد بن] الحسن الميثمي، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مرض ليلة، فقبلها بقبولها، كتب الله له عبادة ستين سنة. قلت: ما معنى قبولها؟ قال: لا يشكو ما أصابه فيها إلى أحد.

عدّة من أصحابنا^(٣)، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن العزمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من اشتكى ليلة، فقبلها بقبولها، وأدى إلى الله شكرها، كانت كعبادة ستين سنة. قال أبي: فقلت له: ما قبولها؟ قال: يصبر عليها، ولا يخبر بما كان فيها. فإذا أصبح، حمد الله على ما كان.

عليّ بن إبراهيم^(٤)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من مرض ثلاثة أيام، فكنتمه، ولم يخبر به أحداً، أبدل الله ﷻ له لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، وبشرة خيراً من بشرته، وشعراً خيراً من شعره. قال قلت له: جعلت فداك؛ وكيف يبدله؟ قال: يبدله لحماً وشعراً ودماً^(٥) وبشرة، لم يذنب فيها.

عليّ بن إبراهيم^(٦)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن أبي

١. نفس المصدر، ح ٣.

٢. نفس المصدر، ح ٤.

٣. من المصدر.

٤. نفس المصدر ١١٤، ح ٥.

٥. نفس المصدر، ح ٦.

٦. المصدر: ودماً وشعراً.

٧. نفس المصدر، ح ١.

عبد الله ﷺ قال: سُئِلَ عَنْ حَدِّ الشَّكَاةِ^(١) للمريض. فقال: إِنَّ الرجل يقول: حممت اليوم وسهرت البارحة، وقد صدق، وليس هذا شكاة^(٢). وإِنَّمَا الشَّكْوَى أَنْ يَقُولَ: لَقَدْ ابْتَلَيْتَ بِمَا لَمْ يَبْتَلِ بِهِ أَحَدٌ. ويقول: لَقَدْ أَصَابَنِي مَا لَمْ يُصِبْ أَحَدًا. وليس الشَّكْوَى أَنْ يَقُولَ: سَهَرْتُ الْبَارِحَةَ وَحَمَمْتُ الْيَوْمَ، وَنَحْوَ هَذَا.

﴿وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾^(٣): فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٤): ذَكَرَ ذَلِكَ هُضْمًا لِنَفْسِهِ، وَتَعْلِيمًا لِلْأَمَّةِ، أَنْ يَجْتَنِبُوا الْمَعَاصِيَ وَيَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ.

وَحَمَلَ الْخَطِيئَةَ عَلَى كَلِمَاتِهِ الثَّلَاثِ: «إِنِّي سَقِيمٌ»^(٥)، «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ»^(٦)، وَقَوْلُهُ: «هِيَ أُخْتِي»^(٧)، ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهَا مُعَارِضٌ، وَلَيْسَتْ خَطَايَا.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾: كَمَا لَا فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، أَسْتَعِذُّ بِهِ خِلَافَةَ الْحَقِّ وَرِثَاةَ الْخَلْقِ.

﴿وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٨): وَوَفَّقَنِي لِلْكَمَالِ فِي الْعَمَلِ، لِأَنْتَظِمَ بِهِ فِي عِدَادِ الْكَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ، الَّذِينَ لَا يَشُوبُ صِلَاحَهُمْ كَبِيرُ ذَنْبٍ وَلَا صَغِيرُهُ. وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ ﷺ.

﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٩): جَاهًا وَحَسَنَ صَيْتٍ فِي الدُّنْيَا، يَبْقَى أَثَرُهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. وَلِذَلِكَ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهُمْ مُحِبُّونَ لَهُ مُتَّبِعُونَ عَلَيْهِ. أَوْ: صَادِقًا مِنْ ذَرِّيَّتِي يَجْدُدُ أَصْلَ دِينِي، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَا كُنْتُ أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ. وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ. وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ^(١٠): قَالَ ﷺ: أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرَ لَهُ مِنَ الْمَالِ يورثه من لا يحمده.

١. ن، المصدر: الشكاية.

٢. المصدر: شكاية.

٣. الصافات / ٨٩.

٤. الأنبياء / ٦٣.

٥. أنوار التنزيل، ١٦٠/٢.

٦. نهج البلاغة ١٧٧، الخطبة ١٢٠.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه أراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وروي^(٢) عنه عليه السلام أنه أراد علياً عليه السلام. قال: إنه عُرِضَتْ على إبراهيم ولاية علي بن أبي طالب. قال: اللهم اجعله من ذرّتي. ففعل الله ذلك. وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٣) في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» قال: هو أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وفي أصول الكافي^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، [عن عثمان بن عيسى]^(٥)، عن يحيى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس، خير من المال يأكله ويورثه. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾^(٦) في الآخرة.

وقد مرّ معنى الورثة فيها.

وفي كتاب المناقب^(٧) لابن شهر آشوب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث طويل، في آخره بيان ما جرى منه عليه السلام أيام تزويج فاطمة عليها السلام [من علي عليه السلام]^(٨) وفيه: فسأل علياً: كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله. وسأل فاطمة. فقالت: خير بعل. فقال: اللهم اجمع شملهما [وألف بين قلوبهما]^(٩) واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم.

﴿وَاعْزِزْ لِيَّيْمِي﴾: بالهداية والتوفيق للإيمان.

﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾^(١٠) طريق الحق.

وقد مرّ بيان ذلك في سورة التوبة.

﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾: أي لا تعيرني ولا تفضحني بذنب.

٢. نفس المصدر، ح ٨.

٤. الكافي ١٥٤/٢، ح ١٩.

٦. المناقب، ٣٥٦/٣.

٨. من المصدر.

١. تأويل الآيات ٣٨٨/١، ح ٧.

٣. تفسير القمي، ١٢٣/٢.

٥. من المصدر.

٧. ليس في ن.

وهذا الدعاء منه على وجه الانقطاع إلى الله تعالى، لما بيّن أنّ القبيح لا يجوز وقوعه عن الأنبياء. وهو من الخزي بمعنى الهوان، أو من الخزية بمعنى الحياء.

﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾^(٥٧): الضمير للعباد، لأنّهم معلومون. أو للضالّين.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(٥٨) ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٥٩): أي لا ينفعان أحداً إلّا مخلصاً سليماً القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته. أو: لا ينفعان إلّا مال من هذا شأنه وبنوه؛ حيث أنفق ماله في سبيل الخير، وأرشد بنيّه إلى الحقّ، وحثّهم على البرّ، وقصدهم أن يكونوا عباد الله مطيعين، شفعاء له يوم القيامة.

وقيل^(٦٠): الاستثناء، ممّا دلّ عليه المال والبنون. أي لا ينفع غنى إلّا غناه.

وقيل^(٦١): منقطع. والمعنى: ولكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه.

[وفي أصول الكافي^(٦٢): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن المنقريّ، عن سفيان بن عيينة]^(٦٣) [عن أبي عبد الله عليه السلام]^(٦٤) قال: سألته عن قول الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. قال: [القلب]^(٦٥) السليم الذي يلقي ربّه، وليس فيه أحد سواه. قال: كلّ قلب فيه شرك أو شكّ، فهو ساقط. وإنّما أراد بالزهد في الدنيا، لتفرغ قلوبهم إلى الآخرة^(٦٦).

وبإسناده^(٦٧) إلى الحسن بن الجهم عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال: التواضع أن تعطي الناس ما تحبّ أن تعطاه.

وفي حديث آخر قال: قلت: ما حدّ التواضع الذي إذا فعله العبد، كان متواضعاً؟ فقال: للتواضع^(٦٨) درجات. منها أن يعرف المرء قدر نفسه، فينزلها منزلتها بقلب

١. أنوار التنزيل، ١٦١/٢.

٣. الكافي ١٦٢، ح ٥. وسند الحديث في ح ٤.

٥. من المصدر.

٧. المصدر: لتفرغ قلوبهم للآخرة.

٩. المصدر: التواضع.

٢. أنوار التنزيل، ١٦١/٢.

٤. ليس في أ.

٦. من المصدر.

٨. نفس المصدر ١٢٤، ح ١٣.

سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا بمثل^(١) ما يؤتى إليه. إن رأى سيئة، درأها بالحسنة. كاظم الغيظ، عافٍ عن الناس. والله يحب المحسنين^(٢).

وفي مجمع البيان^(٣): وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: هو القلب الذي سلم من حب الدنيا. ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وآله: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

وفي مصباح الشريعة^(٤): قال الصادق عليه السلام: صاحب النية الصادقة، صاحب القلب السليم؛ لأن سلامة القلب من هواجس المحذورات، بتخليص النية لله في الأمور كلها. قال الله تعالى: «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم».

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥): بحيث يرونها من الموقف، فيتبجحون^(٥) بأنهم المحشورون إليها.

﴿وَبُرُزَّتِ السَّجُودُ لِلْعَاوِينَ﴾^(٦): فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها.

وفي اختلاف الفعلين، ترجيح لجانب الوعد.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ آيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾^(٧) ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أين آلهتكم، الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم؟

﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾: بدفع العذاب عنكم؟

﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾^(٨): بدفعه عن أنفسهم؟ لأنهم وآلهتهم، الملقون في النار، كما

قال:

﴿فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ﴾^(٩): أي الآلهة وعبدتهم.

والكبكة: تكرير الكب، لتكرير معناه. كأن من ألقى في النار، ينكب مرة بعد أخرى، حتى يستقر في قعرها.

١. المصدر: مثل . ٢. إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران / ١٣٤.

٣. مجمع البيان، ١٩٤/٤. ٤. مصباح الشريعة، ٥٣.

٥. كذا في أنوار التنزيل ١٦١/٢. وفي النسخ: فيتبجحون.

وفي أصول الكافي^(١): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أبي سعيد المكاربي، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «فكذبوا فيها هم والغاوون» قال: [يا أبا بصير]^(٢) هم قوم وصفوا عدلاً بالسنتهم ثم خالفوه إلى غيره.

[محمد بن يحيى^(٣)، عن الحسين بن إسحاق، عن علي بن مهزيار، عن عبد الله بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في قول الله ﷻ: «فكذبوا فيها هم والغاوون» قال: يا أبا بصير، هم قوم وصفوا عدلاً بالسنتهم ثم خالفوه إلى غيره]^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): قوله «فكذبوا فيها هم والغاوون» قال الصادق عليه السلام نزلت في قوم وصفوا عدلاً بالسنتهم، ثم خالفوه إلى غيره. وفي خبر آخر قال: «هم بنو أمية». «والغاوون» بنو العباس^(٦).

وفي كتاب المناقب^(٧) لابن شهر آشوب: أبوذر في خبر عن النبي ﷺ: يا أبا ذر، يؤتى بجاحد علي يوم القيامة أعمى أبكم، يتككب في ظلمات يوم^(٨) القيامة، ينادي: «يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله»^(٩) وفي عنقه طوق من النار.

وفي محاسن البرقي^(١٠): وفي رواية عثمان بن عيسى - أو غيره - عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «فكذبوا فيها هم والغاوون» قال: من وصف عدلاً، ثم خالفه إلى غيره.

﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: متبعوه من عصاة الثقلين، أو شياطينه.

-
١. الكافي ٤/٧١، ح ٤.
 ٢. من ع.
 ٣. نفس المصدر ٣٠٠/٢، ح ٤.
 ٤. هذا الخبر ليس في ع.
 ٥. تفسير القمي، ١٢٣/٢.
 ٦. المصدر: والغاوون هم بنو فلان.
 ٧. المناقب، ٢٧٣/٣.
 ٨. ليس في المصدر.
 ٩. الزمر/٥٦.
 ١٠. المحاسن ١٢٠، ح ١٣٤.

﴿أَجْمَعُونَ﴾^(١) : تأكيد للجنود، أو للضمير في «ككبوا» وما عطف عليه.
 ﴿قَالُوا وَهُمْ﴾ : [متبعوه]^(٢) أي العبد.
 ﴿فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾^(٣) : مع معبوديها.
 ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٤) : إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(٥) : أي في استحقاق العبادة.

وفي كتاب التوحيد^(٦) خطبة لعلّي^(٧) يقول فيها: أيها السائل، اعلم أن من شبه ربنا الجليل بتباين أعضاء خلقه، وتلاحم^(٨) أحقاق^(٩) مفاصلهم المحتجة بتدبير حكمته، إنه^(١٠) لم يعقد غيب ضميره على معرفته، ولم يشاهد قلبه اليقين بأنه لا ند له. وكأنه لم يسمع بتبري التابعين من المتبوعين، وهم يقولون: «تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسوِّكم ربَّ العالمين».

فمن ساوى ربنا بشيء فقد عدل به. والعدل به، كافر بما تنزلت^(١١) به محكمات آياته، ونطقت به شواهد حجج بيناته؛ لأنه الله الذي لم يتناه في العقول، فيكون في مهبط فكرها مكثفاً، وفي حواصل هويات^(١٢) همم النفوس محدوداً مصرفاً. المنشئ أصناف الأشياء بلا روية احتاج إليها، ولا قريحة غريزة أضمر عليها، ولا تجربة أفادها من مرّ حوادث الدهور، ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور.

﴿وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾^(١٣) : قيل^(١٤) : أي إلا أولونا الذين اقتدينا بهم.

وقيل^(١٥) : إلا الشياطين.

وقيل^(١٦) : إلا الكافرون الذين دعونا إلى الضلال.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾^(١٧) : كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء.

١. من م. ٢. التوحيد ٥٤-٥٥، ح ١٣.

٣. ن: لأمر المؤمنين. ٤. ن: وتلاحم.

٥. الأحقاق - جمع الحق -: النقرة في رأس الكتف.

٦. ن: فائه. ٧. المصدر: نزلت.

٨. المصدر: رويات. ٩-١١. مجمع البيان، ١٩٤/٤.

وفي أصول الكافي^(١): علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبد الرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن مسلم^(٢)، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: «وأنزل في طسم: «وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبو فيها هم والغاوين وجنود إبليس أجمعون». جنود إبليس ذريته من الشياطين.

وقوله: «وما أضلنا إلا المجرمون» يعني المشركين الذين اقتدى بهم هؤلاء، فاتبعوهم على شركهم. وهم قوم محمد ﷺ ليس فيهم من اليهود والنصارى أحد. وتصديق ذلك قول الله ﷻ: «كذبت قبلهم قوم نوح»^(٣). «كذب أصحاب الأيكة»^(٤). «كذبت قوم لوط»^(٥). ليس هم اليهود الذين قالوا: «عزيز ابن الله»^(٦) ولا النصارى الذين قالوا: «المسيح ابن الله»^(٧) سيدخل الله اليهود والنصارى النار، ويدخل كل قوم بأعمالهم، وقولهم: «وما أضلنا إلا المجرمون» إذ دعونا إلى سبيلهم، ذلك قول الله ﷻ فيهم حين جمعهم إلى النار: «قالت أولاهم لأخراهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار». وقوله: «كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا أداركوا فيها جميعاً» برئ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضاً، يريد بعضهم أن يحج بعضاً رجاء الفلج فيفلتوا من عظيم ما نزل بهم، وليس بأوان بلوى ولا اختبار، ولا قبول^(٨) معذرة ولا حين نجاة.

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾^(٩) إذ «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين». أو «فما لنا من شافعين ولا صديق» ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء. أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق.

٢. المصدر: سالم.

٤. الشعراء/ ١٧٦.

٦. التوبة/ ٣٠.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: قول.

١. الكافي ٣٠/٢ - ٣١، ح ١.

٣. ص ١٢/ وآيات أخر.

٥. القمر/ ٣٣.

٧. التوبة/ ٣٠.

وجمع «الشافع» ووحدة «الصدیق» لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصدیق، ولأن الصدیق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق الصدیق على الجمع؛ كالعدو، لأنه في الأصل مصدر؛ كالحنين والصهيل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام أنّهما^(٢) قالوا: والله، لنشفعن في المذنبين من شيعتنا حتّى يقول أعداؤنا إذا رأوا ذلك: «فما لنا من شافعين ولا صدیق حميم».

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا محمد بن عثمان بن^(٤) أبي شيبة، عن محمد بن الحسين الخثعمي، عن عبّاد بن يعقوب، عن عبد الله بن زيدان^(٥)، عن الحسن بن محمد بن أبي عاصم، عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه^(٦)، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: نزلت هذه الآية فينا وفي شيعتنا، وذلك أنّ الله سبحانه يفضّلنا ويفضّل شيعتنا حتّى أنا لنشفع ويشفعون، فإذا رأى ذلك من ليس منهم قالوا: «فما لنا من شافعين ولا صدیق حميم».

[وقال أيضاً: حدّثنا أحمد بن أدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله البرقي، عن رجل، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «فما لنا من شافعين ولا صدیق حميم». فقال: لمّا يرانا هؤلاء وشيعتنا نشفع يوم القيامة يقولون: «فما لنا من شافعين ولا صدیق حميم»^(٧) يعني بالصدیق: المعرفة، وبالحميم: القرابة.

وروى البرقي^(٨): عن ابن سيف، عن أخيه، عن أبيه، عن عبد الكريم بن عمرو، عن سليمان بن خالد قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقراً: «فما لنا من شافعين ولا صدیق

١. تفسير القمي، ١٢٣/٢.

٣. تأويل الآيات ٣٨٩/١، ح ٩.

٥. م: زيد.

٧. ليس في م.

٢. ليس في المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن.

٦. يعني عبد الله أبي عيسى.

٨. تأويل الآيات ٣٩٠/١، ح ١١.

حميم] [وقال: والله، لنشفعن ثلاثاً ولنشفعن ثلاثاً ولنشفعن شيعتنا ثلاثاً حتى يقول عدونا: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم»^(١).

وفي روضة الكافي^(٢): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن علي بن عقبة، عن عمر بن أبان، عن عبد الحميد الوابسي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: في حديث طويل: وإن الشفاعة لمقبولة وما تُقبل في ناصب، وإن المؤمن ليشفع في جاره^(٣) وما له حسنة فيقول: يا رب، جاري كان يكف عني الأذى. فيشفع فيه، فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربك، وأنا أحق من كافأ عنك. فيدخله الله الجنة وما له من حسنة، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، فعند ذلك يقول أهل النار: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام^(٤) بإسناده إلى الحسن بن صالح بن حي قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: لقد عظمت منزلة الصديق حتى أن أهل النار يستغيثون به ويدعون به في النار قبل القريب الحميم، قال الله مخبراً عنهم: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم»^(٥).

وبإسناده^(٦) إلى [أبي العباس]^(٧) الفضل بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: يا فضل، لا تزهدوا في فقراء شيعتنا، فإن الفقير منهم ليشفع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر.

ثم قال: يا فضل، إنما سمي المؤمن مؤمناً، لأنه يؤمن على الله فيجير أمانه. ثم قال: أما سمعت الله تعالى يقول في أعدائكم إذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

٢. الكافي ١٠١/٨، ح ٧٢.

٤. أمالي الطوسي، ٢٢٢/٢.

٦. أمالي الطوسي، ٤٥/١ - ٤٦.

١. ليس في م.

٣. المصدر: لجاره.

٥. ليس في أ.

٧. من المصدر.

وفي مصباح شيخ الطائفة رحمته (١) في دعاء يوم المباهلة المروي عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام: اللهم إنا قد تمسكنا بكتابك وبعثرة نبيك محمد صلواتك عليه وعليهم الذين أقمتمهم لنا دليلاً وعلماً وأمرتنا باتباعهم، اللهم فإننا قد تمسكنا بهم فارزقنا شفاعتهم حين يقول الخائبون: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

وفي محاسن البرقي (٢): عنه، عن عمر بن عبد العزيز، عن المفضل أو غيره، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» قال: «الشافعون» الأئمة، و«الصديق» من المؤمنين.

وفي مجمع البيان (٣): وفي الخبر المأثور عن جابر بن عبدالله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الرجل يقول في الجنة: ما فعل صديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: اخرجوا له صديقه إلى الجنة. فيقول من بقي في النار: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

وعن أبان بن تغلب (٤) قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته، فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول ويرفع سبابتيه: [يا رب] (٥) خويديمي كان يقيني الحرّ والبرد. فيشفع فيه.

وفي خبر آخر (٦): عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن المؤمن ليشفع في جاره وماله حسنة، فيقول: يا رب، جاري كان يكف عني الأذى. فيشفع فيه، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً.

وفي شرح الآيات الباهرة (٧): محمد بن يعقوب عليه السلام، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن علي بن عقبة، عن عمر

٢. المحاسن ١٨٤، ح ١٨٧.

٤. المجمع، ١٩٤/٤ - ١٩٥.

٦. نفس المصدر والموضع.

١. مصباح المتهجد، ٧١١ - ٧١٢.

٣. المجمع، ١٩٤/٤، ١٩٥.

٥. من المصدر.

٧. تأويل الآيات ٣٩١/١، ح ١٥.

بن أبان، عن عبد الحميد الواشبي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إن لنا جاراً ينتهك المحارم كلها، حتى أنه ليرك الصلاة فضلاً عن غيرها.

فقال: سبحان الله، أو عظم ^(١) ذلك عليك ^(٢) ألا أخبرك بمن هو شر منه؟

[قلت: بلى.

فقال: الناصب لنا شر منه،] ^(٣) أما إنه ليس من عبد يُذكر عنده أهل البيت فيرقّ لذكرنا إلا مسح الملائكة ظهره، وغفر الله له ذنوبه كلها إلا أن يجيء بذنوب يخرج منه الإيمان، وإن الشفاعة لمقبولة وما تُقبل في ناصب، وإن المؤمن ليشفع لجاره وما له من حسنة [فيقول: يا رب، جاري كان يكف عني الأذى فيشفع فيه، فيقول الله تبارك وتعالى أنا ربك، وأنا أحق من كافأ عنك فيدخله الجنة وما له من حسنة] ^(٤) وإن من أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، فعند ذلك يقول أهل النار: «فما لنا من شافعين ولا صديق حميم».

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ﴾: تمنّ للرجعة، وأقيم فيه «لو» مقام «ليت» لتلاقيهما في معنى التقدير. أو شرط حُذِف جوابه.

﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٥): جواب التمني. أو عطف على كَرَّة، أي لو أن لنا أن نكرّ فنكون من المؤمنين ^(٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): «فلو أن لنا كَرَّة فنكون من المؤمنين» قال: من المهتدين ^(٧)، قال: لأن الإيمان قد لزهم بالإقرار.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: فيما ذكر من قصّة إبراهيم.

﴿لَايَةً﴾: لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنها جاءت على أنظم

١. وأعظم. ٢. ليس في المصدر.

٣. من المصدر. ٤. من المصدر.

٥. كذا في أنوار التنزيل ١٦٢/٢. وفي أ: تكراراً فنكون. وفي سائر النسخ: تكرراً فنكون.

٦. تفسير القمي، ١٢٣/٢. ٧. المقرّين. س: المقيدّين. أ: المخبرين.

ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه، لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته^(١) معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصوير الأمر في نفسه، وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً وإيقاظاً لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع والقبول.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾: أكثر قومه.

﴿مُؤْمِنِينَ﴾^(٢): به.

﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: القادر على تعجيل الانتقام.

﴿الرَّحِيمُ﴾^(٣): بالإمهال، لكي يؤمنوا هم أو أحد من ذريتهم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٤): «القوم» مؤنثة، ولذلك تُصغَّر على قويمة. وقد

مرَّ الكلام في تكذيبهم الرسل.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٥)، بإسناده إلى محمد بن الفضل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: فمكث نوح عليه السلام [في قومه]^(٦) ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يشاركه في نبوته أحد، ولكنه قدم على قوم مكذِّبين للأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم، وذلك قوله عليه السلام: «كَذَّبَتْ قوم نوح المرسلين» يعني من كان بينه وبين آدم عليه السلام إلى أن انتهى^(٧) إلى قوله: «وَأَنَّ رَبَّكَ لهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ».

وقال^(٨) فيه^(٩) أيضاً: فكان بين آدم وبين نوح عليه السلام عشرة آباء^(١٠) كلهم أنبياء [الله]^(١١).

وفي روضة الكافي^(١٢): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن

١. كذا في المصدر والنسخ. والصحيح مخالفته. ٢. كمال الدين ٢١٥، ح ٢.

٣. من المصدر. ٤. المصدر: ينتهي.

٥. كذا في نورالثقلين ٦٢/٤، ح ٧١. وفي النسخ: وفاقا.

٦. كمال الدين ٢١٤، ح ٢. ٧. كذا في نورالثقلين ٦٢/٤، ح ٧١. وفي النسخ: أنبياء.

٨. من المصدر. ٩. الكافي ١١٤/٨-١١٥، ح ٩٢.

محمد بن الفضل^(١)، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ : لأنه كان منهم.

﴿الَا تَتَّقُونَ﴾^(٢) : الله، فتركوا عبادة غيره.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(٣) : مشهور بالأمانة فيكم.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾^(٤) : فيما أمركم به من التوحيد والطاعة [الله سبحانه]^(٥).

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ : على ما أنا عليه من الدعاء والنصح.

﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾^(٧) : كثره

للتأكيد والتنبية على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه لوجوب طاعته فيما يدعوهم إليه، فكيف إذا اجتمعوا.

﴿قَالُوا اتَّوْمُنْ لَكَ وَاتَّبِعْكَ الْأَرْدَلُونَ﴾^(٨) : الأقلون جاهاً ومالاً، جمع الأردل، على

الصحة.

وقرأ^(٩) يعقوب: «وأتباعك» وهو جمع تابع، كشاهد وأشهد، أو تبع؛ كبطل وأبطال.

وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع

المقلين فيها مانعاً من اتباعهم وإيمانهم بما يدعوهم إليه ودليلاً على بطلانه، وأشاروا

بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وإنما هو لتوقع مال ورفعة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٠) : قوله ﷺ : «وقالوا أنؤمن لك» يا نوح «وأتبعك

الأردلون» قال الفقراء.

﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١) : أنهم عملوه إخلاصاً أو طمعاً في طعمة،

وما علي إلا اعتبار الظاهر.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ : ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله تعالى فإنه

المطلع عليها.

٢. من أنوار التنزيل، ١٦٢/٢.

٤. تفسير القمي، ١٢٣/٢.

١. المصدر: الفضيل.

٣. أنوار التنزيل، ١٦٢/٢.

﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾^(١): لعلمتم ذلك، ولكنكم تجهلون فتقولون ما لاتعلمون.
 ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢): جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم،
 وتوقيف إيمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه، وقوله:
 ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٣): كالعلة له؛ أي ما أنا إلا رجل مبعوث لإذار المكلّفين
 عن الكفر والمعاصي، سواء كانوا أعزاء أو أذلاء، فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع
 الأغنياء. أو ما عليّ إلا إنذاركم إنذاراً بيّناً بالبرهان الواضح، فلا عليّ أن أطردهم
 لاسترضائكم.

﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ﴾: عما تقول.
 ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾^(٤): من المشتومين، أو المضروبين بالحجارة.
 ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾^(٥): إظهاراً لما يدعو عليهم لأجله، وهو تكذيب
 الحق، لاتخويفهم له واستخفافهم عليه.

﴿فَأَفْتَحْ بَيْتِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾: [فاحكم بيني وبينهم]^(٦) من الفتاحة^(٧).
 ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨): من قصدهم، أو شؤم عملهم.
 ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾^(٩): المملوء.
 وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٠): في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام^(١١) في
 قوله: «الفلك المشحون» المشحون المجهز الذي قد فرغ منه ولم يبق إلا دفعه^(١٢).

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: إنجائه.
 ﴿الْبَاقِينَ﴾^(١٣): من قومه.
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾: دلالة واضحة على توحيد الله.
 ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١٤) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: في إهلاك قوم نوح.

١. ليس في س، أ. ٢. أي النصرة.

٣. س، أ: وعن.

٤. تفسير القمي، ١٢٥/٢.

٥. كذا في تفسير الصافي ٤٥/٤. ونور الثقلين ٦٢/٤، ح ٧٢. وفي المصدر والنسخ: رفعه.

﴿الرَّحِيمِ﴾^(١٣١): في إنجائه نوحاً ومن معه في الفلك.

﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(١٣٢): أنه باعتبار القبيلة، وهو في الأصل اسم أبيهم.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(١٣٣) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(١٣٤) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا﴾^(١٣٥) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٣٦): تصدير

القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما

يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده^(١) عن عقابه، وكان الأنبياء متفقين على ذلك، وإن

اختلفوا في بعض التفاريع، مبرئين عن المطامع^(٢) الدنيئة والأغراض^(٣) الدنيوية.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٤)، بإسناده إلى محمد بن الفضل^(٥) عن أبي

حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام:

وقال نوح: إن الله تبارك وتعالى باعث نبياً يقال له: هود، وإنه يدعوا قومه إلى الله ﷻ

فيكذبونه، وإن الله ﷻ يهلكهم^(٦) بالريح، فمن أدركه منكم فليؤمن به وليتبعه، فإن الله

تبارك وتعالى ينجي من عذاب الريح. وأمر نوح ابنه سام أن يتعاهد هذه الوصية عند

رأس كل سنة، ويكون يوم عيد لهم فيتعاهدون فيه بعث هود وزمانه الذي يخرج فيه،

فلما بعث الله تبارك وتعالى هوداً نظروا فيما عندهم من العلم والإيمان وميراث العلم

والاسم الأكبر وآثار علم النبوة فوجدوا هوداً نبياً، وقد بشرهم أبوه نوح به، [فأمّنوا

به]^(٧) وصدّقوه وأتبعوه فنجوا من عذاب الريح، وهو قول الله ﷻ: «وإلى عاد أخاهم

هوداً». وقوله: «كَذَّبَتْ عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون».

وفي روضة الكافي^(٨): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمد بن

١. في م: زيادة «ويدعوه».

٢. كذا في أنوار التنزيل ٢. وفي س، أ، م، ن: المطامع. وفي غيرها: المطارمة.

٣. ن: الأغراض. ٤. كمال الدين ٢١٦، ح ٢.

٥. المصدر: الفضيل. ٦. المصدر: مهلكهم.

٧. ليس في س، أ. ٨. الكافي ١١٦/٨، ح ٩٢.

الفضل^(١)، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله.

﴿اتَّبَتُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: مكان مرتفع. ومنه: ريع الأرض، لارتفاعها.

﴿آيَةً﴾: علماً للمآزة.

﴿تَعْبَثُونَ﴾^(٢): يبنائها، إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها.

أو بروج الحمام. أو بنياناً يجتمعون إليه للعبث بمن يمرّ عليهم. أو قصوراً يفتخرون بها.

وفي مجمع البيان^(٣): «آية تعبثون» أي بناء لا تحتاجون إليه لسكناكم وأنما تريدون العبث بذلك واللعب واللهو؛ كأنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثاً منهم... عن ابن عباس في رواية عطاء.

ويؤيده الخبر المأثور^(٤)، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ خرج فرأى قبّة فقال: ما هذه؟ قال^(٥) له أصحابه، هذا للرجل^(٦) من الأنصار.

فمكث حتّى إذا جاء صاحبها فسلم على الناس أعرض عنه، وصنع ذلك به مراراً حتّى عرف الرجل الغضب به^(٧) والإعراض عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه وقال: والله، إنّي لأنكر نظر رسول الله ﷺ ما أدري ما حدث فيّ وما صنعت؟^(٨)

قالوا: خرج رسول الله ﷺ فرأى قبّتك، فقال: لمن هذه؟ فأخبرناه.

فرجع إلى قبّته فسوّاها بالأرض، فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم ير القبّة، فقال: ما فعلت القبّة التي كانت هاهنا؟

قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه، فأخبرناه فهدمها.

فقال: إنّ كلّ^(٩) يبنّى وبال على صاحبه يوم القيامة إلّا ما لا بدّ منه.

١. المصدر: الفضيل.

٢. المجمع، ١٩٨/٤.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: فقالوا.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: الرجل.

٦. ليس في المصدر.

٧. ن، المصدر: صنعت.

٨. المصدر: لكلّ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): «وأما قوله: «بكل ريع» قال الإمام أبو جعفر عليه السلام يعني: بكل طريق آية، والآية علي عليه السلام. ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: مأخذ الماء. وقيل^(٢): قصوراً مشيدة وحصوناً. ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾^(٣): فتحكمون بنيانها. ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ﴾: بسوط أو سيف. ﴿بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾^(٤): متسلطين غاشمين بلا رافة، ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): وقوله ﷻ: «وإذا بطشتم بطشتم جبارين» قال: تقتلون بالغضب من غير استحقاق. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بترك هذه الأشياء. ﴿وَأَطِيعُوا﴾^(٦): فيما أَدْعُوكم إليه، فإنه أنفع لكم. ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾^(٧): كرّره مرتباً عليه إمداد الله تعالى إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم، تعليلاً وتنبهاً على الوعد عليه بدوام الإمداد، والوعيد على تركه بالانقطاع.

ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساوئهم المدلول عليها إجمالاً بالإنكار في «أَلَا تَتَّقُونَ» مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى، فقال: ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنٍ﴾^(٨) ﴿وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾^(٩): ثم أوعدهم فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١٠): في الدنيا والآخرة، فإنه كما قدر على الإنعام قدر على الانتقام.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (٣٧): فَإِنَّا لَا نَرَعُوي (١) عَمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ.

وتغيير شقّ النفي (٢) عَمَّا تقتضيه المقابلة، للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه.
﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٧): ما هذا الذي جئتنا به إِلَّا كَذِبُ الْأَوَّلِينَ. أو ما خلقنا هذا إِلَّا خلقهم نحيا ونموت مثلهم، ولا بعث ولا حساب.
وقرأ (٣) نافع وابن عامر وعاصم وحمزة: «خُلُقُ» بضمّتين؛ أي ما هذا الذي جئت به إِلَّا عادة الأولين كانوا يلقون (٤) مثله. أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إِلَّا خلق الأولين وعاداتهم، ونحن بهم مقتدون. أو ما هذا الذي نحن عليه من (٥) الحياة والموت إِلَّا عادة قديمة لم يزل الناس عليها.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (٣٨): على ما نحن عليه.
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾: بسبب التكذيب بريح صرصر.
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣٩) ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٤٠)
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٤١) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٤٢) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (٤٣) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾ (٤٤) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٥) ﴿اتَّقُوا اللَّهَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾ (٤٦): إنكار لأن يتركوا كذلك. أو تذكير (٦) بالنعمة في تخلية الله تعالى إياهم في أسباب تنعمهم آمين، ثم فسرّها بقوله:
﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤٧) ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ (٤٨): لطيف لئلا للطف التمر. أو لأن النخل أنثى، وطلع إناث النخل [الطف].

١. أي لا تكف ولا ترتدع.

٢. يعني مقتضى المقابلة أن يقال: أوعظت أم لم تعظ. لكنّه غير إلى ما ذكر للمبالغة، فإنّ المعنى حينئذ: أم لم

تكن من جنس الواعظين. ٣. أنوار التنزيل، ١٦٤/٢.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: يلقونه.

٥. ليس في س، أ.

٦. فيكون الاستفهام للتقرير.

وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنان^(١) أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾^(٣١): بطرين. أو حاذقين، من الفراهة: وهي النشاط، فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب.

وقرى^(٢): «فرهين» وهو أبلغ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٣٢) ﴿وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣٣): استعير الطاعة التي هي انقياد الأمر، لامثال الأمر. أو نسب حكم الأمر إلى أمره مجازاً.

﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: وصف موضح لإسرافهم، ولذلك عطف.

﴿وَلَا يُضْلِحُونَ﴾^(٣٤): على «يفسدون» دلالة على خلوص فسادهم.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^(٣٥): الذين سُحِّروا كثيراً حتى غلب على عقولهم.

أو من ذوي السحر، وهي الرثة؛ أي من الأناسي. [والمراد أنه كثير]^(٣) فيكون.

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: تأكيد له.

﴿فَأَنْتَ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣٦): في دعواك.

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾: أي بعدما أخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه؛ كما اقترحوها.

﴿لَهَا شَرِبٌ﴾: نصيب من الماء.

وقرى^(٤) بالضم.

﴿وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾^(٣٧): فاقنصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها.

وفي مجمع البيان^(٥): وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إنه أول عين نبعت في

الأرض هي التي فجرها الله ﷻ لصالح، فقال: «لها شرب ولكم شرب يوم معلوم».

﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾: كضرب وعقر.

٢. أنوار التنزيل، ١٦٤/٢.

٤. أنوار التنزيل، ١٦٤/٢.

١. ليس في أ.

٣. ليس في س، أ، م.

٥. المجمع، ٢٠٠/٤.

﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ (١٦١): عَظُمَ اليوم لعظم ما يحل فيه، وهو أبلغ من تعظيم العذاب.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أسند العقير إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقرها برضاهم، ولذلك أخذوا جميعاً.

﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ (١٦٢): على عقرها، خوفاً من حلول العذاب لا توبة. أو عند معاينة العذاب، ولذلك لم ينفعهم.

وفي نهج البلاغة^(١): قال عليه السلام: أيها الناس، إنما يجمع الناس الرضا والسخط. وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعصمهم الله بالعذاب لما عصموا بالرضا، فقال سبحانه: «فعقروها فأصبحوا نادمين». فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة^(٢).

﴿فَلَاخِذْهُمْ الْعَذَابُ﴾: أي العذاب الموعود.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٦٣) ﴿وَأَنَّ رِبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٤): قيل^(٣): في نفي الإيمان عن أكثرهم [في هذا المعرض]^(٤) إيماؤه بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب، وأن قريشاً إنما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٦٥) ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٦٦) ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (١٦٧) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾ (١٦٨) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٩) ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١٧٠): أي أتأتون من بين [من]^(٥)

١. النهج ٣١٩، الخطبة ٢٠١.

٢. قال ابن أبي الحديد في شرحه ٥٨٩/٢: خارت أرضهم؛ أي صوّتت كما يخور الثور. وشبهه عليه السلام ذلك بصوت السكة المحماة في الأرض الخوارة، وهي اللينة، وإنما جعلها محماة لتكون أبلغ في ذهابها في الأرض ومن كلامه عليه السلام يوم خيبر بقوله لرسول الله ﷺ وقد بعثه بالراية أكون في أمرك كالسكة المحماة في الأرض - إلى آخر ما ذكره - وقد أعقب كلامه بعلّة طبيعيّة لذلك.

٣. أنوار التنزيل، ١٦٥/٢.

٤. من المصدر.

٥. من نفس المصدر والموضع.

عداكم من العالمين الذكران لا يشاركنكم فيه غيركم. أو تأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم؛ فالمراد بالعالمين على الأول: كل من ينكح، وعلى الثاني: الناس.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾: لاستمتاعكم.

﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾: للبيان إن^(١) أريد به جنس الإناث. أو للتبعض إن أريد العضو المباح منهن، فيكون تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضاً.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾^(٢): متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات. أو مفرطون في المعاصي، وهذا من جملة ذلك. أو أحقأ بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾: عما تدعيه. أو عن نهينا. أو تقبيح أمرنا.

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَخْرُجِينَ﴾^(٣): من المنفيين من بين^(٤) أظهرنا. ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾^(٥): من المبغضين غاية البغض. وهو أبلغ من أن [يقول: إني]^(٦) لعملكم، قال: لدلالته على أنه معدود في زميرتهم، مشهور بأنه من جملتهم.

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَفْعَلُونَ﴾^(٧): أي من شؤمه وعذابه.

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾^(٨): أهل بيته والمتبعين له على دينه بإخراجهم من بينهم

وقت حلول العذاب بهم.

﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: هي امرأة لوط.

﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾^(٩): مقدرة^(١٠) في الباقيين في العذاب، إذ أصابها حجر في الطريق

١. كذا في نفس المصدر والموضع. وفي النسخ: ما.

٢. ليس في س، أ، م، ن. ٣. ليس في أ.

٤. كذا في أنوار التنزيل ١٦٥/٢. وفي النسخ: مقورة.

فأهلكها، لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم.

وقيل ^(١): لأنها كانت تدلّ أهل الفساد على أضيافه.

وقيل ^(٢): كائنة ^(٣) فيمن بقي ^(٤) في القرية، فإنها لم تخرج مع لوط.

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ ^(٥٧): أهلكناهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: قيل ^(٥): أمطر الله على شذاد القوم حجارة فأهلكهم.

﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ ^(٥٨): «اللام» فيه للجنس حتى يصحّ وقوع المضاف إليه

فاعل «ساء». والمخصوص بالذم محذوف، وهو مطرهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ^(٥٩) ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ^(٦٠)

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ^(٦١): «الأيكة» غيضة تنبت ناعم الشجر؛ يريد

غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة، فبعث الله إليهم شعبياً ^(٦٢) كما بعث إلى مدين، وكان أجنبياً منهم، فلذلك قال:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ^(٦٣): ولم يقل: أخوهم شعيب.

وقيل: الأيكة شجر ملتف، وكان شجرهم الدوم ^(٦٤) وهو المقل.

وقرأ ^(٦٥): ابن كثير ونافع وابن عامر: [«ليكة»] ^(٦٦) بحذف الهمزة، وإلقاء حركتها على

اللام.

وقرئت ^(٦٧) كذلك مفتوحة، على أنها ليكة، وهي اسم بلدتهم، وإنما كتبت هاهنا

وفي «ص» بغير الألف إتباعاً للفظ.

١. المجمع، ٢٠١/٤.

٢. أنوار التنزيل، ١٦٥/٢.

٣. ن، المصدر: كانت.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: بقيت.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. الدوم: شجر عظام من الفصيلة النخيلية، يكثر في صعيد مصر وفي بلاد العرب وثمرته في غلظ التفاحة

ذات قشر صلب أحمر، وله نواة ضخمة ذات لب إسفنجي، ويسمى حملة المقل.

٧. نفس المصدر والموضع.

٨. من المصدر.

٩. نفس المصدر والموضع.

وفي جوامع الجامع ^(١): «كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب» وفي الحديث: أَنَّ شُعَيْباً أَخَا مَدْيَنَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى أَصْحَابِ الْآيَةِ.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ^(٧٨) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ^(٧٩) ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمُونِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٨٠) ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: أتموه.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ^(٨١): حقوق الناس بالتطفيف.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْفُسًا مُمْتَنِينَ﴾ ^(٨٢): بالميزان السوي. وهو إن كان عربياً، فإن كان من «القسط» ففعلاس بتكرير العين، وإلا ففعلال.

وقرأ ^(٨٣) حمزة والكسائي وحفص، بكسر القاف.

﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: [ولا تنقصوا شيئاً] ^(٨٤) من حقوقهم.

﴿وَلَا تَغْتَوَا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ^(٨٥): بالقتل والغارة وقطع الطريق.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولِينَ﴾ ^(٨٦): ذوي الجبل الأولى؛ يعني من تقدمهم من الخلائق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٨٧): «واتقوا الذي خلقكم والجبل الأولى» قال: الخلق الأولين.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ ^(٨٨) ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾: أتوا «بالواو» للدلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه.

﴿وَأَنْ نُّظَنُّكَ لِمَنِ الْكَافِرِينَ﴾ ^(٨٩): في دعوته.

﴿فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: قطعة منها. ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد.

وقرأ ^(٩٠) حفص بفتح السين.

٢. أنوار التنزيل، ١٦٦٢.

١. الجوامع، ٣٣٢.

٤. تفسير القمي، ١٢٣/٢.

٣. من المصدر.

٥. أنوار التنزيل، ١٦٦٢.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) : في دعواك .

﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢) : وبعباده المنزل عليكم مما أوجبه لكم عليه في وقته المقدّر له لامحالة .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾ : على نحو ما اقترحوا ، بأن سلّط الله عليهم الحرّ سبعة أيام حتّى غلت أنهارهم ، وأظلمتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١) : وقوله ﷻ : «فَكَذَّبُوهُ» قال : قوم شعيب . «فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ» قال^(٢) : يوم حرّ وسمائم^(٣) .

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٤) : في تفسير عليّ بن إبراهيم^(٤) : وأمّا قوله ﷻ : «عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ» فبلغنا ، والله أعلم ، أنّه أصابهم حرّ وهم في بيوتهم ، فخرجوا يلتمسون الروح من قبل السحابة التي بعث الله ﷻ فيها العذاب ، فلمّا غشيتهم^(٥) أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، وهم قوم شعيب .

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٦) ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾^(٧) : هذا آخر القصص السبع المذكورة على [سبيل]^(٨) الاختصار ، تسليّة لرسول الله ﷺ وتهديداً للمكذّبين به ، وإطّراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به^(٩) يدفع أن يقال : إنّهُ كان بسبب اتّصالات فلكيّة ، أو كان ابتلاءً لهم^(١٠) لا مؤاخذه على تكذيبهم .

﴿وَأَنَّهُ لَنَتَنَزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١١) ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(١٢) ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ : تقرير

١ . تفسير القرطبي ، ١٢٣/٢ - ١٢٤ .

٢ . ليس في م .

٣ . السمائم - جمع السموم - : الريح الحارّة . والحرّ الشديد النافذ في المسام .

٤ . تفسير القرطبي ، ١٢٥/٢ .

٥ . كذا في المصدر . وفي النسخ : غشيتهم .

٦ . من أنوار التنزيل ، ٢ .

٧ . ليس في أ .

٨ . ن : ابتلاءهم .

لِحَقِيقَةٍ^(١) تلك القصص، وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ. فَإِنَّ الإِخْبَارَ عَنْهَا مِمَّنْ لَمْ يَتَعَلَّمْهَا لَا يَكُونُ إِلَّا وَحْيًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى.

و«القلب» إن أراد به الروح، فذاك. وإن أراد به العضو، فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح، ثم تنتقل إلى القلب لما بينهما من التعلق، ثم تتصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها نوح^(٢) المتخيَّلة.

و«الروح الأمين» [جبرئيل عليه السلام] فإنه أمين الله على وحيه.

وقرأ^(٣) ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاء، ونصب الروح الأمين^(٤).

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٥): عما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَابِر^(٦)، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ^(٧) عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَأَنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ» قال: الولاية التي^(٨) نزلت لأُمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٩): واضح المعنى، لئلا يقولوا: ما نصنع بما لانفهمه. فهو متعلق «بنزل».

ويجوز أن يتعلّق «بالمُنْذِرِينَ» أي لتكون ممن أنذروا بلغة العرب، وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد ﷺ.

وفي أصول الكافي^(٩): عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ حَنَّانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ سَالِمِ الْحَنَاطِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي

٢. كذا في أنوار التنزيل. وفي النسخ: الروح.

٤. ليس في أ.

٦. المصدر: حسان (حنان).

٨. ليس في المصدر.

١. س، أ، م: لحقيقة.

٣. أنوار التنزيل، ١٦٦/٢.

٥. تفسير القمي، ١٢٤/٢.

٧. ن: أبي جعفر.

٩. الكافي ٤١٢/١، ح ١.

جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى: «نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين». قال: هي الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام.

علي بن محمد^(١)، عن صالح بن أبي حماد، عن الحجاج، عن ذكره، عن أحدهما عليه السلام قال: سأله عن قول الله تعالى: «بلسان عربي مبين». قال: يبين الألسن ولا يبينه الألسن.

وفي كتاب علل الشرائع^(٢)، بإسناده إلى مسلم بن خالد المكي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولا وحياً إلا بالعربية، فكان يقع في مسامع الأنبياء عليهم السلام [بالسنة قومهم]^(٣) وكان يقع في مسامع نبينا عليه السلام بالعربية. فإذا كلم به قومه كلمهم بالعربية، فيقع في مسامعهم بلسانهم، وكان أحد^(٤) لا يخاطب رسول الله عليه السلام بأي لسان خاطبة إلا وقع في مسامعه بالعربية، كل ذلك يترجم جبرئيل عليه السلام «عنه تشريفاً من الله تعالى له عليه السلام».

﴿وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾^(٥) وَإِنْ ذَكَرَهُ أَوْ مَعْنَاهُ لَفِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

وفي بصائر الدرجات^(٦): محمد بن أحمد، عن العباس بن معروف، عن الحسن بن محبوب، عن حنان بن سدير، عن سالم^(٧)، عن أبي محمد [بن أحمد]^(٨) قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن الولاية أنزل بها جبرئيل عليه السلام من عند رب العالمين يوم الغدير؟ فقال: «نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين» قال: هي الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٩): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا حميد بن زياد، عن

١. نفس المصدر ٦٣٢/٢، ح ٢٠.

٢. العلل ١٢٦، ح ٨.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: أخذنا.

٥. البصائر ٩٣، ح ٦.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: سائر.

٧. ليس في المصدر.

٨. تأويل الآيات ٣٩١/١-٣٩٢، ح ١٦.

الحسن بن محمد بن سماعة، عن حنان بن سدير، عن أبي محمد الحنّاط^(١) قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله ﷻ: «نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنّه لفى الأولين». قال: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

محمد بن يعقوب عليه السلام^(٢)، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولا إلا بنبوّة محمد وولاية وصيه^(٣) صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الأبرار صلاة باقية ما بقي الليل والنهار.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾: على صحّة القرآن. أو نبوّة محمد ﷺ.

﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٤): أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم. وهو

تقرير لكونه دليلاً.

وقرأ^(٥) ابن عامر: «تكن» بالتاء، و«آية» بالرفع على أنّه الاسم والخبر «لهم» و«أن يعلمه» بدل، أو الفاعل و«أن يعلمه» بدل و«لهم» حال، أو أنّ الاسم ضمير القصة و«آية» خبر «أن يعلمه» والجملة خبر «تكن»^(٦).

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾^(٧): كما هو زيادة في إعجازه. أو بلغة العجم.

﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾^(٨): لفرط عنادهم واستكبارهم. أو لعدم فهمهم

واستنكافهم من اتباع العجم.

و«الأعجمين» جمع أعجم، على التخفيف ولذلك جُمع جمع السلامة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩) وقوله: «ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه

عليهم ما كانوا به مؤمنين» قال الصادق عليه السلام: لو أنزلنا^(١٠) القرآن على العجم ما آمنتم به

١. م: الخياط.

٢. نفس المصدر والموضع، ح ١٧.

٣. المصدر: «وصيّة علي» بدل «ولاية وصيه».

٤. أنوار التنزيل، ١٦٧/٢.

٥. المصدر: يكن.

٦. تفسير القمي، ١٢٤/٢.

٧. المصدر: أنزل.

العرب، وقد نزل على العرب فأمنت به العجم، فهذه فضيلة العجم.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾: أدخلناه.

﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٢): قيل (١): الضمير للكفر المدلول عليه بقوله: «ما كانوا

به مؤمنين».

وقيل (٢): للقرآن؛ أي أدخلناه فيها، [بأن أمرنا النبي ﷺ أن أقرأه عليهم وبيّنه لهم] (٣)

فعرفوا معانيه وأعجازه ثم لم يؤمنوا به عناداً.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٣): الملجئ إلى الإيمان.

﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: في الدنيا والآخرة.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٣٤): بآتيانه.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ (٣٥): تحسراً وتأسفاً.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٣٦): فيقولون: «أمطر علينا حجارة». «فأثنتا بما تعدنا».

وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (٣٧) ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٣٨) ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ

مَا كَانُوا يُمْتَنُونَ﴾ (٣٩): لم يغن عنهم تمتعهم المستطال (٤٠) في دفع العذاب وتخفيفه.

وفي الكافي (٤١): أحمد بن محمد، عن علي بن الحسين، عن محمد بن الوليد

ومحمد بن أحمد، عن يونس بن يعقوب، عن علي بن عيسى القمّاط، [عن عمه] (٤٢) عن

أبي عبدالله عليه السلام قال: أرى (٤٣) رسول الله ﷺ في منامه بني أمية يصعدون على منبره من

بعده ويضلون الناس عن الصراط القهقري، فأصبح كئيباً حزيناً.

قال: فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله، ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ قال: يا

١. أنوار التنزيل، ١٦٧/٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. ليس في المصدر.

٤. أي المتطاوّل.

٥. الكافي، ١٥٩/٤، ح ١٠.

٦. ليس في م.

٧. المصدر: رأى.

جبرائيل، إِنِّي رَأَيْتُ بَنِي أُمِّيَّةٍ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ يَصْعَدُونَ مِنْبَرِي مِنْ^(١) بَعْدِي وَيُضْلَوْنَ النَّاسَ عَنِ الصِّرَاطِ الْقَهْقَرِيِّ.

فقال: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا، مَا أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ. فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ بَأْيَ مِنَ الْقُرْآنِ يُؤْنِسُهُ بِهَا، قَالَ: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ» وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ». جَعَلَ اللَّهُ ﷻ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِنَبِيِّهِ ﷺ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَلِكِ بَنِي أُمِّيَّةٍ.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال محمد بن العباس ﷺ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ، عَنْ مَعْلَى بْنِ خَنِيسَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﷻ: «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ». قَالَ: خُرُوجَ الْقَائِمِ ﷺ. «مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ» قَالَ: هُمْ بَنُو أُمِّيَّةِ الَّذِينَ مُتَّعُوا فِي دُنْيَاهُمْ.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾^(٣): أَنْذَرُوا أَهْلَهَا إِرْزَامًا لِلْحَجَّةِ.

﴿ذِكْرِي﴾: تَذَكُّرَةٌ.

ومحلها النصب على العلة، أو المصدر لأنها في معنى الإنذار. أو الرفع على أنها صفة «منذرون» بإضمار «ذو» أو بجعلهم^(٣) ذكرى لإمعانهم في التذكرة. أو خبر محذوف، والجملة اعتراضية.

﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٤): فَهَلْكَ غَيْرِ الظَّالِمِينَ، أَوْ قَبْلَ^(٤) الْإِنْذَارِ.

﴿وَمَا تَنْزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾^(٥): كَمَا زَعَمَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ مَا يُلْقِي الشَّيَاطِينُ

على الكهنة.

٢. تأويل الآيات ٣٩٢/١، ح ١٨.

١. ليس في م.

٣. أ، ن: يجعلهم. م: نجعلهم.

٤. كذا في أنوار التنزيل ١٦٧/٢. وفي أ، م: وقيل. وفي سائر النسخ: وقبل.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾: وما يصلح لهم أن ينزلوا به.

﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٣): وما يقدرُونَ.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾: لكلام الملائكة.

﴿لَمَعَزُوْلُونَ﴾^(٤): لأنه مشروط بمشاركة في صفاء^(١) الذات وقبول فيضان الحق

والانتقاش بالصور الملكوتية، ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك، والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لايمكن تلقّيها إلا من الملائكة.

﴿فَلَا تَذُعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾^(٥): تهيج لازدياد الإخلاص،

ولطف لسائر المكلفين.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٦): الأقرب منهم فالأقرب، فإن الاهتمام بشأنهم أهم.

روي^(٧): أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذأ فخذأ^(٨) حتى اجتمعوا إليه، فقال:

لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم^(٩) مصدقي؟

قالوا: نعم.

قال: فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): وقوله: «وأنذر عشيرتك الأقربين» قال: نزلت:

«ورحطك^(٦) المخلصين».

قال: نزلت بمكة فجمع رسول الله ﷺ بني هاشم، وهم أربعون رجلاً، كل واحد

منهم يأكل الجذع ويشرب القرية^(٧)، فاتخذ لهم طعاماً يسيراً [بحسب ما أمكن]^(٨)

فأكلوا^(٩) حتى شبعوا، فقال رسول الله ﷺ: من يكون وصيي ووزيري وخليفتي؟ فقال

٢. أنوار التنزيل، ١٦٨/٢.

١. س، أم، ن: صفات.

٤. كذا في س، أم، المصدر. وفي غيرها: لكتم.

٣. ليس في أ.

٦. في المصدر: زيادة «منهم».

٥. تفسير القمي، ١٢٤/٢.

٧. الجذع - محرّكة - من البهائم ما قبل الثني. والقرية: الوطى يستقّى به الماء.

٩. المصدر: وأكلوا.

٨. ليس في المصدر.

أبو لهب: جزماً سحرکم^(١) محمد.

فتفرقوا، فلما كان اليوم الثاني أمر رسول الله ﷺ ففعل بهم مثل ذلك، ثم سقاهم اللبن حتى رويوا، فقال لهم رسول الله ﷺ: أيكم يكون وصي وزيري وخليفتي؟ [فقال أبو لهب: جزماً سحرکم محمد.

فتفرقوا، فلما كان اليوم الثالث أمر رسول الله ﷺ ففعل بهم^(٢) مثل ذلك، ثم سقاهم اللبن فقال لهم رسول الله ﷺ: أيكم يكون وصي وزيري وخليفتي^(٣)]^(٤) وينجز عداتي ويقضي ديني؟

فقام علي صلوات الله عليه، وكان أصغرهم سناً وأحمشهم^(٥) ساقاً وأقلهم مالاً، فقال: أنا، يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: أنت هو.

وفي كتاب علل الشرائع^(٦)، بإسناده إلى عبد الله بن الحرث بن نوفل، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت: «وأنذر عشيرتک الأقربين ورهطک المخلصين» دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، وهم إذ ذاك أربعون رجلاً يزيدون^(٧) رجلاً^(٨) أو ينقصون رجلاً، فقال: أيكم أخي ووارثي ووزير ووصي وخليفتي فيكم بعدي؟ فعرض عليهم [ذلك]^(٩) رجلاً رجلاً، كلهم يأبى ذلك، حتى أتى علي. فقلت: أنا، يا رسول الله.

فقال النبي لبني^(١٠) عبد المطلب: هذا أخي ووارثي [ووصي]^(١١) ووزير وخليفتي فيكم بعدي.

١. في البحار ١٨١/١٨: «هذا ما سحرکم» بدل «جزماً سحرکم».

٢. المصدر: لهم.

٣. ليس في المصدر.

٤. يوجد في، المصدر.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: أخمسهم. وحشمت الساق: دقت.

٦. العلل ١٧٠، ح ٢.

٧. يوجد في م.

٨. ليس في م.

٩. من المصدر.

١٠. المصدر: «يأبى» بدل «النبي لبني».

١١. من المصدر.

فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام!

وفي مجمع البيان^(١): «وأنذر عشيرتك الأقربين» وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب أنه قال: لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب، وهم يومئذ أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المسنة^(٢) ويشرب العس^(٣)، فأمر علياً عليه السلام برجل شاة فأدماها^(٤)، ثم قال: ادنوا بسم الله. فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بقعب^(٥) من لبن فجرع منه جرعة، ثم قال لهم: اشربوا بسم الله. فشربوها حتى روا، فبدرهم أبولهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل. فسكت ﷺ يومئذ ولم يتكلم. ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب، ثم أنذرهم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبدالمطلب، إني أنا النذير إليكم من الله ﷻ والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا.

ثم قال: من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي من بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني. فسكت القوم، فأعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت^(٦) القوم، ويقول علي: أنا. فقال في المرة الثالثة: أنت. فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمره عليك. وأورده الثعلبي في تفسيره.

وروي^(٧) عن أبي رافع هذه القصة، وأنه جمعهم في الشعب^(٨) فصنع لهم رجل شاة فأكلوا حتى تضرعوا^(٩) وسقاهم عساً فشربوها كلهم حتى روا، ثم قال: إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي [الأقربين وأنتم عشيرتي]^(١٠) ورهطي، وإن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له

١. المجمع، ٢٠٦/٤.

٢. المسنة من أولاد المعز: ما بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي.

٣. العس: القدح الكبير.

٤. آدم الخبز: خلطه بالأدام.

٥. القعب: القدح الضخم الغليظ.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: سكت.

٧. نفس المصدر والموضع.

٨. الشعب: انفراج بين جبلين.

٩. تضرع الرجل: امتلأ شبعاً ورياً.

١٠. من المصدر.

من أهله أخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً وخليفة في أهله، فأنيكم يقوم ويبايعني على أنه أخي ووارثي ووزير ووصي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانسبي بعدي؟ فسكت القوم.

فقال: ليقومن قائمكم أو ليكون في غيركم ثم لتندمن. ثم أعاد الكلام ثلاث مرّات^(١) فقال^(٢) عليّ عليه السلام: أنا^(٣).

فقال: ادن مني. [فدنا منه]^(٤) ففتح^(٥) فاه ومجّ فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه.

فقال أبو لهب: بشس ما حبوت به^(٦) ابن عمك أن أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً. فقال عليه السلام: ملأته حكمة وعلماً.

وعن ابن عباس^(٧) [قال]^(٨): لما نزلت الآية صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصفا فقال: يا صباحاه^(٩). فاجتمعت إليه قريش فقالوا: ما لك؟

فقال: رأيتمكم إن أخبرتمكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقونني؟ قالوا: بلى.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

قال أبو لهب: تبّاً لك، ألهذا دعوتنا جميعاً؟! فأنزل الله تعالى: «تبّت يدا أبي لهب وتبّ» إلى آخر السورة.

وفي قراءة^(١٠) عبدالله [ابن مسعود]^(١١): «وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك^(١٢)»

١. من المصدر.

٢. في المصدر: «فبايعه وأجابه» بدل «أنا».

٣. ليس في أ.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. في لسان العرب: هذه كلمة تقولها العرب إذا صاحوا للغارة لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح، ويسمّون

يوم الغارة: يوم الصباح.

٦. ١٠. المجمع، ٢٠٦/٤.

٧. ١٢. في المصدر: زيادة «منهم».

المخلصين». وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة حديث طويل، وفيه قالت العلماء: فأخبرنا هل فسر الله الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطل في اثني عشر [موطناً و]^(٢) موضعاً، فأول ذلك قوله عليه السلام: «وأندر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين». هكذا في قراءة أبي بن كعب، وهي ثابتة في مصحف عبد الله بن مسعود، وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عالٍ حين عنى الله عليه السلام بذلك: الآل^(٣)، فذكره [الرسول الله]^(٤) عليه السلام فهذه واحدة. وفي الأمالي^(٥)، مثله سواء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦)، وقوله: «ورهطك منهم المخلصين»^(٧). قال: علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وحمزة وجعفر والحسن والحسين والأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): محمد بن العباس عليه السلام عن محمد بن الحسين الخثعمي، عن عباد بن يعقوب، عن الحسن بن حماد، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عليه السلام^(٩): «ورهطك منهم المخلصين» قال: علي وحمزة وجعفر والحسن والحسين وآل محمد صلوات الله عليهم خاصة.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٠): لئن جانبك لهم. مستعار من خفض الطائر جناحيه^(١١): إذا أراد أن ينحط.

٢. من المصدر.

١. العيون ١/١٨١، ح ١.

٤. من المصدر.

٣. المصدر: الإنذار.

٦. تفسير القمي، ١٢٦/٢.

٥. أمالي الصدوق ٤٢٣، ح ١.

٨. تأويل الآيات ٣٩٥/١، ح ٢١.

٧. في النسخ والمصدر: المخلصون.

١٠. ن: جناحه.

٩. في المصدر: «قال» بدل «في قوله».

و«مِن» للتبيين، لأنَّ من اتَّبَعَ أَعْمَ مِمَّنْ اتَّبَعَ لدين أو غيره. أو للتبعض، على أنَّ المراد من المؤمنين: المشارفون للإيمان، أو المصدَّقون باللسان.

وفي مصباح الشريعة^(١): قال الصادق عليه السلام: وقد أمر الله أعزَّ خلقه وسيد بريته محمداً ﷺ بالتواضع، فقال ﷺ: «واخفض جناحك لمن اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». والتواضع مزرعة الخشوع^(٢) والخشية والحياء^(٣)، وأنَّهنَّ لا يَنْبَتُنَّ^(٤) إلَّا منها وفيها، ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلَّا للمتواضع في ذات الله تعالى. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾: ولم يتبعوك.

﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٥): ممَّا تعملونه، أو من أعمالكم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): «فإن عصوك» يعني من بعدك في ولاية علي والأئمة صلوات الله عليهم [من ذريته]^(٦) «فقل إنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ». ومعصية رسول الله ﷺ وهو ميت؛ كمعصيته وهو حي.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾^(٧): الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى قَهْرِ أَعْدَائِهِ وَنَصْرِ أَوْلِيَائِهِ، يكفك^(٧) شرَّ من يعصيك منهم ومن غيرهم.

وقرأ^(٨) ابن عامر ونافع «فتوكَّل» على الإبدال من جواب الشرط.

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾^(٨): في صلواتك.

وقيل^(٩): حين تقوم للإنذار وأداء الرسالة.

وقيل^(١٠): حين تقوم بالليل، لأنَّه لا يطلع عليه أحد غيره.

١. مصباح الشريعة، ٧٤.

٢. في المصدر: زيادة «والخضوع».

٣. ليس في م.

٤. المصدر: لا تبتين.

٥. تفسير القمي، ١٢٦/٢.

٦. من المصدر.

٧. كذا في أنوار التنزيل ١٦٨/٢. وفي النسخ: يكفيك. وهو جواب الأمر أي وتوكَّل يكفك.

٨. أنوار التنزيل، ١٦٨/٢.

٩. المجمع، ٢٠٧/٤.

١٠. المجمع، ٢٠٧/٤.

﴿وَتَقَلِّبْكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ (٣٣): تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود.

والمعنى: يراك حين تقوم إلى الصلاة منفرداً، وإذا صليت في جماعة.
وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام (١) قال: حدثني محمد بن الوليد، عن محمد بن فرات، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الذي يراك حين تقوم» في النبوة «وتقلبك في الساجدين» قال: في أصلاب النبيين صلوات الله عليهم.
وفي مجمع البيان (٢): وقيل: معناه: وتقلبك في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك (٣) نبياً. عن ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالوا: في أصلاب النبيين نبي بعد نبي [حتى أخرجك] (٤) من صلب أبيه، عن (٥) نكاح غير سفاح من لدن آدم.

وروى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي، فأني أراكم من خلفي؛ كما أراكم من أمامي، ثم تلا هذه الآية.
وفي شرح الآيات الباهرة (٦): محمد بن العباس عليه السلام قال: حدثنا محمد بن الحسين (٨) الخثعمي، عن عباد بن يعقوب، عن الحسن بن حماد، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷻ: «وتقلبك في الساجدين» قال: في علي وفاطمة والحسن والحسين وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين.

وروى الشيخ في أماليه (٩)، بإسناده عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين قال: كان ذات يوم جالساً في

١. تفسير القمي، ١٢٥/٢.

٢. المجمع، ٢٠٧/٤.

٣. ليس في أ.

٤. م: أخرجت.

٥. المصدر: من.

٦. تأويل الآيات ٣٩٦/١، ح ٢٣.

٧. كذا في المصدر وجامع الرواة ٩٩/٢. وفي النسخ: الحسن.

٨. أمالي الطوسي ٣١١/١-٣١٢، وج ٣١٢/٢. وتأويل الآيات ٣٩٦/١-٣٩٧، ح ٢٦.

الرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله [به] ^(١) وأبوك يُعَذَّب بالنار، [وابنه قسيم النار] ^(٢).

فقال له: (مه) ^(٣) فضَّ الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه ^(٤) الله فيهم، أبي يُعَذَّب بالنار وابنه قسيم (الجنة) ^(٥) النار؟!!

ثم قال: والذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبياً ^(٦)، إن نور أبي طالب يوم القيامة يطفى أنوار الخلق إلا خمسة أنوار: نور محمد ﷺ ونوري ونور فاطمة ونور بني الحسن والحسين ومن ولده من الأنمة، لأن نوره من نورنا الذي خلقه الله ﷻ من قبل خلق آدم بألفي عام.

وجاء في ابتداء خلق نوره الكريم نبأ ^(٧) عظيم لا يحتمله إلا ذو القلب السليم والدين القويم والطريق المستقيم، يُنبئ عن فضله وفضل أهل بيته عليهم أفضل الصلاة والتسليم، وهو:

ما نقله الشيخ أبو جعفر الطوسي ^(٨) قدس الله روحه: عن الشيخ أبي محمد الفضل بن شاذان، بإسناده، عن رجاله، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الإمام العالم موسى بن جعفر الكاظم صلوات الله عليهما قال: إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد ﷺ من نور اخترعه من نور عظمته وجلاله، وهو نور لاهوتيته الذي تبدى ^(٩) من لاه ^(١٠)؛ أي

١. من تأويل الآيات مع المعقوفتين .

٢. ليس في تأويل الآيات .

٣. من تأويل الآيات مع القوسين .

٤. م: أشفعه .

٥. من تأويل الآيات مع القوسين .

٦. من تأويل الآيات مع المعقوفتين .

٧. كذا في تأويل الآيات . وفي النسخ: بناء .

٨. تأويل الآيات ٣٩٧/١-٣٩٩، ح ٢٧. وعند البحار ٢٨/٣٥، ح ٢٤.

٩. الصحيح: تبدأ.

١٠. ليس في س، أ.

من إلهيته، من إنيته^(١) الذي تبدى^(٢) منه وتجلّى لموسى بن عمران عليه السلام به^(٣) في طور سيناء، فما استقرّ له ولا طاق موسى لرؤيته، ولا ثبت له حتى خرّ صاعقاً^(٤) مغشياً عليه وكان ذلك النور نور محمّد^(٥) عليه السلام.

فلما أراد أن يخلق محمّداً عليه السلام منه، قسّم ذلك النور شطرين: فخلق من الشطر الأول محمّداً، ومن الشطر الآخر عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما. ولم يخلق من ذلك النور غيرهما، خلقهما الله بيده ونفخ فيهما بنفسه من نفسه لنفسه، وصوّرهما على صورتهم، وجعلهما أمناء له وشهداء على خلقه، وخلفاء على خليقته، وعيناً له عليهم، ولساناً له إليهم، قد استودع فيهما علمه وعلمهما البيان واستطلعهما على غيبه (وعلى نفسه)^(٦) وجعل أحدهما نفسه والآخر روحه، لا يقوم واحد بغير صاحبه، ظاهرهما بشريّة وباطنهما لاهوتيّة، ظهرا^(٧) للخلق على هياكل الناسوتيّة^(٨) حتى يطبقوا^(٩) رؤيتهم، وهو قوله: «وللبسنا عليهم ما يلبسون». فهما مقاما^(١٠) ربّ العالمين وحجابا^(١١) خالق الخلائق أجمعين، بهما فتح [الله]^(١٢) بدء الخلق، وبهما يختم الملك والمقادير.

ثم اقتبس من نور محمّد فاطمة ابنته، كما اقتبس نور عليّ^(١٣) من نوره، واقتبس من نور فاطمة [وعليّ]^(١٤) الحسن والحسين؛ كإقتباس المصابيح، هم خُلِقوا من الأنوار

١. كذا في المصدر. وفي أن: نية وفي سائر النسخ: تنه.

٢. الصحيح: تبدّأ. ٣. ليس في المصدر.

٤. المصدر: صعقاً.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: «محمّداً» بدل «نور محمّد».

٦. من المصدر مع القوسين. ٧. س، أ، م، المصدر: ظهوراً.

٨. الناسوت: الطبيعة البشريّة ويقابله اللاهوت بمعنى الألوهيّة.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: يطبقون. ١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: مقام.

١١. كذا في المصدر. وفي ن، م: حجاب. وفي سائر النسخ: حجابي.

١٢. من المصدر. ١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: نوره.

١٤. ليس في م.

وانتقلوا من ظهر إلى ظهر، وصلب إلى صلب، ومن رحم إلى رحم في الطبقة العليا من غير نجاسة، بل نقلاً بعد نقل، لامن ماء مهين ولا نطفة جشرة^(١) كسائر خلقه، بل أنوار انتقلوا من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، لأنهم صفوة الصفوة، اصطفاهم لنفسه وجعلهم خزان علمه وبلغاء عنه إلى خلقه، أقامهم مقام نفسه لأنه لا يرى ولا يدرك ولا تعرف كفيته ولا يئته^(٢)، فهؤلاء الناطقون المبلغون عنه، المتصرفون في أمره ونهيه، فبهم^(٣) يظهر قدرته، ومنهم تُرى آياته ومعجزاته، وبهم ومنهم عرّف عباده نفسه^(٤)، وبهم^(٥) يطاع أمره، ولولا هم ما عرّف الله ولا يدري كيف يُعبد الرحمن، فالله يجري أمره كيف يشاء فيما يشاء «لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون».

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: بما تقوله.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بما تنويه.

﴿هَلْ أَتَيْنَكُم عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾: لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين، أكد ذلك بأن بين أن محمداً ﷺ لا يصح^(٦) لأن يتنزلوا^(٧) عليه من وجهين:

أحدهما أنه إنما يكون على شرير كذاب كثير الإثم، فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواء، وحال محمد ﷺ على خلاف ذلك. وثانيهما قوله:

﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ ﴿٣٣﴾: أي الأفاكون^(٨) يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنوناً وأمارات [لنقصان علمهم]^(٩) فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم

١. م: حشرة. والمصدر: خشرة. وكلها صحيح. فالجشرة والحشرة: أي الوسخة. والخشرة: أي السُّفلة.

٢. كذا في م والمصدر. وفي سائر النسخ: إبيئته. ٣. س، أ، م، ن: فيهم.

٤. البحار: عبادة نفسه. ٥. في س، أ، م: زيادة «صرح».

٦. كذا في س، أ، م، ن. وفي غيرها: يصلح. ٧. ن: ينزلوا.

٨. كذا في أنوار التنزيل ١٦٨/٢. وفي النسخ: الأفكون الكهنة.

٩. من نفس المصدر والموضع.

أشياء لا يطابق أكثرهما؛ كما جاء في الحديث: الكلمة يحفظها الجنّي فيقرّها^(١) في أذن وليّه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة. وليس كذلك محمد ﷺ فإنه أخبر من مغيبات كثيرة لا تحصى، وقد طابق كلّها.

وقد فُسّر الأكثر بالكلّ لقوله: «كلّ أفاك أثيم» والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم، على معنى: أن هؤلاء قلّ من يصدّق منهم فيما يُحكى عن الجنّي.

وقيل^(٢): الضمائر للشياطين؛ أي يلقون السمع إلى الملائكة^(٣) الأعلى قبل أن يرجموا^(٤) فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به إلى أوليائهم. أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ يُسمعونهم، لا على نحو ما تكلمت به الملائكة، لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم. وفي كتاب الخصال^(٥): عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: «هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم» قال: هم سبعة: المغيرة، وبنان، وصائد، وحزمة بن عمارة البربري، والحارث الشامي، وعبد الله بن الحارث، وأبو الخطاب.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^(٦) قيل^(٧): وأتباع محمد ﷺ ليسوا كذلك، وهو استئناف أبطل كونه شاعراً، وقُدّر بقوله:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾^(٨) لأن أكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها، وأغلب كلماتهم في النسب بالحرم^(٩) والغزل والابتهاج^(١٠) وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب^(١١) والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقّه والإطراء فيه، وإليه أشار بقوله:

-
١. كذا في م، أ. وفي سائر النسخ: يقرأها.
 ٢. أنوار التنزيل، ١٦٨/٢.
 ٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: السماء.
 ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: رجما.
 ٥. الخصال ٤٠٢/٢، ح ١١١.
 ٦. أنوار التنزيل، ١٦٩/٢.
 ٧. الحرّم - جمع الحرمة -: المرأة. فالمقصود: النسب بالنساء.
 ٨. الابتهاج: ادعاء الشيء كذباً.
 ٩. كذا في م. وفي سائر النسخ: الإنسان.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣): وكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ، وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء، تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال أربابهما.

وقرأ^(١) نافع «يَتَّبِعُهُمْ» بالتخفيف.

وقرئ^(٢) بالتشديد وتسكين العين، تشبيهاً لتبعه^(٣) بعضد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قال: نزلت في الذين غيروا دين الله^(٥) وخالفوا أمر الله ﷻ. هل رأيتم شاعراً قط تبعه^(٦) أحد؟ إنما عنى بذلك: الذين وضعوا ديناً^(٧) بآرائهم فاتبعهم^(٨) الناس على ذلك.

وفي أصول الكافي^(٩): عن أبي جعفر حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: إنه ليس من يوم وليلة إلا وجميع الجن والشياطين تزور أئمة الضلال، ويزور إمام الهدى عددهم من الملائكة، حتى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى ولي الأمر في^(١٠) خلق الله، أو قال: قبض^(١١) الله ﷻ من الشياطين بعددهم ثم زاروا ولي الضلالة، فأتوه بالإفك والكذب حتى لعله يصيح فيقول: رأيت كذا وكذا. فلو سألت ولي الأمر عن ذلك لقال: رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا. حتى يفسر له تفسيراً، ويعلمه الضلالة التي هو عليها. وفي كتاب معاني الأخبار^(١٢): أبي الله ﷻ قال: حدثنا سعد بن عبدالله^(١٣)، عن محمد بن الحسين أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن حماد بن عثمان، عن أبي

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: له.

١ و٢. أنوار التنزيل، ١٦٩/٢.

٥. في المصدر: زيادة «بآرائهم».

٤. تفسير القمي، ١٢٥/٢.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: دينهم.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يتبعه.

٩. الكافي ٢٥٣/١، ح ٩.

٨. ن، المصدر: فيتبعهم.

١٠. ليس في نور الثقلين ٧٠/٤، ح ١٠٢. والصافي ٥٥/٤.

١١. كذا في س، أ، م، ن، المصدر. وفي غيرها: قبض.

١٣. أ: محمد بن سعد بن عبدالله.

١٢. معاني الأخبار ٣٨٥، ح ١٩.

جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «والشعراء يتَّبِعُهم الغاؤون» قال: هل رأيت شاعراً يتَّبِعُه أحد؟ إنما هم قوم تَفَقَّهوا بغير الدين فضلَّوا وأضلَّوا.

وفي مجمع البيان ^(١): «والشعراء يتَّبِعُهم الغاؤون» وروى العياشي بالإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هم تعلَّموا وتَفَقَّهوا بغير علم فضلَّوا وأضلَّوا.

وفي الحديث ^(٢) عن الزهري قال: حدَّثني عبدالرحمن بن كعب بن مالك أن كعب بن مالك ^(٣) قال: يا رسول الله، ماذا تقول في الشعراء؟ ^(٤)

قال: إنَّ المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأنَّما ترضخونهم ^(٥) بالنبل.

وقال النبي ﷺ ^(٦) لحسان بن ثابت: أهجهم، أوهاجهم، وروح القدس معك. رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

وفي اعتقادات الإمامية ^(٧) للصدوق عليه السلام: وسُئِلَ الصادق عليه السلام عن قول الله ﷻ: «والشعراء يتَّبِعُهم الغاؤون». قال: هم القصَّاص.

وفي جوامع الجامع ^(٨): قال عليه السلام لكعب بن مالك: أهجهم، فوالذي نفسي بيده، لهُوَ ^(٩) أشدَّ عليهم من النبل.

وقال لحسان بن ثابت: قل وروح القدس معك.

وفي كتاب تلخيص الأقوال في أحوال الرجال ^(١٠): روى الكشي من طريق ضعيف، عن الصادق عليه السلام أنه قال: علِّموا أولادكم شعر العبدِي؛ يشير إلى الشيعة.

وفي كتاب الكشي ^(١١) في حديث آخر، بإسناده إلى سماعة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

١. المجمع، ٢٠٨/٤.

٢. ليس في م، المصدر.

٣. م: تفضحونهم. وفي المصدر: ينصحونهم. وتراضخوا، وتناضحوا بالنبل: تراموا بالسهام.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. اعتقادات الصدوق، ١٠٥.

٦. الجوامع، ٣٣٤.

٧. تفسير نورالتقلين ٧١/٤، ح ١١٠.

٨. رجال الكشي ٤٠١، ح ٧٤٨.

٩. نفس المصدر والموضع.

١٠. المصدر: الشعراء.

١١. م: تفضحونهم. وفي المصدر: ينصحونهم. وتراضخوا، وتناضحوا بالنبل: تراموا بالسهام.

١٢. نفس المصدر والموضع.

١٣. اعتقادات الصدوق، ١٠٥.

١٤. الجوامع، ٣٣٤.

١٥. تفسير نورالتقلين ٧١/٤، ح ١١٠.

١٦. رجال الكشي ٤٠١، ح ٧٤٨.

يا معشر الشيعة، علّموا أولادكم شعر العبدِي فَإِنَّهُ على دين الله .
 وبإسناده^(١) إلى محمد بن مروان قال: كنت قاعداً عند أبي عبدالله عليه السلام [ومعروف بن
 خربوذ^(٢)]، فكان ينشدني الشعر وأنشده ويسألني وأسأله وأبو عبدالله عليه السلام [٣] يسمع .
 فقال أبو عبدالله عليه السلام: إِنَّ رسول الله ﷺ قال: لئن يمتلئ جوف الرجل قيحاً خيراً له
 من أن يمتلئ شعراً.

فقال معروف: إنما يعني بذلك: الَّذِي يقول الشعر .
 فقال: ويحك، أو ويلك، قد قال ذلك^(٤) رسول الله ﷺ .
 وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): محمد بن جمهور، بإسناده يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام
 في قوله ﷺ: «والشعراء يتبعهم الغاؤون» فقال: من رأيتهم من الشعراء يُتَّبَعُ؟ إنما عني
 هؤلاء الفقهاء الَّذِينَ يُشْعِرُونَ قلوب الناس بالباطل، فهم الشعراء الَّذِينَ يُتَّبَعُونَ .
 ومما يدل على أَنَّ مطلق الشعر وإنشاء ليس مذموماً ما رواه في كتاب معاني
 الأخبار^(٦)، بإسناده إلى إبراهيم الكرخي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إِنَّ صاحبتني
 هلكت وكانت لي موافقة، وقد هممت أن أتزوج .

فقال: انظر أين تضع نفسك ومن تشركه في مالك وتطلعه على دينك وسرّك
 وأمانتك فإن كنت لا بد فاعلاً فبكرًا تُنسب إلى الخير وإلى حسن الخلق:

ألا^(٧) إِنَّ النساء خُلِقْنَ شَتَّى فَمِنْهُنَّ الْغَنِيْمَةُ وَالْغَرَامُ
 وَمِنْهُنَّ الْهَلَالُ إِذَا تَجَلَّى لِصَاحِبِهِ وَمِنْهُنَّ الظَّلَامُ
 فَمَنْ يَظْفَرُ بِصَالِحِهِنَّ يَسْعَدُ وَمَنْ يَغْنَبُ فليس له انتقام

١. نفس المصدر ٢١١، ح ٣٧٥.

٢. كذا في نور الثقلين ٧١/٤، ح ١١٢ وجامع الرواة ٢٤٦٢. وفي ن: خربوز. وفي سائر النسخ: خربوز.

٣. ليس في أ.

٤. ليس في س، أ، م، ن.

٥. تأويل الآيات ٣٩٩/١، ح ٢٨.

٦. معاني الأخبار ٣١٧-٣١٨، ح ١.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: واعلم.

وفي الكافي^(١): بعض أصحابنا، عن علي بن الحسين، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش، إلى أن قال عليه السلام ودخل رسول الله ﷺ بأهله، وقال رجل من قريش يقال له عبد الله بن غنم:

هنيئاً مريئاً خديجة قد جرت لك الطير فيما كان كان منك بأسعد تزوجت^(٢) من^(٣) من خير البرية كلها ومن ذا الذي في الناس مثل محمد وبشر به البران عيسى بن مريم وموسى بن عمران فياقرب موعد أقرت به الكتاب قدماً بأنه رسول من البطحاء هاد ومهتدي عدة من أصحابنا^(٤)، عن سهل بن زياد، عن محمد بن أبي الأصم، عن بندار بن عاصم، رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: ما توصل إلي أحد بوسيلة ولا تذرع بذريعة أقرب له إلى ما يريد مني من رجل سلف إليه مني يد^(٥) أتبعها أختها وأحسن ربها، فإني رأيت منع الآخر^(٦) يقطع لسان شكر الأوائل^(٧)، ولا سخت نفسي برّد بكر^(٨) الحوائج^(٩)، وقد قال الشاعر:

وإذا بليت يبذل وجهك^(١٠) سائلاً فابذله للمتكرم المفضل
إن الجواد إذا حباك بموعِد أعطاكه سلساً بغير مطال

١. الكافي ٣٧٤/٥ - ٣٧٥، ح ٩.

٢. المصدر: تزوجته.

٣. ليس في المصدر.

٤. الكافي ٢٤/٤ - ٢٥، ح ٢٥.

٥. اليد: النعمة.

٦. أظهر: الأواخر.

٧. كذا في س، أ، م، ن، المصدر. وفي النسخ: الأول.

٨. البكر: ابتداء.

٩. قال الفيض في الوافي: وإضافة المنع والشكر إلى الأواخر والأوائل إضافة إلى المفعول؛ والمعنى أن أحسن الوسائل إلى التقدم تقدم العهد بالسؤال فإن المسؤول ثانياً لا يرد السائل الأول لئلا يقطع شكره على الأول.

١٠. كذا في المصدر. وفي ن: وجهد. وفي سائر النسخ: وجهل.

وإذا السؤال مع النوال وزنته^(١) رجع السؤال وخف كل نوال
وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢)، متصلاً بقوله: فيتبعهم الناس على ذلك. آخر ما
نقلناه عنه سابقاً، ويؤكد [ذلك]^(٣) قوله جل ذكره: «ألم تر أنهم في كل واد يهيمون» يعني
ينظرون بالأباطيل، ويجادلون بالحجج المضلة^(٤)، وفي كل مذهب يذهبون.
«وأنهم يقولون ما لا يفعلون» قال: يعظون الناس ولا يتعظون، وينهون عن المنكر
[ولا ينتهون]^(٥)، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون، [وهم الذين قال الله ﷻ منهم ألم تر
أنهم في كل واد يهيمون، أي في كل مذهب يذهبون وأنهم يقولون ما لا يفعلون]^(٦)
وهم الذين غصبوا آل محمد صلوات الله عليهم حقهم.
﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾:
قيل^(٧): استثناء للشعراء المؤمنين^(٨) الصالحين الذين يكثرون ذكر الله، ويكون
أكثر^(٩) أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته، [ولو قالوا]^(١٠)
هجواً أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاء^(١١) المسلمين؛ كعبد الله بن
رواحه، وحسان بن ثابت، والكعبين^(١٢)، وكان ﷺ يقول له^(١٣) له^(١٤): اهجهم، فوالذي
نفسى بيده، [لهو]^(١٥) أشد عليهم من النبل. وقال لحسان: قل وروح القدس معك.
وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٦)، متصلاً بقوله: وهم الذين غصبوا آل محمد
صلوات الله عليهم حقهم. ثم ذكر آل محمد صلوات الله عليهم وشيعتهم المهتدين،

-
١. المصدر: قرنته.
 ٢. تفسير القمي، ١٢٥/٢.
 ٣. من المصدر.
 ٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: المضلين.
 ٥. ليس في س، أ، م، ن.
 ٦. ليس في المصدر.
 ٧. أنوار التنزيل، ١٦٩/٢.
 ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: الموقنين.
 ٩. ليس في أ.
 ١٠. ليس في أ.
 ١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: هجاء.
 ١٢. أي لكعب بن مالك.
 ١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: قال.
 ١٤. أي لكعب بن مالك.
 ١٥. من المصدر.
 ١٦. تفسير القمي، ١٢٥/٢.

فقال جلّ ذكره: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا».

وفي كتاب معاني الأخبار^(١): قد روي في خبر آخر، عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن^(٢) قول الله ﷻ «وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا»^(٣) ما هذا الذكر الكثير؟ قال: من سَبَّحَ تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام فقد ذكر الله الذكر الكثير.

وفي أصول الكافي^(٤): عليّ [بن إبراهيم]^(٥)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكر الله^(٦) كثيراً.

ثمّ قال: لَا أعني: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، وإن كان منه، ولكن ذكر الله عند ما أحلّ وحرّم، فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها.

ابن محبوب^(٧)، عن أبي أسامة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما ابتلي المؤمن بشيء أشدّ عليه من [خصال]^(٨) ثلاث يحرمها.

قيل: وما هنّ؟

قال: المواساة في ذات يده، والإنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً. أما إنّي لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله [والله أكبر]،^(٩) ولكن ذكر الله عند ما أحلّ له، وذكر الله عند ما حرّم عليه.

عده من أصحابنا^(١٠)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة، عن سليمان بن عمرو، عن أبي المغيرة^(١١) الخصاف رفعه قال: قال

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: يقول.

٤. الكافي ٨٠/٢، ح ٤.

٦. في م: زيادة «خيراً».

٨. من المصدر.

١٠. الكافي ٥٠/٢، ح ٢.

١١. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٤١٨/٢. وفي س، أ، م، ن: المعزاة. وفي غيرها: معز.

١. معاني الأخبار ١٩٣، ح ٥.

٣. المصدر: اذكروا الله ذكراً كثيراً.

٥. من المصدر مع المعقوفتين.

٧. الكافي ١٤٥/٢-١٤٦، ح ٩.

٩. ليس في المصدر.

أمير المؤمنين عليه السلام: من ذكر الله ﷻ في السرّ فقد ذكر الله كثيراً، إنّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السرّ، فقال الله ﷻ: «يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً».

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٣٧): تهديد شديد لما في «سيعلم» من الوعيد البليغ، وفي «الذين ظلموا» من الإطلاق والتعميم، وفي «أيّ منقلب ينقلبون»؛ أي بعد الموت من الإبهام والتهويل.

وقرئ^(١): «أي منقلب ينفلتون». من الانفلات، وهو النجاة؛ والمعنى: أنّ الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله، وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات. وفي جوامع الجامع^(٢): قرأ الصادق عليه السلام: «وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم». وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): ثم ذكر أعداءهم ومن ظلمهم، فقال جلّ ذكره: «وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم أي منقلب ينقلبون» هكذا والله، نزلت. وفي كتاب المناقب^(٤) لابن شهر آشوب: وفي أثر^(٥): أنهم لما صلبوا رأس الحسين عليه السلام على الشجرة سُمع منه: «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

٢. الجوامع، ٣٣٤.

١. أنوار التنزيل، ١٦٩/٢.

٤. المناقب، ٦١/٤.

٣. تفسير القمي، ١٢٥/٢.

٥. كذا في س، أ، م، ن، المصدر. وفي غيرها: المأثر.

سورة النمل

سورة النمل

مَكِّيَّة. وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١)، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سور الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من أولياء الله وفي جواره وكنفه، ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً، وأُعطي في الآخرة من الجنة حتى يرضى وفوق رضاء، وزوجه الله مائة زوجة من الحور العين.

وفي مجمع البيان^(٢): روى أبوبصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال من قرأ الطواسين الثلاث. وذكر مثله، وزاد في آخره: وأسكنه الله في جنة عدن وسط الجنة مع النبيين والمرسلين والوصيين الراشدين.

أبي بن كعب^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ طس سليمان، كان له من الأجر عشر سنوات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله.

وعن ابن عباس^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى.

١. ثواب الأعمال، ١٣٧١.

٢. كذا في نور الثقلين ٧٤/٤، ح ١. وفي النسخ والمصدر: سورة.

٣. المجمع، ٢٠٩/٤.

٤. المجمع، ٢٠٩/٤.

﴿طس﴾: قد مرَّ الإشارة إلى بعض معانيه.

وفي كتاب معاني الأخبار^(١)، بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: وأما «طس» فمعناه: أنا الطالب السميع.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٢): الإشارة إلى [أي]^(٣) السورة. والكتاب المبين، إما اللوح وإبانتة أنه خُطَّ فيه ما هو كائن فهو بينه للناظرين فيه، وتأخير هاهنا باعتبار تعلّق علمنا به وتقديمه في الحجر^(٤) باعتبار الوجود، أو القرآن وإبانتة لما أودع فيه من الحكم والأحكام، أو لصحّته بإعجازه. وعطفه على القرآن؛ كعطف إحدى الصفتين على الأخرى، وتنكيره للتعظيم.

وقرئ^(٥): «كتاب» بالرفع، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦): حالان من «الآيات» والعامل فيهما معنى الإشارة، أو بدلان منها، أو خبران [آخران، أو]^(٧) خبران لمحذوف.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٨): من تنمة الصلة، والواو للحال أو للعطف، وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الأ وحدون فيه. أو جملة اعتراضية؛ كأنه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون بالله ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة، فإنَّ تحمّل المشاق إنما يكون لخوف العقابة والوثوق على المحاسبة. وتكرير الضمير للاختصاص.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾: زين لهم أعمالهم القبيحة، بأن

٢. من المصدر.

١. معاني الأخبار ٢٢، ح ١.

٤. أنوار التنزيل، ١٧٠/٢.

٣. أي سورة الحجر.

٥. ليس في أ.

جعلها مشتهة للطبع محبوبة للنفس. أو الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها.

﴿ فَهُمْ يَغْمَهُونَ ﴾^(١): عنها، لا يدركون ما يتبعها من ضرر أو نفع.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾: كالقتل والأسر يوم بدر.

﴿ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴾^(٢): أشد الناس خسراناً لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ ﴾: لتؤتاه.

﴿ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾^(٣): أي حكيم وأي عليم.

والجمع بينهما، مع أن العلم داخل في الحكمة، لعموم العلم ودلالة الحكمة على إتقان الفعل، والإشعار بأن علوم القرآن منها ما هي حكمة؛ كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك؛ كالقصص والإخبار عن المغيبات.

ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله:

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾: أي اذكر قصته «إذ قال».

ويجوز أن يتعلق «بعليم».

﴿ سَأَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾: أي عن حال الطريق لأنه قد ضلّه.

وجمع الضمير، إن صحَّ أنه لم يكن معه غير امرأته، لما كُنِيَ عنها بالأهل. و«السين» للدلالة على بعد المسافة^(١) والوعد بالإتيان وإن أبطأ^(٢).

﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾: شعلة نار مقبوسة.

وإضافة الشهاب إليه لأنه قد يكون قبساً وغير قبس.

ونونه الكوفيتون ويعقوب، على أن القبس بدل منه أو وصف له، لأنه بمعنى:

المقبوس^(٣).

١. هذا خلاف ما قاله بعضهم: إن السين للاستقبال القريب وسوف للاستقبال البعيد.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبطأه. ٣. ليس في م.

والعدتان على سبيل الظن، ولذلك عبّر عنهما بصيغة الترجي [في «طه»]^(١) والترديد، للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما، بناءً^(٢) على ظاهر الأمر أو ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده.

﴿لَمَلَكُم تَصْطَلُونَ﴾^(٣): رجاء أن تستدفنوا بها.

«والصلاة» النار العظيمة.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ﴾: أي بورك، فإن النداء فيه معنى القول. أو بأن بورك، على أنها مصدرية. أو مخففة من الثقيلة، والتخفيف وإن اقتضى التعويض «بلا» أو «قد» أو «السين» أو «سوف» لكنه دعاء وهو يخالف غيره في أحكام كثيرة.

﴿مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: من في مكان النار، وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: «نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة». ومن حول مكانها.

والظاهر أنه عام في كل من تلك الوادي^(٤) وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات، لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم^(٥) أحياء وأمواتاً، وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى.

وقيل^(٦): المراد: موسى والملائكة الحاضرون.

وتصدير الخطاب بذلك بشارة^(٧) بأنه قد قضي له أمر عظيم تستشر^(٨) بركته في أقطار الشام.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٩): من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً وللتعجب من عظمة ذلك الأمر، أو تعجب من موسى لما دهاه من عظمتها.

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾: «الهاء» للشأن و«أنا الله» جملة مفسرة له، أو للمتكلم «وأنا» خبره «والله» بيان له.

٢. كذا في أنوار التنزيل ١٧٠/٢. وفي النسخ: بما.

٤. الكِفَات: أرض كفات: جامعة للأحياء والأموات.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: اشارة.

١. ليس في أ.

٣. في أنوار التنزيل ١٧١/٢: البقعة.

٥. أنوار التنزيل، ١٧١/٢.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ينتشر.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١): صفتان له ممهدتان لما أراد أن يظهره؛ يريد: أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام؛ كقلب العصا حية، الفاعل كل ما أفعله^(٢) بحكمة وتدبير.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: عطف على «بورك» أي نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك. ويدل عليه قوله: «وأن ألق عصاك»^(٣) بعد قوله «أن يا موسى إني أنا الله»^(٤) بتكرير «أن».

﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرك باضطراب.

﴿كَانَهَا جَانٌّ﴾: حية خفيفة سريعة.

وقرئ^(٥): «جان» على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين.

﴿وَلَمَّا مَذَّبَهَا وَلَمَّا يُعَقَّبُ﴾: ولم يرجع، من عقب المقاتل: إذا كَرَّ بعد الفرار.

وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به، ويدل عليه قوله:

﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾: أي من غيري ثقة بي، أو مطلقاً لقوله:

﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٦): حين يوحى إليهم من فرط الاستغراق، فإنهم

أخوف الناس من الله. أو لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافون منه.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾: استثناء منقطع؛ يعني لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير

المرسلين، لأن الأنبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب والقبايح.

﴿ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾: أي بدل توبة وندماً على ما فعله من القبيح، وعزماً أن

لا يعود إلى مثله في المستقبل.

﴿فَأَنى غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٧): أي سائر لذنبيه قابل لتوبته.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: قيل^(٨): لأنه كان بمدركة صوف لا كم لها.

وقيل^(٩): «الجيب» القميص، لأنه يجاب؛ أي يُقطع.

١. كذا في أنوار التنزيل ١٧١/٢. وفي النسخ: يفعله.

٢. القصص / ٣١.

٣. القصص / ٣٠.

٤-٦. أنوار التنزيل، ١٧١/٢.

﴿تَخْرُجُ بَيَّضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: في كتاب معاني الأخبار^(١)، وبإسناده إلى خلف بن حمّاد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام: «أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء» قال: من غير برص. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾: في جملتها، أو معها، على أن التسع هي: الفلق^(٢)، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجذب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم. ولمن عدّ العصا واليد من التسع أن يعدّ الأخيرين واحداً ولا يعدّ الفلق، لأنه لم يُبعث به إلى فرعون.

أو اذهب في تسع آيات، على أنه استئناف بالإرسال، فيتعلّق به.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾: وعلى الأولين^(٣) يتعلّق بنحو: مبعوثاً ومرسلاً.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾^(٤): تعليل للإرسال.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾: بأن جاءهم موسى بها.

﴿مُبْصِرَةً﴾: بيّنة. اسم فاعل أُطلق للمفعول، إشعاراً بأنّها لفرط اجتلائها للأبصار

بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت ممّا يبصر. أو ذات تبصّر من حيث أنّها تهدي، والعلمي لا تهدي فضلاً أن تهدي^(٥). أو مَبْصِرَةٌ كُلٌّ مِنْ نَظَرِهَا وَتَأْمَلُ فِيهَا.

وقرئ^(٦): «مَبْصِرَةٌ» أي مكاناً يكثر فيه التبصّر.

وفي مجمع البيان^(٧): وقراء علي بن الحسين عليه السلام: «مبصرة» بفتح الميم والصاد.

﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٨): واضح سحرته.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾: وكذبوا بها.

﴿وَأَسْتَفْتَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾: [وقد استيفتتها]^(٩) لأنّ الواو للحال.

١. معاني الأخبار ١٧٢-١٧٣، ح ١. ٢. أي فلق البحر.

٣. كذا في أنوار التنزيل ١٧١/٢. وفي النسخ: الأول.

٤. كذا في أ. وفي سائر النسخ: تهدي. ٥. أنوار التنزيل، ١٧١/٢-١٧٢.

٦. المجمع، ٢١٢/٤. ٧. ليس في ن.

﴿ظُلْمًا﴾: لأنفسهم.

﴿وَعُلُوا﴾: ترفعاً من الإيمان. وانتصابهما على العلة من «جحدوا».

وفي أصول الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن يزيد، عن أبي عمرو الزبير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله ﷻ. قال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود على وجهين. إلى قوله: وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة، وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد استقرّ عنده، وقد قال الله ﷻ: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢): وهو الإغراق في الدنيا، والإحراق في

الآخرة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾: طائفة من العلم، وهو علم الحكم والشرائع.

وعلماً أي علم.

﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أتياه في مقابلة هذه

النعمة؛ كأنه قال: ففعلاً شكراً له ما فعلاً وقالوا: الحمد لله.

﴿الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣): يعني من لم يؤت علماً، مثل

علمهما.

وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبر^(٢) دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما، وتحريض للعالم على أن يحمد الله على ما أتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضله على كثير فقد فضل عليه كثير.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾: قيل^(٣): النبوة أو العلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك

٢. كذا في م. وفي سائر النسخ: لم يعتبر.

١. الكافي ٣٨٩/٢، ح ١.

٣. أنوار التنزيل، ١٧٢/٢.

دون سائر بنيه، وكانوا تسعة عشر.

والصحيح عند أهل البيت عليه السلام أَنَّ الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم.

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي عليه السلام: روى عبدالله بن الحسن، بإسناده، عن آبائه عليهم السلام أَنَّهُ لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مَنَعِ فَاطِمَةَ فَذَكَ وَبَلَّغَهَا ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ: يَا ابْنَ أَبِي قَحَافَةَ، أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي؟! لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً فَرِيئاً، أَفَعَلَى عَمَدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهْوَرِكُمْ إِذْ يَقُولُ: «وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب المناقب^(٢) لابن شهر آشوب: وذكر مسلم، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، وفي حديث الليث بن سعد^(٣)، عن عقيل، عن ابن عروة^(٤)، عن عائشة في خبر طويل تذكر فيه: أَنَّ فَاطِمَةَ أَرْسَلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِصَّةَ^(٥). قَالَ: فَهَجَرْتَهُ وَلَمْ تَكَلِّمْهُ حَتَّى تَوَفَّيْتُ وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبُو بَكْرٍ يَصَلِّيَ عَلَيْهَا.

وفي بصائر الدرجات^(٦): سلمة^(٧) بن الخطاب، عن عبدالله بن القاسم، عن زرعة^(٨) عن الفضل. قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: دَاوُدُ وَرَثَ سُلَيْمَانَ وَإِنَّا وَرَثْنَا مُحَمَّدًا. ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلُمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: تشهيراً لنعمة الله، وتنوياً بها، ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظام ما أوتيها.

والنطق والمنطق في العرف^(٩) كُلُّ لَفْظٍ يُعْبَّرُ بِهِ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ مُفْرَداً كَانَ أَوْ مُرَكَّباً،

١. الاحتجاج، ١٠٢/١. ٢. المناقب، ٣٦٢/٤ - ٣٦٣.

٣. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٣١/٢. وفي النسخ: سعيد.

٤. المصدر: ابن شهاب. ٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: القصة.

٦. البصائر ١٥٨، ح ١٥. ٧. م: مسلمة.

٨. كما في رجال النجاشي ٤٦٦. وفي المصدر: ذرعة.

٩. كذا في أنوار التنزيل ١٧٢/٢. وفي النسخ: التعارف.

وقد يطلق لكل ما يُصَوَّت به على التشبيه أو التبع؛ كقولهم: نطقت الحمامة. ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد، فإنَّ الأصوات الحيوانية من حيث أنَّها تابعة للتخيُّلات مُنزلة منزل العبارات، سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها ما من جنسه.

قيل^(١): ولعلَّ سليمان عليه السلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوَّته القدسيَّة التخيُّل الَّذي صَوَّته والغرض الَّذي توخَّاه به، ومن ذلك ما حُكي أنَّه مرَّ بببليل يصوَّت ويرتقص، فقال: يقول: إذا أكلت نصف تمر^(٢) فعلى الدنيا العفاء^(٣). وصاحت فاخته، فقال: إنَّها تقول: ليت الخلق لم يُخلقوا. فلعلَّه كان صوت الببليل^(٤) عن شبع وفراغ بال، وصياح الفاخته^(٥) عن مقاساة شدَّة وتألم قلب.

وقال عليّ بن عيسى^(٦): إنَّ الطير كانت تكلم الناس معجزة له؛ كما أخبر عن الهدهد. والضمير في «علَّمتنا» و«أوتينا» له ولأبيه، أو له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة.

والمراد «من كل شيء»: كثرة ما أوتي؛ كقولك: فلان يقصده كل واحد ويعلم كل شيء.

وفي أصول الكافي^(٧): محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد، عن عليّ بن سيف، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قلت له: إنَّهم يقولون في حداثة سنِّك!

فقال: إنَّ الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان وهو صبيّ يرعى الغنم، فأنكر ذلك عبَاد بني إسرائيل وعلمائهم، فأوحى الله إلى داود: أن خذ عصا المتكلِّمين

١. نفس المصدر والموضع.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: تمر.

٣. كذا في المصدر. وفي س، أ، ن. الفار. وفي سائر النسخ: العفا.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: صوته.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: صياحها.

٦. مجمع البيان، ٤/٢١٤.

٧. الكافي ١/٣٨٣، ح ٣.

وعصا سليمان^(١) واجعلهما في بيت واختم عليها^(٢) بخواتيم القوم، فإذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة. فأخبرهم داود عليه السلام فقالوا: قد رضينا وسلمنا.

محمد بن يحيى^(٣) عن أحمد بن أبي زاهر أو غيره، عن محمد بن حماد، عن أخيه أحمد بن حماد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، أخبرني عن النبي صلى الله عليه وآله ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم.

قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد صلى الله عليه وآله أعلم منه.

قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله.

قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل.

وبإسناده^(٤) إلى أبي بصير، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لي: يا أبا محمد، إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو إمام. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وبإسناده^(٥) إلى الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: إنما قلنا: اللطيف للخلق اللطيف [و] لعلمه بالشيء اللطيف، أو لا ترى، وفكك الله وثبتك، إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف ومن الخلق اللطيف ومن الحيوانات^(٦) الصغار ومن البعوض والجرجس وما هو أصغر منها، مما لا تكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى والحدث المولود من

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: عصاه.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: عليهما.

٣. الكافي ٢٢٦/١، ح ٧.

٤. الكافي ٢٨٥/١، ح ٧.

٥. الكافي ١١٩/١ - ١٢٠، ح ١.

٦. من المصدر مع المعقوفتين.

٧. المصدر، س، أ، م، ن: الحيوان.

القديم، فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد^(١) والهرب من الموت والجمع لما يصلحه وما في لجج البحار وما في الحاء^(٢) الأشجار والمفاوز والقفار وإفهام بعضها عن بعض منطقها وما يفهم به أولادها عنها - إلى قوله -: علمنا أنَّ خالق هذا الخلق لطيف.

محمد بن يحيى^(٣)، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن علي، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت عنده يوماً إذ وقع زوج ورشان على الحائط وهذلاً هذيلهما، فردَّ أبو جعفر عليهما كلامهما ساعة ثم نهضا، فلما طارا على الحائط هدل الذكر على الأنثى ساعة ثم نهضا.

فقلت: جعلت فداك، ما هذا الطير؟

قال: يا ابن مسلم، كل شيء خلقه الله من طير أو بهيمة أو شيء فيه روح فهو أسمع لنا وأطوع من بني آدم، إنَّ هذا الورشان ظنَّ بامرأته فحلفت له ما فعلت، فقالت: ترضى بمحمد بن علي. فرضيا بي، فأخبرته أنَّه لها ظالم، فصَدَّقَها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وقال الصادق عليه السلام: أُعْطِيَ سليمان بن داود عن علمه، معرفة المنطق بكلِّ لسان ومعرفة اللغات ومنطق الطير والبهائم والسباع، فكان إذا شاهد الحروب تكلم بالفارسية، وإذا قعد لعماله وجنوده وأهل مملكته تكلم بالرومية، وإذا خلا بنسائه تكلم بالسريانية والنبطية، وإذا أقام في محرابه لمناجاة ربه تكلم بالعربية، وإذا جلس للوفود والخصماء تكلم بالعبرانية.

وفيه^(٥): قال: أُعْطِيَ داود وسليمان عليهما السلام ما لم يُعْطَ أحد^(٦) من أنبياء الله من الآيات، علمهما منطق الطير وألان لهما الحديد والصفير من غير نار وجُعِلَت الجبال يسبحن مع داود عليه السلام.

١. السفاد: نزو الذكر على الأنثى.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: لحي. واللحاء: قشر الشجر، أو ما على العود من قشره.

٣. الكافي ٤٧٠/١ - ٤٧١، ح ٤. ٤. تفسير القمي، ١٢٩/٢.

٥. تفسير القمي، ١٢٦/٢. ٦. المصدر: أحداً.

وفي الخرائج والجرائح^(١): قال بدر مولى الرضا عليه السلام: إن إسحاق بن عمار دخل على موسى عليه السلام فجلس عنده إذ استأذن عليه رجل من خراسان^(٢) فكلّمه بكلام لم أسمع بمثله؛ كأنه كلام الطير.

قال إسحاق: فأجابه موسى عليه السلام بمثله وبلغته إلى أن قضى وطره من مسائله فخرج من عنده.

فقلت: ما سمعت بمثل هذا الكلام.

فقال: هذا كلام قوم من أهل الصين، وليس كل كلام أهل الصين مثله.

ثم قال: أتعجب من كلامي بلغته؟

فقلت: هو موضع العجب.

قال عليه السلام: أخبرك بما هو أعجب منه، إن الإمام يعلم منطق الطير ونطق كل ذي روح خلقه^(٣) الله تعالى وما يخفى على الإمام شيء.

وفي كتاب المناقب^(٤) لابن شهر آشوب: في تفسير الثعلبي قال الصادق عليه السلام: قال الحسين بن علي صلوات الله عليهما: إذا صاح النسر قال: يا بن آدم، عش ما شئت آخره الموت. وإذا صاح الغراب قال: إن في البعد عن الناس أنس^(٥). وإذا صاح القنبر^(٦) قال: اللهم العن مبغضي آل محمد. وإذا صاح الخطاف قرأ «الحمد لله رب العالمين» ويمدّ الضالين كما يمدّها القارئ.

وفيه^(٧)، في مناقب أبي جعفر الباقر عليه السلام: وسمع عصفير يصحن، قال: أتدري يا أبا حمزة، ما يقلن؟

١. الخرائج ٣١٣/١، ح ٦.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: خلقها. والهاء في «خلقها» تعود على «الروح» والهاء في «خلقها» تعود

على «كل».

٤. المناقب، ٦٨/٤.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: أنسا.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: القنبرة.

٧. المناقب، ١٨٥/٤.

قلت: لا.

قال: يَسْبَحَنَّ رَبِّي ﷻ ويسألن قوت يومهنَّ.

محمد بن مسلم^(١)، عن أبي جعفر ﷻ قال: سمعته يقول: عَلَّمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ، وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وفي بصائر الدرجات^(٢): يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن عليّ الوشاء^(٣)، عَمَّنْ رواه، عن الميثمي، عن منصور، عن الثماليّ قال: كنت مع عليّ بن الحسين ﷻ في داره وفيها [شجرة فيها]^(٤) عصافير وهنَّ يصحن.

فقال لي: أتدري ما يقلن هؤلاء؟

فقلت: لا أدري.

قال: يَسْبَحَنَّ رَبَّهُنَّ وَيَطْلُبْنَ رِزْقَهُنَّ.

محمد بن إسماعيل^(٥)، عن عليّ بن الحكم، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة الثماليّ. قال: كنت عند عليّ بن الحسين ﷻ فانتشرت العصافير وصوّتت.

فقال لي: يا أبا حمزة، أتدري ما تقول؟

قلت: لا.

قال: تَقْدَسُ رَبُّهَا وَتَسْأَلُهُ^(٦) قوت يومها.

ثم قال: يا أبا حمزة، عَلَّمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

أحمد بن محمد^(٧)، عن محمد بن خالد، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله ﷻ وتلا^(٨) رجل عنده هذه الآية: «وَعَلَّمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» فقال أبو عبد الله ﷻ: ليس فيها «من» إنّما هي «وأوتينا كلّ شيء».

٢. البصائر ٣٦١، ح ١.

٤. ليس في المصدر.

٦. المصدر: تسأل.

٨. المصدر: قال فتلا.

١. نفس المصدر والمجلّد، ١٩٥.

٣. المصدر: الحسن بن عليّ بن الوشاء.

٥. البصائر ٣٦٢-٣٦١، ح ٢.

٧. نفس المصدر ٣٦٢، ح ٣.

أحمد بن محمد^(١)، عن أحمد بن يوسف، عن داود الحدّاد، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كنت عنده إذ نظرت إلى زوج حمام^(٢)، فهدر الذكر على الأنثى. فقال لي: أتدري ما يقول؟

قلت: لا.

قال: يقول: يأسكني وعرسي، ما خلق الله^(٣) أحب إليّ منك إلا أن يكون مولاي جعفر بن محمد.

علي بن إسماعيل^(٤)، عن محمد بن عمرو الزيات، عن أبيه، عن^(٥) الفيض بن المختار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ سليمان بن داود قال: «علّمنا منطق الطير وأوتينا من كلّ شيء». وقد والله، علّمنا منطق الطير وعلم كلّ شيء.

أحمد بن موسى^(٦)، عن محمد بن أحمد المعروف بغزال، عن محمد بن الحسين، عن سليمان من ولد جعفر بن أبي طالب قال: كنت مع أبي الحسن الرضا عليه السلام في حائط له إذ جاء عصفور فوق بين يديه وأخذ يصيح ويكثر الصياح ويضطرب.

فقال لي: يا فلان. أتدري ما تقول^(٧) هذا العصفور؟

قال: قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم.

قال: إنّها تقول: إنّ حيّة تريد أن تأكل^(٨) فراخي في البيت، [فخذ معك العصا]^(٩) وادخل [البيت واقتل]^(١٠) الحيّة.

١. نفس المصدر والصفحة، ح ٤.

٢. في المصدر: زيادة «عنده».

٣. ليس في المصدر.

٤. البصائر ٣٦٤، ح ١٧.

٥. ليس في المصدر.

٦. نفس المصدر ٣٦٥، ح ١٩.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: يقول.

٨. ليس في س، أ، المصدر.

٩. في المصدر: «أكل» بدل «أن تأكل».

١٠. ليس في أ. وفي المصدر: «فقم فخذ تيك النبعة» بدل «فخذ معك العصا».

١١. ليس في أ.

قال : فأخذت التبعة^(١)، وهي العصا، ودخلت إلى البيت وإذا حيّة تجول^(٢) في البيت فقتلتها.

أحمد بن محمد^(٣)، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبة، عن سالم مولى^(٤) أبان بن بَاز الزطّي قال : كنّا في حائط لأبي عبد الله عليه السلام معه^(٥) ونفر معي، قال : فصاحت العصافير.

فقال : أتدري ما تقول هذه ؟^(٦)

فقلنا : جعلنا الله فداك، ما^(٧) ندري والله^(٨) ما تقول.

قال : تقول : اللهم إنّنا خلق من خلقك ولا بدّ لنا من رزقك، فأطعمنا واسقنا.

أحمد بن محمد^(٩)، عن الحسين بن سعيد والبرقي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن عبد الله بن فرقد قال : خرجنا مع أبي عبد الله عليه السلام متوجّهين إلى مكّة، حتّى إذا كنّا بسرف^(١٠) استقبله غراب ينق في وجهه.

فقال : مت جوعاً، ما تعلم شيئاً إلّا ونحن نعلمه، ألا إنّنا أعلم بالله منك.

فقلنا : هل كان في وجهه شيء ؟

قال : نعم ، سقطت ناقة بعرفات.

أحمد بن محمد^(١١)، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى^(١٢)

الحلبي، عن ابن مسكان، عن أبي أحمد، عن شعيب بن الحسن قال : كنت عند

١. كذا في المصدر . وفي النسخ : التبعة . ٢. المصدر : تحول .

٣. البصائر ٣٦٥، ح ٢٠.

٤. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٣٥٠/١. وفي النسخ : «بن» بدل «مولى».

٥ و ٦. ليس في المصدر . ٧. في س، أ، م، ن، المصدر : «لا» بدل «ما» .

٨. ليس في المصدر . ٩. البصائر ٣٦٥، ح ٢١.

١٠. سرف : موضع على سّنة أميال من مكّة . ١١. البصائر ٣٦٣، ح ٨.

١٢. ليس في المصدر.

أبي جعفر عليه السلام جالساً فسمع ^(١) صوت فاختي ^(٢).

فقال: تدرّون ما تقول [هذه؟

فقلنا: والله، ما ندري] ^(٣).

قال: تقول: فقدتكم. فافقدوها قبل أن تفقدكم.

محمّد بن عبد الجبار ^(٤)، عن الحسن بن الحسين ^(٥) اللؤلؤي، عن أحمد بن الحسن

الميثمي [عن محمّد بن الحسن بن زياد الميثمي] ^(٦)، عن مريح ^(٧)، عن أبي حمزة قال:

كنت عند علي بن الحسين عليه السلام وعصافير على الحائط ^(٨) يصحن.

فقال: يا أبا حمزة، أتدري ما يقلن؟

[قلت: لا أدري] ^(٩).

قال: يتحدّثن أنّهنّ ^(١٠) في وقت يشكون ^(١١) قوتهنّ.

أحمد بن محمّد، عن الحسين ^(١٢) بن سعيد ^(١٣) والبرقي، عن النضر بن سويد، عن

يحيى الحلبي، عن عبدالله بن مسكان، عن داود بن فرقد، عن علي بن سنان قال: كنّا

عند أبي عبدالله عليه السلام فسمع صوت فاختي ^(١٤) في الدار.

فقال: أين هذه التي أسمع صوتها؟

قلنا: هي في الدار أهديت لبعضهم.

١. المصدر: نسمع.

٢. في المصدر: «صوتاً من الفاخنة» بدل «صوت فاختي».

٣. ليس في المصدر. ٤. نفس المصدر والصفحة، ح ٩.

٥. كذا في المصدر، وجامع الرواة ١٩٣/١. وفي النسخ: الحسين بن الحسن.

٦. ليس في المصدر. وفي أ: زيادة «عن محمّد بن».

٧. المصدر: صالح. ٨. في المصدر، زيادة «قبالته».

٩. ليس في المصدر. ١٠. المصدر: أنّ لهنّ.

١١. المصدر: سألن فيه. ١٢. ن: الحسن.

١٣ و ١٤. ليس في المصدر.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: أما لنفقدنك قبل أن تفقدنا.

قال: ثم أمر بها فأخرجت من الدار.

أحمد بن محمد^(١)، عن بكر بن صالح، عن محمد بن أبي حمزة، عن عمر بن [محمد]^(٢) الإصبهاني قال: أهديت لإسماعيل بن أبي عبدالله صلّوا^(٣)، فدخل أبو عبدالله عليه السلام فلما رآها^(٤) قال: ما هذا الطير المشؤوم؟^(٥) فإنه يقول: فقدتكم، فقدتكم^(٦)، فافقدوه قبل أن يفقدكم.

وعنه^(٧) عن الجاموراني، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن محمد بن يوسف^(٨) التميمي، عن محمد بن جعفر، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتدرون ما تقول^(٩) الصنانية^(١٠) إذا هي^(١١) ترنمت؟ تقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين» حتى تقرأ أم الكتاب، فإذا كان في آخرها قالت: «ولا الضالين».

عبدالله بن محمد^(١٢)، عن محمد بن إبراهيم بن شمر^(١٣)، عن بشير^(١٤)، عن علي بن أبي حمزة قال: دخل رجل من موالي أبي الحسن، فقال: جعلت فداك، أحب أن تتغذى عندي. فقام أبو الحسن حتى مضى معه ودخل البيت، وإذا في البيت سرير فقع على السرير وتحت السرير زوج حمام، فهدر الذكر على الأنثى، وذهب الرجل ليحمل الطعام فرجع وأبو الحسن عليه السلام يضحك.

-
١. البصائر ٣٦٥-٣٦٦، ح ٢٢.
 ٢. من المصدر.
 ٣. الصلصل: طائر أو الفاختة.
 ٤. المصدر: رآها.
 ٥. في المصدر: زيادة «أخرجوا».
 ٦. ليس في أ، المصدر.
 ٧. البصائر ٣٦٦، ح ٢٥.
 ٨. ن، المصدر: سيف.
 ٩. س، أن: يقول.
 ١٠. المصدر: الصائبة. والظاهر أن المقصود منه الخطاف كما مرّ بنا في حديث المناقب ٦٧/٤.
 ١١. ليس في المصدر.
 ١٢. البصائر ٣٦٦، ح ٢٥.
 ١٣. في المصدر: «عن عمر» بدل «بن شمر». وفي ن: بن بستر.
 ١٤. س، أ، م، ن: بشر.

فقال: أضحك الله سنك، ممّا^(١) ضحكت؟

فقال: إنّ هذا الحمام هدر على هذه الحمامة^(٢)، فقال لها: ياسكني ويا^(٣) عرسي، والله، ما على وجه الأرض [أحد]^(٤) أحب إليّ منك ما خلا هذا القاعد على السرير. قال: [٥]

قلت: جعلت فداك، وتفهم كلام الطير.

قال: نعم، علّمنا منطق الطير وأوتينا من كلّ شيء.

عبدالله بن محمد^(٦)، عمّن رواه، عن محمد بن عبدالكريم، عن عبدالله بن عبد الرحمن، عن أبان بن عثمان، عن زرارة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس: إنّ الله علّمنا منطق الطير كما علّمه^(٧) سليمان بن داود، ومنطق كلّ دابة في برّ وبحر.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(٨): الذي لا يخفى على أحد.

وفي مجمع البيان^(٩): وروى الواحدي بالإسناد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: أعطى سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها، فملك سبعمائة سنة وستة أشهر، ملك أهل الدنيا كلّهم من الجنّ والإنس والشیاطين والدوابّ والطير والسباع، وأعطى علم كلّ شيء ومنطق كلّ شيء، وفي زمانه صنّعت الصنائع العجيبة^(١٠) التي سمع بها الناس، وذلك قوله: «علّمنا منطق الطير وأوتينا من كلّ شيء إنّ هذا هو الفضل المبين».

وفي بصائر الدرجات^(١١): أحمد بن موسى، عن محمد بن الحسين، عن النضر بن

١. المصدر: بم.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحمام.

٣. ليس في المصدر.

٤. من المصدر.

٥. من المصدر.

٦. البصائر ٣٦٣-٣٦٤، ح ١٢.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: علّم.

٨. المجمع، ٢١٤/٤.

٩. المصدر: المعجبة. وفي م: العجيب.

١٠. البصائر ٣٦٤-٣٦٥، ح ١٨.

شعيب، عن عمر بن خليفة، عن شيبه بن^(١) الفيض، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا أيها الناس «علّمنا منطق الطير وأوتينا من كلّ شيء إن هذا لهو الفضل المبين».

وفي جوامع الجامع^(٢): «إنّ هذا لهو الفضل المبين» وعن الصادق عليه السلام يعني: الملك والنبوة.

ويروى: أنّه خرج من بيت المقدس مع ستمائة ألف كرسيّ عن يمينه وشماله^(٣)، وأمر الطير فأظلمت، وأمر الريح فحملتهم حتّى وردت بهم المدائن ثمّ رجع فبات في إصطخر، فقال: بعضهم لبعض: هل رأيتم^(٤) ملكاً قطّ^(٥) أعظم من هذا أو سمعتم؟ قالوا: لا، فنأدى ملك في السماء: لثواب تسبيحة واحدة في الله أعظم ممّا رأيتم. ﴿وَحْشِرَ﴾: وُجِعَ.

﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٦): يُحْبَسُونَ، يُحْبَسَ أُولَهُمْ على آخرهم ليتلاحقوا^(٧).

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٨): قوله عليه السلام: «وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير فهم يوزعون» فإنّه^(٩) قعد على كرسيّه وحملته الريح فمرّت به على وادي النمل، وهو وادٍ ينبت فيه الذهب والفضّة، وقد وكلّ الله به النمل، وهو قول الصادق عليه السلام: إنّ لله وادياً ينبت فيه^(١٠) الذهب والفضّة وقد حماه الله بأضعف خلقه وهو النمل، لو رامته البخاتي^(١١) ما قدرت عليه.

٢. الجوامع، ٣٣٥-٣٣٦.

١. المصدر: عن.

٤. في المصدر: زيادة «قطّ».

٣. المصدر: يساره.

٥. ليس في المصدر.

٦. كذا في أنوار التنزيل ١٧٢/٢. وفي النسخ: ليتلاصقوا. وليتلاحقوا أي ليدرك بعضها بعضاً.

٨. ليس في المصدر.

٧. تفسير القمي، ١٢٦/٢.

٩. ليس في المصدر.

١٠. في المصدر: زيادة «من الإبل» والبخاتي: الإبل الخراسانية.

وفي رواية أبي الجارود^(١)، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «فهم يوزعون» قال: يُحبس أولهم على آخرهم.

وفي بصائر الدرجات^(٢): أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن شعيب العقرقوفي، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سئِلَ به^(٣) أعطى وإذا دُعي به أجاب، ولو كان اليوم لاحتاج إلينا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اتَّوَا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ﴾: قيل^(٤): وإد بالشام كثير النمل. وتعدية الفعل إليه «بعلى» إما لأن إتيانهم كان من عالي، أو لأن المراد قطعه من قولهم: أتى على الشيء: إذا أنفذه وبلغ آخره؛ كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادي.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾: كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها، فصاحت صيحة تنبّهت بها ما بحضرتها من النمل فتبعتها، فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فلذلك أجروا مجراهم، مع أنه لا يمتنع أن خلق الله فيها العقل والنطق.

﴿لَا يَخْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجُنُودُهُ﴾: نهى لهم عن الحطم؛ والمراد: نهى^(٥) عن التوقّف بحيث يحطمونها؛ كقولهم: لأرنيك هاهنا. فهو استئناف، أو بدل من الأمر لاجواب له فإنّ النون لا تدخله في السعة.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٦): أنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا؛ كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء.

وقيل^(٧): استئناف؛ أي فهم سليمان والقوم لا يشعرون.

﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا﴾: تعجباً من حذرها وتحذيرها واهتدائها إلى

١. تفسير القمي، ١٢٩/٢.

٢. البصائر ٢٣١، ح ٢.

٣. ليس في المصدر.

٤. أنوار التنزيل، ١٧٢/٢.

٥. م: نهياً.

٦. أنوار التنزيل، ١٧٣/٢.

مصالحتها. أو سروراً مما خصّه الله به من إدراك همسها وفهم غرضها، ولذلك سأل توفيق شكره.

وفي عيون الأخبار^(١)، بإسناده إلى داود بن سليمان الغازي قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول عن أبيه؛ موسى بن جعفر^(٢) بن محمد عليه السلام في قوله تعالى: «فتبسم ضاحكاً من قولها». وقال: لما قالت النملة: «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده» حملت الريح صوت النملة إلى سليمان عليه السلام وهو ما ر في الهواء والريح قد حملته فوق، وقال: علي بالنملة.

فلما أتى^(٣) بها قال سليمان عليه السلام: يا أيها النملة، أما علمت أنني نبي الله وأني لا أظلم أحداً؟

قالت النملة: بلى.

قال سليمان عليه السلام: فلم تحذرينهم^(٤) ظلمي، وقلت: «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم»؟

قالت النملة: خشيت أن ينظروا إلى زيتك فيفتنوا بها فيعبدون غير الله^(٥) تعالى.

ثم قالت النملة: أنت أكبر أم أبوك داود؟

قال سليمان عليه السلام: بل أبي داود.

قالت النملة: فلم يزيد في حروف اسمك حرف على حروف اسم^(٦) أبيك داود؟

قال سليمان عليه السلام: مالي بهذا علم.

قال: النملة: لأن أباك داود داوى جرحه بود فسمي داود، وأنت ياسليمان أرجو أن

تلتحق بأبيك.

ثم قالت النملة: هل تدري لم سُخِّرَت لك الريح من بين سائر المملكة؟

١. الميرون ٧٧/٢، ح ٨.

٢. المصدر: عن أبيه جعفر بن محمد.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: أوتي.

٤. المصدر: حذرتهم.

٥. المصدر: «عن ذكر الله» بدل «غير الله».

٦. ليس في س، أن.

قال سليمان عليه السلام: مالي بهذا علم.

قالت النملة: يعني ﷺ بذلك: لو سَخَرْتُ لك جميع المملكة؛ كما تسَخَرْتُ لك هذه الريح، لكان زوالها من يدك كزوال الريح. فحينئذ تبسم ضاحكاً من قولها. وفي مجمع البيان^(١): وروي أن نمل سليمان هذا كان كأمثال الذناب والكلاب. ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: [اجعلني أزع^(٢) شكر نعمتك]^(٣) عندي، أي أكفه وأرتبطه لا ينفلت^(٤) عني بحيث لأنفك عنه.

﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾: أدرج فيه ذكر والديه كثيراً للنعمة. أو تعميماً لها فإن النعمة عليهما نعمة عليه، والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾: إتماماً^(٥) للشكر واستدامة للنعمة. ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٦): في عدادهم في الجنة. ﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ﴾: وتعزف الطير فلم يجد فيها الهدد.

﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾^(٧): «أم» منقطعة؛ كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لسائر أو غيره، فقال: مالي لا أراه، ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول: أهو غائب^(٨)؛ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له. ﴿لَأَعَذَّبَنَّ عَذَاباً شَدِيداً﴾: كنتف ريشه والقائه في الشمس، أو حيث النمل يأكله، أو جعله مع ضده في قفص.

﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾: ليعتبر به أبناء جنسه.

﴿أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(٩): بحجة تبين عذره.

والحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث، لكن لما اقتضى ذلك

١. المجمع، ٢١٦/٤. ٢. كذا في م. وفي سائر النسخ: أوزع.

٣. ليس في أ. ٤. أن: لا ينفك.

٥. كذا في أنوار التنزيل ١٧٣/٢. وفي النسخ: تعاماً.

٦. التقدير بل هو، لكنه لما ذكر الإضراب علم تقدير «بل».

وقوع احدى الأمور الثلاثة ثلث المحلوف^(١) عليه بعطفه عليهما .
وفي بصائر الدرجات^(٢): محمد بن حمّاد^(٣) [عن أخيه أحمد بن حمّاد^(٤)] عن
إبراهيم^(٥)، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، [أخبرني
عن^(٦)] النبي صلى الله عليه وآله ورث [علم^(٧)] النبيين كلهم؟
قال لي: نعم .

قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟
قال: [نعم . قلت: ورثهم النبوة وما كان في آبائهم من النبوة والعلم، قال: ^(٨)] ما بعث
الله نبياً إلا ومحمد أعلم منه .
قال: قلت: إن عيسى بن مريم عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله .
قال: صدقت .

قلت: وسليمان بن داود كان يفهم منطق^(٩) الطير، هل^(١٠) كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر
على هذه المنازل؟

قال: فقال: إن سليمان عليه السلام قال للهدد حين فقده^(١١) وشك في أمره قال^(١٢): «مالي
لا أرى الهدد أم كان من الغائبين». وغضب عليه فقال: «لأعذبنه عذاباً شديداً أو
لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين». وإنما غضب عليه لأنه كان يدله على الماء، فهذا هو
طير قد أعطي ما لم يعط سليمان [وإنما أراد أنه يدله على الماء فهذا لم يعط سليمان]^(١٣)

١. كذا في أنوار التنزيل ١٣٧/٢ . وفي النسخ: المعطوف .

٢. البصائر ١٣٤-١٣٥، ح ٣ .

٣. المصدر: محمد بن الحسن عن حمّاد .

٤. المصدر: إبراهيم بن عبد الحميد .

٥. ليس في المصدر .

٦. من المصدر .

٧. ليس في المصدر .

٨. المصدر: كلام .

٩. من المصدر .

١٠. كذا في المصدر . وفي النسخ: تفقده .

١١. في المصدر: «قال و» بدل «هل» .

١٢. من المصدر .

١٣. ليس في المصدر .

وكانت [الريح والنمل والجَنّ والإنس والشیاطین] ^(١) والمردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء ^(٢) تحت الهواء [وكانت الطير تعرفه، إِنَّ الله يقول في كتابه: «لَوْ أَنَّ قِرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى» فقد ورثنا نحن هذا القرآن، فعندنا ما يَقْطَعُ بِهِ الْجِبَالُ وَيَقْطَعُ بِهِ الْبُلْدَانُ وَيَحْيِي بِهِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَنَحْنُ نَعْرِفُ مَا تَحْتَ الْهَوَاءِ] ^(٣)، وَإِنَّ ^(٤) في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر الآن إلى أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله ممَّا كتبه للماضين ^(٥)، جعله الله لنا في أم الكتاب، إِنَّ الله يقول في كتابه: «وما من غائبة في السماء والأرض إِلَّا في كتاب مبين». ثم قال: «ثمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» فنحن الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا فَوَرَّثْنَا هَذَا الَّذِي فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ ^(٦).

وفي أصول الكافي ^(٧): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ أَوْ غَيْرِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ أَخِيهِ أَحْمَدَ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جَعَلْتَ فَدَاكَ، أَخْبَرَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَثَ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قلت: من لدن آدم حتَّى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبيًّا إِلَّا وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَعْلَمُ مِنْهُ.

قال: قلت: إِنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَانَ يَحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ.

قال: صدقت ^(٨). وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله ﷺ يَقْدِرُ

على هذه المنازل؟

قال: فقال: إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ قَالَ لِلْهَدَّادِ حِينَ فَقَدَهُ وَشَكَ فِي أَمْرِهِ: «فَقَالَ مَا لِي

١. ليس في المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: ما.

٣. من المصدر.

٤. في المصدر: «وإن كان» بدل «وإن».

٥. في المصدر: «من الأمور التي أعطاه الله الماضين النبيين والمرسلين إِلَّا وقده» بدل «الآن إلى أن...».

٦. المصدر: هذا القرآن الذي فيه تبيان كل شيء.

٧. الكافي ٢٢٦/١، ح ٧.

٨. الصحيح من وجود «قلت» هنا.

لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين». حين فقده، وغضب عليه فقال: «لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين» وإنما غضب لأنه كان يده على الماء، فهذا وهو طائر قد أعطي ما لم يُعطَ سليمان وقد^(١) كانت الريح والنمل والجن والإنس والشياطين [و]^(٢) المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه، وإن الله يقول في كتابه: «ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى» وقد ورثنا نحن^(٣) هذا القرآن الذي فيه ما تُسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن في كتاب الله آيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون، جعله الله لنا في أم الكتاب، إن الله يقول: «وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين» ثم قال: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» فنحن الذين اصطفانا الله ﷻ وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): قال الصادق عليه السلام: قال آصف بن برخيا وزير سليمان لسليمان عليه السلام: أخبرني عنك يا سليمان، صرت تحب الهدهد وهو أحسن الطير منبتاً^(٦) وأنته ريحاً.

قال: إنه يبصر الماء من وراء الصفا^(٧) الأصم.

فقال: وكيف يبصر الماء من وراء الصفا، وإنما يورئ عنه الفخ بكف من تراب حتى يأخذ بعنقه؟

١. ليس في ن.

٢. من المصدر مع المعقوفتين.

٣. ليس في م.

٤. هذا الحديث هو نفس الحديث الوارد في الصفحات الماضية غير أن هذا الحديث أطول من ذلك، وكذلك نفس الحديث وبنفس السند الوارد عن بصائر الدرجات الذي مرّ آنفاً. والذي أريد بيانه أن في الأصول قد سقطت كلمة «قلت» بعد «قال: صدقت» في كلا الحديثين، مع ورودها صحيحة في بصائر الدرجات، وبناء على ما تقدم فإن حديث الكافي ناقص غير تام. لأنه يحتاج إلى جواب لتكلمته كما ورد في بصائر الدرجات.

٥. تفسير القمي ٢/٢٣٨.

٦. المصدر: متناً.

٧. الصفا: الحجر.

فقال سليمان: قف يا وقاف، إنه إذا جاء القدر حال دون البصر. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفيه ^(١): وكان سليمان عليه السلام إذا قعد على كرسيه ^(٢) جاءت جميع الطير التي سخرها الله ﷻ لسليمان عليه السلام فتظل الكرسي والبساط بجميع من عليه عن ^(٣) الشمس، فغاب عنه الهدهد من بين الطير فوق وقع الشمس من موضعه في حجر سليمان، فرفع رأسه وقال كما حكى الله ﷻ.

وفي مجمع البيان ^(٤): وروى العياشي بالإسناد قال: قال أبو حنيفة لأبي عبد الله عليه السلام: كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟

قال: لأن الهدهد ^(٥) يرى الماء في بطن الأرض؛ كما يرى أحدكم الدهن في القارورة.

فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه وضحك.

قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يضحكك؟

قال: ظفرت بك، جعلت فداك.

قال: وكيف ذلك؟

قال: الذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخ في التراب حتى يأخذ بعنقه؟!

قال أبو عبد الله عليه السلام: يا نعمان، أما علمت أنه إذا نزل القدر أغشى البصر.

وفي عيون الأخبار ^(٦)، بإسناده إلى سليمان بن جعفر، عن الرضا عليه السلام قال: حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام [عن علي بن أبي طالب عليه السلام] ^(٧) قال: في جناح كل هدهد خلقه الله ﷻ مكتوب بالسريانية: آل محمد خير البرية.

١. تفسير القمي ١٢٧/٢.

٣. المصدر: من.

٥. ليس في أ.

٧. من المصدر.

٢. ليس في م.

٤. المجمع، ٢١٧/٤-٢١٨.

٦. العيون ٢٠٣/١، ح ٢.

وفي الخصال^(١): عن داود بن كثير الرقي قال: بينما نحن قعود عند أبي عبد الله عليه السلام إذ مرَّ رجل بيده خطاف مذبوح، فوثب إليه أبو عبد الله عليه السلام حتى أخذه من يده ثم رمى^(٢) به الأرض. ثم قال: أعالكم أمركم بهذا أم فقيهمكم؟ لقد أخبرني أبي، عن جدي عليه السلام أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل ستة: النحلة، والنملة، والضفدع، والصرد، والهدهد، والخطاف.

إلى أن قال عليه السلام: وأما الهدهد فإنه كان دليل سليمان عليه السلام إلى ملك بلقيس. ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: زماناً غير مديد؛ يريد به: الدلالة على سرعة رجوعه خوفاً منه.

﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾: يعني حال سبأ. وفي مخاطبته إياه بذلك تنبيه له على أن في أدنى خلق الله من أحاط علماً بما لم يُحِط به، لتحقاق إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه.

وقرئ^(٣) بإدغام الطاء في التاء، بإطباق وبغير إطباق. ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾: وقرأ^(٤) ابن كثير^(٥) وأبو عمرو غير مصروف، على تأويل القبيلة أو البلدة^(٦).

وفي مجمع البيان^(٨): وروى علقمة بن وعله، عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ عن سبأ؟ فقال: هو رجل وُلد له عشرة من العرب، تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة، فالذين تشاءموا: لخم^(٩) وجدام وغسان وعاملة، والذين تيامنوا: كندة والأشعرون والأزد ومذحج وحمير وأنمار، ومن الأنمار خثعم وبجيلة.

١. الخصال ٣٢٦/١-٣٢٧، ح ١٨.

٢. المصدر: مَرْبَا.

٣. المصدر: دحى.

٤. ٥. أنوار التنزيل ١٧٣/٢.

٦. في المصدر: زيادة «برواية البرقي».

٧. م. البلد.

٨. المجمع، ٢١٨/٤.

٩. كذا في المصدر. وفي م: نخمة وفي سائر النسخ: الخم.

﴿بَنَاءٍ يَقِينٍ﴾ (٣): بخبر محقق.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: يعني بلقيس بنت شراحيل^(١) بن مالك بن ريان. والضمير «لسبا» أو لأهلها.

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه الملوك.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (٣): عظمه بالنسبة إليها، أو إلى عروش أمثالها.

وقيل^(٢): كان ثلاثين ذراعاً في ثلاثين^(٣) عرضاً وسمكاً، أو ثمانين في ثمانين، من ذهب وفضة مكللاً بالجواهر.

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: كأنهم كانوا يعبدونها^(٤).

﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: عبادة الشمس وغيرها من مقاييح أعمالهم.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: سبيل الحق والصواب.

﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٣): إليه.

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: فصدهم لئلا يسجدوا. أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل

من «أعمالهم». أو لا يهتدون إلى أن يسجدوا بزيادة «لا».

وقرأ^(٥) الكسائي ويعقوب: «ألا» بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء ومناداه

محذوف؛ أي ألا يا قوم اسجدوا. وعلى هذا صح أن يكون استئنافاً من الله تعالى أو من

سليمان عليه السلام والوقف على «لا يهتدون» وكان أمراً بالسجود، وعلى الأول ذمّاً على تركه.

وقرئ^(٦): «هلاً» و«هلاً» بقلب الهمزة هاء، و«ألا تسجدون» و«هلاً تسجدون» على

الخطاب.

١. كذا في أنوار التنزيل ١٧٤/٢. وفي أ، س: راحيل. وفي سائر النسخ: سراحيل.

٢. نفس المصدر والموضع. ٣. في المصدر: زيادة «ذراعاً».

٤. إنما قال: كأنهم كانوا يعبدونها، بلفظ «كأن» المفيد لعدم الجزم لأنه يحتمل أن يكون السجود لها لا للعبادة التي هي غاية التعظيم والخضوع، بل لشيء منهما.

٥. أنوار التنزيل، ١٧٤/٢. ٦. أنوار التنزيل، ١٧٤/٢.

﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٧):

وصف له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم، حتّى على سجوده وردّاً على من يسجد لغيره.

و«الخبء» ما خفي في غيره، وإخراجه إظهاره، وهو يعمّ إشراف^(١) الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات، بل الإنشاء فإنّه إخراج ما في الشيء بالقوّة إلى الفعل والإبداع فإنّه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجود والوجود، ومعلوم أنّه يختصّ بالواجب لذاته.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٨): الذي هو أوّل الأجرام وأعظمها

والمحيط بجملتها، فبين العظيمين بون عظيم^(٢).

﴿قَالَ سَتَنظُرُ﴾: ستعرف، من النظر بمعنى: التأمل.

﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (١٩): أي أم كذبت.

والتغيير^(٣) للمبالغة ومحافظة الفواصل^(٤).

﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: ثمّ تنحّ عنهم إلى مكان قريب

تتوارى فيه.

﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢٠): ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول.

﴿قَالَتْ﴾: أي بعد ما ألقى إليها.

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُئِي أَلْقِي إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ﴾ (٢١): لكرم مضمونه. أو مرسله. أو لأنّه كان

مختوماً. أو لغرابة شأنه، إذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الأبواب فدخل الهدهد في^(٥) كوة وألقاه على نحرها بحيث لا تشعر به.

١. كذا في أنوار التنزيل ١/١٧٤. وفي النسخ: إشراف.

٢. أي بين العظيم الذي هو عرش بلقيس وبين العظيم الثاني الذي هو عرش الله تعالى بون عظيم.

٣. كذا في أنوار التنزيل ٢/١٧٥. وفي النسخ التعبير.

٤. أفاد أنّه للمبالغة باعتبار إن «كنت من الكاذبين» من المستمرّين على الكذب؛ لأنّه يدلّ على زمان

مخصوص بل «كان» للاستمرار. ٥. الأظهر: من.

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ : استئناف ؛ كأنه قيل لها : ممّن هو ، وما هو ؟ فقالت : إنّه ؛ إي [إن] ^(١) الكتاب ، أو العنوان [من سليمان] ^(٢) .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٣) : ثم قال سليمان عليه السلام : «سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين» إلى قوله تعالى : «ماذا يرجعون» . فقال الهدهد : إنّها في حصن منيع في عرش عظيم ؛ أي سرير . قال سليمان عليه السلام : ألق كتابي ^(٤) على قبتّها . فجاء الهدهد فألقى الكتاب في حجرها ، فارتاعت من ذلك وجمع جنودها وقالت لهم كما حكى الله ﷻ : «يا أيّها الملأُئني ألقى إليّ كتاب كريم» أي مختوم .

وفي جوامع الجامع ^(٥) : «كتاب كريم» وصفته ^(٦) بالكرم لأنّه من عند ملك كريم . أو مختوم لقوله عليه السلام : كرم الكتاب ختمه .
﴿وَأَنَّهُ﴾ : وإنّ المكتوب ، أو المضمون .

وقرئ ^(٧) بالفتح ، على الإبدال من «كتاب» ، أو التعليل لكرمه .
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ : «أن» مفسّرة ^(٨) . أو مصدرية ، فتكون بصلتها خبر محذوف ؛ أي هو ، أو أنّ المقصود : أن لاتعلوا ، أو بدل من «كتاب» . وفي عيون الأخبار ^(٩) ، بإسناده إلى الرضا عليه السلام : عن آبائه ، عن عليّ عليه السلام أنّه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ الله تبارك وتعالى قال لي : يا محمد «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» . فأفرد عليّ الامتنان بفاتحة الكتاب وجعلها بإزاء القرآن العظيم ، وإنّ فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش ، وإنّ الله ﷻ خصّ محمداً وشرّفه بها ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان عليه السلام فإنّه أعطاه منها «بسم الله

١ و ٢ . من أنوار التنزيل ، ١٧٥/٢ . ٣ . تفسير القمي ، ١٢٧/٢ .

٤ . المصدر : الكتاب . ٥ . الجوامع ، ٣٣٧ .

٦ . كذا في المصدر . وفي النسخ : وصفه . ٧ . أنوار التنزيل ، ١٧٥/٢ .

٨ . أي مفسّرة مقدّر ؛ والتقدير : أنها كم عن شيء وأعلمكم شيئاً هو لا تعلو عليّ .

٩ . العيون ١/٢٣٥ ، ح ٦٠ .

الرحمن الرحيم» يحكي عن [قول^(١)] بلقيس حين قالت: «إِنِّي أَلْقِي إِلَيْكِ كِتَابَ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٥٣): مؤمنين، أو منقادين.

وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود، لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحاً أو التزاماً، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأُمّهات الفضائل، وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجّة على رسالته حتّى يكون استدعاء للتقليد، فإنّ إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلائل^(٢).

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾: أجيبي في أمري الفتى واذكروا ما تستصوبون فيه.

﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: ما أبّت أمراً.

﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٥٤): إلّا بمحضركم. استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الإجابة.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ﴾: بالأجساد والعدد.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٣)، بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال عن القائم: ما يخرج إلّا في أولي قوّة، وما تكون أولو القوّة أقلّ من عشرة آلاف^(٤).

﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: نجدة وشجاعة.

﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾: موكل.

﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٥٥): من المقاتلة أو الصلح نطعك وتتبع رأيك.

١. من المصدر.

٢. أي إلقاء الكتاب إليها من غير توسط بأحد من الناس بل إتيانه إليها من حيث لم تشعر به معجزة.

٣. كمال الدين ٦٥٤، ح ٢٠.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ما يكون أولو قوّة إلّا عشرة آلاف.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾: تزييف لما أحسَّت منهم من الميل إلى المقاتلة بآدعائهم القوي الذاتية والعرضية، وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم، ثم إن الحرب سجال^(١) لا تدري عاقبتها.

﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلَهَا أَذَلَّةً﴾: بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر.

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٢): تأكيد لما وصفت من حالهم، وتقرير بأن ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة. أو تصديق لها من الله ﷻ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٣): «إِنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة» فقال الله ﷻ: «وكذلك يفعلون».

﴿وَأَنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾: بيان لما ترى تقديمه في المصالحة^(٤)، [والمعنى: إني مرسلة رسلاً بهدية ادفع بها عن ملكي.

وفي كتاب الخصال^(٥): عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الهدية على ثلاثة أوجه: هدية مكافأة^(٦) وهدية مصانعة، وهدية لله ﷻ.

﴿فَنَازِلَةٌ بِمَ يُرْجَعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٧): من حاله حتى أعمل بحسب ذلك.

نُقل^(٨): أنها بعثت منذرين عمرو في وفد، وأرسلت معهم غلماناً على زيّ الجواري والجواري على زيّ الغلمان، وحقاً^(٩) فيه دَرَّةٌ عذراء، وجزعة معوجة الثقب وقالت:

١. السجال - جمع السَّجَل -: النصب من الشيء. والحرب بينهم سجال، أي نصرتها بينهم متداولة، سجل

منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء. ٢. تفسير القمي، ١٢٧/٢ - ١٢٨.

٣. كذا في أنوار التنزيل ١٧٥/٢. وفي النسخ: للمصلحة.

٤. الخصال ٨٩/١، ح ٢٨. ٥. ليس في م.

٦. أنوار التنزيل، ١٧٦/٢.

٧. الحق: وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما.

إن كان نبياً مَيَّزَ بين الغلمان والجواري، وثَقَبَ الدَّرةَ ثَقْباً مُستَوياً^(١)، وسلك في الخُرزة خيطاً. فلَمَّا وصلوا إلى معسكره ورَأَوْا عَظْمَةً شَأْنُهُ تَقَاصَرَتْ إِلَيْهِمْ نَفُوسُهُمْ، فلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَهُمْ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالحَالِ، فَطَلَبَ الحَقَّ وَأخْبَرَ عَمَّا فِيهِ، فَأَمَرَ الأَرْضَ^(٢) فَأَخَذَتْ شَعْرَةً وَنَفَذَتْ فِي الدَّرةِ، وَأَمَرَ دُودَةَ بِيضَاءَ فَأَخَذَتْ الخِيطَ وَنَفَذَتْ فِي الجُرْزَةِ^(٣)، ودَعَا بِالماءِ فَكَانَتْ الجَارِيَةُ تَأْخُذُ المَاءَ بِيَدِهَا فَتَجْعَلُهُ فِي الأُخْرَى ثُمَّ تَضْرِبُ بِهِ وَجْهَهَا، والغَلامُ كَمَا يَأْخُذُهُ يَضْرِبُ بِهِ وَجْهَهُ، ثُمَّ رَدَّ الهَدِيَّةَ. وفي كِتَابِ الإحتجَاجِ^(٤) للطَّبْرَسِيِّ عَنِ أميرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدِيثٌ طَوِيلٌ، وَفِيهِ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «النَّاظِرَةُ» فِي بَعْضِ اللُّغَةِ هِيَ الْمُتَنَظِّرَةُ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِهِ: «فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ».

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ ﴾: أَيِ الرِّسُولِ، أَوْ مَا أَهْدَتْ إِلَيْهِ.

وَقُرئ^(٥): «فَلَمَّا جَاؤُوا».

﴿ قَالَ آمِدُّونَنِي بِمَالٍ ﴾: خُطَابٌ لِلرِّسُولِ وَمِنْ مَعِهِ. أَوْ لِلرِّسُولِ وَالمُرْسَلِ عَلَى تَغْلِيْبِ المَخَاطَبِ.

وَقُرأ^(٦) حَمْزَةً وَيَعْقُوبُ، بِالإِدْغَامِ.

وَقُرئ^(٧) بَنُونَ وَاحِدَةً، وَبَنُونِينَ وَحَذَفَ اليَاءَ.

﴿ فَمَا آتَانِي اللَّهُ ﴾: مِنْ النُّبُوَّةِ وَالْمَلِكِ الَّذِي لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ.

﴿ خَيْرٌ مِمَّا آتَانَاكُمْ ﴾: فَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى هَدْيِكُمْ، وَلَا وَقَعَ لَهَا عِنْدِي.

﴿ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾^(٨): لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ إِلَّا ظَاهِرَ مَنْ الحَيَاةِ الدُّنْيَا

تَفْرَحُونَ بِمَا يُهْدَى إِلَيْكُمْ حَبّاً لِزِيَادَةِ أَمْوَالِكُمْ، أَوْ بِمَا تَهْدُونَهُ^(٩) افْتِخَاراً عَلَى أَمْثَالِكُمْ.

١. كَذَا فِي المَصْدَرِ. وَفِي النُّسخِ: مُسْتَوِيَةٌ. ٢. الأَرْضُ: دُودَةُ أَوْ دُوبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ تَأْكُلُ الخَشَبَ.

٣. كَذَا فِي المَصْدَرِ. وَفِي س، أ، م، ن: الخُرْجَةُ. وَفِي غَيْرِهَا: الجَذْعَةُ.

٤. الإحتجَاجُ، ٢٤٣/١. ٥-٧. أنوار التنزيل، ١٧٦/٢.

٨. م، ن: تَهْتَدُونَهُ.

والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليه وتقليله^(١) إلى بيان ما حملهم عليه ، وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها^(٢).

﴿ اِزْجَعْ ﴾ : أيها الرسول .

﴿ اِلَيْهِمْ ﴾ : إلى بلقيس وقومها .

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّاقِبِلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ : لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها .

وقرى^(٣) « بهم » .

﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا ﴾ : من سبأ .

﴿ أَذَلَّةٌ ﴾ : يذهب ما كانوا فيه من العز .

﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٤) : أسراء مهانون .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) ، متصلاً بما سبق قريباً من قوله : « وكذلك يفعلون » . ثم قالت : [إِنَّ هَذَا]^(٦) إِنْ كَانَ^(٧) نَبِيّاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، كَمَا يَدْعِي ، فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يُغْلِبُ ، وَلَكِنْ سَابَعْتُ إِلَيْهِ بِهَدْيَةٍ فَإِنْ كَانَ مُلْكاً يَمِيلُ إِلَى الدُّنْيَا قَبْلَهَا وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْنَا . فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ حَقَّةً فِيهَا جَوْهَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ يَثْقُبُ هَذِهِ الْجَوْهَرَةَ بِأَلْحَدِيدٍ وَلَا نَارَ . فَأَتَاهُ الرَّسُولُ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْضَ جُنُودِهِ مِنَ الدِّيدَانِ فَأَخَذَ خَيْطاً فِي فَمِهِ ثُمَّ نَقَبَهَا وَأَخْرَجَ^(٨) الْخَيْطَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ ، وَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِهَا : « فَمَا أَتَانِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا أَتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ، ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا » [أَي لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهَا]^(٩) « وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ » . فَرَجَعَ

١ . كذا في أنوار التنزيل ١٧٦٢ . وفي النسخ : تعليقه .

٢ . إنكار الإمداد بالمال هو المستفاد من قوله : « أتمدوني بمال » وتقليله هو المستفاد من قوله : « فما أتاني الله

خير مما أتاكم » . ٣ . أنوار التنزيل ، ١٧٦٢ .

٤ . تفسير القمي ، ١٢٨/٢ . ٥ . ليس في المصدر .

٦ . في المصدر : زيادة « هذا » . ٧ . كذا في المصدر . وفي النسخ : أخذ .

٨ . ليس في م .

إليها الرسول فأخبرها بذلك وبقوة سليمان، فعلمت أنه لا محيص لها فخرجت وارتحلت^(١) نحو سليمان.

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ : أراد بذلك: أن يريها بعض ما خصه الله من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر^(٢) أتعرفه أم تنكره.

﴿ قَبِلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾^(٣) : فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذه إلا برضاها.

﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ ﴾ : خبيت مارد.

﴿ مِنَ الْجِنِّ ﴾ : بيان له، لأنه يقال للرجل^(٤) الخبيت المنكر المعفر أقرانه. وكان اسمه ذكوان، أو صخرأ.

﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ : من مجلسك للحكومة، وكان يجلس إلى نصف النهار.

﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ ﴾ : على حمله.

﴿ لَقَوِيَّ أَمِينٌ ﴾^(٥) : لا أختزل منه شيئاً ولا أبده.

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ : وقيل^(٦): آصف بن برخيا وزيره. أو الخضر.

أو جبرئيل. أو ملك أيده الله تعالى به. أو سليمان نفسه، فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم، وأن هذه الكرامة كانت بسببه، والخطاب في:

﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ : للعفريت؛ كأنه استبطأه فقال له ذلك، أو

أراد إظهار معجزة في نقله فتحذاهم أولاً ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتأتى^(٧) لعفاريت الجن فضلاً عن غيرهم.

١. في المصدر: «فارتحلت» بدل «فخرجت وارتحلت».

٢. كذا في أنوار التنزيل ١٧٧/٢. وفي النسخ: فتنظره.

٣. كذا في المصدر والموضع. وفي النسخ: للرجال.

٤. أنوار التنزيل، ١٧٧/٢. ٥. كذا في م. وفي النسخ: بتهياً.

والمراد بالكتاب: جنس الكتب المنزلة، أو اللوح.
 و«أتيتك» في الموضعين صالح للفعلية والاسمية.
 و«الطرف» تحريك الأجفان للنظر فوضع موضعه، ولما كان الناظر يوصف بإرسال
 الطرف؛ كما في قوله:

وكننت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً اتعبتك المناظر
 وُصِفَ بردُ الطرف والطرف بالارتداد، والمعنى: أنك ترسل طرفك نحو شيء،
 وقيل إن تردّه أحضر عرشها بين يديك، وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه.
 وفي جوامع الجامع^(١): يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمان فجعل عرشها
 في آخر سبعة أبيات^(٢)، ووكلت به حرساً يحفظونه، فأراد سليمان أن يريها بعض ما
 يخصه الله به من المعجزات الشاهدة لنبوته.

وروي^(٣) أن أصف بن برخيا قال لسليمان عليه السلام: مدّ عينيك حتى ينتهي طرفك. فمدّ
 عينيه فنظر نحو اليمن^(٤)، ودعا أصف فغار العرش في مكانه بمآرب ثم نبع عند
 مجلس سليمان بالشام بقدره الله قبل أن يردّ^(٥) طرفه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦)، متصلاً بآخر ما سبق عنه قريباً؛ أعني: قوله:
 وارتحلت نحو سليمان. فلما علم سليمان بإقبالها نحوه قال للجنّ والشياطين: «أيكم
 يأتي بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين، قال عفريت من^(٧) الجنّ أنا أتيتك به قبل أن
 تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين». قال سليمان عليه السلام: أريد أسرع من ذلك، فقال
 أصف بن برخيا: «أنا أتيتك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك» فدعا الله تعالى بالاسم^(٨) الأعظم،

١. الجوامع، ٣٣٨.

٢. الجوامع، ٣٣٨.

٣. في بعض نسخ المصدر: «طرف اليمن» بدل «نظر نحو اليمن».

٤. المصدر: يرتدّ.

٥. تفسير القمي، ١٢٨/٢.

٦. المصدر: من عفريت الجنّ.

٧. المصدر: باسمه.

فخرج السرير من تحت كرسي سليمان.

حدّثني ^(١) أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام. وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذه البعوضة بجناحها من ماء البحر.

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه ^(٢): ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فُضِّلَ به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين.

وفي روضة الواعظين ^(٣) للمفيد رحمته الله: قال أبو سعيد الخدري: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله جلّ ثناؤه: «قال الذي عنده علم من الكتاب». قال: ذاك وصي أخي سليمان بن داود.

وفي بصائر الدرجات ^(٤): أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن محمد بن الفضيل ^(٥) قال: أخبرني ضريس الكناسي ^(٦)، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلّم به فخسف بالأرض ^(٧) ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت، أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

محمد بن عيسى ^(٨)، عن علي بن الحكم، عن محمد بن الفضيل، عن ضريس الوابشي، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، قول العالم: «أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك». فقال: يا جابر، إن الله جعل اسمه الأعظم على ثلاثة

١. تفسير القمي، ٣٦٧/١.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. روضة الواعظين، ١١١/١.

٤. البصائر ٢٢٨، ح ١.

٥. المصدر: الفضل.

٦. المصدر: الوابشي.

٧. أ: به الأرض.

٨. البصائر ٢٢٩، ح ٦.

وسبعين حرفاً، فكان عند العالم منها حرف^(١) فأخسفت^(٢) الأرض ما بينه وبين السرير، التفت القطعتان وحول من هذه على هذه، وعندنا اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف في علم الغيب المكنون عنده^(٣).

أحمد بن محمد^(٤)، عن علي بن الحكم، عن محمد بن الفضيل، عن سعدان، عن عمر الجلال^(٥)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف فتكلم به فحسفت بالأرض بينه^(٦) وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت، أسرع من طرفه عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب المكنون عنده. وفي عيون الأخبار^(٧)، بإسناده إلى عمرو بن واقد قال: إن هارون الرشيد لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر عليه السلام وما كان يبلغه عنه من قول الشيعة بإمامته واختلافهم^(٨) في السرائر بالليل والنهار خشية على نفسه وملكه، ففكر في قتله بالسم. إلى أن قال: ثم إن سيدنا موسى عليه السلام دعا بالمسيب، وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكباً به، فقال له: يا مسيب.

قال: لبيك، يا مولاي.

قال: إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة؛ مدينة جدي رسول الله ﷺ لأعهد إلى ابني علي ما عهده إلي أبي، وأجعله وصي وخليفتي، أمره أمري.

قال المسيب، فقلت: يا مولاي، كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وأقفالها والحرس معي على الأبواب؟

١. المصدر: حرف واحد.

٢. المصدر: فأنخسفت. وفي ن: فأخسفت.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: عنده المكنون. ٤. البصائر ٢٣٠، ح ٨.

٥. في المصدر: «سعد أبي عمرو الجلاب» بدل «سعدان، عن عمر الجلاب». وفي س، م، ن: الحلال.

٦. المصدر: ما بينه.

٧. العيون ٨٢١/٨٤، ح ٦.

٨. اختلف إلى المكان: تردّد إليه.

فقال: يا مسيب، ضعف يقينك بالله ﷻ وفينا؟

قلت: [لا]^(١) يا سيدي.

[قال: فمه؟

قلت: يا سيدي]^(٢) ادع [الله]^(٣) أن يثبتني.

فقال: اللهم ثبته.

ثم قال: إنني أدعو الله ﷻ باسمه العظيم، الذي دعا به^(٤) آصف حتى جاء بسرير بلقيس ووضعه بين يدي سليمان عليه السلام قبل ارتداد طرفه إليه حتى يجمع بيني وبين ابني علي بالمدينة.

قال المسيب: فسمعت عليه السلام يدعو ففقدته عن مصلاه فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأيته قد عاد إلى مكانه وأعاد الحديد إلى رجليه^(٥)، فخررت لله ساجداً لوجهي شكراً على ما أنعم به علي من معرفته. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أصول الكافي^(٦): محمد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر، عن الخشاب، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك». قال: ففرج أبو عبد الله عليه السلام بين أصابعه فوضعها في صدره، ثم قال: وعندنا، والله، علم الكتاب كله.

محمد بن يحيى^(٧) وغيره، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن محمد بن الفضيل قال: أخبرني شريس^(٨) الوابشي، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاث وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به

١. من المصدر.

٢. من المصدر.

٣. من المصدر.

٤. ليس في المصدر.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: رجليه.

٦. الكافي ٢٢٩/١، ح ٥.

٧. م، ن: ضريس.

٨. الكافي ٢٣٠/١، ح ١.

فخسف به الأرض^(١) ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت، أسرع من طرفه عين، وعندنا نحن^(٢) من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تبارك وتعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحسين بن محمد الأشعري^(٣)، عن معلي بن محمد، عن أحمد بن محمد بن عبد الله، عن علي بن محمد النوفلي، عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: سمعته يقول: اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفه عين، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب.

أحمد بن محمد^(٤)، عن محمد بن الحسن، عن عباد بن سليمان، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا سدير، ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى.

قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله تعالى: «قال الذي عنده علم من الكتاب إنا آتيناك به قبل أن يرتد إليك طرفك»؟ قال: قلت: جعلت فداك، قد قرأته^(٥).

قال: فهل عرفت الرجل، وهل علمت ما كان عنده علم^(٦) من علم الكتاب؟ قال: قلت له: أخبرني به.

قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر، فما يكون ذلك من علم [الكتاب]^(٧). قال: قلت: جعلت فداك، ما أقل هذا!

٢. المصدر: ونحن عندنا.

٤. الكافي ١/٢٥٧، ح ٣.

٦. ليس في المصدر.

١. المصدر: بالأرض.

٣. الكافي ١/٢٣٠، ح ٣.

٥. ليس في أ.

٧. من المصدر.

علي بن إبراهيم^(١) [وأحمد بن مهران، جميعاً، عن محمد بن علي، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر قال: كنت عند أبي إبراهيم^(٢) عليه السلام وأتاه رجل من أهل نجران اليمن من الرهبان ومعه راهبة، فاستأذن لهما الفضل بن سوار. فقال له: إذا كان غداً فأت بهما عند بئر أم خير.

قال: فوافيتنا من الغد فوجدنا القوم قد وافوا، فأمر بخصفة^(٣) بوارى، ثم جلس وجلسوا، فبدأت الراهبة بالمسائل فسألت عن مسائل كثيرة كل ذلك يجيبها، وسألها أبو إبراهيم^{عليه السلام} عن أشياء لم يكن عندها فيه شيء، ثم أسلمت، ثم أقبل الراهب يسأله فكان يجيبه في كل ما يسأله.

فقال الراهب قد كنت قوياً على ديني، وما خلقت أحداً من النصارى إني الأرض^(٤) يبلغ [مبلغي في العلم]^(٥)، ولقد سمعت برجل في الهند إذا شاء حج إلى بيت المقدس في يوم وليلة ثم يرجع إلى منزله بأرض الهند، فسألت عنه: بأي أرض هو؟ ف قيل لي: إنه بسيدان^(٦). وسألت الذي أخبرني، فقال: هو علم الاسم الذي ظفربه آصف صاحب سليمان، لما أتى بعرش سبأ، وهو الذي ذكره الله لكم في كتابكم، ولنا معشر الأديان في كتبنا.

فقال أبو إبراهيم^{عليه السلام}: فكم لله من اسم لا يرد؟^(٧)

فقال الراهب: الأسماء كثيرة، فأما المحتوم منها الذي لا يرد سائله فسبعة. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان^(٨): «قبل أن يرتد إليك طرفك» ذكر في ذلك وجوه. إلى قوله: الخامس، أن الأرض طويت له. وهو المروي عن أبي عبد الله^{عليه السلام}.

-
١. الكافي ٤٨١/١، ح ٥.
 ٢. ليس في أ.
 ٣. الخصفة: الجلة تعمل من خوص النخل.
 ٤. ليس في ن.
 ٥. ليس في م.
 ٦. المصدر: بسيدان.
 ٧. أي لا يرد سائله.
 ٨. المجمع، ٢٢٣/٤.

وروى ^(١) العياشي في تفسيره، بالإسناد قال: التقى موسى بن محمد بن علي بن موسى ويحيى بن أكرم، فسأله ^(٢) [عن مسائل] ^(٣).

قال: فدخلت على أخي علي بن محمد عليه السلام ^(٤) إذ دار بيني وبينه من المواعظ حتى انتهيت إلى طاعته، فقلت له: جعلت فداك، إن ابن أكرم سألني عن مسائل أفتيه فيها. فضحك، ثم قال: هل أفتيته فيها؟

قلت: لا.

قال: ولم؟

قلت: لم أعرفها.

[قال: وما هي؟ قلت] ^(٥): قال ^(٦): أخبرني عن سليمان أكان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا، ثم ذكرت المسائل الأخر.

قال: اكتب يا أخي: بسم الله الرحمن الرحيم، سألت عن قول الله تعالى في كتابه: «قال الذي عنده علم من الكتاب». فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معونة ما عرفه ^(٧) آصف، لكنّه صلوات الله عليه أحب أن يعرف ^(٨) [أتمته] ^(٩) من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان في حياة داود، لتعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق.

وفي الخرائج والجرائح ^(١٠): روي أن خارجياً اختصم مع آخر إلى علي عليه السلام فحكم بينهما بحكم الله ورسوله.

٢. المصدر: نسأله.

١. المجمع، ٢٢٥/٤.

٤. المصدر: بعد أن.

٣. من المصدر.

٦. ليس في المصدر.

٥. ليس في م.

٧. كذا في المصدر. وفي س، أ، م، ن: عرف وفي غيرها: عرفت.

٩. من المصدر.

٨. المصدر: تعرف.

١٠. الخرائج ٥٦٨/٢، ح ٢٤.

فقال الخارجي: لا عدلت في القضية.

فقال ﷺ أحسأ، ياعدو الله. فاستحال كلباً وطارت ثيابه في الهواء، فجعل يبصص^(١) وقد دمعت عيناه، فرق له ﷺ فدعا الله فأعاده إلى حال الإنسانية وتراجعت إليه ثيابه من الهواء.

فقال: إن آصف وصي سليمان [قد صنع نحوه] فقصَّ الله عنه بقوله: «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك» أيهما أكبر على الله نبيكم أم سليمان؟

فقيل: ما حاجتك إلى قتال معاوية إلى الأنصار؟

قال: إنما أدعو على هؤلاء بثبوت الحجّة وكمال المحنة^(٢)، ولو أذن لي في الدعاء لما تأخر.

وبإسناده^(٣) إلى أبي عبد الله ﷺ قال: إن الله أوحى إلى رسول الله ﷺ علم النبيين بأسره، وعلمه الله ما لم يعلمهم، وأسرّه إلى أمير المؤمنين ﷺ. فيكون عليّ أعلم أو بعض الأنبياء؟ وتلا «قال الذي عنده علم من الكتاب» ثم فرق بين أصابعه ووضعها على صدره وقال: وعندنا، والله، علم الكتاب.

﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ ﴾ : رأى العرش .

﴿ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ ﴾ : حاصلًا^(٤) بين يديه .

﴿ قَالَ ﴾ : تلقياً [للنعمة]^(٥) بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله .

﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ﴾ : تفضّل به عليّ من غير استحقاق .

والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه، أو غيره.

١. بصص الكلب: حرك ذنبه طمعاً أو ملقاً .

٢. كذا في نورالثقلين ٩٢/٤، ح ٧٨. وفي النسخ: المحبّة .

٣. الخرائج ٧٩٧/٢، ح ٦ .

٤. ليس في م .

٥. من أنوار التنزيل، ١٧٧/٢ .

﴿لَيْلُونِي أَشْكُرْ﴾: بأن أراه فضلاً من الله بلا حول مني ولا قوة، وأقوم بحقه.
 ﴿أَمْ أَكْفَرُ﴾: بأن أجد نفسي في البين^(١)، أو أقصر في أداء مواجبه. ومحلهما
 النصب [على البدل من الباء].

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: لأنه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها، ويحط
 عنها عبء الواجب^(٢)، ويحفظها عن وصمة الكفران.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي غَنِيٌّ﴾: عن شكره.

﴿كَرِيمٌ﴾^(٣): بالإنعام عليه ثانياً.

وفي أصول الكافي^(٤): علي بن إبراهيم عن أبيه^(٥)، عن بكر بن صالح، عن القاسم
 بن يزيد^(٦)، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الوجه الثالث من الكفر
 كفر النعم، وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان: «هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم
 أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم». والحديث طويل
 أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): وقول سليمان عليه السلام: «ليبلوني أشكر» لما آتاني الله
 من الملك «أم أكفر» إذا رأيت من هو أدون^(٨) مني أفضل مني علماً، فعزم الله له على
 الشكر.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾: بتغيير هيئته وشكله.

﴿تَنْظُرُ﴾: جواب الأمر. وقرئ^(٩) بالرفع على الاستئناف.

﴿أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونِ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(١٠): إلى معرفته، أو الجواب الصواب.

١. البين: الفارقة.

٢. ليس في أ.

٣. الكافي ٣٨٩/٢ - ٣٩٠، ح ١.

٤. يوجد في ن، م، المصدر.

٥. م، ن: بريد.

٦. تفسير القمي، ١٢٩/٢.

٧. كذا في المصدر، وفي النسخ: ممّا.

٨. كذا في المصدر، وفي النسخ: دون.

٩. أنوار التنزيل ١٧٧/٢.

وقيل^(١): إلى الإيمان بالله ورسوله إذا رأت تقدّم عرشها، وقد خلّفته مغلّقة عليه الأبواب موكّلة عليه الحراس.

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ﴾: تشبيهاً عليها زيادة في امتحان عقلها، إذ ذكرت عنده بسخافة العقل.

﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾: ولم تقل: هو هو. لاحتمال أن يكون مثله، وذلك من كمال عقلها.

﴿ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾^(٢): قيل^(٣): إنّه من تتمّة كلامها، كأنّها^(٣) ظنّت أنّه أراد بذلك اختيار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت^(٤): أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحّة نبوّتك قبل هذه الحالة. أو المعجزة بما تقدّم من الآيات.

وقيل^(٥): إنّه من كلام سليمان وقومه، وعطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوّزت أن يكون ذلك عرشها تجويزاً غالباً، وإحضاره ثمّة^(٦) من المعجزات الّتي لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا تظهر إلّا على [بد]^(٧) الأنبياء ﷺ: أي وأوتينا العلم بالله وقدرته، وصحّة ما جاء به من عنده قبلها، وكنا منقادين لحكمه، ولم نزل على دينه. ويكون غرضهم فيه، التحدّث بما أنعم الله عليهم من التقدّم في ذلك شكراً له.

وفي مهج الدعوات^(٨)، في دعاء العلويّ المصريّ: إلهي، وأسألك باسمك الّذي دعاك به آصف بن برخيا على عرش ملكة سبأ فكان أقلّ من لحظ الطرف حتّى كان مصوراً بين يديه، فلمّا رآته «قيل أهكذا عرشك قالت كأنّه هو».

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾: أي وصدها عبادتها الشمس عن التقدّم إلى

٢. أنوار التنزيل، ١٧٧/٢.

٤. كذا في المصدر، وفي النسخ: فقال.

٦. أي هناك.

٨. مهج الدعوات، ٢٧٨.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. كذا في المصدر، وفي النسخ: لأنّها.

٥. نفس المصدر والمجلّد، ١٧٨.

٧. من المصدر.

الإسلام. أو صدّها الله عن عبادتها بالتوفيق للإيمان.

﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (١٣): وقرئ (١١) بالفتح، على الإبدال من فاعل «صدّ» (١٢)

على الأول؛ أي صدّها نشوؤها بين أظهر الكفار. أو التعليل له.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾: قيل (١٣): القصر. وقيل (١٤): عرصة الدار.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾: نُقِلَ (١٥): أنّه أمر قبل قدومها ببناء (١٦)

قصرٍ صحنه من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلَمَّا أبصرته ظنّته (١٧) ماء راكداً فكشفت عن ساقها.

وقرئ (١٨) ابن كثير: «سَاقِهَا» بالهمزة، حملاً على جمعه سَوُوق وأسُوق.

﴿قَالَ إِنَّهُ﴾: إِنْ مَا تَظَنِّيهِ مَاءً.

﴿صَرَخَ مُمَرَّدٌ﴾: مُمَلِّسٌ.

﴿مِنْ قَوَاوِيرَ﴾: من الزجاج.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: بعبادتي الشمس. وقيل (١٩): بظني بسليمان فَإِنَّهَا

حسبت أنّه يغرقها في اللجة.

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٠): فيما أمر به عباده.

وقد اختلف في أمرها بعد ذلك، فقيل: إنّها تزوّجها سليمان وأقرّها على ملكها.

وقيل (٢١): إنّها زوّجها من ملك يقال له: تبع، وردّها إلى أرضها، وأمر زوبعة (٢٢) أمير

الجنّ باليمن أن يعمل له ويطعم، فصنع له المصانع باليمن.

١. أنوار التنزيل، ١٧٨/٢.

٢. المصدر: صدّها.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: فبني.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ظنّت.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: وعن.

٩. نفس المصدر والموضع. وفيه زيادة «برواية قبل».

١٠. أنوار التنزيل ١٧٨/٢.

١١. المجمع، ٢٢٥/٤.

١٢. س، أ، ن: ذوبعة. وفي م: ذريعة.

وفي مجمع البيان^(١): قال عون بن عبدالله: جاء رجل إلى عبدالله بن عتبة^(٢) فسأله هل تزوجها سليمان؟

قال: عهدي بها قالت: «وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين» يعني أنه لا يعلم ذلك، وأن آخر ما سمع^(٣) من حديثها هذا القول.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وكان سليمان عليه السلام قد أمر أن يتخذ لها بيتاً^(٥) من قوارير ووضع على الماء، ثم «قيل لها ادخلي الصرح» فظننت أنه ماء فرفعت [ثوبها وأبدت ساقها، فإذا عليها شعر كثير، فقيل لها: «إنه صرح ممرّد من قوارير قالت رب إنّي ظلمت نفسي وأسلمت»^(٦) مع سليمان لله رب العالمين» فتزوجها سليمان، وهي بلقيس بنت الشرح الحميرية. وقال^(٧) [سليمان عليه السلام للشياطين: ^(٨) اتّخذوا لها شيئاً يذهب هذا الشعر عنها. فعملوا لها الحمامات وطبخوا النورة، فالحمامات والنورة ممّا اتّخذته الشياطين لبلقيس، وكذا الأرحية التي تدور على الماء.

وفي الكافي^(٩): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، [عن علي بن محمّد القاساني، عمّن ذكره، عن عبدالله بن القاسم، عن أبي عبدالله عليه السلام]^(١٠) عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو. [إلى أن قال عليه السلام]^(١١): وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السلام.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: بأن اعبدوه.

﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾^(١٢) ففاجزوا التفريق والاختصاص، فأمن فريق وكفر

فريق. والواو لمجموع الفريقين.

١. المجمع، ٢٢٥/٤. ٢. كما في جامع الرواة ٤٩٥/١. وفي م: عطية.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: سمعها. ٤. تفسير القمي، ١٢٨/٢.

٥. الأظهر أن يكون العبارة إمّا يتخذ لها بيت. أو: يتخذوا لها بيتاً.

٦. ليس في أ. ٧. المصدر: وقالت.

٨. ليس في المصدر. وفيه: الشياطين. ٩. الكافي ٨٣/٥، ح ٣.

١٠. ليس في م. ١١. ليس في ن.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون». يقول: مصدق ومكذب. قال الكافرون منهم أتشهدون «أن صالحاً مرسل من ربه»^(٢) قال المؤمنون: «إنا بالذي أرسل به مؤمنون»^(٣) قال الكافرون منهم: «إنا بالذي آمتم به كافرون»^(٤).

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: بالعقوبة، فتقولون: «اثنتا بما تعدنا». ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: قبل التوبة، فتؤخرونها إلى نزول العقاب، فإنهم كانوا يقولون: إن صدق إيعاده تبنا حينئذ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٥): «وأما قوله ﷻ: «لم تستعجلون بالسَّيِّئَةِ قبل الحسنه» فإنهم سألوه قبل أن تأتيهم الناقة»^(٦) أن يأتيهم بعذاب أليم، فأرادوا بذلك امتحانه، فقال: «يا قوم لم تستعجلون بالسَّيِّئَةِ قبل الحسنه» يقول: بالعذاب قبل الرحمة.

﴿لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾: قبل نزوله^(٧). ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾^(٨): بقبولها، فإنها لا تُقبل حينئذ. ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾: تشاء منا. ﴿بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾: إذ تابعت علينا الشدائد، أو وقع بيننا الافتراق مذ اخترعتم دينكم.

﴿قَالَ طَائِفٌ مِّنْهُمْ﴾: سبيكم الذي جاء منه شركم. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: وهو قدره. أو عملكم المكتوب عنده.

٢. الأعراف / ٧٥-٧٦.

٤. الأعراف / ٧٥-٧٦.

٦. ليس في ن.

١. تفسير القمي، ١٣٢/٢.

٣. الأعراف / ٧٥-٧٦.

٥. تفسير القمي، ١٣٢/٢.

٧. أي نزول العذاب.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾^(١٧): تُختبرون بتعاقب السَّراءِ والضَّراءِ.

والإضراب، من بين طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه. وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(١): وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَام: «قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ» فَإِنَّهُمْ أَصَابَهُمْ جُوعٌ شَدِيدٌ، فَقَالُوا: هَذَا مِنْ شَوْمِكَ وَشَوْمٌ مِنْ مَعَكَ أَصَابَنَا هَذَا الْقَحْطُ، وَهِيَ الطَّيْرَةُ، قَالَ: إِنَّمَا^(٢) «طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ» يَقُول: خَيْرُكُمْ وَشَرُّكُمْ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ» يَقُول: تُبْتَلَوْنَ بِالْإِخْتِبَارِ.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾: تسعة أنفس. وَإِنَّمَا وَقَعَ تَمْيِيزاً لِلتَّسْعَةِ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى وَالْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْغُرَّاءِ مِنَ الثَّلَاثَةِ أَوِ السَّبْعَةِ إِلَى الْعَشْرَةِ، وَالْفَرْقِ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى التَّسْعَةِ.

﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(١٨): أَي شَأْنُهُمُ الْإِفْسَادُ الْخَالِصُ عَنْ شُوبِ الصَّلَاحِ.

كَانَتْ هَذِهِ التَّسْعَةُ نَفَرٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَهُمْ غَوَاةٌ قَوْمٌ صَالِحٌ، وَهُمْ الَّذِينَ سَعَوْا فِي عَقْرِ النَّاقَةِ، وَذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَسْمَاءَهُمْ قَالَ: هُمْ قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ، وَمُصَدِّعٌ، وَدَهْمِيٌّ، وَدَهِيمٌ^(٣) وَدَعِمِيٌّ، وَدَعِيمٌ، وَأَسْلَمٌ، وَقَتَالٌ، وَصَدَافٌ^(٤).

﴿قَالُوا﴾: أَي قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾: أَمْرٌ مَقُولٌ، أَوْ خَبَرٌ وَقَعَ بَدَلًا أَوْ حَالًا بِإِضْمَارِ «قَدْ».

﴿لَنُبَيِّنَنَّ وَأَهْلَهُ﴾: لَنُبَاغِتَنَّ صَالِحًا وَأَهْلَهُ لَيْلًا.

وَقَرَأَ^(٥) حَمْزَةً وَالْكَسَائِيَّ بِالْثَاءِ، عَلَى خُطَابٍ لِبَعْضِهِمْ.

وَقَرَأَ^(٦) بِالْيَاءِ، عَلَى أُنْ «تَقَاسَمُوا» خَبَرٌ.

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾: فِيهِ الْقِرَاءَاتُ الثَّلَاثُ.

٢. ليس في المصدر.

٤. م، ن: صدق.

١. تفسير القمي، ١٣٢/٢.

٣. س، أ، م، ن: دهيم.

٥ و ٦. أنوار التنزيل، ١٧٩/٢.

﴿لَوْلِيَّهٖ﴾: لوليّ دمه.

﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾: فضلاً أن تولّينا إهلاكهم.

وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان، وكذا «مهلك» في قراءة حفص فإنّ مفعلاً قد جاء مصدراً؛ كمرجع.

وقرأ^(١) أبو بكر بالفتح، فيكون مصدراً.

﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾^(٢): فيما ذكرنا، لأنّ الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً، أو لأنّا

ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم؛ كقولك: ما رأيت ثَمَّةً^(٣) رجلاً بل رجلين.

﴿وَمَكْرَؤًا مَّكْرًا﴾: بهذه المواضع.

﴿وَمَكْرَنًا مَّكْرًا﴾: بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤): بذلك.

نُقِلَ^(٥): أنّه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه، فقالوا: زعم أنّه يفرغ منّا إلى ثلاث، فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث. فذهبوا إلى الشَّعْبِ^(٦) ليقتلوه، فوقع عليهم صخرة حيالهم وطبقت عليهم فمه فهلكوا ثَمَّةً، وهلك الباقيون في أماكنهم بالصيحة؛ كما أشار إليه بقوله:

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٧): و«كان» إن جعلت

ناقصة فخبره^(٨) «كيف» و«أنا دمرناهم» استئناف، أو خبر محذوف، لا خبر كان لعدم العائد. وإن جعلتها تامّة «كيف» حال.

وقرأ^(٩) الكوفيون ويعقوب: «أنا دمرناهم» بالفتح، على أنّه خبر محذوف، أو بدل

من اسم «كان»، أو خبر له و«كيف» حال.

٢. أي هناك.

١. أنوار التنزيل، ١٧٩/٢.

٤. الشعب: انفراج بين جبلين.

٣. أنوار التنزيل، ١٧٩/٢.

٦. أنوار التنزيل، ١٧٩/٢.

٥. الصحيح: فخبرها.

وفي كتاب الخصال^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الجامع بالكوفة فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن يوم الأربعاء والتطير منه وثقله، وأي أربعاء هو؟

فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر، وهو المحاق، وفيه قتل قابيل هابيل أخاه ويوم الأربعاء ألقى إبراهيم عليه السلام في النار، ويوم الأربعاء قال الله تعالى: «أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. [وفي عيون الأخبار^(٢) مثله^(٣)]. ﴿فَلَنَكُ بِيَوْتِهِمْ خَاوِيَةٌ﴾: خالية، من خوى البطن: إذا خلا. أو ساقطة منهزمة، من خوى النجم: إذا سقط.

وهي حال، عمل فيها معنى الإشارة.

وقرئ^(٤) بالرفع، على أنه خبر مبتدأ محذوف.

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: بسبب ظلمهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٥): وقوله ﷺ: «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا» قال: لا تكون الخلافة في آل فلان ولا آل فلان [ولا آل فلان]^(٦) ولا آل طلحة والزبير^(٧). وفي أصول الكافي^(٨): الحسين بن محمد، عن محمد بن أحمد النهدي، عن عمرو بن عثمان، عن رجل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: حق على الله ﷻ أن لا يعصى في دار إلا أضحاها للشمس حتى تطهرها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٩): فيتعظون.

﴿وَاتَّخِذْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: صالحاً ومن معه.

﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(١٠): الكفر والمعاصي، فلذلك خصوا بالنجاة.

١. الخصال ٣٨٨/٢.

٢. العيون ١٩٣/١، ح ١.

٣. أنوار التنزيل، ١٧٩/٢.

٤. ليس في ن.

٥. ليس في م، ن.

٦. تفسير القمي، ١٢٩/٢.

٧. الكافي ٢٧٢/٢، ح ١٨.

٨. المصدر: ولا الزبير.

﴿وَلَوْطًا﴾: واذكر لوطاً. أو وأرسلنا لوطاً لدلالة «ولقد أرسلنا» عليه.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾: يدل على الأول، وظرف على الثاني.

﴿اتَّاتَوْنَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٣٤): تعلمون فحشها، من بصر القلب، واقتراف القبانح من العالم بقبحها أقبح. أو يبصرها بعضكم من بعض، لأنهم كانوا يعلنون بها فيكون أفحش.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾: بيان لإتيانهم الفاحشة، وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه، والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر (١).

﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾: اللاتي خلقتن لذلك.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (٣٥): تفعلون فعل من جهل قبحها. أو يكون سفيهاً لا يميز بين الحسن والقبيح. أو تجهلون العاقبة.

﴿وَالنَّاءِ﴾: فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ﴾ (٣٦): ينتزهون عن أفعالنا. أو عن الأقدار، ويعدون فعلنا قدراً.

﴿فَانْجَيْنَا وَاهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣٧): قدرنا كونها من الباقيين في العذاب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٣٨): مر مثله.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾: أمر رسول الله ﷺ، بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى، بتحميده والسلام على المصطفين من عباده، شكراً على ما أنعم عليهم، أو علمه (٢) ما جهل من أحوالهم وعرفاناً لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في

١. كذا في أنوار التنزيل ١٨٠/٢. وفي النسخ: الوطي. والوطر: الحاجة فيها مأرب وهمة. يقال: قضى منه وطره؛ أي بغيته.

٢. أي أو على علمه ما جهل من أحوالهم، فيكون معطوفاً على «ما» وليس معطوفاً على «أنعم» حتى يكون

الدين . أو لوطاً بأن يحمده على هلاك كفره قومه ، ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش و[النجاة]^(١) من الهلاك .

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٢) : وقال علي بن إبراهيم في قوله تعالى : « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » : محمد وآله عليهم السلام .

﴿ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٣) : إلزام لهم وتهكم وتسفيه لرأيهم ، إذ من المعلوم أن لا خير فيما أشركوه رأساً حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير .
وقرأ^(٤) أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء .

وفي تهذيب الأحكام^(٥) ، في الموثق : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : على الرجل إذا قرأ : « الله خير أماً يشركون » أن يقول : الله خير ، الله أكبر .

قلت : فإن لم يقل الرجل شيئاً من هذا إذا قرأ ؟

قال : ليس عليه شيء . والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .

وفي جوامع الجامع^(٦) : الصادق عليه السلام يقول إذا قرأها : الله خير ، ثلاث مرّات .
﴿ أَمَّنْ ﴾ : بل من .

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ : التي هي أصول الكائنات ومبادئ المنافع .

وقرئ^(٧) : « أمّن » بالتخفيف ، على أنه بدل من « الله » .

﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ ﴾ : لأجلكم .

﴿ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾ : عدل به عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد

اختصاص الفعل بذاته ، والتنبيه على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع

⇒ المعنى : أو على ما علمه ما جهل لفساد التركيب ، هذا إذا جعل « ماء » موصولة ، وأما إذا كانت مصدرية فالمعنى : على إنعامه ، أو تعليمه ما جهل من أحوالهم .

١ . من أنوار التنزيل ، ١٨٠/٢ . ٢ . تفسير القمي ، ١٢٩/٢ .

٣ . أنوار التنزيل ، ١٨٠/٢ . ٤ . التهذيب ، ٢٩٧/٢ ، ح ١١٩٥ .

٥ . الجوامع ، ٣٣٩ . ٦ . أنوار التنزيل ، ١٨٠/٢ .

المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره؛ كما أشار إليه بقوله:

﴿ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾: شجر الحدائق، وهي البساتين، من الإحداق وهو الإحاطة.

﴿ أَلَلَّهَ مَعَ اللَّهِ ﴾: أغيره يُقَرَّن به ويجعل له شريكاً، وهو المتفرّد بالخلق والتكوين؟ وقرئ^(١): «ألهاً» بإضمار فعل؛ مثل: أتدعون، أو أتشركون، ويتوسط مدّة بين الهمزتين وإخراج الثانية بين بين.

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾^(٢): عن الحقّ، الذي هو التوحيد.

﴿ أَمَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾: بدل من «أمن خلق السماوات»، وجعلها قراراً بإبداء^(٣) بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتّى استقرار الإنسان والدوابّ عليها.

﴿ وَجَعَلَ خِلَالَهَا ﴾: وسطها.

﴿ أَنَهَا رَأَى ﴾: جارية.

﴿ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي ﴾: جبلاً تتكوّن فيها المعادن، وتنبع من حضيضها المنابع.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ ﴾: العذب والمالح، أو خليجي فارس والروم.

﴿ حَاجِزًا ﴾: برزخاً، وقد مرّ بيانه^(٤).

﴿ أَلَلَّهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٥): الحقّ، فيشركون به.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): عليّ بن أسباط، عن إبراهيم الجعفريّ، عن أبي الجارود، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون» قال: أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد؛ يعني كما أنّه لا يجوز أن يكون إله مع الله سبحانه كذلك لا يجوز أن يكون إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد، لأنّ الهدى والضلال لا يجتمعان في زمن من الأزمان، والزمان لا يخلو^(٧) من إمام هدى من الله يهدي الخلق.

١. أنوار التنزيل، ١٨٠/٢.

٢. كذا في نفس المصدر. وفي النسخ: أبداً.

٣. أي في سورة الفرقان.

٤. تأويل الآيات ٤٠١/١، ح ٢.

٥. كذا في نفس المصدر. وفي النسخ: لا يخل.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا﴾: «المضطّر» الَّذي أحوجّه شدة ما به إلى اللّجاء إلى الله من الاضطرار، وهو افتعال، من الضرورة.

﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾: ويدفع عن الإنسان ما يسوءه.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾: خلفاء فيها، بأن ورثكم سكتها والتصرف فيها ممّن قبلكم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(١): وقوله ﷻ: «أَمَّنْ يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض» فإنّه حدّثني أبي، عن الحسن [بن علي] ^(٢) بن فضال، عن صالح بن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت في القائم من آل محمّد عليه السلام. هو والله، المضطرّ إذا صلّى في المقام ركعتين، ودعا إلى ﷻ الله ﷻ فأجاب، ويكشف السوء ويجعله خليفة في الأرض.

حدّثني ^(٤) أبي، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي خالد الكابلي قال: قال أبو جعفر عليه السلام والله، لكأني أنظر إلى القائم عليه السلام وقد أسند ظهره إلى الحجر، ثمّ ينشد الله حقّه، إلى أن قال عليه السلام: هو والله، المضطرّ في كتاب الله في قوله: «أَمَّنْ يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض» فيكون أوّل من يبايعه جبرئيل عليه السلام ثمّ الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً، فمن كان ابتلي بالمسير وافاه ^(٥)، ومن لم يبتل فُقد عن فراشه، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: هم ^(٦) المفقودون عن فرشهم. وذلك قول الله: «فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً». قال: «الخيرات» الولاية.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٧): قال محمّد بن العباس عليه السلام: حدّثنا إسحاق بن محمّد بن

١. تفسير القمّي، ١٢٩/٢.

٢. ليس في م.

٣. ليس في المصدر.

٤. تفسير القمّي، ٢٠٥/٢.

٥. كذا في نفس المصدر. وفي النسخ: وافي.

٦. كذا في نفس المصدر. وفي النسخ: هو.

٧. تأويل الآيات ٤٠١/١-٤٠٢، ح ٣.

مروان، عن أبيه، عن عبيد الله بن خنيس، عن صباح المزني، عن الحرث بن حصيرة^(١)، عن أبي داود، عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام إلى جنبه: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض» قال: فانتفض^(٢) عليّ عليه السلام انتفاض^(٣) العصفور.

فقال له النبي ﷺ: لم تجزع، يا عليّ؟

فقال: ألا أجزع^(٤) وأنت تقول: «يجعلكم خلفاء الأرض».

قال: لا تجزع، فوالله، لا يبغضك مؤمن ولا يحبك كافر.

وعن أحمد بن محمد بن العباس^(٥)، عن عثمان بن هاشم بن^(٦) الفضل، عن محمد بن كثير، عن الحرث بن حصين^(٧)، عن أبي داود السبيعي، عن عمران بن حصين قال^(٨) قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ وعليّ عليه السلام إلى جنبه إذ قرأ النبي ﷺ: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض» قال: فارتعد عليّ عليه السلام. فضرب النبي ﷺ بيده على كتفه وقال: ما لك، يا عليّ؟

فقال: يا رسول الله، قرأت هذه الآية فخشيت أن نبتلي بها، فأصابني ما رأيت.

فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ، لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق إلى يوم القيامة.

محمد بن العباس^(٩)، عن أحمد بن محمد^(١٠) بن زياد، عن الحسن بن محمد عن^(١١)

١. كذا في نفس المصدر. وفي النسخ: حفيرة.

٢. كذا في المصدر. وفي س، أ، م، ن: فانتفض. وفي غيرها: فانتقص.

٣. كذا في المصدر. وفي م، ن: انتفاض. وفي غيره: انتفاص.

٤. كذا في م، المصدر. وفي النسخ: نجزع.

٥. تأويل الآيات ٤٠٢/١، ح ٤.

٦. كذا في نفس المصدر. وفي النسخ: عن.

٧. المصدر: حصيرة.

٨. ليس في المصدر.

٩. في المصدر: «حميد» بدل «أحمد بن محمد».

١٠. المصدر: بن.

سماعة، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ القائم عليه السلام إذا خرج دخل المسجد الحرام فيستقبل الكعبة، ويجعل ظهره إلى المقام، ثمَّ يصلي ركعتين، ثمَّ يقوم فيقول:

يا أيُّها الناس، أنا أولى الناس بآدم، يا أيُّها الناس، أنا أولى الناس بإبراهيم، يا أيُّها الناس، أنا أولى ^(١) الناس [باسماعيل، يا أيُّها الناس، أنا أولى الناس] ^(٢) بمحمد عليه السلام. ثمَّ يرفع يديه إلى السماء فيدعو ويتضرع حتَّى يقع على وجهه، وهو قوله ﷺ: «أمن يجب المضطرُّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون». وبالإسناد ^(٣): عن [ابن] ^(٤) عبد الحميد، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ: «أمن يجب المضطرُّ إذا دعاه» قال: هذه نزلت في القائم عليه السلام. إذا خرج تعمَّم وصلى عند المقام وتضرع إلى الله ^(٥)، فلا تُردَّ له راية أبداً.

﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾: الذي خَصَّكم بهذه النعم العامة والخاصة.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ ^(٦): أي تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً.

و«ما» مزيدة. والمراد بالقلة: العدم، أو الحقارة المزيحة للفائدة.

وقرأ أبو عمرو وروح بالياء. وحمزة وحفص والكسائي بالياء، وتخفيف الذال.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: بالنجوم وعلامات الأرض.

و«الظلمات» ظلمات الليالي، أضافها إلى «البرِّ والبحر» للملابسة. أو مشتبهات ^(٧)

الطريق، يقال: طريقة ظلماء وعمياء، لأنني لا منار بها.

﴿وَمَنْ يُزِيلِ الْريَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾: يعني المطر.

قيل ^(٨): ولو صحَّ أنَّ السبب الأكثر في تكون الرياح معاودة الأدخنة المتصاعدة

١. كذا في نفس المصدر. وفي النسخ: أول.

٢. ليس في ن.

٣. تأويل الآيات ٤٠٣/١، ح ٦.

٤. من المصدر مع المعقوفتين.

٥. م، ن، المصدر: رثه.

٦. أنوار التنزيل، ١٨١/٢.

٧. أنوار التنزيل، ١٨١/٢.

٨. كذا في م. وفي النسخ: مشبهات.

من الطبقة الباردة، لانكسار حرّها وتموجها الهواء، فلا شك أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله، والفاعل للسبب فاعل للمسبب^(١).

﴿إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾: يقدر على مثل ذلك.

﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢): تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: والكفرة وإن أنكروا الإعادة فهم المحجوجون

بالحجج الدالة عليها.

﴿وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: أي بأسباب سماوية وأرضية.

﴿إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾: يفعل ذلك.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: على أن غيره يقدر على شيء من ذلك.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣): في إشراككم، فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾: لما بين اختصاصه بالقدرة

التامة الفائقة العامة أتبعه ما هو كاللازم له، وهو التفرد بعلم الغيب.

والاستثناء منقطع، ورفع المستثنى على اللغة التمييزية للدلالة على أنه تعالى إن كان

ممن في السماوات والأرض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم. أو متصل على

أن المراد بمن في السماوات والأرض من تعلّق علمه بها وأطلع عليها اطلاع الحاضر

فيها، فإنه يعلم الله تعالى وأولي العلم من خلقه، وهو موصول أو موصوف.

وفي نهج البلاغة^(٤)، كلام يومئ به ﷺ إلى وصف الأتراك: كأنّي أراهم قومًا كأنّ

وجوههم المّجان المطرقة^(٥)، يلبسون السرق^(٦) والديباج، ويعتقبون الخيل العتاق^(٧).

١. م: المسبّب. ٢. النهج ١٨٦، الخطبة ١٢٨.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: المطرقة. والمجان المطرقة: النعال التي الرق بها الطراق وهو جلد يقرور على مقدار الترس ثم يلزق به.

٤. كذا في المصدر. وفي س، أ، م، ن، الرق. وفي غيرها: الاستبرق. والسرق: شق الحرير الأبيض.

٥. أي يحسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم.

ويكون هنا استحرار^(١) قتل حتى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أفل من المأسور!

فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين، علم الغيب! فضحك ﷺ وقال للرجل، وكان كلبياً: يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم. وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عدده الله سبحانه بقوله: «إِنَّ اللَّهَ عنده علم الساعة» الآية، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد، ومن يكون للنار^(٢) خطباً، أو في الجنان للنبیین مرافقاً. فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه ﷺ فعلمنيه، ودعالي أن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي^(٣).

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(٤) متى يُنشرون. مركبة من «أي» و«أن».

وقرئت^(٥) بكسر الهمزة. والضمير «لمن». وقيل: للكفرة.

﴿بَلْ إِدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: لَمَّا نَفَى عَنْهُمْ علم الغيب، وأكد به بنفي شعورهم بما هو مألهم لامحالة، بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أنهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة، فقال: بل إدراك علمهم في الآخرة أي تتابع منهم العلم وتلاحق حتى كمل علمهم في الآخرة مما أخبروا به في الدنيا. فهو على لفظ الماضي، والمراد به: الاستقبال.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): «بل إدراك علمهم في الآخرة» يقول: علموا ما كانوا جهلوا في الدنيا.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾: كمن تحير في الأمر لا يجد عليه دليلاً.

﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾^(٧): لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم. وهذا وإن اختص

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: استجرار. والاستحرار هو الاشتداد.

٢. المصدر: في النار. ٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: جوارحي.

٤. أنوار التنزيل، ١٨١/٢. ٥. تفسير القمي، ١٣٢/٢.

بالمشركين مَن في السماوات والأرض نسبه إلى جميعهم كما يُسند فعل البعض إلى الكل. والإضرابات الثلاث تنزِيل لأحوالهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ (١٧): كالبيان لعمهم^(١).

والعامل في «إذا» ما دلَّ عليه «أنا لمخرجون» وهو «نخرج» لا «مخرجون»، لأنَّ كلاً من «الهمزة» و«إن» و«اللام» مانعة من عمله فيما قبلها. وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار. والمراد بالإخراج: الإخراج من الأجداد، أو من حال الفناء إلى حال الحياة. ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل وعد محمد ﷺ.

وتقديم «هذا» على «نحن» لأنَّ المقصود بالذكر: هو البعث، وحيث أُوخِرَ فالمقصود به: المبعوث.

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٨): التي هي كالأسمار.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٩): تهديد لهم على التكذيب، وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذِّبين قبلهم. والتعبير عنهم «بالمجرمين» ليكون لطفًا للمؤمنين في ترك الجرم.

وفي كتاب الخصال^(٢): وسُئِلَ الصادق عليه السلام عن قول الله ﷻ: «أو لم يسيروا في الأرض». قال: معناه: أو لم ينظروا في القرآن.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: على تكذيبهم وإعراضهم.

﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾: في حرج صدر.

وقرأ ابن كثير بكسر الضاد، وهما لغتان.

وقرئ^(٣): «ضيق» أي أمر ضيق.

﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٢٠): من مكرهم، فإنَّ الله تعالى يعصمك من الناس.

١. العمه: التحير والتردد.

٢. الخصال ٣٩٦٢، ح ١٠٢.

٣. ١٨٢/٢. أنوار التنزيل.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: العذاب الموعود.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾: تبعكم ولحقكم.

و«اللام» مزيدة للتأكيد^(١)، والفعل مُضَمَّنٌ^(٢) معنى فعل يتعدى باللام؛ مثل: دنا.

وقرئ^(٣) بالفتح، وهو لغة فيه.

﴿بَغْضِ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٣٢): حلوله، وهو عذاب يوم بدر.

و«عسى» و«لعل» و«سوف» في مواعيد الملوك؛ كالجزم بها، وإنما يطلقونه^(٤)

إظهاراً لوقارهم، وإشعاراً بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم، وعليه جرى وعد الله

ووعيده.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: بتأخير عقوبتهم على المعاصي.

و«الفضل» و«الفاضلة» الأفضال. وجمعها، فضول وفواضل.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٣): لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه، بل

يستعجلون بجهلهم وقوعه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: ما تخفيه.

وقرئ^(٥) بفتح التاء، من كنتت؛ أي سترت.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٣٤): من عداوتك، فيجازيهم عليه.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: خافية فيهما.

وهما من الصفات الغالبة، والتاء فيهما للمبالغة؛ كما في الرواية. أو اسمان لما يغيب

وينخفي، والتاء كالتاء في غافية وعاقبة.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٣٥): بين، أو مبين ما فيه لمن يطالعه؛ والمراد: اللوح^(٦)، أو

القضاء على الاستعارة.

١. الصحيح: أو.

٣. أنوار التنزيل، ١٨٢/٢.

٥. أنوار التنزيل، ١٨٣/٢.

٢. م، ن: يتضمَّن.

٤. الصحيح: يطلقونها.

٦. س، أ، م، ن: اللوح المحفوظ.

وفي أصول الكافي^(١): محمد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر^(٢) أو غيره، عن محمد بن حماد، عن أخيه أحمد بن حماد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام أنه قال: وقد أورثنا^(٣) نحن هذا القرآن الذي فيه ما تُسِير به الجبال وتُقَطَّع به البلدان ويحيى^(٤) به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء. وإن في الكتاب^(٥) لآيات ما يراد بها أمر إلا أن ياذن الله^(٦) مع ما قد ياذن الله مما كتبه الماضون، جعله الله لنا في أم الكتاب، إن الله يقول: «وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين». ثم قال: «وأورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا». فنحن الذين اصطفانا الله ﷻ وأورثنا هذا الكتاب^(٧)، فيه تبيان كل شيء. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْضَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٨): كالتشبيه، والتنزيه، وأحوال الجنة والنار، وعزير والمسيح.

﴿وَأَنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٩): فإنهم المنتفعون به.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾: بين بني إسرائيل.

﴿يُحْكِمُهُ﴾: بما يحكم به وهو الحق. أو بحكمته، ويدل عليه أنه قرئ: بحكمه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: فلا يرد قضاؤه.

﴿الْعَلِيمُ﴾^(١٠): بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: ولاتبال بمعاداتهم.

﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾^(١١): وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله تعالى

ونصره.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾: تعليل آخر للأمر بالتوكل، من حيث إنه يقطع طمعه عن

٢. م: ظاهر.

٤. المصدر: تحيي.

٦. في المصدر: زيادة «به».

١. الكافي ٢٢٦/١، ح ٧.

٣. المصدر: ورثنا.

٥. المصدر: كتاب الله.

٧. المصدر: الذي.

مبايعتهم ومعاضدتهم رأساً. وإنما شُبِّهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يُتلى عليهم؛ كما شُبِّهوا بالصمّ في قوله:

﴿وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾^(٥٧): فَإِنَّ إِسْمَاعِيْلَ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَبْعَدُ. وقرأ^(١) ابن كثير: «ولا يسمع الصم».

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾: حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر.

﴿إِنْ تَسْمَعُ﴾: أي ما يجدي إسماعك.

﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: من هو في علم الله كذلك.

﴿فَهُمْ مُنْصَلِمُونَ﴾^(٥٨): مخلصون، من أسلم وجهه الله.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: إذا دنا وقوع معناه، وهو ما وُعدوا به من البعث

والعذاب.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾: قيل^(٢): وهي الجِساسَة^(٣)، وأن طولها ستون

ذراعاً، ولها [أربع]^(٤) قوائم وزغب وريش وجناحان، لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب.

﴿تُكَلِّمُهُمُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾: قيل: خروجها وسائر أحوالها، فإنها من آيات

الله تعالى.

وقيل^(٥): القرآن.

﴿لَا يُوقِنُونَ﴾^(٥٩): لا يتيقنون. وهو حكاية معنى قولها، أو حكايتها لقول الله، أو

علة خروجها أو تكلمها على حذف الجار.

وقرأ^(٦) الكوفيون: «أَنْ» بالفتح^(٧).

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحساسة.

٥. نفس المصدر والمجلد، ١٨٤.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: بالكسر.

١ و٢. أنوار التنزيل، ١٨٣/٢.

٤. من المصدر.

٦. نفس المصدر والمجلد، ١٨٤.

وفي كتاب الغيبة^(١) لشيخ الطائفة رحمه الله، بإسناده إلى علي بن مهزيار حديث طويل، يذكر فيه دخوله على صاحب الأمر عليه السلام وسؤاله إياه، وفيه: فقلت: يا سيدي، متى يكون هذا الأمر؟

فقال: إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة، واجتمع الشمس والقمر واستدار بهما الكواكب والنجوم.

فقلت: متى، يا ابن رسول الله عليه السلام؟

فقال: في سنة كذا وكذا تخرج دابة الأرض من بين الصفا والمروة، ومعه^(٢) عصا موسى وخاتم سليمان، يسوق^(٣) الناس إلى المحشر.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٤)، بإسناده إلى النزول بن سياره^(٥): عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، قال فيه عليه السلام بعد أن ذكر الدجال ومن يقتله: ألا إن بعد ذلك الطامة الكبرى.

قلت: وما ذلك، يا أمير المؤمنين؟

قال: خروج دابة [من]^(٦) الأرض من عند الصفا، معها خاتم سليمان وعصا موسى، تضع^(٧) الخاتم على وجه كل مؤمن فينطبع فيه: هذا مؤمن حقاً، وتضعه^(٨) على وجه كل كافر فيكتب^(٩): هذا كافر حقاً، حتى أن المؤمن لينادي: الويل لك حقاً^(١٠)، يا كافر. وأن الكافر ينادي: طوبى لك يا مؤمن، وددت أنني^(١١) كنت مثلك فأفوز فوزاً عظيماً. ثم ترفع الدابة رأسها [فيراها]^(١٢) من بين الخافقين بإذن الله عز وجل. وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك تُرفع التوبة فلا تُقبل توبة ولا عمل يُرْفَع ولا ينفع نفساً إيمانها

١. الغيبة للطوسي، ١٦١.

٢. الأظهر: معها.

٣. الأظهر: تسوق.

٤. كمال الدين ٥٢٧، ح ١.

٥. المصدر: النزول بن سبرة.

٦. من المصدر مع المعرفتين.

٧. المصدر: يضع.

٨. المصدر: يضعه.

٩. المصدر: فينكتب.

١٠. ليس في المصدر.

١١. في المصدر: زيادة «اليوم».

١٢. من المصدر.

لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

ثم قال ﷺ: لا تسألوني عما يكون بعد هذا، فإنه عهد إليّ حبيبي رسول الله ﷺ ألا أخبر به غير عترتي.

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفارق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم.

وفي أصول الكافي^(٢): محمد بن يحيى وأحمد بن محمد، جميعاً، عن محمد بن الحسن عن^(٣) علي بن حسان قال: حدثني أبو عبد الله الرياحي، عن أبي الصامت^(٤) الحلواني، عن أبي جعفر ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: ولقد أعطيت الست: علم المنايا والبلايا والقضايا^(٥) وفصل الخطاب، وإني لصاحب الكرات ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ﷺ^(٦): وأما قوله: «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض»^(٧) إلى قوله: «بآياتنا لا يوقنون». فإنه حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ قال: انتهى رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين ﷺ وهو نائم في المسجد، قد جمع رملًا ووضع رأسه عليه، فحركه برجله، ثم قال له: قم، يا دابة الأرض.

فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، أيسمي بعضنا بعضاً بهذا الاسم.

فقال: لا، والله، ما هو إلا له خاصة، وهو الدابة التي ذكرها الله في كتابه [فقال ﷺ]^(٨):

«وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون».

٢. الكافي ١/١٩٨، ح ٣.

٤. م: أبي الصلت.

٦. تفسير القمي، ٢/١٣٠.

٨. ليس في المصدر.

١. الملل ١٦٤، ح ٣.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: بن.

٥. المصدر: الوصايا.

٧. ليس في الأرض.

ثم قال: يا علي، إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة، ومعك ميسم تسم به أعداءك.

فقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: إن العامة^(١) يقولون: هذه الدابة إنما تكلمهم^(٢).

فقال أبو عبد الله عليه السلام: كلّمهم الله في نار جهنم، إنما هو تكلمهم من الكلام.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: قال رجل لعمار بن ياسر: يا أبا اليقظان، آية في كتاب الله قد أفسدت قلبي وشككتني.

قال عمار: وأية^(٣) آية هي؟

قال: قوله: «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون». فأية^(٤) دابة هذه؟^(٥)

قال عمار: والله، ما أجلس ولا أكل ولا أشرب حتى أريكها. فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمرًا وزبدًا. فقال عليه السلام: يا أبا اليقظان، هلم. فأقبل عمار وجلس يأكل معه، فتعجب الرجل منه.

فلما قام عمار قال له الرجل: سبحان الله^(٦)، إنك حلفت أن لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى تريني^(٧) الدابة!^(٨)

قال: قد أريتكمها إن كنت تعقل.

وفي مجمع البيان^(٩)، بعد أن نقل هذا الحديث الأخير: وروى العياشي هذه القصة بعينها عن أبي ذر أيضاً.

وروى محمد بن كعب القرظي^(١٠) قال: سئل علي عليه السلام عن الدابة.

١. المصدر: الناس.

٢. تفسير القمي، ١٣١/٢.

٣. المصدر: هي.

٤. في المصدر: زيادة «يا أبا اليقظان».

٥. ليس في المصدر.

٦. المجمع ٢٣٤/٤. وفي ن: القرطي.

٧. أي تجرحهم.

٨. المصدر: أي.

٩. م: أكل.

١٠. المصدر: ترينها.

١١. المجمع ٢٣٤/٤. وفي ن: القرطي.

فقال: أما، والله، ما لها ذنب وإن لها للحية.

وعن حذيفة^(١)، عن النبي ﷺ قال: دابة الأرض طولها ستون ذراعاً، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب، فتقسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن، وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه: كافر، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى يقال: يا مؤمن ويا كافر.

وروي^(٢) عن النبي ﷺ أنه يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر: فتخرج خروجاً بأقصى المدينة فيفشو ذكرها في البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة. ثم [تمت زماناً طويلاً، ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة، فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية: يعني مكة. ثم]^(٣) سار الناس يوماً في أعظم المساجد على الله ﷻ حرمة وأكرمها على الله [يعني]^(٤) المسجد الحرام، لم ترعهم إلا وهي في ناحية المسجد [تدنو]^(٥) وتدنو كذا ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك، فيرفض^(٦) الناس عنها، ويثبت لها عصابة عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب، فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب، حتى أن الرجل ليقوم فيتعوذ منها في الصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان، الآن تصلي. فيقبل عليها بوجهه فتسمه^(٧) في وجهه، فيتجاوز^(٨) الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال، يُعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن: يا مؤمن، وللکافر: يا كافر.

وفي جوامع الجامع^(٩): وروي فتضرب المؤمن فيما^(١٠) بين عينيه بعصا موسى،

٣. ليس في أم.

٦. أي يتفزق.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: فتجاوز.

١٠. ليس في المصدر.

١ و٢. المجمع، ٢٣٤/٤.

٤ و٥. من المصدر.

٧. المصدر: فتسمه.

٩. الجوامع، ٣٤١.

فتنكت نكتة بيضاء، فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء^(١) لها وجهه، وتكتب^(٢) بين عينيه: مؤمن، وتنكت الكافر بالخاتم فتفشو تلك^(٣) النكتة حتى يسود لها وجهه، وتكتب^(٤) بين عينيه: كافر.

وعن الباقر^(٥) عليه السلام: كَلَّمَ الله من قرأ: تَكَلَّمَهُمْ^(٦)، ولكن «تَكَلَّمَهُمْ»^(٧) بالتشديد. وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَلْبِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الزِّيَّاتِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَنِيدِ^(٩)، عَنْ مَفْضَلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(١٠) يَوْمًا فَقَالَ: أَنَا دَابَّةُ الْأَرْضِ.

وقال^(١١): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَاتِمٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الرَّاشِدِيِّ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَخْلَدٍ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ يَعْقُوبَ الْجَعْفِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(١٢) فَقَالَ: أَلَا أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلِيٌّ وَعَلَيْكَ دَاخِلٌ؟ قلت: بلى.

قال: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ، وَأَنَا دَابَّةُ الْأَرْضِ صَدَقَهَا وَعَدَلَهَا، وَأَخُو نَبِيِّهَا. أَلَا أَخْبِرُكَ بِأَنْفِ الْمَهْدِيِّ وَعَيْنِيهِ؟ قال: قلت: بلى.

قال: فَضْرَبَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: أَنَا. وقال^(١٣): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْفَقِيهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ نَاصِحٍ،

١. المصدر: يبيض.

٢. المصدر: يكتب.

٣. ليس في المصدر.

٤. المصدر: يكتب.

٥. الجوامع، ٣٤١.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يكلمهم.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: يكلمهم.

٨. تأويل الآيات ٤٠٣/١، ح ٧.

٩. المصدر: عبد الحميد.

١٠. نفس المصدر والموضع، ٨.

١١. نفس المصدر والموضع، ح ٩.

عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف^(١)، عن الأصمغ بن نباتة قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل خبزاً وخلاً^(٢) وزيتاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون». فما هذه الدابة؟

قال: هي دابة تأكل خبزاً وخلاً وزيتاً.

وقال أيضاً: حدثنا الحسن^(٣) بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن سماعة بن مهران، عن الفضل بن يزيد^(٤)، عن الأصمغ بن نباتة قال: قال لي معاوية: يا معشر الشيعة، تزعمون أن علياً دابة الأرض.

فقلت: نحن نقول، واليهود يقولون.

قال: فأرسل إلى رأس الجالوت، فقال له: ويحك، تجدون دابة الأرض عندهم مكتوبة؟

فقال: نعم.

فقال: فما هي؟

[فقال: رجل.

فقال: أتدري ما اسمه؟^(٥)

قال: نعم، اسمه^(٦) إيليا^(٧).

قال: فالتفت إلي فقال: ويحك، يا أصمغ، ما أقرب إيليا^(٨) من علي.

قال^(٩): وروي في الخبر أن رجلاً قال لأبي عبد الله عليه السلام: بلغني أن العامة يقرأون هذه

١. كذا في المصدر، ورجال النجاشي ٤٦٨. وفي النسخ: ظريف.

٢. ليس في س، أم، ن. ٣. تأويل الآيات ٤٠٤/١-٤٠٥، ح ١٠.

٤. المصدر: الحسين. ٥. المصدر: الزبير.

٦. من المصدر. ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: اسمها.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: اسمها. ٩. المصدر: إيليا.

١٠. المصدر: إيليا. ١١. تأويل الآيات ٤٠٧-٤٠٨، ح ١٢.

[الآية هكذا: ^(١) تكلمهم؛ أي تجرحهم.

فقال: كلمهم الله في نار جهنم، ما نزلت إلا «تكلمهم» من الكلام.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾: بيان للفوج؛ أي فوجاً مكذبين.

و«من» الأولى للتبعيض، لأن أمة كل نبي شامل للمصدقين والمكذبين.

﴿فَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ ^(٢) : يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا، وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣)، متصلاً بقوله سابقاً: إنما هو يكلمهم من الكلام. والدليل على أن هذا في الرجعة «ويوم نحشر من كل أمة فوجاً [ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون، حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أما ذا كنتم تعلمون» قال: الآيات أمير المؤمنين والأنمة ^(٤).

فقال الرجل لأبي عبدالله ^(٥): [إن العامة تزعم] ^(٦) أن قوله: «يوم نحشر من كل أمة فوجاً» عنى يوم القيامة.

فقال أبو عبدالله ^(٧) أفيحشر الله ^(٨) يوم القيامة من كل أمة فوجاً. ^(٩) ويدع الباقيين؟ لا، ولكنه في الرجعة، وأما آية [يوم القيامة] ^(١٠) فهو: «وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً». حدثني ^(١١) أبي، عن ابن أبي عمير، عن جرادة ^(١٢)، عن أبي عبدالله ^(١٣) قال: ما يقول الناس في هذه الآية: «ويوم نحشر من كل أمة فوجاً»؟

قلت: يقولون: إنها في القيامة.

قال: ليس كما يقولون، إنها في الرجعة، أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجاً

٢. تفسير القمي، ١٣٠/٢.

١. ليس في ن.

٤. يوجد في س، أ، م، ن، المصدر.

٣. ليس في أ.

٦. تفسير القمي، ١.

٥. ليس في المصدر.

٧. س، أ، المصدر: حماد. وفي م، ن، المفضل.

ويدع الباقيين؟ إنما آية القيامة: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً».

حدّثني^(١) أبي، عن ابن أبي عمير، عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﷺ: «ويوم نحشر من كلّ أمة فوجاً» قال عليه السلام: ليس أحد من المؤمنين قُتل إلّا ويرجع حتّى يموت، ولا يرجع إلّا من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً.

وفي مجمع البيان^(٢): واستدلّ بهذه الآية على صحّة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإماميّة، بأن قال: إنّ دخول «من» في الكلام يوجب التبويض، فدلّ ذلك^(٣) [على]^(٤) أنّ اليوم المشار إليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً». وقد تظاهرت^(٥) الأخبار عن أئمّة الهدى من آل محمّد عليه السلام في أنّ الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي عليه السلام قوماً ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجون بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، وينالوا بعض ما يستحقّونه من العقاب في القتل على أيدي شيعته والذلّ والخزي بما يشاهدون من علوّ كلمته. ولا يشكّ عاقل أنّ هذا مقدور الله تعالى غير مستحيل في نفسه، وقد فعل الله تعالى ذلك في الأمم الخالية، ونطق القرآن بذلك في عدّة مواضع؛ مثل قصّة عزيز وغيره على ما فسّرناه^(٦) في موضعه.

وصحّ عن النبي ﷺ قوله: سيكون في امتي كل ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، حتّى لو أنّ أحدهم دخل حجر ضبّ لدخلتموه. على أنّ جماعة من الإماميّة تأوّلوا ماورد من الأخبار في الرجعة على رجوع [الدولة والأمر والنهي دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات، وأوّلوا الأخبار الواردة في ذلك لما ظنّوا أنّ

١. نفس المصدر والمجلّد، ١٣١.

٢. المجمع، ٢٣٤/٤ - ٢٣٥.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فدلّ على ذلك.

٤. من المصدر.

٥. ن: فُسّرت.

٦. م، المصدر: تظاهرت.

الرجعة^(١) تنافي التكليف، وليس كذلك لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح، والتكليف يصحّ معها؛ كما يصحّ مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة؛ فقلق البحر وقلب العصا ثعباناً وما أشبه ذلك، ولأنّ الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرّق التأويل عليها، وإنّما المعوّل في ذلك على إجماع الشيعة الإماميّة وإن كانت الأخبار تعضده وتؤيده.

وفي جوامع الجامع^(٢): وقد استدلّ بعض الإماميّة بهذه الآية على صحّة الرجعة، وقال: إنّ المذكور فيها يوم يُحشر فيه من كلّ جماعة فوج، وصفة يوم القيامة أنّه يُحشر فيه الخلائق بأسرهم؛ كما قال سبحانه: «وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً».

وورد^(٣) عن آل محمّد صلوات الله عليهم: أنّ الله تعالى يحيى عند قيام المهديّ عليه السلام قوماً من أعدائهم قد بلغوا الغاية في ظلمهم واعتدائهم، وقوماً من مخلصي أوليائهم قد ابتلوا بمعاملة كلّ عناء ومحنة في ولايتهم^(٤)، لينتقم هؤلاء من أولئك ويتشفّوا ممّا تجرّعوه من الغموم بذلك، وينال كلا الفريقين بعض ما استحقّقه من الثواب والعقاب. وروي^(٥) عنه عليه السلام: سيكون في أمّتي كلّ ما^(٦) كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة. وعلى هذا فيكون المراد بالآيات: الأئمة الهادية عليهم السلام.

وفي إرشاد المفيد^(٧): روى عبد الكريم الخثعمي^(٨) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم يملك القائم عليه السلام؟

قال: سبع سنين، يطوّل الله^(٩) له الأيّام والليالي^(١٠) [حتى]^(١١) يكون السنة من سنّيه مقدار عشر سنين من سنّيكُم، فيكون سنو^(١٢) ملكه سبعين سنة من سنّيكُم هذه، وإذا

١. ليس في أ. ٢. الجوامع، ٣٤١.

٣. نفس المصدر والموضع. ٤. المصدر: ولائهم.

٥. نفس المصدر والموضع. ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: من.

٧. الإرشاد، ٣٤٢. ٨. بعض نسخ المصدر: الجعفي.

٩. في المصدر: «تطول» بدل «يطوّل الله». ١٠. ليس في المصدر.

١١. من المصدر. ١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: سني.

آن قيامه مُطِير الناس جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم ير الخلائق مثله، فبينت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، وكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهنمة^(١) ينفضون شعورهم من التراب.

فعلى هذا «الآيات»: الأئمة الطاهرون، ومجيبهم إلى حيث يرجعون، والتوبيخ من الله بلسان الأئمة عليهم السلام.

ووقوع القول: تعذيبهم وقتلهم على أيدي الأئمة والمؤمنين.
ومن قال: إن قوله «ويوم نحشر من كل أمة فوجاً» المراد به: يوم القيامة، قال: المراد بالفوج: الجماعة من الرؤساء والمتبوعين في الكفر حُشِرُوا وَجُمِعُوا^(٢) لإقامة الحجة عليهم.

وقال في قوله:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوا﴾: أي إلى المحشر.

﴿قَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾: «الواو» للحال؛ أي أكذبتم بها بادئ الرأي غير ناظرين فيها نظراً يحيط علمكم بكنهها، وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب. أو للعطف^(٣)؛ أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم إلقاء الأذهان لتحقيقها.

﴿أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤): أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك. وهو للتبكي، إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا: فعلنا غير ذلك.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: حل بهم العذاب الموعود على أيدي الأئمة والمؤمنين على ما قلنا، وكبهم في النار على ما قالوا.

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾: بسبب ظلمهم، وهو التكذيب بآيات الله.

﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾^(٥): باعتذار لشغلهم بالعذاب.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: ليتحقق لهم [التوحيد ويرشدهم إلى تجويز الحشر وبعثة الرسل]^(٦)

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: جهته.

٢. ن: جمعهم.

٣. من أنوار التنزيل، ١٨٤/٢.

٤. أي «الواو» للعطف.

لأنَّ تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون إلا بقدره قاهر، وأنَّ من قدر [على إبدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر] ^(١) على إبدال الموت بالحياة في موادَّ الأبدان، وأنَّ من جعل النهار ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم لعلَّه لا يخلُ بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾: بالنوم والقرار.

﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: فإنَّ أصله: ليبصروا فيه، فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المَجْعول عليها بحيث لا ينفك عنها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٢): لدلالاتها على أنَّه لا يخلُ بما هو مناط جميع المصالح.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: قيل ^(٣): إنَّه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نُفِخ في البوق.

وفي مجمع البيان ^(٤): «ويوم ينفخ في الصور» واختلَف في معنى الصور، ف قيل: هو صُور الخلق، جمع صورة، عن الحسن وقتادة. ويكون معناه: [يوم] ^(٥) ينفخ الروح في الصُّور فيُبْعَثُونَ.

وقيل ^(٦): هو قرن يُنْفَخ فيه شبه البوق [عن مجاهد] ^(٧) وقد ورد ذلك في الحديث. وفي كتاب شيخ الطائفة رحمته الله ^(٨) في دعاء أم داود المنقول عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: اللهم، صلِّ على إسرافيل حامل عرشك وصاحب الصور المنتظر لأمرك.

﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: من الهول [قيل] ^(٩): هي ثلاث نفخات الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعق والثالثة: نفخة القيام لربِّ العالمين ^(١٠).

١ و ٢. من أنوار التنزيل، ١٨٤/٢.

٣. المجمع، ٢٣٦/٤.

٤. من المصدر.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. من المصدر.

٧. مصباح المتجهد، ٧٤٤.

٨. المجمع، ٢٣٦/٤.

٩. يوجد في س، أ، م، ن، المصدر.

وعَبَّرَ عنه بالماضي لتحَقَّق وقوعه .

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ : أن لا يفرع ، بأن يثبت قلبه .

وقيل ^(١) : هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل .

وقيل ^(٢) : الحور والخزنة وحملة العرش .

وقيل ^(٣) : الشهداء .

وقيل ^(٤) : موسى لأنه صُعِقَ مرّة ، ولعلّ المراد ما يعمّ ذلك .

﴿وَكُلُّ أُنُوءٍ﴾ : حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية ، أو راجعون إلى أمره .

وقرأ ^(٥) حفص : «أنوء» على الفعل .

وقرئ ^(٦) : «أتاه» على التوحيد للفظ ^(٧) «الكل» .

﴿دَاخِرِينَ﴾ ^(٨٧) : صاغرين .

وقرئ ^(٨) : «دخرين» .

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ : ثابتة في مكانها .

﴿وَهِيَ تَمْزُجُ مَرَّ السَّحَابِ﴾ : في السرعة ، وذلك لأنّ الأجرام الكبار إذا تحرّكت في

سمت واحد لا تكاد تبين حركتها .

﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ : مصدر مؤكّد لنفسه ، وهو لمضمون الجملة المتقدّمة ؛ كقوله : «وعد

الله» .

﴿الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ : أحكم خلقه وسواه على ما ينبغي .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٩) : وقوله ^(٩) : «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي

تمزّج مرّ السحاب صنع الله الذي أنقض كلّ شيء» قال : فعل الله الذي أحكم كلّ شيء .

١- ٤ . أنوار التنزيل ، ١٨٤/٢ - ١٨٥ .

٥ . نفس المصدر والمجلّد ١٨٥ . وفيه : زيادة «حمزة و» .

٦ . نفس المصدر والموضع . ٧ . المصدر : لتوحيد لفظ .

٨ . نفس المصدر والموضع . ٩ . تفسير القمي ، ١٣١/٢ .

﴿إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٨٣): عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيكم^(١). عليها،

كما قال:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾: قيل^(٢): إذ ثبت له الشَّريف بالخسيس، والباقي

بالفاني، وسبعمائة بواحدة.

وقيل^(٣): خير منها؛ أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة.

وقرأ^(٤) ابن كثير وأبو عمرو وهشام: «خبير بما يفعلون» بالياء، والباقون بالتاء.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥): حدَّثنا محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدَّثنا

محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن عثمان بن عيسى، عن أبي

أيوب الخزاز قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

اللَّهُمَّ زِدْنِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: «مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرُضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا

كثيرة». فعلم رسول الله ﷺ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَحْصِي وَلَيْسَ لَهُ مَتْنَهِي.

﴿وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾^(٨٤): يعني به: خوف عذاب يوم القيامة.

وقرأ^(٦) الكوفيون بالتنوين، لأنَّ المراد فرع واحد من أفزاع ذلك اليوم.

و«آمن» يتعدى^(٧) بالجارz بنفسه؛ كقوله: «أفامنوا مكر الله».

وقرأ^(٨) الكوفيون [ونافع] [يوئذ] بفتح الميم، والباقون بكسرها.

وفي مجمع البيان^(٩): قال الكلبي: إذا أطبقت النار على أهلها فزعوا فزعاً لم يفزعوا

مثلها،^(١٠) وأهل الجنة آمنون من ذلك الفزع.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(١١): حدَّثني أبي، عن محمد^(١٢) بن أبي عمير، عن

١. كذا في أنوار التنزيل ١٨٥/٢. وفي النسخ: فيجازيهم.

٥. المعاني ٣٩٧-٣٩٨، ح ٥٤.

٢-٤. أنوار التنزيل، ١٨٥/٢.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: يعدى.

٦. أنوار التنزيل، ١٨٥/٢.

٩. من المصدر.

٨. نفس المصدر والموضع.

١١. ليس في المصدر.

١٠. المجمع، ٢٣٧/٤.

١٣. ليس في المصدر.

١٢. تفسير القمي، ٧٧/٧.

منصور بن يونس، عن عمر^(١) بن شيبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول ابتداء^(٢) منه: إِنَّ اللَّهَ إِذَا بَدَأَ لَهْ أَنْ يَبْنِي خَلْقَهُ وَيَجْمَعُهُمْ لِمَا لَا بَدْءَ مِنْهُ أَمْرٌ مُنَادِيًا يَنَادِي، فَاجْتَمَعَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ فِي أَسْرَعٍ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ. إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السلام: رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ وَشَيْبَتُهُ عَلَى كَثْبَانٍ مِنَ الْمَسْكِ الْأَذْفَرِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، يَحْزَنُ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ، وَيَفْزَعُ النَّاسُ وَلَا يَفْزَعُونَ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مَنْ فَزَعَ يَوْمَئِذٍ أَمَنُونَ». فَالْحَسَنَةُ وَاللَّهُ، وَلَا يَهِ عَلَيْهِ.

حَدَّثَنِي^(٣) أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ معاوية بن عمار، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمَكْبَرِ قَالَ: دَخَلَ مَوْلَى لَامْرَأَةٍ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السلام عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السلام يَقُولُ^(٤) لَهُ: أَبُو أَيَمِّنَ [فَقَالَ^(٥)] يَا أَبَا جَعْفَرٍ، تَغْرَوْنَ^(٦) النَّاسَ وَتَقُولُونَ^(٧): شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ! فَغَضِبَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السلام حَتَّى تَرَبَّدَ^(٨) وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ، يَا أَبَا أَيَمِّنَ، أَغْرَكَ أَنْ عَفَّ^(٩) بَطْنُكَ وَفَرَجَكَ؟ أَمَا لَوْ^(١٠) قَدْ رَأَيْتَ أَفْزَاعَ الْقِيَامَةِ لَقَدْ احْتَجْتَ إِلَى شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَيْلَكَ، فَهَلْ يَشْفَعُ إِلَّا لِمَنْ وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ؟ وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْتُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

وَفِي كِتَابِ الْخِصَالِ^(١١): عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ قَالَ: قَالَ الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السلام: إِنَّ النَّاسَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: فَطَبَقَةٌ يَعْبُدُونَهُ رَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْحِرْصَاءِ وَهُوَ الطَّمْعُ، وَآخَرُونَ يَعْبُدُونَهُ فِرْقًا^(١٢) مِنَ النَّارِ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ وَهِيَ الرَّهْبَةُ، وَلَكِنِّي أَعْبُدُهُ حُبًّا لَهْ فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْكِرَامِ وَهُوَ الْأَمْنُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

-
١. المصدر: عمرو.
 ٢. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النُّسخ: ابْتَدَأَ.
 ٣. تَفْسِيرُ الْقُتَيْبِيِّ، ٢٠٢/٢.
 ٤. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النُّسخ: فَقَالَ.
 ٥. مِنَ الْمَصْدَرِ.
 ٦. الْمَصْدَرُ: يَعْزُونَ.
 ٧. الْمَصْدَرُ: يَقُولُونَ.
 ٨. أَيْ تَغَيَّرَ.
 ٩. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي سِ. أَمْ أَنْ عَزَكَ. وَفِي غَيْرِهَا: أَنْ عَزَلَهُ.
 ١٠. لَيْسَ فِي سِ. أَمْ، ن.
 ١١. الْخِصَالُ، ١٨٨: ٦، ح ٢٥٩.
 ١٢. أَيْ خَوْفًا.

«وهم من فزع يومئذ آمنون» ولقوله تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم». فمن أحب الله [أحبه الله ﷻ] ومن أحبه الله ﷻ^(١) كان من الأمنين.

عن حمزة بن يعلى^(٢)، يرفعه بإسناده، قال: قال رسول الله ﷺ: من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة.

وفي أصول الكافي^(٣): علي بن إبراهيم ﷺ، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ شية في الإسلام آمنه الله من فزع يوم القيامة.

وفي روضة الكافي^(٤) علي بن محمد، عن علي بن العباس^(٥)، عن علي بن حماد^(٦)، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسناً» قال: من تولى الأوصياء من آل محمد وأتبع آثارهم فذلك يزيده ولاية من [مضى من] النبيين والمؤمنين الأولين، حتى تصل^(٨) ولايتهم إلى آدم عليه السلام. وهو قول الله: «من جاء بالحسنة فله خير منها» يدخله الجنة^(٩). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام^(١٠) بإسناده إلى عمّار بن موسى الساباطي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يقبل الله من العباد الأعمال الصالحة التي يعملونها إذا تولوا الإمام الجائر الذي ليس من الله تعالى.

١. من المصدر. وفي النسخ: «وأحبه الله» بدل ما بين المعقوفتين.

٢. الخصال ١٥/١، ح ٥٤.

٣. الكافي ٦٥٨/٢، ح ٣.

٤. الكافي ٣٧٩/٨، ح ٥٧٤.

٥. س، أ، حماد.

٦. من المصدر.

٧. س، أ، العباس.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: يصل.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: تدخله.

١٠. أمالي الطوسي، ٣١/٢ - ٣٢.

فقال له أبو عبدالله بن أبي يعفور: أليس الله تعالى قال: «من^(١) جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون». فكيف لا ينفع العمل الصالح ممّن تولّى أئمة الجور؟ فقال له أبو عبدالله عليه السلام: وهل تدري ما الحسنة التي عناها الله تعالى في هذه الآية؟ هي [والله]^(٢) معرفة الإمام وطاعته.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: قيل^(٣): بالشرك.

وفي كتاب سعد السعود^(٤) لابن طاوس عليه السلام قال: وقد يُقِلّ عن الفراء قوله: «من جاء بالحسنة» لا إله إلا الله، والسيئة الشرك.

أقول: هذا تأويل غريب غير مطابق للمعقول والمنقول، لأن لفظ «لا إله إلا الله» يقع من الصادقين والمنافقين، ولأن اليهود تقول: لا إله إلا الله. وكلّ فرق من^(٥) الإسلام تقول ذلك، وواحدة منها ناجية واثنان^(٦) وسبعون في النار، وهذه الآية وردت مورد الأمان لمن جاء بالحسنة فكيف يتأولها على ما لا يقتضيه ظاهرها وقد وردت^(٧) النقل متظافراً^(٨) أنّ الحسنة معرفة الله ورسوله ومعرفة الذين يقومون مقامه صلوات الله عليهم.

﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: فكبوا على وجوههم.

ويجوز أن يراد بالوجوه: أنفسهم؛ كما أريدت بالأيدي في قوله: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة».

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٩) وقوله عليه السلام: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار» قال: الحسنة، والله،

١. العبارات من هنا إلى الموضع المذكور ليست في م.

٢. من المصدر. ٣. أنوار التنزيل، ١٨٥/٢.

٤. سعد السعود، ٢٦٢. ٥. ليس في نورالقلبين ١٠٣/٤، ح ١٢٣.

٦. ن: أوردت. وفي نفس المصدر والموضع: رأيت. ٧. الصحيح: اثنان.

٨. في نفس المصدر والموضع: متظافراً. ٩. تفسير القمي، ١٣١/٢.

ولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه. والسيئة، والله، عداوته.

وفي روضة الواعظين^(١) للمفيد رحمه الله: قال الباقر عليه السلام: «من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكُتِبَ وجوههم في النار» الحسنة ولاية عليّ وحبه، والسيئة عداوته وبغضه، ولا يُرْفَعُ معهما^(٢) عمل.

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣): على الالتفات. أو بإضمار القول: أي قبل لهم ذلك.

وفي أصول الكافي^(٤): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن أورمة ومحمد بن عبدالله، عن عليّ بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: دخل أبو عبدالله الجدليّ على أمير المؤمنين عليه السلام. فقال عليه السلام يا أبا عبدالله، ألا أخبرك بقول الله تعالى: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكُتِبَ وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون»؟

قال: بلى، يا أمير المؤمنين، جعلت فداك.

فقال: الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت. ثم قرأ عليه السلام الآية.

وفي أمالي شيخ الطائفة^(٥)، متصلاً بقوله: وهل تدري ما الحسنة التي عناها الله تعالى في هذه الآية؟ هي [والله]^(٥) معرفة الإمام وطاعته. وقد قال الله تعالى: «ومن جاء بالسيئة فكُتِبَ وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون». وإنما أراد بالسيئة إنكار الإمام الذي هو من الله تعالى.

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: من جاء يوم القيامة بولاية إمام جائر ليس من الله، وجاء

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: معها.

٤. أمالي الطوسي، ٣١/٢، ٣٢.

١. روضة الواعظين، ١٠٦/١.

٣. الكافي ١٨٥/١، ح ١٤.

٥. من المصدر.

منكراً لحقناً جاحداً لولايتنا، أكبه الله تعالى يوم القيامة في النار.

وبإسناده ^(١) إلى أبي عبد الله الجدلي قال: قال لي علي بن أبي طالب عليه السلام: ألا أحدثك يا أبا عبد الله، بالحسنة التي من جاء بها آمن من فزع يوم القيامة وبالسيئة التي من جاء بها أكب الله وجهه في النار؟ قلت: بلى، يا أمير المؤمنين.

قال: الحسنة حَبْنَا، والسيئة بغضنا.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٢): قال محمد بن العباس رحمته الله في تفسيره: حدثنا المنذر بن محمد، عن أبيه، عن الحسين بن سعيد [عن أبيه ^(٣)]، عن أبان بن تغلب، عن فضيل ^(٤) بن الزبير ^(٥)، عن أبي الجارود، عن أبي داود السبيعي، عن أبي عبد الله الجدلي قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا عبد الله، هل تدري ما الحسنة التي من جاء بها «فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار»؟ قلت: لا.

قال: الحسنة مودتنا أهل البيت، والسيئة عداوتنا أهل البيت.

وقال ^(٦) أيضاً: حدثنا علي بن عبد الله، عن إبراهيم عن ^(٧) محمد الثقفي، عن عبد الله بن جبلة الكناني، عن سلام بن أبي عمرة ^(٨) الخراساني، عن أبي الجارود، عن أبي عبد الله الجدلي قال: قال لي ^(٩) أمير المؤمنين عليه السلام ألا أخبرك بالحسنة التي من جاء بها آمن من فزع يوم القيامة، والسيئة التي من جاء بها كُتِبَ على وجهه في نار جهنم؟ قلت: بلى، يا أمير المؤمنين.

قال: الحسنة حَبْنَا أهل البيت، والسيئة بغضنا أهل البيت.

١. نفس المصدر والمجلد، ١٠٧.

٢. تأويل الآيات ٤١٠/١، ح ١٦.

٣. ليس في المصدر.

٤. س، أن، فضل.

٥. كذا في المصدر وجامع الرواة ٩/٢. وفي النسخ: الزمر.

٦. نفس المصدر والموضع، ح ١٧.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبي حمزة.

٩. ليس في س، أن، المصدر.

وقال ^(١) أيضاً: حدثنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن عمّار الساباطي قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وسأله عبدالله بن أبي يعقوب ^(٢) عن قول الله ﷻ: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون». فقال: وهل تدري ما الحسنة؟ إنّما الحسنة معرفة الإمام وطاعته، وطاعته من طاعة الله.

وبالإسناد المذكور ^(٣): عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الحسنة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. وقال ^(٤) أيضاً: حدثنا علي بن عبدالله، عن إبراهيم بن محمد عن إسماعيل بن يسار ^(٥)، عن علي بن جعفر الحضري ^(٦) [عن جابر الجعفي] ^(٧) أنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون، ومن جاء بالسيئة فكُتبت وجوههم في النار».

قال: الحسنة ولاية علي، والسيئة عداوته وبغضه. ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾: أمر الرسول بأن يقول لهم ذلك بعد ما بيّن المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة، إشعاراً بأنّه قد أتمّ الدعوة وقد كملت وما عليه بعد إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه. وتخصيص مكّة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها.

وقرئ ^(٨): «التي حرّمها».

﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾: خلقاً ومُلْكاً.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ^(٩): المنقادين، أو الثابتين على ملة الإسلام.

١. نفس المصدر والمجلد ٤١١، ح ١٨.

٣. تأويل الآيات ٤١١/١، ح ١٩.

٥. المصدر: بشار.

٧. من المصدر.

٢. أن: يعفور.

٤. نفس المصدر والموضع، ح ٢٠.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: علي بن الجعفري.

٨. أنوار التنزيل، ١٨٥/٢.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(١): [وقال علي بن إبراهيم^(٢)] في قوله عَلَيْكَ: «إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها» قال: مكّة.

وفي الكافي^(٣): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن علي بن النعمان، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن قريشاً لما هدموا الكعبة وجدوا في قواعدها حجراً فيه كتاب لم يحسنوا قراءته حتّى دعوا رجلاً فقراه، فإذا فيه: أنا الله ذوبكّة، حرّمها يوم خلقت السماوات والأرض، ووضعتها بين^(٤) هذين الجبلين، وحففتها بسبعة أملاك حقّاً.

محمّد بن يحيى^(٥)، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: حرّم الله حرمة أن يُختلّى خلاه، أو يعضد^(٦) شجره إلا الإذخر^(٧)، أو يصاد طيره.

علي بن إبراهيم^(٨)، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكّة يوم افتتحها فتح باب الكعبة، فأمر بصور في الكعبة فطمست، فأخذ بعضادتي الباب فقال: ألا إن الله قد حرّم مكّة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لا يُنْفَر صيدها ولا يُعضد شجرها ولا يُختلّى خلاها ولا تُحلّ لقطتها إلا لمنشد.

فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر فإنّه للقبر والبيوت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إلا الإذخر.

علي بن إبراهيم^(٩)، عن أبيه. ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكّة: إن الله

١. تفسير القمي، ١٣١/٢.

٢. ليس في ن.

٣. الكافي ٢٢٥/٤، ح ١.

٤. س، أ، ما بين.

٥. الكافي ٢٢٥/٤، ح ٢.

٦. ليس في ن. وكذا في المصدر. وفي النسخ: يعضده.

٧. الكافي ٢٢٥/٤-٢٢٦، ح ٣.

٨. الأذخر: نبات طيب الرائحة.

٩. نفس المصدر والموضع، ح ٤.

حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهِيَ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لَمْ تَحُلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا تَحُلْ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحُلْ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾: وَأَنْ أَوَاطِبَ عَلَى تَلَاوَتِهِ لَتُنْكَشِفَ لِي حَقَائِقُهُ فِي تَلَاوَتِهِ شَيْئاً فُشِيئاً، أَوْ اتِّبَاعَهُ.

وَقُرِئَ^(١): «وَاتْلُ».

﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾: بِاتِّبَاعِهِ إِيَّايَ فِي ذَلِكَ.

﴿فَأَنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: فَإِنَّ مَنَافِعَهُ عَائِدَةٌ إِلَيْهِ.

﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾: بِمُخَالَفَتِي.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٢): فَلَا عَلَيَّ مِنْ وَبَالٍ ضَلَالِهِ شَيْءٌ، إِذَا مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَقَدْ بَلَغْتُ.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: عَلَى نِعْمَةِ النُّبُوَّةِ أَوْ عَلَى مَا عَلَّمَنِي وَوَفَّقَنِي لِلْعَمَلِ بِهِ.

﴿سَبِّحْكُمْ آيَاتِهِ﴾: الْقَاهِرَةُ فِي الدُّنْيَا، كَوَقْعَةُ بَدْرٍ، وَخُرُوجُ دَابَّةِ الْأَرْضِ، أَوْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: فَتَعْرِفُونَ أَنَّهَا آيَاتُ اللَّهِ، وَلَكِنْ حِينَ لَا تَنْفَعُكُمُ الْمَعْرِفَةُ.

وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^(٣): «سَبِّحْكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا» قَالَ: الْآيَاتُ أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأئِمَّةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا رَجَعُوا يَعْرِفُهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ إِذَا رَأَوْهُمْ، وَالِدَلِيلُ عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ هُمُ الْأَئِمَّةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ: وَاللَّهُ، مَا لِلَّهِ آيَةٌ أَكْبَرَ مِنِّي. فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى الدُّنْيَا يَعْرِفُهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ إِذَا رَأَوْهُمْ فِي الدُّنْيَا.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٤): فَلَا تَحْسِبُوا أَنَّ تَأْخِيرَ عَذَابِكُمْ لَغَفْلَتِهِ عَنْ أَعْمَالِكُمْ.

وَقُرِئَ^(٣) بِالْبَاءِ^(٤).

٢. تفسير القمي، ١٣٢/٢.

٤. العبارات إلى هنا ليست في م.

١. أنوار التنزيل، ١٨٦/٢.

٣. أنوار التنزيل، ١٨٦/٢.

الفهرس

٥	كلمة المحقق
٩	سورة الحج
١٣٣	سورة المؤمنين
٢٢١	سورة النور
٣٥١	سورة الفرقان
٤٥١	سورة الشعراء
٥٣٣	سورة النمل